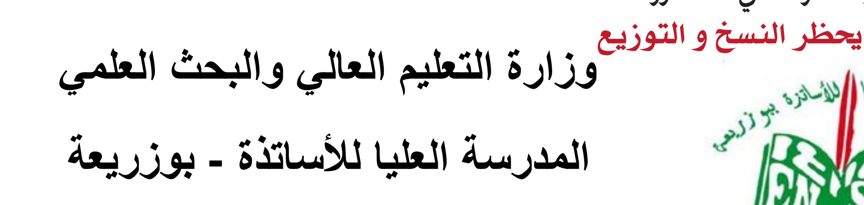




وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة



قسم التاريخ

الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(296هـ-361هـ/909م-972م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في : التاريخ الوسيط

تخصص : الحياة العلمية والمذهبية في المغرب والمشرق في العصر الوسيط

إعداد الطـالبة :
يـمينة كبـاس

إشـــراف :
د/مصطفى مغزاوي

لجنة المناقشة :

د/ بوعمامة فاطمة.............................رئيساً

د / مصطفى مغزاوي ....مشرفاً ومقرراً

د/ ديب صفية......................... عضواً مناقشاً

د/ بن شوش مروان......................عضواً مناقشاً

السنة الجامعية : 1436-1437هـ /2015 - 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــر وعرفــــان:

أشكر الله أولا وأخيراً،شكراً يليق بعزته وجلاله،ويبلغ عدد نعمه على خَلقه وعِباده،ويزيد تعظيما لملكه وسُلطانه،على ما زاد من نعمه علينا بتوفيقه وإحسانه،فالحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ثم أمَّا بعد:

أشكر الأستاذ المشرف:الدكتور مغزاوي مصطفى،على طيب صنيعه معنا،بالإشراف على كل مراحل هذا البحث،توجيهاً وتقويما وتقييما،بارك الله فيك أستاذنا،وجازاك الله عنا كل خير،لك منا كل الشُّكر،بعدد الأحرف في الكلمات،وعدد الكلمات في الجمل،وعدد الجمل في فقرات هذا البحث المتواضع متناً وهامشاً.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة المدرسة العليا للأساتذة،ممن أشرفوا على تأطيرنا خلال السنة النظرية،الأساتذة الدكاترة:خالد كبير علال،شهبي عبد العزيز،بن موسى جميلة،ديب صفية،بوعمامة،بوطارن مبارك،متيجة بشير.

وختاما نخصُّ بالشكر أعضاء لجنة المناقشة من دكاترة محترمين،قرأوا مشكورين هذا البحث،وسيفيدوننا حتما بملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

في الأخير لا يسعنا سوى القول: مهما شكرنا أيًّا ممن ذكرنا في هذه الوريقة فلن نوفيه حقه،لكن تبقى كلمة شكرا أبلغ العبارات دائما دون تنميق.

إهـــــــداء:

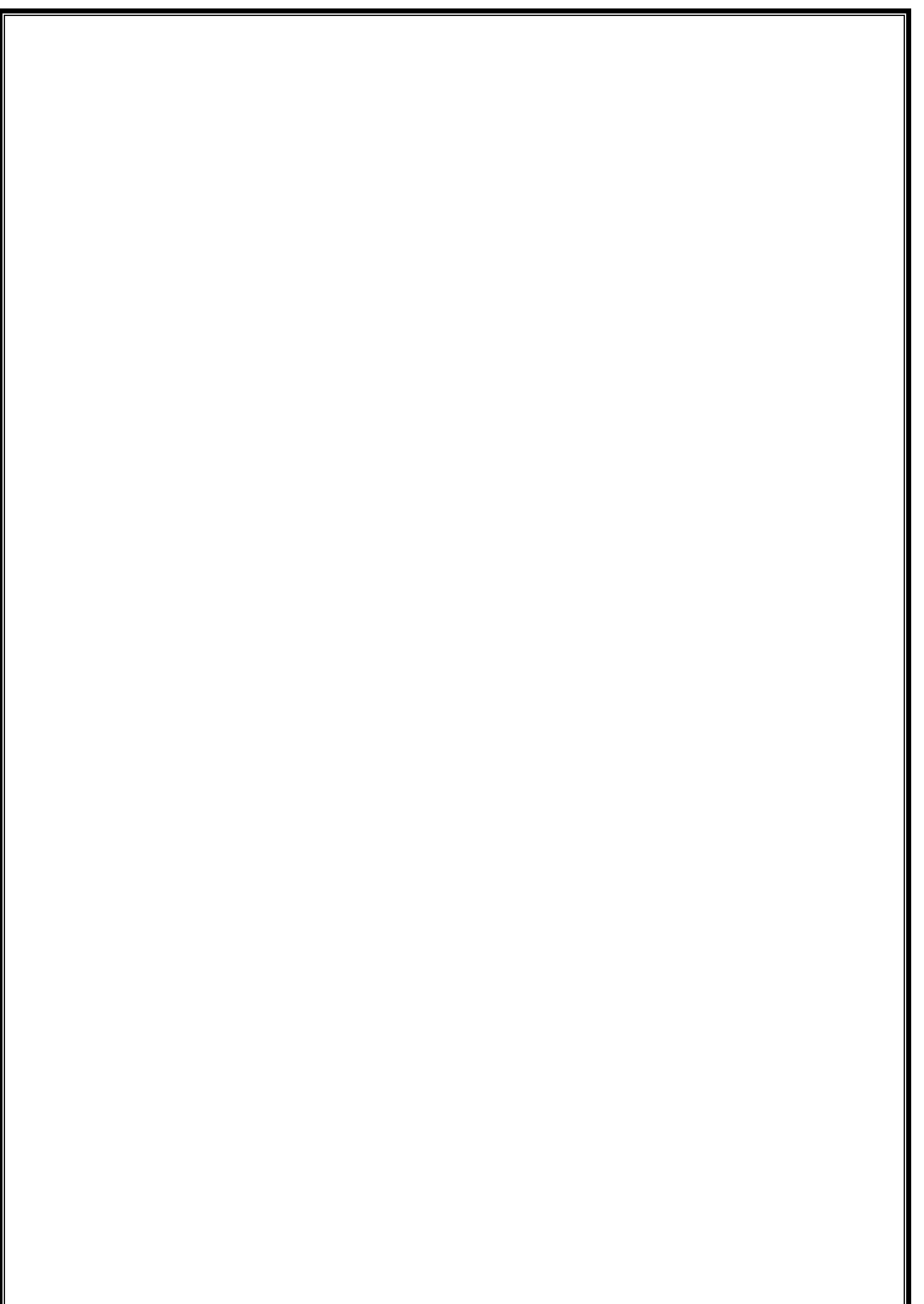
إلى الحبيب الذي زُرِعَ حُبُّهُ في قلبي وأنا في أحشاء أمي،فجُبلتُ على حُبِّه ولا أتمنى من دنياي إلا الاكتحال برؤية قبره الطاهر،بأبي هو وأمي سيدي وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم،وإلى كل من يُشاطرني حُبَّه من المسلمين والمسلمات.

ثم إلى معالم مُلكي على عرش مملكة نفسي،تاج رأسي أبي،وصولجان حُكمي أمي،واللذين لا سُلطة لي على هذا التركيب جسدا وروحاً،لولا رضاهما ودعمهما المتزايد لي بكل ما أوتيا من فضل الأُبوة،مع خَتْمٍ بالدعاء الطّيب يُسَهِّل دربي بإذن ربي،حفظهما الله وأدام رضاهما عني،وجعلهما مفتاحا لباب يُفتح لي لدخول الجنة ياااااااا رب.

إلى مُستشاري ووزرائي في مسائل حُكم هذه المملكة الصغيرة،التي تُؤرقني شؤونها في كثير من الأحيان،فألجأ إليهم فيها،كونهم حُماة حصنها المنيع،والذائدين عنه من كل خطر خارجي أو داخلي،الذين يحملون حتى هَمي ووجعي أحيانا على أَكُفِّ الراحة:إخوتي وأخواتي،رعاهم الله وحفظهم من كل سوء،وجازاهم عني ألف خير.

دون أن أنسى من الذكر صديقاتي وزملائي ملوك الممالك القريبة،ممن جمعتني بهم أيام الدراسة بمختلف أطوارها،أو صُدف الحياة بكل أشكالها،أدام الله وجودهم ووفقهم لما يُحبه ويرضاه،وأدام ما بيننا من أواصل أُخوة في الله.

وطبعا إلى من عايشت معي ميلاد هذا البحث ولم ترى زكاته،إلى الصديقة الأخت"غويني قدرية إيمان" رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه،ورزقنا وإيَّاها ثواب وأجر هذا البحث المتواضع في الدنيا والآخرة.



قائمة المختصرات:

الكلـــمة	مختصرها	الكلـــمة	مختصرها
تحقيق	تح	دون بلد نشر	د ب ن
ترجمة	تر	من الصفحة(كذا)إلى الصفحة(كذا)	ص-ص
تدقيق	تد	الجزء	ج
تقديم	تق	توفي	ت
دراسة	درا	الصفحة والصفحة الموالية	ص،ص
تعليق	تع	مراجعة	مرا
طبعة	ط	دون سنة نشر	د س ن
دون طبعة	د ط		



قامت كثير من دول العالم الإسلامي في العصر الوسيط على أساس ديني مذهبي،وما كان منها ببلاد المغرب الإسلامي لم يختلف عن ذلك،فالصبغة الدينية المذهبية كانت وراء تأسيس العديد من دوله،محدثةً بقيامها تحوُّلات مذهبية عميقة الأثر بالمنطقة،ولعل من بين أهم تلك الدول،من مشارف نهاية القرن الثالث الهجري إلى حوالي منتصف القرن الرابع الهجري،الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي.

استطاعت هذه الدولة بحسن استغلال دُعاتها للظروف السياسية المتذبذبة بالمنطقة،والكفاءة الدعوية لهؤلاء بقوة إقناعهم وتمرُّسهم في ذلك،أن تجذب إليها لفيفا بربريا هاما من بعض قبائل المنطقة،فشغلوا ذهنياتهم البربرية بأفكار دينية مذهبية،كان لها بالغ الأثر وعميقه في نفوسهم،حيث جعل هؤلاء الدعاة بين أتباع وموالي المذهب الشيعي الإسماعيلي والبيت النبوي،رابطة شرعية تُقِّرُ فيهم الولاء وتُرسِّخه بحجة قوة الإيمان،مستغلين في ذلك غياب القاعدة الدينية المذهبية المتينة،والسلطة السياسية القوية،التي من شأنها حماية سكان المنطقة على اختلاف أعراقهم وطوائفهم وانتماءاتهم من مثل تلك الدعاية المغرضة،فحققوا أهدافهم السياسية المضْمَرَة،وأنشؤوا لهم دولة،اتخذت كل معالم السيادة ومارس حُكامها جميع سلطاتهم،في شكل مركزي مباشر وحتى غير مباشر في بعض شؤون الحكم.

ذلك الحراك السياسي الذي مثّل نواة تأسيس الدولة الفاطمية،قام على أكتاف شخصيات وإن عُرفت بطابعها الدعوي،إلّا أنَّ دورها في صناعة تاريخ هذه الدولة كان مُهماًّ،انطلاقا من مرحلة الدعوة حتى الانتقال بأركانها إلى مصر(296هـ-361هـ/909م-972م)،وخلال هذه الفترة شهدت الحياة السياسية والمذهبية للمنطقة تموُّجات،كادت أحيانا أن تؤدي إلى تغيرات سياسية،من شأنها إزاحة الدولة الفاطمية كسلطة زمنية حاكمة،وتغيير نظم السيطرة السياسية في البلاد،لو لا تفطن ووعي خلفاءها لذلك في الوقت المناسب،وتغيير مسار بعض مناحي الحياة السياسية والمذهبية لدولتهم.

حيث تفاعلت مختلف الأطراف المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي-أهل السُنَّة،الخوارج وحتى الشيعة-مع تلك السياسة الداخلية للدولة الفاطمية،وعبَّروا عن مواقفهم السياسية والمذهبية إزاءها،إذ برزت منهم نُخَب تميَّزت بالجمع بين العلم الشرعي المذهبي،والجرأة

السياسية في قيادة أتباع مذاهبهم،بفضل ما حظوا به من مكانة وسلطة روحية ذات صبغة دينية عندهم،ما جعل تلك النُّخب من الفقهاء تضطلع بدورها العلمي(الفكري)ثم السياسي المذهبي مبكراً،وتضع بصمتها كعناصر فاعلة في الحياة السياسية والمذهبية للدولة الفاطمية،فكان هؤلاء الفقهاء بما تقلدوه من مهام في التعبير عن آرائهم السياسية،وخدمة مذاهبهم والذود عنها سواء،ففقهاء المذهب الشيعي الإسماعيلي أو دعاته، لم تَقِلَّ جهودهم أو طموحاتهم المذهبية،عما امتاز به فقهاء المذاهب السنِّية-خاصة المالكية- وحتى مذاهب الخوارج،من رغبة في التحرر المذهبي وحتى السياسي من قيود السلطة الفاطمية،وهو ما سنحاول التطرق إليه من خلال البحث في موضوع: "الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(296هـ-361هـ/909م-972م)".

أهمية الموضوع:

مما سبق التوطئة له،وفي حدود ما أمكننا الإطلاع عليه من مؤلفات تاريخية،أدركنا ما يكتسيه مثل هذا الموضوع :"الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296هـ-361هـ/909م-972م)"من أهمية،كدراسة تاريخية تهتم بالجانبين السياسي والعلمي المذهبي في منطقة المغرب الإسلامي،خلال إحدى أهم مراحله حدَّة وصداماً،بما عرفته من صراعات سياسية ومذهبية،كادت أن تحدث تغيرات جذرية ومستديمة في فسيفسائه العقدية والمذهبية،وقد ميَّزنا عنصر الفقهاء لتسليط الضوء على دوره في صناعة أحداث مثل هذا التاريخ،لما امتاز به هذا العنصر من نخبوية في المجتمع المغربي،وما برز لهؤلاء من مواقف في التفاعل مع أحداثه السياسية والمذهبية،خلال الفترة الزمنية السالفة الذكر.

وقد تراءى لنا من خلال دراسة هذا الموضوع،أن أهميته لا تكمن فقط في جانبه التاريخي،المرتبط زمنيا بالماضي والعصر الوسيط تحديدا،وإنما طالت امتداداته حتى تاريخنا المذهبي المعاصر،فالصراع العقائدي الذي تحوَّل إلى مواجهات عسكرية أحيانا،بين أتباع المذهبين السنِّي والشيعي في العصر الوسيط،تجذَّرَتْ آثاره لتطال العلاقات بين الدول التي تتبنى أحد هذه الأطراف المذهبية،على جميع الأصعدة(سياسية،اقتصادية،ثقافية وحتى فكرية علمية...)في العصر الحديث والمعاصر،وإن كان الدور السياسي للفقهاء قد تضاءل حاليا مفسحا المجال أمام رجال السياسة،إلا أن تلك الحساسية المذهبية وحتى العلمية،ناهيك عن

السياسية لا تزال قائمةً لحد الساعة،فعمق الهوّة والشرخ بين أتباع المذهبين،وإن تغاضى عنها فقهاء الطرفين مجبرين،في فترة من فترات الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،لتحقيق إمكانية التعايش في إقليم واحد يخضع للسيطرة الفاطمية،لكن ما إن ارتحلت هذه الدولة إلى مصر لم تطل المدة بمذهبها حتى لحق بها،وانتصر فقهاء المذهب السنِّي المالكي في تلك المواجهة التي دارت أحداثها المختلفة على أرض المغرب الإسلامي.

أسباب اختيار الموضوع:

إن قوة التغيرات المذهبية والسياسية التي حدثت على أرض المغرب الإسلامي،تجذب كل مهتم بتاريخه إلى محاولة الغوص في أعماق أحداثه،والبحث في تفاصيل وحيثيات ذلك من أسباب،ووقائع فنتائج وانعكاسات،ولعل ما جاء من نصوص في المؤلفات التاريخية،حول أخبار الفقهاء المختلفة في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب،دفعنا إلى محاولة البحث أكثر عن مدى تأثير هذه الطبقة النخبوية في الدولة سُلطة ورَعية،من خلال الدور المنوط بها،وما مكَّن رجالها من هذه الرِفعة،فانتبهنا إلى دورهم العلمي التعليمي،وهو ما تميَّز به الفقهاء بين الرعية،وما اكسبهم سُلطة روحية بينهم،ذلك ما شدَّ انتباهنا في البداية،لكن مع زيادة اطلاعنا حول هذه الفئة في العهد الفاطمي،برز لنا دورها الهام في الحياة السياسية للدولة،فحاولنا بذلك الجمع بين الجانبين السياسي والعلمي في موضوع واحد للبحث،جعلنا المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي إطاره الزمكاني،كما لا نخفي شعورنا بالانتماء للمنطقة،وشدَّة وَلَعِنَا وتعلُّقنا بكل ما يُعنى بتاريخها من آثار مادية ومعنوية،كحافز نفسي حملنا على اختيار هذا الموضوع ومحاولة خوض غمار البحث فيه،على أمل التوفيق.

الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد بنَيْنا قاعدة بحثنا في هذا الموضوع،على دراسات سبقنا أصحابها بطرق عناوين مقاربة لعنواننا،والتي تصبُّ مُجملها في وعاء التاريخ المذهبي والسياسي لمنطقة المغرب الإسلامي،خلال فترات زمنية مختلفة،حيث حاولنا الإفادة منها،وأخذ بعض ما جاء فيها كدليل علمي يساعدنا في التنبه لبعض زوايا البحث،والتطرق لما يمكن أن يحظى بأهمية من عناصر تستوجب البحث فيها،فتلك الدراسات وإن تناولت جوانب من بحثنا،إلا أن أغلبها تعرض لذلك في إطار عام حسب ما يخدم العناوين الرئيسية لها،ومن بين تلك الدراسات

التي اعتمدنا عليها،نذكر على سبيل الذكر بعض الرسائل الأكاديمية في الدكتوراه والماجستير،ومنها:

-"أهل السنَّة والجماعة في المغرب الإسلامي وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية" رسالة دكتوراه لإبراهيم علي التهامي،اهتم صاحب هذه الدراسة بالجانب المذهبي العقائدي،أكثر من الجانب التاريخي للأحداث في المنطقة،إذ تناول الصراع السنِّي الشيعي كأحد مراحل التطور المذهبي الذي كان ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،بداية من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري.

-"المذهب السنِّي في المغربين الأدنى والأوسط من (296هـ - 547هـ/909م-1153م)"،هي الأخرى رسالة دكتوراه لموسى هيصام،عالج فيها الحياة المذهبية للمغربين الأدنى والأوسط خلال العهدين الفاطمي والزيري،وقد تطرق في أحد أجزاءها لتلك الأحداث المذهبية وحتى السياسية التي اصطبغت بصبغتها،خلال العهد الفاطمي وهو ما أفادنا في بعض عناصر البحث.

-"فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن6هـ/12م"،وهي إحدى أجزاء متطلبات شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي،لعلياء هاشم ذنون محمد المشهداني،وفيها اهتمت الباحثة بالعلاقات العلمية بين المغرب والأندلس،وهي إن تشابهت مع موضوع بحثنا في التركيز على عنصر الفقهاء كمحور لبناء دراستها عليه،إلا أننا نختلف في الإطار الزماني وكذا المكاني،وحتى في نوعية البحث الذي كان في العلاقات العلمية بالنسبة لدراستها،أما في بحثنا فكان دور هؤلاء في الحياة السياسية والمذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي.

-"أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من القرن (2هـ-5هـ/8م-11م)"،وهي مذكرة ماجستير لحفيظ كعوان،تناول فيها أثر فقهاء المالكية على الجانبين الاجتماعي والثقافي ببلاد المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى العهد الزيري.

-"النزاع السُّني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية(296هـ-443هـ/909م-1051م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط لنوار نسيم،تناول فيها بالدراسة الجانب المذهبي،مركزا على المذهب المالكي

فيه،وهي دراسة مقاربة لما جاء في رسالة الدكتوراه لموسى هيصام السالفة الذكر،إذ اصطبغت كل منهما بصبغة مذهبية سنِّية في البحث.

تلك كانت بعض الدراسات الأكاديمية التي أمكننا ذكرها في المقام،ناهيك عن ما جادت بعض المقالات،والتي تركنا ذكرها هاهنا لنذكرها لاحقا في قائمة الببليوغرافيا،وما يمكننا قوله هو أن هذه العيِّنة من الدراسات التي ذكرنا،أغفلت بشكل أو بآخر فئة الفقهاء ودورها الفاعل في التاريخ السياسي والعلمي للمنطقة،في حين تناولت معظمها دور هؤلاء الفقهاء في التاريخ المذهبي لمنطقة المغرب الإسلامي،وهو ما حاولنا التركيز عليه في بحثنا هذا.

طرح الإشكالية:

تزامن تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العهد الفاطمي،منذ مرحلة الدعوة الشيعية الإسماعيلية به،ببروز عدة أسماء لرجال جمعوا بين وقار الدين وهيبة العلم،فنالوا مكانة هامة في المجتمع المغربي،على اختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم العقدية،وانطلاقا من تلك المكانة تقلَّد هؤلاء الرجال عدة أدوار ريادية في حياة مجتمعاتهم،حيث كانت شخصية الفقيه عند الرعية وحتى عند السلطة،تمثل دائما تلك السلطة الشرعية الروحية،التي لا يمكن تجاوزها،والتي لها تأثير هام في مجريات الأحداث العامة للبلاد،فإلى أي مدى بلغ تأثير هؤلاء الفقهاء على الحياة السياسية والعلمية للمجتمع في عهد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،أو بصيغة أخرى كيف اضطلعت فئة الفقهاء بتأثيرها في الحياة العامة للمجتمع،وما دورها في الحياة السياسية والعلمية–على وجه الخصوص–للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي سلطة ورعية؟

وعن هذه الإشكالية أو الطرح الرئيس،انبثقت عدة تساؤلات ،كانت نواة لكل مرحلة من مراحل البحث والدافع إليه،والتي جاءت كالآتي:

_بداية ما هي ظروف تأسيس الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي سنة(297هـ/910م)؟

_ ما هي أهم وأبرز الشخصيات الفقهية لمختلف المذاهب الإسلامية بالمغرب الإسلامي على عهد الدولة الفاطمية به؟

_ ثم ما دور هؤلاء الفقهاء في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي؟

_ كيف كانت الحياة السياسية لهذه الدولة ببلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين(297هـ-361هـ/910م-972م)؟

_وأخيرا ما دور تلك النخب من الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات حاولنا منهجة بحثنا حسب المراحل التالية.

خطة البحث :

كان مستهلُّه مقدمة توضح المراحل المنهجية لبحثنا،في صيغتها المختصرة،وتحمل في طياتها إشكالية الموضوع، ثم مدخل كان بمثابة أرضية تمهد للدخول في معالجة طرحنا،وقفنا فيه على ظروف المغرب الإسلامي قبيل تأسيس الدولة الفاطمية به سنة(297هـ/910هـ)،وما كانت تعيشه دويلات المنطقة من حالة احتضار وتذبذب سياسي،مهَّد الأوضاع لظهور سلطة سياسية،وقوة مذهبية جديدة بالمنطقة،انطلاقا من دعوة مذهبية مؤسسة سبقت لذلك.

الفصل الأول:حمل هذا الفصل ترجمة لأهم الرموز الفقهية للمذاهب الإسلامية المغربية-إن صح التعبير-إذ حرصنا على الوقوف عند أسماء أبرز الفقهاء الخوارج(الصفرية والإباضية) وكذا أهم فقهاء أهل السنَّة(الحنفية ،المالكية،الشافعية،الحنبلية)،وإن كانت المعلومات عن هذه الأخيرة (أي أبرز الشخصيات الفقهية الحنبلية)،جد نادرة ببلاد المغرب الإسلامي على عكس المشرق،دون أن نُهمل ذكر أهم فقهاء الشيعة الإسماعيلية،وحتى بعض الفقهاء الذين تبنوا أفكار بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة.

الفصل الثاني:تطرقنا في هذا الفصل إلى أهم المؤسسات التعليمية،وأبرز المناهج العلمية،وكذا قنوات التعليم المختلفة التي مارس من خلالها الفقهاء دورهم في الحياة العلمية والمذهبية،إذ اعتمدوا في ذلك زيادة على المؤسسات التعليمية التقليدية(المساجد،الجوامع،الكتاتيب ،المكتبات،وحتى الرباطات وبيوت ودور بعض الفقهاء،وبعض الفضاءات العامة كالمقابر وغيرها)،ولجأوا إلى المناظرات في المجالس العامة والخاصة،وإلى ما جادت به قرائحهم من مؤلفات هامة،وكل ذلك في سبيل حفاظهم على مذاهبهم والذود عنها،أمام ما سلكته السلطة الفاطمية من سُبل معادية،تهدف من خلالها إلى جعل المذهب الشيعي الإسماعيلي،مذهب الدولة والرعية الإسمي والرسمي،وهو ما لم ينبسط لها.

الفصل الثالث: حاولنا في هذا الفصل إبراز أهم سِمات الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،على عهد كل خليفة من خلفاءها،وكيفية تعامل كل منهم مع التطورات السياسية بالمنطقة على عهده،بغية إرساء دعائم الاستقرار والثبات لدولتهم،من خلال تحدي كل ما من شأنه أن يُعرقل مساعيهم في تثبيت أركان سلطتهم الزمنية بالبلاد داخليا وخارجيا،مع تطبيق سياسة مذهبية هادفة إلى إقرار المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة،قبل إعلان انتقالهم إلى مصر سنة(361هـ/972م).

الفصل الرابع: في هذا الفصل حاولنا الوقوف عند دور الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،وذلك بإبراز مدى تأثرهم بالسياسة المذهبية لخلفاء هذه الدولة، ثم موقف فقهاء المغرب الإسلامي من تلك السياسة المذهبية للسلطة الفاطمية،ومواجهتهم إياها من ثلاث جبهات: شيعية إسماعيلية،خارجية(صفرية-إباضية)،مالكية سنِّية،وركزنا على أشكال المقاومة السنيَّة عند المالكية،كونها أكثر العناصر الفقهية صداماً مع السلطة الفاطمية،حيث كانت على عدة ألوان: سلمية(سلبية وإيجابية)،وكذا مسلحة عسكرية،والتي كان من نتائجها إحداث بعض التغيير في السياسة المذهبية،لبعض خلفاء الدولة الفاطمية تجاه فقهاء المذاهب السنِّية،إذ تمَّ إشراك الفقهاء في الحياة السياسية لدولتهم،من خلال تقلُّد بعض المناصب الهامة في جهازها الحكومي،مثل منصب الوزير وداعي الدعاة وقاضي القضاة،وكذا في جهازها الإداري المدني العام،مثل منصب صاحب المظالم والقاضي والمحتسب وحتى الوُلاة والشرطة.

وختمنا بحثنا بخاتمة ضَمَّناها عصارة ما جاء بين طيَّاتة من بنات أفكارنا،وما أمكننا استنتاجه مما جادت به أنامل المؤرخين من معلومات حول الموضوع،ومحاولة صياغتها في قالب سَلِسْ مُتجانس،يُسَهِّلْ على الباحثين والدارسين الإفادة مما فيه.

منهج البحث:

اعتمدنا في بحثنا هذا على مزيج من المناهج العلمية،التي جمعنا ما تناسب منها والمعلومات المجموعة حول الموضوع،لتخريجه في حُلَّته النهائية هذه،إذ كان لها في **استقراء** المادة التاريخية من كتب التاريخ والمذاهب الحظ الوافر،حَمَلَنا أحيانا على **المقارنة** بين النصوص التاريخية،ثم ترجيح ما مالت إليه أفكارنا،استنادًا على ما ورد من نصوص تاريخية تدعم ذلك،مع **تحليل** ما يستوجب ذلك والتعليق عليه،في المواضع التي تقتضي ذلك،ثم

الخروج ببعض **الاستنتاجات** التي من شأنها جمع أفكار تُعنى بموضوع البحث،من خلال ما استقيناه من **وصف** لأحداث تاريخية حملتها لنا بعض المصادر التاريخية المعايش لها،أو ما نُقل عنها من مراجع.

تقييم المصادر والمراجع:

تقديراً منا لأهمية المصادر والمراجع في تحديد أهمية البحث وزِنَتِهِ،أولينا جانبا كبيراً من عنايتنا لجمع المادة العلمية،ومحاولة المقارنة بين بعض نصوصها،وتَوَخِي قدر من الحذر في استقاء معلوماتنا من مصادرها الأصلية إن أمكن،وفي حال تعذر ذلك استقاؤها من بعض المراجع التي أخذت عنها،مع الإشارة إلى ذلك،وهذه عيِّنة عن أبرز المصادر والمراجع التي كثر اعتمادنا عليها في بحثنا هذا،وذلك لجليل ما حَمَلته من معلومات تخدم موضوعنا،وتعيننا على دراسة بعض جوانبه،وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر منها ما يلي:

أ/المصادر السنيَّة:

كان لكتب التراجم والطبقات منها حظ وافر في هذا البحث،ذلك أننا استندنا عليها في كل فصول البحث تقريبا،فمعظم الفقهاء والشخصيات التي ذكرناها كانت بحاجة للترجمة،وجدنا ضالتنا عنها في هذا النوع من الكتب ونذكر منها:

_ كتاب"طبقات علماء إفريقية" للمؤرخ أبي العرب محمد بن احمد بن تميم(ت 333هـ/945م)،وهو من معاصري الدولة الفاطمية،وكذا الدولة الأغلبية قبلها،جمع في كتابه هذا جملة من التراجم لعلماء عاصر بعضاً منهم،وقد أفادنا في تراجم وأخبار من كان منهم معاصراً للدولة الفاطمية،موجزا في ذكر ذلك مع إهماله لتاريخ وفاة بعضهم،خاصة من فقهاء المالكية الذين كان مع من خرج منهم لقتال الشيعة الفاطميين،أتمَّ تلميذه من بعده أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني(ت 361هـ/971م)هذا الكتاب مضيفا إليه تراجم بعض الأعلام من غير المالكية(حنفية،شافعية،معتزلة،شيعة ممن تشرَّقوا)،وكان لهذا الأخير أيضا مؤلفات أخرى في هذا السياق،استقينا منها معلوماتنا،على غرار كتابه "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية"،الذي اعتمدنا بعض نصوصه في آخر فصول هذا البحث،وما تعلق منه بعنصر القضاء.

_كتاب"رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونُساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي

(ت484هـ/1091م)،وكان لهذا المؤَلَّف الفضل الكبير في اطلاعنا على جملة من المعلومات التي فُقدت أصولها أو كُتبها الأصلية،لكن تمكن هو من الإطلاع عليها وتبليغنا بعضاً مما جاء فيها،وكان هذا الكتاب في جزئه الثاني أكثر المصادر السنيَّة التي اعتمدنا عليها.

_كتاب" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"،للقاضي عياض بن موسى اليحصبي(ت 544هـ/1149م)،كان أيضا من أهم كتب التراجم والطبقات،التي جمع صاحبها تراجم لرجال من أتباع المذهب المالكي،كانوا ببلاد المغرب الإسلامي وحتى بمشرقه،وما يميِّز هذا الكتاب عن غيره أنه في أغلب تراجمه التي جمعتها أجزاؤه،يورد تاريخ وفيات الأعلام المترَجم لهم في أخر الترجمة،وهو ما يُسهِّل على الباحث معرفة الزمن الذي عاشت فيه الشخصية المتَرجَمْ لها،وأي عهد عاصرت من تاريخه.

_كتاب"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الدباغ(ت 699هـ/1300م)،والذي أكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي(ت 839هـ/1435م)،وهو من أكثر الكتب فضلا وأجلِّها قدراً،اعتمدنا عليه كثيرا في بحثنا هذا،ذلك أنه تميَّز عن غيره بتفصيل جميع ما نقل من روايات عن غيره،وزادتها قيمة تعليقات ابن ناجي عليها.

كانت تلك أهم كتب التراجم والطبقات السنيَّة التي اعتمدنا عليها في بحثنا،دون أن نغفل نوعا آخر من المؤلفات التاريخية،ذات الأهمية البالغة والصلة الوطيدة ببعض الجوانب المهمة من بحثنا،ألا وهي كتب التاريخ العام أو التاريخ السياسي كما يفضِّل البعض تسميتها،ومنها نذكر على سبيل الذكر:

_كتاب"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى(ت نحو 695هـ/1296م)،الذي عبَّر فيه عن وجهة نظر سُنِّية لمجريات الأحداث،التي مهَّدت لظهور الدولة الفاطمية،وأهم أعمالها ببلاد المغرب الإسلامي.

_ كتاب"الكامل في التاريخ" لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير(ت 630هـ/1233م)،يُعَدُّ من أهم الكتب التاريخية،التي جمع صاحبها أخبار العالم الإسلامي بمغربه ومشرقه،ودوَّنها في صفحاته،فجاءت أخباره مرتبة منظمة،اتخذ صاحبها من التصنيف الحولي لأحداثه سبيلا إلى ذلك،زادته بساطة السرد ووضوحه مع دقة تأريخه تميُّزا.

المصادر الشيعية:

مثلما اعتمدنا على مصادر سُنيَّة في استقاء أخبار بحثنا،اعتمدنا أيضا على مصادر شيعية حملت بين نصوصها ما يفيدنا،وبالمقارنة بين ما تشابه منها من أخبار،استطعنا حسب ترجيحنا لها،الوقوف على عدة حقائق تاريخية،وهذه بعض المصادر الشيعية التي اعتمدنا عليها.

_كتاب"افتتاح الدعوة" للقاضي أبي حنيفة محمد بن منصور المعروف بالقاضي النعمان(ت 363هـ/974م)،من أهم كتب التاريخ العام التي يقدم صاحبها مادة خصبة عن تاريخ تغلغل الفكر الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي،ومراحل تطور دعوته،لأن هذا الرجل كان في خدمة الخلفاء الفاطميين مدةً طويلة،ما مكَّنه من الإطلاع على المصنفات والوثائق الخاصة بالمذهب الإسماعيلي،والتي خصَّ الخلفاء للإطلاع عليها رجالا مميزين في الدولة،إذ نالوا حظوة ومكانة هامة بعلمهم أو ولائهم للمذهب والقاضي النعمان أحدهم،وله عدد من المؤلفات تمكنًّا من الاطلاع والإفادة من بعضها،مثل:"كتاب المجالس والمسايرات"،و"كتاب اختلاف أصول المذاهب" وغيرها،وكلُّها مُؤَلفات مهمة في تسليط الضوء على بعض الأحداث التاريخية،من وجهة نظر شيعية نابعة من قصر الخلافة الفاطمية،مدعمَّة بوثائق تاريخية وتوقيعات من الخلفاء تُقِرُّ بعض ما جاءت به المصادر السنِّية،وتنفي بعضها الآخر،ولهذا الرجل باع في عدة ألوان من التأليف التاريخي،من تاريخ سياسي عام،إلى تاريخ السير والفقه.

_كتاب"سيرة الأستاذ جوذر" لأبو علي منصور العزيزي الجوذري،وهو تلميذ للأستاذ جوذر،يعتبر كتابه هذا مصدرا دوَّن فيه سيرة أستاذه وخلفاءه،مستشهدا بما أطلعه عليه أستاذه من أخبار ووثائق وتوقيعات لخلفاء الدولة الفاطمية،وقد أمدَّنا هذا الكتاب بمعلومات هامة عن الحياة السياسية للدولة الفاطمية،منذ تأسيسها ببلاد المغرب الإسلامي،حتى انتقالها إلى مصر،ذلك أن الأستاذ جوذر ومنذ دخوله في خدمة الخليفة عبيد الله المهدي،ظل يتدرج في المناصب الهامة إلى أن بلغ أعلاها،وهو منصب الوزارة الذي لم يَتَسَمَّ به،وسُمِيَّ بداعي الدعاة جوذر.وقد أفدنا من كذا الكتاب ومن سابقه في الاطلاع على أخبار الدولة الفاطمية وخلفاءها عن كثب.

المصادر الإباضية:

وإن كان اعتمادنا على هذا النوع من المصادر يكاد يكون ضئيلا،إذا ما قورن بباقي المصادر السنيَّة والشيعية،وذلك لطبيعة الموضوع التي تفرض ذلك،حيث لجأنا إلى بعضها للحديث عن التاريخ السياسي والمذهبي للإباضية في ظل حكم الدولة الرستمية للمغرب الأوسط-المرحلة الأخيرة من عمر هذه الدولة أي قُبيل سقوطها على يد الشيعة الفاطميين- وهو ما تطرقنا له في مدخل هذا البحث،الذي حاولنا فيه الوقوف على ظروف المغرب الإسلامي قبيل قيام الدولة الفاطمية به،وكذا في خضم حديثنا عن ثورة أبي يزيد والتحديات السياسية الداخلية،التي واجهها خلفاء الدولة الفاطمية بسبب ثورات الإباضية المتكررة ضدهم،لعلنا نذكر من بين أهم تلك المصادر ما يلي:

_كتاب"أخبار الأئمة الرستميين" لأبن الصغير،الذي عاصر أواخر أيام الدولة الرستمية،بداية من عهد الإمام اليقظان بن أفلح(261-281هـ)،وهو ما يذكره في كتابه هذا،حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التاريخ السياسي،كون صاحبه عايش أخباره وصاغها لنا،لمعرفة جوانب من الأوضاع السياسية والمذهبية للدولة الرستمية قبيل تداعيها سنة(296هـ/909م).

_ كتاب "سير الأئمة وأخبارهم"المعروف "بتاريخ أبي زكريا"،لأبي زكريا يحي بن أبي بكر(ت 471هـ/1082م)،وإن كان هذا الكتاب يتناول تاريخ السيَّر،إلا أنه حمل من أخبار التاريخ السياسي للدولة الرستمية وحتى الفاطمية ما حمل،وطبعا جاء بين ثناياه ترجمات لعدة شخصيات إباضية.

_كتاب"طبقات المشايخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت 670هـ/1281م)،من كتب الطبقات الإباضية،اعتمدناه أيضا في الترجمة لبعض أعلام الإباضية،وما كان في عهدهم من أحداث تاريخية لمن عاصر من طبقاته دخول الشيعة الفاطميين لبلاد المغرب الإسلامي،وكذا الظروف السياسية للدولة الرستمية الإباضية،قبيل سقوطها سنة(296هـ/909م).

المراجع المختلفة:

اعتمدنا أيضا على جملة من المراجع لعلنا نذكر منها:

_ كتاب" دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" لموسى لقبال،وهو من أهم الدراسات التي تناولت تاريخ تطور الدولة الفاطمية ببلاد المغرب،وبعضا من سياستها الداخلية والخارجية.

_ كتاب" الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي" لبوبة مجاني،من بين المؤلفات التي لجأنا إليها كثيراً خلال مراحل بحثنا،خاصة فيما تعلق منها بالنظم الإدارية(القضاء،الحسبة،...وغيرها).

_كتاب "الخلافة الفاطمية بالمغرب" لفرحات الدشراوي،له الفضل في تفصيل وتوضيح بعض المسائل من تاريخ هذه الدولة،خاصة ما تعلق منها بالسياسة التوسعية التي انتهجها خلفاؤها.

_كتاب"الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي" لفاطمة بلهواري،وهو عبارة عن رسالة أكاديمية،ضَمَّنَتْها صاحبتها معلومات هامة عن حركات المعارضة،التي ظهرت في عهد الدولة الفاطمية،والتي من بينها ثورة أبي يزيد ومشاركة فقهاء المالكية فيها،كما تطرقت لبعض المناصب والنظم الإدارية لهذه الدولة،في إطار حديثها عن سياستها،وهو ما أفادنا كثيرا في بعض عناصر البحث.

لا يمكننا إغفال ذكر بعض الدراسات الأكاديمية،التي سبق لنا ذكر بعضها،وما كان لها من دور في إسعافنا لخوض غمار البحث في مثل هذه المواضيع.

الصعوبات:

واجهتنا في سبيل إخراج هذا البحث في هيئته النهائية بعض العثرات،التي حاولنا جاهدين تجاوزها،إذ لا يمكننا أن نصفها بالصعوبات،كونها لا تعدوا أن تكون مَطبَّات تستوجب من كل باحث بذل ما أوتيَّ من جهد لتجاوزها،وهو ما توخيناه في بحثنا هذا،ولعلنا نذكر مما صادفنا:

بعض الصعوبة في الجمع والتنسيق بين التاريخ السياسي والعلمي المذهبي،لمنطقة تمتاز باختلافات عرقية،وتنوع مذهبي يجعل من البحث في تاريخها سلسلة مترابطة الحلقات،تستوجب التوقف عند كلٍّ منها،والبحث فيها دون إمكانية فصلها عن غيرها،ما جعلنا نتشعَّب نوعا ما في بعض عناصر البحث،لنصل أحيانا حد الإطناب،نتيجة الاسترسال في تتبع ما نصل إليه من حقائق تاريخية،هي أهل لدراسة تفصيلية كاملة،كما أن مقارنة النصوص والأخبار بين المصادر السنِّية والشيعية وحتى الإباضية أحيانا،كان مما استنفذ منا وقتا وجهدا معتبراً.

وحَسْبُنَا أنَّنَا لم ندَّخر في سبيل المساهمة في بناء صرح المعرفة التاريخية جهداً،رغم ما تكتسيه مثل هذه البحوث –السياسية المذهبية– من أشكال العسر والمشقة،ووَعْيًا منا بما قد يحويه هذا البحث من عوارض الضعف والتقصير،فإننا نردُّه إلى أنفسنا،وعزاؤنا وسلوانا في ذلك أننا ما استبقينا شيئاً من وسع قدراتنا وجهدنا إلا بذلناه،فنحمد الله على ما وفقنا إليه،ونستعيذ به مما قصَّرت أنفسنا فيه.

ولا يفوتنا في الأخير أن نصل بالشكر أستاذنا المشرف:الدكتور مغزاوي مصطفى،وننوِّه بجزيل فضله،وعظمة امتناننا وعرفاننا لكل ما أبداه من أشكال العون والنصح والإرشاد لنا،في سبيل إخراج هذا البحث في هيئته هذه،داعين الله عز وجل أن يَتَلَحَّفَهُ برداء الحفظ والسداد،وأن يوفقنا وإيَّاه إلى ما يحبه ويرضاه،هو مولى ذلك والقادر عليه.


مـــــــدخل

أوضاع المغرب الإسلامي قُبيل تأسيس الدولة الفاطمية به سنة(297هـ/910م):

1/أوضاع الدولة الأغلبية قُبيل سنة(296هـ/909م)

2/أوضاع الدولة الرستمية قُبيل سنة(296هـ/909م)

3/أوضاع الدولة المدرارية بسجلماسة ودولة الأدارسة بفاس قُبيل سنة(296هـ/909م):

أ_ دولة بني مدرار بسجلماسة(140هـ-297هـ/757م-910م)

ب_دولة الأدارسة بفاس(172هـ-296هـ/788م-909م)

4/أهم مراحل الدعوة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي:

أ_مرحلة الإعداد العقائدي النظري

ب_مرحلة الإعداد العملي المذهبي السياسي:

1/مرحلة الدعاية

2/مرحلة الحرب

شُغِلَ الإطار الجغرافي لبلاد المغرب[1] الإسلامي منذ مشارف القرن الثاني للهجرة بصراعات فكرية وعَقَدية وأخرى حضارية،قامت بين أطراف مختلفة،تفاعلت وتغيرت بتغير ربوع هذا المجال الجيو-سياسي المهم،والذي قسّمه الجغرافيون إلى ثلاثة أقاليم،تفصلها حدود جزافية،ظلت دائما تحت نير الحركة السياسية بالمنطقة،فجعلوا المغرب الأدنى يبتدئ من غرب الإسكندرية شرقا إلى مدينة بجاية غربا[2]،كما ميز الجغرافيون العرب الأقاليم البعيدة عن بلاد المغرب فأطلقوا عليها اسم المغرب الأقصى[3]،وفي نفس الوقت ظهر مصطلح المغرب الأوسط وذلك على نحو ما جاء عند البكري،وأصبح مجرى وادي ملوية[4] يمثل خط التقسيم الذي يفصل بين المغربين الأوسط

[1]-**المغرب**:أطلق العرب على تلك المساحات الواسعة التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي اسم المغرب.ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون، **ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ،ج:06،ضبط ومراجعة:خليل شحادة وسهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت—لبنان ،ط،2000م،ص:251؛أبو العباس أحمد ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،ج:01،تح:ج.س.كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت-لبنان،ط:03،1983م،ص:05؛أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي ،**كتاب البلدان** ،مطبعة بريل ،مدينة ليدن ط:1890م،ص:342؛محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160هـ-296هـ)**،دار القلم للطباعة والنشر،الكويت:ط: 03 ،1987م ص: 11.

[2]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي،**كتاب صورة الأرض**،منشورات مكتبة الحياة،بيروت-لبنان،1992م ص: 67؛محمد علي دبوز،**تاريخ المغرب الكبير**،ج:01،مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2010م ص:12؛أحمد مختار العبادي،**في تاريخ المغرب والأندلس**،دار النهضة العربية،بيروت-لبنان،د ط،ص: 10.

[3]-أبو عبيدة البكري ،**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة -مصر،د ط،ص: 07.

[4]-**نهر ملوية** : يقع إلى الغرب من مدينة مليلة المغربية.ينظر:محمد ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،تح:إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت-لبنان،ط:02،1984م،ص:515.

والأقصى[1] ،في حين بقي الشريط الحدودي بين المغربين الأوسط والأدنى غير ثابت حتى فترات متأخرة من تاريخ المنطقة ،ولَرُبَّمَا ما رَدُّ ذلك إلى تنقلات القبائل وعدم استقرارها في أماكن محددة،بسبب الظروف الطبيعية من قحط وغيرها،أو الظروف البشرية كالحروب والنزاعات بين القبائل وكذا الأوبئة،ما يُصَعِّبْ من رصد الخط الحدودي الفاصل بين المغربين.

هذه الأطراف الحضارية المختلفة التي حركت أحداث بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المذكورة،تمثلت في دويلات مستقلة هي:

الدولة الأغلبية[2] ،الدولة الرستمية[3]

---

[1]-سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي** ،دار المعارف،الاسكندرية–مصر،ط:1965م،ص، ص:11،12؛وينظر أيضا:محمد عيسى الحريري،**المرجع السابق**،ص،ص:12،13.

[2]-**الدولة الأغلبية**:(184هـ-296هـ/800م-909م)بإفريقية أو المغرب الأدنى،وترجع هذه التسمية إلى تجسُّم شعار الدولة في شخص الأغلب ابن سالم التميمي (150هـ/767م)،وكان من أبرز القواد عند أبي جعفر المنصور الذي ولّاه إمارة إفريقية سنة (148هـ/765م)،على اختلاف المؤرخين في تحديد التاريخ الميلادي لذلك رغم ترجيح معظمهم لتاريخ (800م) وتولى الأمر بعده ابنه إبراهيم (800م–812م)،الذي أتاحت له الفوضى السائدة في إفريقية فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية برعاية الشرعية العباسية،وكانت هذه الدولة على المذهب الحنفي وعلى الولاء للعباسيين.ينظر: ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 96.ابن وردان، **تاريخ مملكة الأغالبة** ،درا وتق وتح وتع:محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي،القاهرة –مصر،ط:01، 1988م،ص:05؛محمد طالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184هـ–296هـ/800م–909م)**،تعر:المنجي الصيادي،مرا وتد:حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي،بيروت– لبنان،ط:02، 1995م،ص:05؛محمد أحمد عبد المولى،**القوى السنية في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية** ،ج:01،دار المعارف الجامعية، الإسكندرية – مصر،ط:01،1985م،ص:90؛خالد محمد بدوي،**الحياة السياسية والإدارية والإجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون(170هـ – 218هـ)**،مذكرة ماجستير في الآداب –قسم التاريخ الإسلامي –كلية البنات:جامعة عين الشمس،مصر،2001م،ص:118.

[3]-**الدولة الرستمية**:(160هـ-296هـ/777م-909م)،بتاهرت بالمغرب الأوسط،وكانت لها الولاية على منطقة طرابلس الجنوبية وجبل نفوسة ...،وتنسب إلى عبد الرحمان ابن رستم،أحد حملة العلم الإباضي الخمسة،الذين تتلمذوا على يد أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة،بالمشرق الإسلامي،وإلى عبد الرحمان ابن رستم يعزى تأسيس هذه الدولة .ينظر: ابن الصغير،**أخبار الأئمة الرستميين** ،تح وتع:محمد ناصر وإبراهيم

دولة بني مدرار[1] ودولة الأدارسة[2]،يعود ظهور هذه الدويلات المستقلة ببلاد المغرب الإسلامي كنتيجة طبيعية لدعوات مذهبية ذات أصول مشرقية كانت سُنِّيَة أو خارجية أو شيعية، تصديقا

=بحاز،د د ن،الجزائر، 1985م،ص:20؛أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم** ،تح:إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1984م،ص،ص:26،27؛أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي ، **المصدر السابق**،ص:353.أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**،مطبعة بريل،مدينة ليدن،1889م،ص:87؛ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:196؛محمد عيسى الحريري،**المرجع السابق** ،ص:73؛نوار نسيم ، **النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية(296هـ-443هـ/909م-1051م)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02،بوزريعة- الجزائر،2010- 2011م،ص: 16.

[1]-**الدولة المدرارية**:أو دولة بني مدرار(140هـ-366هـ/757م-976م):كان الخوارج الصفرية سباقين إلى إنشاء دولتهم في سجلماسة سنة (140هـ/757م)،كما كانت لهم الأسبقية من قبل في المبادرة بالثورة سنة(121هـ/739م)،وتنسب هذه الدولة إلى زعيم قبيلة مكناسة أبي القاسم سمكو بن واسول الملقب بمدرار،والذي شارك في ثورة ميسرة المطغري سنة (121هـ/739م).ينظر:لسان الدين ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي القسم الثالث من أعمال الأعلام** ،تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب،الدار البيضاء-المغرب، 1964م،ص،ص:137،141؛محمود إسماعيل عبد الرازق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء-المغرب،ط: 02 ،1985م،ص،ص: 112، 115.

[2]- **دولة الأدارسة**:(172هـ-311هـ)،يعود نسب هذه الدولة إلى محمد ابن عبد الله الحسن ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية،وخروجه على أبي جعفر المنصور،مطالبا بحقه في الخلافة،وبعد معارك دامية بين العلويين والعباسيين،قتل فيها أئمة العلويين إلى أن بلغت الإمامة إدريس ابن الحسن الذي فر بمساعدة مولاه راشد إلى المغرب الأقصى عبر قوافل البريد،وذلك بعد موقعة فخ سنة(162هـ/786م)،واستقر بمدينة وليلي الرومانية،وفيها بايعته القبائل الأمازيغية عام (172هـ/789م) وجعلها عاصمة ملكه.ينظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **المصدر نفسه** ،ص:609؛ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**، ج:01،ص،ص:210،214؛عماد البحراني، **دولة الأدارسة في المغرب الأقصى(172هـ/311هـ)**،مجلة المؤرخ الإلكترونية ،العدد:02،يناير-مارس2009م،الدار البيضاء-

للقاعدة الخلدونية التي تشترط إلى جانب العصبية دعوة مذهبية،تسبق قيام الدولة وتمهد لتأسيسها[1]،فوجود عصبيات قبلية ساهم بشكل كبير وفَعَّال في تكوين هذه الدويلات بل وفي تغييرها وحتى انهيارها،وذلك لاختلاط السياسة بالدين في ظهور ها،فالمذاهب التي سادت بها كانت أحد أركان قيامها[2].

ورغم ذلك الاختلاف المذهبي والعقائدي الذي كان يسود بلاد المغرب الإسلامي أنذاك،إلاّ أنَّ وِحْدَتَهُ لم تُفَكّ لمجرد الخلافات السياسية،أو ذلك التمايز القبلي للعصبية البربرية في نصرة مذهب كل دولة،فقد كان رابط العلاقات الاقتصادية والعلمية بين هذه الدول شديد الوثاق،فلم تقطعه المناوشات السياسية بين الحكام،ولا التشدُّد المذهبي لبعض المغالين من الفقهاء في كل دولة،فكانت متلازمة الاقتصاد والعلم تلغي دائما كل ما سواها من بنود للعلاقات الخارجية بين هذه الدول،إذ غالبا ما كان العلم بضاعة في رحال التجار[3]،في إشارة خاطفة لبعض المؤرخين،يذكر أن القيروان[4] على سبيل المثال،كانت قبلة للإباضية من مختلف بقاع المغرب الإسلامي ومنها تيهرت[5]،لتعلم اللغة العربية وآدابها ،ولا يستبعد بعضهم أن يكون

=المغرب،ص:15؛محمود إسماعيل، **دولة الأدارسة حقائق جديدة** ،مكتبة مدبولي ،القاهرة–مصر،ط:01، 1991م ،ص: 21.

[1] – محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص: 21

[2] –نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص:16؛و ينظر أيضا:عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج:01،دار الغرب الإسلامي،بيروت– لبنان،ط:01،2005م،ص: 229.

[3] – إبراهيم بكير بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية** ،نشر جمعية القرارة،الجزائر،ط: 02، 1993م ،ص: 59.

[4] –**القيروان**:اسم معرب وهو بالفارسية كاروان،مدينة عظيمة بإفريقية ليس ببلاد المغرب أجلُّ منها،اختطها عقبة ابن نافع سنة(50هـ/670م).ينظر:شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ج:04،دار صادر،بيروت–لبنان، 1977م،ص،ص:420،421؛زكريا بن محمد القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد** ،دار صادر ،بيروت– لبنان،د ط،ص: 242.

[5] –**تيهرت**:بفتح الهاء وسكون الراء،وتسمى أيضا تاهرت،مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب،يقال لإحداهما تاهرت القديمة،وللأخرى تاهرت المحدثة،بينها وبين المسيلة ست مراحل،وهي بين تلمسان وقلعة بني

من رعايا الدولة الرستمية من التحق ببيت الحكمة،أول جامعة إفريقية للعلوم،وهذا لقربها من جهة ولكونها مركز المالكية وجامعة فقههم من جهة أخرى [1]،وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على عمق العلاقات بين هذه الدول المتجاورة على اختلافها،رغم تغير ظروفها وحُكامها .

وفي محاولة لرصد أوضاع بلاد المغرب الإسلامي قبيل سنة(297هـ/910م)،وقيام الدولة الفاطمية بالمنطقة،وجب التحدث عن كل دولة على حِدا،وكيف كانت تعيش لحظاتها الأخيرة،قبل أن يختصر الشيعة الفاطميين احتضارها بإنهاء تواجدها في هذه البلاد والقضاء عليها كدولة.

1/ أوضاع الدولة الأغلبية قُبيل سنة(296هـ/909م):

نستهل هذا الرصد بأوضاع الدولة الأغلبية(184هـ–296هـ/800م- 909م)،وذلك اعتبارا لكونها أول دولة سنية ذات مرجعية سياسية شرعية [2]،تدين بالولاء للخلافة العباسية بالمشرق الإسلامي،وتعتبر سليلتها ببلاد المغرب الإسلامي–تحديدا بالقيروان–التي اتخذتها عاصمة أولية لها.

سنتناول ظروف هذه الدولة خلال الفترة المذكورة سابقا،مركزين على أهم جانبين من تاريخها ألا وهما الجانب السياسي والمذهبي،هذه الدولة التي عرف حكمها تعاقبا لأحد عشر حاكما أغلبيا،تم في عهدهم تحقيق عدة إنجازات في مختلف الميادين خاصة العسكرية

=حماد،وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار،كانت قديما تسمى عراق المغرب.ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر نفسه**،ج: 02 ص: 08.

[1]–حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية** ،مكتبة المنار،تونس، 1964م،ص،ص: 192، 193.

[2]-إذا قلَّد الخليفة أميرا على إقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين،عامة وخاصة،فأما العامة فعلى ضربين:إمارة استكفاء بعقد على اختيار،وإمارة استيلاء بعقد على اضطرار،فإمارة الاستكفاء التي تنعقد عن الاختيار فتشمل على عمل محدود ونظر معهود،والتقليد فيها أن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله،ونظرا في المعهود من سائر أعماله.ينظر:أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ،تح:أحمد مبارك البغدادي،دار بن قتيبة،الكويت،ط:01 ، 1989م ص:40؛ونوار نسيم ،**المرجع السابق**،ص: 17.

منها[1]،حيث تمكنوا من فتح جزيرة صقلية [2](212هـ/827م)،وجزيرة مالطا [3] سنة(255هـ /868م)،وقد تميز العديد من الأمراء الأغالبة برشاد الحكم وحسن السيرة.

ويشهد لهم التاريخ بأعمالهم الخالدة الأثر في مجال العمران،وتوسيع رقعة بلاد الإسلام كما ذكرنا آنفا،وذلك بفضل تأمين الجند والإحسان إليهم،وتغيير العمال وقبض أيديهم عن أموال الرعية،وقطع النبيذ عن القيروان[4]،وانتشر العدل،وهو ما اشتهرت به إفريقية في عهد الأمير الأغلب ابن إبراهيم ابن الأغلب أبو عقال ولُقِّبَ بخزر(221هـ – 226هـ)[5]،فتوفر الاستقرار السياسي بها والرخاء الاقتصادي،والذي ارتبط خاصة بعهد الأمير محمد ابن أحمد المعروف بأبي

---

[1]– تعتبر فترة حكم الأغالبة في إفريقية نقطة التحول في تاريخ العلاقات المغربية البيزنطية،حيث تسنى لبلاد المغرب التمتع بالاستقرار السياسي الذي حرمت منه طويلا ،وأصبح الولاة قادرين ليس فقط على صد غارات البيزنطيين،بل والقيام بحملات على مراكزهم البحرية والاستيلاء عليها.ينظر:محمود إسماعيل عبد الرازق،**الأغالبة وسياستهم الخارجية** ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية،القاهرة–مصر، 2000م،ص: 144.

[2]–**صقلية**:بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة،والبعض يقولون بالسين،وأكثر أهل إفريقية يفتحون الصاد واللام،من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية،وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام،وإفريقية منها بين المغرب والقبلة،وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار،وكانت قليلة العمارة خاملة قبل الإسلام،فلما فتح المسلمون بلاد إفريقية هرب أهل إفريقية إليها،فأقاموا بها وعمروها فأحسنوا عمارتها،ولم تزل على قربها من بلاد الإسلام حتى فتحت في أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد ابن الفرات،وكان صاحب صقلية رجل يسمى البطريق قسطنطين. ينظر:شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،ج:03،ص،ص: 416،417.

[3]–**مالطا**:وعند اليعقوبي(مالطة):"جزيرة من الجزائر التي تلي صقلية وهي في القبلة"ينظر:أحمد ابن يعقوب اليعقوبي،**المصدر السابق**،ص:520.

[4]–أبو عبد الله ابن الأبار، **الحلة السيراء** ،ج:01،تح:حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة–مصر،ط: 02 1985م،ص:168؛ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق** ،ج:01،ص: 107.

[5]–**ترجمة الأمير الأغلب ابن إبراهيم ابن الأغلب أبو عقال الملقب بخزر** ينظر:ابن عذارى المراكشي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص:107؛ابن وردان،**المصدر السابق**،ص: 57.

الغرانيق (250هـ–261هـ/864م–875م)[1]،وهو ثامن أمراء بني الأغلب حيث نشطت في عهده عمليات الفتح [2]،واستقر الوضع وعَمَّ الرخاء فكان أحد أسباب الانهيار وعلامات الضعف التي بدأت تتسلل إلى جسد هذه الدولة لتوهنه،وتكسر علاقة السلطة بالرعية،ما أعجز الأمراء عن إصلاحها،فكان ذلك طالع سوء وإشارات أولى لنهاية فترة الود مع الأهالي [3]،وما كانت سنة(260هـ/874م)تحل حتى حملت معها المجاعة العامة بالمشرق والمغرب والوباء والطاعون[4]،معلنة عن نهاية عهد رخاء أسيء استخدامه كثيرا فتجاوزته الأحداث،والسياسة العرجاء لبعض من الأمراء قبل الأمير أبي الغرانيق وسوء سيرتهم –مثل الأمير أبو العباس عبد الله ابن إبراهيم ابن الأغلب(158هـ–201هـ)[5]–انتقلت بالوراثة إلى الأمراء بعده،فصنعوا أحداث أحداث المرحلة الثالثة والأخيرة من عمر هذه الدولة،حسب التقسيم الخلدوني لحياة الأمم،أي العصر الذي يسوق الدول العاجزة عن الاستيقاظ والتجدد إلى نهايتها المحتومة[6].

يُعَدُّ الأمير إبراهيم الثاني(261هـ–289هـ/ 875م–902م)[7]في سيرته مثالاً لما آلت إليه إليه دولة الأغالبة من ضعف ووَهَن،ذلك أنه تأرجح خلال حكمه من البداية إلى النهاية بين

---

[1]–**ترجمة الأمير محمد ابن أحمد المعروف بأبي الغرانيق** ينظر:ابن عذارى المراكشي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص،ص: 114، 116؛عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:04،ص،ص:257،259.

[2]– محمود إسماعيل عبد الرازق،**الأغالبة وسياستهم الخارجية** ،ص– ص: 148 – 159.

[3]– محمد طالبي،**المرجع السابق**،ص: 303.

[4]– ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**،ج: 01، ص: 116.

[5]– يذكره ابن عذارى قائلا :"...كان من أجمل الناس وجها وأقبحهم فعلا وأعظمهم ظلما ..." ينظر:ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص،ص: 95، 96؛ابن الأبار،**المصدر السابق**،ج: 01،ص: 167.

[6]– محمد طالبي،**المرجع نفسه**،ص: 303.

[7]–**الأمير إبراهيم الثاني** :"...كان في أول أمره على ما كان عليه أسلافه من حسن السيرة وحميد الأفعال،ثم تغيرت أحواله،وأخذ في جمع الأموال،وأخذ في قتل أصحابه وحجابه حتى أنه قتل ابنه المكنى بأبي الأغلب،وقتل بناته،وأتى بأمور لم يأت بها أحد غيره،وكان كثير الملل،شديد الحسد..."ينظر :ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص،ص:132،133.

الصحة والجنون،إذ يذكر الرقيق القيرواني(ت 425هـ/1034م)أنه:"...كان ظلوما سفاكا للدماء،وأنه أصابه آخر عمره ماليخوليا [1] أسرف بسببها في القتل" [2]،غير أن حالة الأمير ذات السلوك العدواني،والمنزوية إلى القتل ليست ماليخوليا كما ذكر الرقيق القيرواني،وإنما هي بارانويا [3] بارانويا[3] أو ما يعرف عند العامة بجنون العظمة،وهي ما يتفق وما نَقَلَهُ المؤرخون عن حالة هذا الأمير [4].

ولعل أفضع ما قام به هذا الأمير وأثَّر تأثيرا مباشرا على وضع الدولة الأغلبية،سائرا بها في طريق النهاية،كان إقدامه سنة(280هـ/893م)[5]على عملية تقتيل جماعي شمل أحسن المقاتلين المقاتلين من حصن بلزمة [6]،هذا الحصن كانت به حامية تتكون من الجند الذين دخلوا إفريقية منذ الفتح الإسلامي[7]،لذلك فإن تلك المقتلة كانت عواقبها وخيمة على الدولة الأغلبية على المدى البعيد،حيث اعتُبِرَتْ السبب الأول في انهيارها،فقد فَقَدَ الأغالبة سند جند بلزمة،ويدعم

---

[1]-**الماليخوليا**:أو ما يعرف بجنون الاكتئاب وهو مرض عقلي خاص،وصفه المميز له أن يكون المصاب به حزينا كئيبا،وهذا الداء يكون وراثيا أو ناشئا من الأحوال الطارئة كالحزن الشديد،حيث يشعر المريض بحالة يصير فيها كل شيء يوجب له السرور ثقيلا عليه لا يستطيع احتماله ينظر:محمد فريد وجدي، **دائرة المعارف القرن العشرين**،ج:08،دار الفكر،بيروت–لبنان،د.ط،ص–ص:419- 424.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج: 04،ص: 260.

[3]-**البارانويا**:هي الجنون بشيء واحد وهي حالة يجن فيها الإنسان بشيء أو أشياء محدودة،ثم يتعقل كالكِبر والعجب،ويصاحب هذا الجنون الوسوسة وحب القتل.ينظر:محمد فريد وجدي، **المرجع نفسه**،ج:03،ص– ص: 180– 182؛نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص: 19.

[4]-محمد أحمد عبد المولى، **مغربيات في مشرقيات** ،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية–مصر،ط: 01 1990م،ص: 72.

[5]- يختلف محمد طالبي مع ما ذكره ابن عذارى وغيره في أن سنة واقعة بلزمة سنة(267هـ/881– 882م) ينظر:محمد طالبي،**المرجع السابق**،ص:328.

[6]- **حصن بلزمة**:في بساط من الأرض،كثير المزارع والقرى حوله،كان يحتل موقعا دفاعيا حيويا في النظام الدفاعي للدولة الأغلبية.ينظر:أبو القاسم محمد ابن حوقل،**صورة الأرض**،ص،ص: 92،91؛أبو عبيد الله البكري،**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**،ص:50.

[7]- نوار نسيم،**المرجع نفسه**،ص: 19.

ابن عذارى(ت نحو 695هـ/1296م)ذلك قائلا:"وفي سنة(280هـ)كان الإيقاع برجال بلزمة،...وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب،إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها،وكان أكثرهم من قيس وكانوا يذلون كتامة[1]،فلما قتلهم إبراهيم استطالت كتامة،ووجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب"[2].

ثار عليه إثر ذلك العرب في كل من تونس ورَقَّادة وغيرها،لكنه تمكن من إخماد ثوراتهم ذات التنظيم الضعيف،فبعد أن فض قضية تونس[3]،لم يجد أي صعوبة في القضاء على جميع الأماكن الأخرى[4]،وزاد جوره عليهم ما دفعهم إلى مكاتبة الخليفة العباسي المعتضد[5] بالله(279هـ–289هـ/892م–902م)[6]،واشتكوا إليه ظلم الأمير إبراهيم الثاني

---

[1]–**كتامة:**قبيلة من قبائل البربر يرجح أنها كانت بين سطيف وتيهرت،حسب ما ذكره الاصطخري " وسطيف مدينة كبيرة بين تيهرت وبين القيروان،وهي حصينة ولها كورة تشمل على قرى كثيرة وعمارة متصلة،وسكانها كتامة قبيلة من البربر بهم ظهر عبيد الله(يقصد عبيد الله المهدي الشيعي)،وكان أبو عبد الله (يقصد أبو عبد الله الشيعي)المحتسب الداعي إلى عبيد الله مقيما بينهم حتى تمهَّد أمره بينهم"ينظر:أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الفاسي الإصطخري الكرخي، **مسالك الممالك**،مطبعة بريل،ليدن، 1927م ص:39.

[2]– ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج: 01،ص: 123.

[3]–**تونس**:مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل الروم،عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة،وكان اسم تونس في القديم ترشيش،وهي الآن قصبة بلاد إفريقية،وقال البكري مدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو.ينظر:ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،ج:02،ص:60.

[4]– محمد طالبي،**المرجع السابق**،ص: 333.

[5]–"...ووجهت بعض الأسيرات من أجمل النساء قطعا إلى بغداد،لإثراء مجموعة جواري الخليفة المعتضد (279-289هـ/892م–902م)،وبعد مدة رفع أهل تونس شكاية إلى الخليفة،فكتبوا إليه قائلين: "أهديت نساؤنا وبناتنا،ورُوِيَّ أنه غضب لذلك "ينظر:محمد طالبي،**المرجع نفسه**،ص: 332.

[6]–**الخليفة المعتضد بالله:** هو أبو العباس أحمد ابن الأمير الموفق الناصر لدين الله أبي أحمد طلحة ابن جعفر المتوكل على الله،ولد سنة(240هـ)،وبويع للخلافة في (3رجب 279هـ)،وكان مقداما عادلا سخيا،اجتمع فيه من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق ما تفرق في جماعة من أهل بيته،وكان يقر في دار

وطغيانه،فأرسل إليه الخليفة رسولا وفد إليه سنة(289هـ/902م)،يأمره بعزل نفسه عن الإمارة،فلم يكن من الأمير إلا أن أظهر التوبة وردَّ المظالم وترك لأهل الضياع خراج سنة...وغيرها،وأسماها سنة العدل،ثم تخلى عن الحكم لصالح ولده عبد الله الثاني [1](289هـ – 290هـ/902م–903م)،وتوجه هو في حملة عسكرية على صقلية وجنوب إيطاليا متجاهلا الخطر الحقيقي الذي كان يحدق بدولته من جهة إفريقية.

تولى الإمارة بعد هذا الأمير ابنه أبي مضر زيادة الله ابن عبد الله بن الأغلب ويعرف بزيادة الله الثالث [2](290هـ–296هـ/903م–909م)،استقل بالأمر بعد قتل أبيه من طرف ثلاثة غلمان صقالبة،كان قد سيَّرهم إليه لقتله،وأتوه برأسه وهو في السجن،فأخرج من سجنه وقُدِّمَ للبيعة،وولي بعد أبيه سنة(290هـ/903م)،وكان زيادة الله المذكور سيء السيرة،ملَّ الملك وأحوال الرعية،وتغافل عن مصالح البلاد وانعَكَفَ على اللذات،وانهمك في الشرب

الملك بل قطع أيامه بالأسفار في شرق الأرض وغربها لغزو الكفار أو قمع الخوارج ،ولما دخلت سنة= 289هـ مرض المعتضد بالله من كثرة أكل الصحناء والكوامخ والسموك المملحة،ومات(يوم الجمعة 19 ربيع الآخر سنة 289هـ)ينظر:محمد بن محمد ابن العمراني، **الإنباء في تاريخ الخلفاء** ،تح وتق:قاسم السامرائي،دار الآفاق العربية ،القاهرة–مصر،ط: 01، 1999م،ص– ص: 140– 148.

[1]–ينظر ترجمته في:ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:133؛ابن وردان، **المصدر السابق**،ص،ص: 61، 62.

[2]–**الأمير زيادة الله الثالث(290هـ– 296هـ/903م–909م)**:هو الذي أمر غلمانه الصقالبة بقتل أبيه ثم تولى بعده،فجمع أعمامه وأرسلهم مكبلين مع ثقاته إلى جزيرة الكراث،وهي على اثني عشر ميلا من تونس،وضربت أعناقهم لكي لا ينافسوه على الحكم...وكان مجلسه مجلس لهو وضحك لا جِدَّ فيه،وعند ظهور أبي عبد الله الشيعي مع كتامة،وبداية زحفهم إلى إفريقية،أرسل زيادة الله إلى الخليفة العباسي المتوكل هدية "فيه عشرة آلاف مثقال،وفي كل مثقال منها عشرة مثاقيل وكتب في كل مثقال هذين البيتين :

يا سائرا نحو الخليفة قل لـــه — أن قد كفاك الله أمرك كله
بزيادة الله بن عبد الله سيـــف — الله من دون الخليفة سلــه

وأشار عليه ابن الصائغ وكان يومها صاحب البريد في عهد هذا الأمير بالهرب إلى مصر لكنه عدل عن ذلك وبلغ أطرابلس ودخل الشيعي إفريقية ورقادة وغزاها وكان ذلك سنة(296هـ/909م)"ويذكر ابن وردان أنه"بلغ الرقة وكان يريد بيت المقدس فمات بالرملة ودفن بها".ينظر:ابن عذارى المراكشي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص–ص: 134– 149؛ابن وردان،**المصدر نفسه**،ص: 63.

واللَّهْوِ،وجالس المِغَنِّينَ وأهل اللهو والمضحكين،فكانوا لا يفارقوه ليلا أو نهارا،وقتل قَتَلَةَ أبيه مع أنهم فعلوا ذلك بالاتفاق معه،وقتل من الأغالبة كلما قدر عليه من عماله وإخوته وأهل بيته على غير جرم صدر منهم[1]،وعليه انقرض ملك الأغالبة،وزال سلطانهم بعبيد الله المهدي أول ملوك الشيعة[2]،ليعلن هذا الأخير خلعه للاتجاه السُّني والمذهب الحنفي،الذي حكم به أمراء الأغالبة وفاءً للعباسيين،والمذهب المالكي الذي انتشر تدريجيا عن طريق تدريس الموطأ[3]،وإقامة المذهب الشيعي مذهبا جديدا للمنطقة.

هكذا كتبت السيرة السيئة لبعض أمراء الأغالبة،آخر فصول حكمهم لإفريقية والمغرب الأدنى عامة،فسوء تسييس الدولة وتسييرها،وكذا الصراع المذهبي الداخلي[4] الذي كان يهشم بنيانها،مع تكالب جملة من الظروف عمَّت مختلف المجالات،أدَّتْ- كنتيجة حتمية -إلى تحول

---

[1] – ابن وردان ،**المصدر نفسه**،ص: 62.

[2]– ابن الأبار،**المصدر السابق**،ج:01،ص:175.

[3]–محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط: 1984م،ص: 172.

[4]–لعل الخصومة التي قامت بين المالكية والحنفية على عهد الأغالبة،" ترجع إلى محنة محمد ابن سحنون الذي كان مقدما عند الملوك وجيها عند العامة،إلاَّ أنه ربطته علاقة سيئة مع الأمير والقاضي سليمان بن عمران المعروف بخروفة،وصاحب الصلاة ابن أبي الحواجب،والظاهر أن ذلك كان سبب وقوفه ضد المذهب الحنفي ومقالة المعتزلة بخلق القرآن التي كان يقومها المالكية،والظاهر أن الدولة الأغلبية وهي تتبع تعليمات الخلافة العباسية في بغداد حَوَّرَتْ في موقفها من معارضيها المالكية وجعلته موقفا سياسيا بدلا من اتجاه ديني..."ويحصر عبد العزيز مجدوب أسباب هذا الصراع في:" القول بخلق القرآن وأخذ الناس عليه،واعتبار النبيذ حلالا من طرف الحنفية ومحرما قطعا عند المالكية،وغَضَّ النَظَرْ عن التعامل بالربا من طرف أولي الأمر"،وقد أدى الصراع بين المالكية والحنفية إلى شيئين:" الأول:قصد منه الرد كل على الآخر،والثاني:كان صراعا سياسيا وصل إلى حد التقاتل"ينظر:سعد زغلول عبد الحميد ،**تاريخ المغرب العربي**،ج:02،ص:88؛إسماعيل سامعي،**قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون–الجزائر، 2012م،ص:117.عبد العزيز مجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**،الدار التونسية للنشر،تونس،د ط،1975م،ص:65.

سلطة هذا الإقليم مع سنة(296هـ/909م) إلى حكم وافد مذهبي جديد،زحف حتى المغرب الأوسط والأقصى .

2 / أوضاع الدولة الرستمية قُبيل سنة(296هـ/909م):

واجه هذا الوافد الجديد إلى بلاد المغرب الإسلامي تكتلات قبلية ذات أُطُرْ مذهبية مختلفة،تمَكَّنَتْ من تشكيل دول صنعت تاريخه طيلة قرن وحوالي نصف القرن من الزمن تختلف عن ما وجد عليه دولة الأغالبة مذهبيا،إذ يطلق العديد من الباحثين على هذه الدول تسمية دول الخوارج[1]،وهم أوَّلُ الفِرَقِ انسِلَاخًا عن جَسَدِ الأُمَّةِ الإسلامية .

[1]–**الخوارج:**"كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا،سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين،أو كان بعدهم على التابعين بإحسان،والأئمة في كل مكان،ومن أجل فهمهم الخاص لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فهم يرون الخروج على الحكام إذا اجتنبوا العدل،كما أنهم يَرَوْنَ الإمامة الكبرى تجوز في غير قريش ويُكَفِّرُونَ أصحاب الكَبَائِرِ،ويرون خُلُودَهُمْ في النَّار" أما تاريخ ظهور المصطلح"فكان بعد موقعة صفين على شاطئ الفرات من الجهة الغربية بين الربقة وبالس،والتي دارت رحاها سنة(37هـ/657م)بين الإمام علي ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما،ولإنهاء الحرب وحقن دماء المسلمين جَنَحَ الطَرَفَانِ للسلم عن طريق التحكيم،إلا أن فرقة من جيش علي لم ترضى بالتحكيم،واعتبروا قبوله كبيرة من الكبائر وجب على علي التَّوْبة والتَّكْفِير عنها،فرفض علي ولم يجبهم إلى مُبْتَغَاهُم،حينها رفعوا المصاحف منادين أن"ما الحكم إلا لله أمر أن لا نعبد إلا إيَّاه"،تزعمهم عبد الله ابن وهب الراسبي،وسُمُّوا بعِدَةِ أسماء منها:المكَفِّرَة والصَّابِئَة السَّبَئِيَّة، المحَكِّمَة،الحَارُورِيَّة، المَارِقَة،الشُّرَاة،أهل النَّهْرَاوَان،وعنهم تفرعت عدة فرق منها:النَّجْدَاة(أتباع نَجْدَة ابن عامر)والأزارِقَة (أتباع نافع ابن الأزرق)والصفرية والإباضيةو..."ينظر:أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل** ، ج:01،تح:أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور،دار المعرفة،بيروت –لبنان،ط:01، 1993م ص،ص:131،161.أبو عمار عبد الكافي، **الموجز في آراء الخوارج الكلامية** ،ج:01،تح وتق:عمار طالبي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1978م،ص–ص:79–98؛محمد أحمد أبو زهرة، **المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** ،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،د ط،ص،91؛أحمد أمين،**فجر الإسلام**،دار الكتاب العربي،بيروت–لبنان،ط:10 1969م،ص:256؛ناصر بن عبد الكريم العقل، **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام** دار إشبيليا للنشر والتوزيع،الرياض–المملكة العربية السعودية،ط:01، 1998م،ص،ص:22،23.

وإنْ كانوا لا يَعُدُّونَ أنفسهم خارجين عن الدِّين وإنَّما خارجين من أجله [1]،وإليْهم تُعزى الدولة الرستمية الإباضية [2]،والدولة المدرارية الصفرية [3]،وتُعَدُّ هاتان الفِرقتان منها،مَنْشَأُهُما بلاد المشرق الإسلامي وتَرَعْرُعُهُما بمغربه.

إنَّ الحديث عن الدولة الرستمية وظروفها قبيل سنة(296هـ/909م)،يفرض لها تحديدا جيو-سياسياً يُمَكِّننا من خلاله تتبع أوضاعها وتحديد عوامل ضعفها،وكرصد لإطارها الجغرافي،نستطيع القول أن الحيِّزَ المكاني للدولة الرستمية ظل طيلة قرن وحوالي نصف قرن من الزمن متذبذبا،ولم يتمكَّن المؤرخون من حصره،بل وضعوا له أطر جغرافية جزافية،لأن حُدوده تأثَّرَت بعدة عوامل،لعل منها العلاقات الخارجية للدولة الرستمية مع ما جاورها من دول،خاصة

---

[1] -"إن الخوارج يرون في هذه التسمية دعما لحُجَجِهم،لا كما يراها خصومهم ...وبذلك يكون الخوارج هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية،وأنَّهم يعتبرون خروجهم عن ديار أعدائهم كخروج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة...وعلى أساس هذا الاعتقاد فإنهم يطلقون على أنفسهم لقب الخوارج"ينظر:سليمان داود بن يوسف ،**مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان**،ج:02،مطبعة أبو داود،الجزائر،1992م،ص: 18؛ نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص: 26.

[2] – **الإباضية**: تنسب إلى أحد فقهاء المذهب وهو عبد الله ابن إباض المري التميمي،يرتبط ظهور هذه الحركة ببداية النصف الثاني من القرن الأول للهجرة وفي آخره تقررت الفروق بين الإباضية وغيرهم من أصحاب النحل الأخرى،ثم افترق الإباضية فيما بينهم إلى أربع فرق:الحفصية،الحارثية،الزيدية،وأصحاب طاعة لا يراد بها سلطان،وأخبار الإباضية كثيرة في التاريخ،ولا يزال مذهبهم موجودا في مناطق من ليبيا والجزائر-وادي ميزاب.ينظر:عبد القاهر ابن الطاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**،تح:محمد عثمان الخشن،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة-مصر، 1948م،ص،ص:95-96؛علي يحي معمر، **الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب الإسلام**، ج:03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة-مصر،ط:05، 1956م،ص،ص:337،338؛موسى لقبال، **المغرب الإسلامي** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط: 02،1981م،ص،ص:164،165؛أحمد محمد أحمد جلي، **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،الرياض- السعودية،ط:02، 1988م،ص،ص: 74، 75.

[3] -**الصفرية**:بضم وكسر الراء،قوم من الحارورية نسبوا إلى عبد الله ابن صفار،ويكون من النسب النادر أو إلى رئيسهم زياد ابن الأصفر،أو إلى صفرة ألوانهم،أو سُمُّوا بذلك لخلوهم من الدين.ينظر:أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 18.

الدولة الأغلبية بالقيروان،ثم السياسة الداخلية والتي أدت إلى قيام عدة إمارات بالمغرب الأوسط[1].

إضافة إلى أن بعض القبائل الإباضية لم تكن خاضعة تماما للسلطة الرستمية،خاصة تلك التي تستقر بالمناطق القريبة من الدولة الأغلبية،لكن يمكن أن نحددها بالتقريب كما وردت عند بعض المؤرخين،وانطلاقا من السيادة الفعلية لها على مناطق من المغرب الأوسط حتى طرابلس،فقد امتدت من الزاب[2] شرقا إلى حدود تلمسان[3] غربا،كما وصل نفوذها إلى غاية طرابلس مرورا بجبل نفوسة[4] وبلاد الجريد (الجنوب التونسي حاليا)،ومناطق واسعة من الصحراء[5].

1-"منها إمارة هاز بمتيجة،وإمارة بني يفرن بتلمسان".ينظر:رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط: 02، 1981م،ص،ص:40،39؛و Abdallah Laroui ,**l'histoire du maghreb** ,(**un essai de synthése**), imp .corbiére, petitte collection N° 134 , paris , 1975 , p :104 .

2-**الزاب**:إقليم في بلاد الجزائر اليوم،وأطلق على المنطقة التي حول مدينة بسكرة،جنوب مقاطعة قسنطينة بالشرق الجزائري،ومن مدنه قديما:طبنة،طولقة،تهودة وغيرها،ومن المعلوم أن هذه التسمية نفسها نجدها في العراق "الزاب"،في شمال العراق،ونحن في هذا نقصد زاب المغرب لا غير.وللمزيد ينظر:محمد فريد وجدي،**دائرة معارف القرن العشرين**،ج:04،ص:514؛إبراهيم بحاز،**المرجع السابق**،ص:99.

3-**تلمسان**:قاعدة المغرب الأوسط وحده.ينظر:أحمد بن يعقوب اليعقوبي،**المصدر السابق**،ص: 135

4-**جبل نفوسة**: هو من ضمن سلسلة جبلية طويلة،تمتد من المحيط الأطلنطي إلى الغرب من مدينة مراكش،ويتجه شرقا مرورا بالجزائر وجنوب تونس،إلى أن يصل امتداده إلى مدينة الخمس على الساحل الليبي،ومن هنا يتضح أن لهذا الجبل أهمية جغرافية طبعت الأحداث التي دارت في الجبل وحوله.ينظر:صالح معيوف مفتاح، **جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني للهجرة إلى أواخر القرن الثالث للهجرة**،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن،دط، 2006م، ص: 21.

5-محمد عليلي، **الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين(2و3هـ/8و9م)**،مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان: 2007م – 2008م،ص،ص:17، 18.

هذا المجال الجغرافي الهام عَرف تطورا مُتَسَارِعًا لأحداثه خلال مدة زمنية تجاوزت القرن،فمن مرحلة الدعوة التي ارتبطت بشخصيتين بارزتين،يرجع لهما الفضل في نشر المذهبين الصفري والإباضي ببلاد المغرب الإسلامي،ويذكر أنهما دخلاها معا يتداولان على بعير واحد[1]،سلمة ابن سعد[2](كان حيا سنة 135هـ/752م)يدعو إلى الإباضية،وعكرمة بن عبد الله[3] (ت105هـ/723م) يدعو إلى الصفرية[4]،وقد اعترف التاريخ بفضل سلمة ابن سعد في نشر

[1]- موسى لقبال،**المغرب الإسلامي**،ص:153.

[2]-**سلمة ابن سعد**:من دعاة الإباضية جاء من البصرة إلى المغرب يدعو الناس إلى المذهب الإباضي، وذكر أبو العباس أحمد ابن سعيد الشماخي،أنه هو الذي دل حملة العلم على موضع أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي،عالم البصرة.ينظر:أبو العباس أحمد ابن سعيد الشماخي، **السير**،ج:01،تح:أحمد ابن سعود السيابي،وزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان،ط: 01 ،1992م،ص: 24.

[3]-**عكرمة أبو عبد الله**:(25هـ– 105هـ)"عبد بربري تابعي ملكه عبد الله ابن عباس وصار مولى له،كان أَلَمَّ الناس بالتفسير والمغازي،وقد روى عنه ما يقارب الثلاثمائة رجل،وكثير منهم من التابعين،وقد خرج إلى المغرب فأخذ عنه الصفرية من الخوارج،وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها،فاختفى عنه حتى مات".ينظر:أبو العباس ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،ج:03،تح:إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت-لبنان،1971م،ص،ص:265،266؛أبو العباس الدرجيني،**طبقات المشايخ بالمغرب** ج:01،تح:إبراهيم طلاي،د د ن،الجزائر، 1974م،ص،ص:11،12؛أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**،ص،ص:26،27؛حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر،من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر ميلادي** ،مج:01،العصر الحديث للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان، 1992م،ص:229؛لطيفة بشاري، **أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله ابن عباس**،مجلة الدراسات التاريخية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية –قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02،العدد:13، سنة،2011م،ص– ص: 23 – 31.

[4]- جدير بالذكر أن هناك اختلاف بين المؤرخين حول صحة انتماء عكرمة ابن عبد الله إلى المذهب الصفري ونسبة الدعوة الصفرية بالمغرب الإسلامي له،ذلك أنه كان حسب قول ابن خلكان يرى برأي الخوارج لكنه لم يحدث به،إذ كيف لمحدث عاصر صحابة رسول الله أن يحيد عن هديه وسنَّتِهِ إلى مذهب خارجي مُحْدَثْ العقائد،حسب رأي لطيفة بشاري في مقالها المذكور.ينظر:ابن خلكان، **المصدر نفسه**،ج:03،ص:265.لطيفة بشاري،**المرجع نفسه**،ص– ص:23 – 31.

الإباضية في المنطقة إذ أنه اتخذها ميدانا لنشاط استطاع من خلاله كسب العديد من الأنصار في إقليم طرابلس وجبل نفوسة .

إلى مرحلة الظهور والإعلان،التي كلَّلَتْ جهوده بداية من سنة(122هـ/740م)[1] بالمعارك التي قادها الخوارج الصفرية،وواصلها الإباضية بداية من سنة(140هـ/758م)،إلى أن بلغت قيادة الجيش عبد الرحمان ابن رستم[2]،الذي جنح إلى تنظيم الدعوة في السرية والكتمان ردحًا من الزمن،إعداداً لمرحلة إمامة الدفاع[3] الإباضية،فعسكر بجيوشه في منطقة تهودة[4]،ثم اضطر للرحيل بهم إلى جبل سوفجج[1] من المغرب الأوسط،الذي تحصن به لمناعته.

---

[1] –بداية ثورات الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري الملقب بالحقير . ينظر ترجمته وثورته في :لسان الدين ابن الخطيب،**تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط(القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)** تح:أحمد مختار العبادي محمد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب للنشر والتوزيع،المغرب الأقصى، 1964م،ص:181؛عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:06،ص:240.

[2] – **عبد الرحمان ابن رستم**: ويُجمِع المؤرخون والنَّسابة على أن نسبه فارسي الأصل،وإن اختلفت هذه المصادر فيما بينها في تحديد طبيعة هذا الأصل الفارسي،إذ يذكر ابن عذارى في حديثه عن مدينة تاهرت،أن م ؤسسها عبد الرحمان ابن رستم بن بهرام،وكان مولى لعثمان ابن عفان رضي الله عنه،وكان خليفة أبي الخطاب أيام تغلبه على إفريقية.ينظر:أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي ،**المصدر السابق** ،ص: 353؛أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله ابن خرداذبة، **المصدر السابق** ،ص:87؛ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**، ج:01،ص:196؛محمد عيسى الحريري، **المرجع السابق**،ص:73؛نوار نسيم، **المرجع السابق**،ص: 16.

[3] – ذلك أن الإمامة عند الإباضية أربعة مراحل حسب الحالة السياسية من القوة والضعف التي تكون عليها الجماعة الإباضية،إمامة الظهور،إمامة الدفاع، إمامة الشراء، إمامة الكتمان.ينظر:إبراهيم بحاز، **المرجع السابق**،ص،ص:79،80.

[4] –**تهودة:**مدينة كبيرة قديمة تقع بالقرب من بسكرة،ولها رياض كبيرة وجنان كثيرة ،ويحيط بها خندق،ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس.ينظر:مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار ووصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،لكاتب مراكشي من القرن السادس هجري/الثاني عشر الميلادي**،نشر وتع:سعد زغلول عبد الحميد،مطبعة جامعة الإسكندرية،الإسكندرية–مصر، 1958م، ص،ص:174،175.

توافدت القبائل البربرية [2] ذات الصلة القوية بالمذهب الإباضي [3] على عبد الرحمان بن رستم،وحسب بن خلدون فإن البيعة تمت ما إن نزل عبد الرحمان ابن رستم بتيهرت [4]،وأسباب اختياره إماما ترجع إلى عوامل عقائدية،وأخرى سياسية تتصل بالمذهب الإباضي،ويجب أن تتوفر في إمام الإباضية [5]،أما سنة البيعة فتختلف روايات المؤرخين فيها فمنهم من يذكر أنها كانت سنة(144ه)[6]،وهي البيعة الأولى في نظرهم،أما البيعة الثانية فكانت سنة(160ه)[7]،وهي السنة التي يتفق عليها جل المؤرخين .

---

[1]-**جبل سوفجج**: يقع جنوب تيهرت في ناحية الشلالة،وهناك من قال أنه يقع شمال تيهرت بناحية المدية،ينظر:محمد علي دبوز ،**تاريخ المغرب الكبير**،ج:03،ص:256.

[2]-من بين تلك القبائل:لماية،لواتة،هوارة،فزاوة،سدراتة،مزاتة،مكناسة،غمارة ونفوسة وانضمت إليهم بعض الفرق من الخوارج كالصفرية والواصلية واعترفوا بإمامته،للمزيد ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**،ج:06،ص،ص:246،239؛عبد الحميد زغلول، **تاريخ المغرب العربي(تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)** ،ج:02،منشأة المعارف،الإسكندرية–مصر،د ط،1993م،ص،ص:296،295؛السبع قادة، **المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس هجري/الحادي عشر الميلادي** ،مذكرةماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران،2003 – 2004م،ص،ص: 17 ،18.

[3]-جورج مارسييه،**بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**،تر:محمود عبد الصمد هيكل،مرا:مصطفى أبو ضيف أحمد،توزيع منشأة المعارف،الإسكندرية–مصر،د ط،1999م، ص:119.

[4]-عبد الرحمان بن خلدون، **المصدر نفسه**،ج:06،ص:147؛ابن الصغير،**أخبار الأئمة الرستميين** ،ص: 28.

[5]-عن أسباب تولية عبد الرحمان ابن رستم الإمامة الإباضية ينظر:أبو زكريا يحي ابن أبي بكر، **المصدر السابق**،ص،ص: 82، 83.

[6]-إبراهيم الفرغالي، **تاريخ الدول المستقلة من المغرب العربي** ،د دن،القاهرة–مصر،ط: 01 2006م،ص،ص: 62،61.

[7]-عصام عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس** ،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة–مصر، 1984م، ص:155.

ما إنْ تمَّتْ البَيْعَة حتى اختاروا موقع تيهرت[1] لتأسيس الدولة الإباضية،وشرعوا في تهيئته وبنائه[2]،ورغم الاختلاف بين المؤرخين في التحديد الزمني لتأسيس وبناء الدولة الرستمية[3]،إلاَّ أنَّها تعود وتتفق في أن هذا البناء دُعِم ماديا ومعنويا من طرف إباضية المشرق الإسلامي لكن بعد ثلاث سنوات من ذلك تغيرت أحوال الدولة الرستمية،فأصبحت على قَدْرٍ من التطور يمنعها من قبول مساعدة إباضية المشرق[4].

عَرَفَتْ الدولة الرستمية ثلاث مراحل هامة جَسَّدَتْ تاريخها،حيث عاشت مرحلة القوة والنمو على عهد الأئمة الثلاث الأوائل،بداية من تأسيسها على يد الإمام عبد الرحمان بن

---

[1]- ينفرد أبو عبيدة البكري بذكر رواية بناء تيهرت،وأسباب تغيير المكان من تيهرت القديمة إلى تيهرت الحديثة،التي يشاطره بعض المؤرخين في كون موقعان لتيهرت إحداهما قديمة والأخرى حديثة،إلى أن رواية البكري في ذلك يلفها نوع من الخرافة،للمزيد حول ذلك ينظر:أبو عبيدة البكري، **المصدر السابق**،ص: 67، 68.

[2]- وقد اختير موقع تيهرت للبناء لقربه الجغرافي من جبل سوفجج،معسكر الإباضية،ولحصانته الطبيعية وتوفره على المناخ الجيد والأراضي الخصبة،وكذا لوفرة مياهه إذ تقع بين نهري مينة وقادش،إضافة إلى إطلالتها على شاطئ تنس،وهناك دوافع أخرى منها تجنب الصراع مع العباسيين في القيروان،والبعد عن ضربات الأسطول البيزنطي على السواحل،وتمركز تيهرت في طريق سير القوافل التجارية المؤدية إلى بلاد المشرق والمارة بالسودان الغربي،وبذلك يكون الموقع مميزا من كل النواحي.ينظر:شمس الدين المقدسي ،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،تح:محمد مخزوم،دار إحياء التراث العربي،لبنان، 1987م،ص:197.محمد عليلي،**المرجع السابق**،ص،ص:17 18.

[3]- لقد اختلفت الروايات التاريخية حول هذا التأسيس،حيث يذكر بن خلدون أنه كان سنة(144هـ) أما الشماخي والدرجيني فيرجعان ذلك إلى سنة(160أو162هـ)،في حين يذكر ابن عذارى أن ذلك كان سنة(161هـ)،إبراهيم بحاز يورد في مرجع السابق الذكر أن ذلك تم سنة(155هـ أو156هـ)،أما حساني مختار فيذكر في إحدى مقالاته أنه كان سنة(144هـ/761م)ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:06،ص:247؛أبو العباس الشماخي، **المصدر السابق** ،ص:81؛ الدرجيني، **المصدر السابق**،ج:01،ص،ص:35،36؛ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**، ج:01،ص:196؛حساني مختار،**عوامل تطور مدينة تيهرت** ،**الملتقى الوطني الأول حول تاريخ تيهرت الحضاري من الفتح إلى نهاية القرن الثالث الهجري**،عدد خاص،(1–2 أفريل 1987م)، ص:31.

[4]- أبو العباس الشماخي،**المصدر نفسه**،ص،ص: 140، 141.

رستم(160هـ–168هـ)الذي شَهِدَ عهده تطورا واستقرارا ملحوظين،واستمرت الأوضاع مزدهرة[1]على عهد ابنه الإمام عبد الوهاب بن رستم(168هـ–180هـ)،الذي انطلق من القاعدة التي أسسها والده في تسيير الدولة،رغم بعض التوترات السياسية والفتن التي بدأت بالظهور بداية من عهده .

تولى الإمامة بعده ابنه أفلح بن عبد الوهاب بن رستم (208هـ – 258هـ)[2]،الذي قضى على الفتن التي ظهرت في عهد والده،وحتى تلك التي ظهرت في عهده ،أمَّا حضاريا فقد ازدهر العمران على عهده،إذ ابْتَنَى الدور والقصور وغيرها،وانتهج سياسة مشابهة لسياسة جده عبد الرحمان بن رستم[3] .

توفي أفلح بن عبد الوهاب لتنتهي معه مرحلة القوة،إذ تولى بعده ابنه أبو بكر الذي بدأت معه مرحلة الضعف تَدُبُّ في جَسَدِ هذه الدولة،التي أَهْلَكَهَا نظام الوراثة،وقضى على قوتها فأورثها من بَعْدِ عِزها ضُعفا، وربَّما لِقِصَرِ مُدة حُكم هذا الإمام[4] لم تَرِدْ من المعلومات الكثير عن عَهْدِه،لكن أهم سِمَةٍ بارزة فيه هي الفتن الداخلية وعدم قُدرته على القضاء عليها[5]،وتَسَلُّطْ العامة عليه وبالتالي نهاية حُكْمِه معزولا.

بُويعَ بعد الإمام أبي بكر أخاه أبو اليقظان بن أفلح(261هـ- 281هـ)[6]،والذِّي يُرجع المؤرخون الفضل إليه في إطالة عمر الدولة الرستمية،وتُحْسَبُ له محاولته الجادَّة في إعادة بعث

---

[1]- شارل أندري جوليان ،**تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى 1830م**،ج:02،تع:محمد تمزالي والبشير بن سلامة،الدار التونسية،تونس،1983م،ص:47.

[2]- هناك اختلاف واسع بين المؤرخين حول تولية ونهاية حكم كل إمام،فمثلا يورد البعض أن حكم أفلح ابن عبد الوهاب(180هـ–240هـ)،في حين يورد البعض الآخر أنَّ ذلك كان(208هـ إلى 258هـ)،وعن هذا الاختلاف ينظر:إبراهيم بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**،ص:120.

[3]- ابن الصغير،**المصدر السابق**،ص،ص: 67، 68.

[4]- رابح بونار ،**المرجع السابق**،ص:37.

[5]-إبراهيم بحاز ، **المرجع نفسه**،ص:122.

[6]-ابن الصغير،**المصدر نفسه**،ص:29؛بن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:197.

نشاطها الاقتصادي والثقافي،وإنْ كان أقَلَّ ممَّا عُلِمَ عن العهود الأولى للأئمة الثلاث،ومع نهاية حكمه مالت الدولة الرستمية إلى آخر مُنْعرجاتها التي تودي بها حَتْما نحو النهاية والانهيار.

خَلَفَ الإمام أبو اليقظان ابنه أبو حاتم(281هـ–294هـ)،الذي أَدْخَل الدولة الرستمية على عهده مرحلة الشيخوخة[1]،إذ طَغَى عليها الصراع حول السلطة بين الإمام أبو حاتم وعَمُّهُ يعقوب بن أفلح،كما عَرَفَ الصراع المذهبي الطائفي أَوَجَّهُ في عهده،فانتهى به الأمر قتيلا على يد أحد أبناء أخيه اليقظان بن أبي اليقظان سنة 294هـ،هذا الأخير استفحل الضعف في أيامه،وختم الشيعة عهده باكتساح حَمْلَتِهِمْ للمغرب الأوسط وجبل نفوسة،والقضاء على الدولة الرستمية سنة(296هـ /909م)[2].

يَتَّضِح مما سَبَقْ أنَّ الدولة الرستمية وإنْ نادت بمبدأ الشورى وعدم الوراثة في الحكم عند تأسيسها،إلَّا أنَّها لم تُطَبِّقْه عَمَليًا،وإنَّما ظَلَّ شعارا يُرْفَعُ فقط،رغم إبداء نَفَرٍ من الإباضية رفض ذلك،لكن دون جدوى،لأنَّ النِّظام القائم في الحكم كان وراثي التطبيق شوري الشكل–إنْ صَحَّ التعبير–ويمكن اعتبار ذلك أحد أهَمِّ عوامل تَصَدُّعِها ثم انهيارها على يد الشيعة الفاطميين سنة(296هـ/909م) .

3/أوضاع الدولة المدرارية بسجلماسة ودولة الأدارسة بفاس قُبيل سنة(296هـ /909م):

من المغرب الأدنى والأوسط إلى المغرب الأقصى،الذي عَرف هو الآخر ظروفا داخلية وأخرى خارجية مختلفة طالت أهم دُوَلِه،فعجَّلَتْ بسقوطها على يد الشيعة الفاطميين،وكانت داعما غير مباشر في كتابة آخر فصل من عمر تاريخها بأرض المغرب الأقصى وقتذاك.

[1]– إبراهيم بحاز،**المرجع السابق**،ص:124.

[2]– للمزيد حول أحداث سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين.ينظر:محمود إسماعيل عبد الرازق،**الخوارج في بلاد المغرب**،ص،ص: 175،176؛إبراهيم بحاز،**المرجع نفسه**،ص:128.

أ _ دولة بني مدرار بسجلماسة(140هـ-296هـ/757م – 909م):

عَرَفَتْ دولة بني مدرار [1] الصفرية بسجلماسة [2] هي الأخرى،على غرار جاراتها الأغلبية والرستمية بالمغربين الأدنى والأوسط،ظُروفًا ساهمت في سقوطها،بعد أن أقامت ردحا من الزمن بأرض المغرب الأقصى،وكانت قَصَبَتُها ومركز حكمها سجلماسة،فقد حَرَصَ الصفرية على إنشاء هذه العاصمة في مكان حصين،فأقاموها في وسط الصحراء،جنوبي تلمسان بعشرة مراحل،وفي مَوْضِعِ الْتِقَاءِ فَرْعَيْ نهر ملوية [3].

تَأَسَّسَتْ الدولة المدرارية على يد عيسى ابن يزيد ابن سعد المكناسي الزناتي سنة(140هـ/757م)،بعد أنْ قَدَّمَه أهل زناتة [4] الصفريين على أنفسهم،وهو الذي اخْتَطَّ مدينة سجلماسة،ثم إنَّ الصفرية غَدَرُوا به،فقبضوا عليه وشَدُّوه وِثَاقًا إلى أَصْلِ شجرة في الجبل،بعد أن طَلُوهُ بالعسل وتَركوه حتى قَتَلَتْه الزنابير والنحل،فسمي ذلك الجبل جبل عيسى [5].

آلَتْ الإمامة إلى أبي القاسم سمكو(155هـ-168هـ/772م-784م) [6]،الملقب بالمدرار وكان حدَّادًا من الرَبَضْ بقرطبة [1]،وظَلَّتْ بَعْدَهُ حِكرا على صفرية مكناسة،التي اختصت باختيار

---

[1] - للمزيد عن دولة بني مدرار من التأسيس إلى السقوط ينظر:أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان، د ط ،د س ن،ص: 227.

[2] -**سجلماسة**:تقع جنوب المغرب الأقصى،وقد اندرست،وتقوم مكانها الآن مدينة الريساني في منطقة تافيلالت.ينظر:لسان الدين ابن الخطيب، **المصدر السابق** ،ص:138؛أحمد مختار العبادي، **المرجع نفسه**،ص: 227.

[3] - محمود إسماعيل عبد الرازق،**الخوارج في بلاد المغرب**،ص:117.

[4] -عن زناتة أصل الكلمة،وجذور القبيلة،ثم فروعها وسكانها.ينظر:محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**،ص،ص:21،15.

[5] -أبو عبيدة البكري، **المصدر السابق** ،ص:149؛لسان الدين بن الخطيب ،**المصدر نفسه** ،ص،ص: 139، 140.

[6] -يذهب الكثير من المؤرخين مثل البكري ولسان الدين ابن الخطيب إلى القول أن من تولى الإمامة بعد عيسى ابن يزيد هو أبو الخطاب المعافري،في حين أن أبا الخطاب إباضي المذهب لا صفري،ولا يمكن أن يتداخل المذهبان في الحكم إلى هذا الحد،ثم إن عيسى ابن يزيد توفي سنة(155هـ)،وأبو الخطاب كان قد

الأئمة من آل بيت أبي القاسم،وأُخِذَتْ البَيْعَة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وتوابعها،فَتَوَارَثَ أبناؤه حُكمها وتَمَايَزَتْ سِيَاسَة كل منهم عن الآخر،لكن الإبقاء على حُكم مكناسة[2] لهذا الإقليم كان يَشْغَلُ كُلًّا منهم.

رَسَمَتْ السِّيَاسَة الداخلية لدولة بني مدرار صورة ظُروفها قبل سنة(296هـ/909م) والتي هي الأخرى تَأثَرَتْ بدرجة كبيرة بعاملين أساسيين،لَعلَّهما تَجَسَدَا في العامل العُنْصُري والعامل الديني،فتَعْيِينُ الأمراء وعَزْلِهم،وقيام الثورات والفتن،واحتدام المنازعات بين أفراد البيت المدراري الحاكم،فاتساع الدولة تقلصها،وقُوَتُها وضُعفها،كل ذلك كان مرتبطا أشد الارتباط بالصراع القبلي أو الخلاف المذهبي[3].

رغم أنَّ المذهب الصفري كان يمثل الخط الدائري،الذي يحتوي جميع العناصر القَبَلِيَة والكيانات الاجتماعية داخله،إلا أنَّ تبايُنَها واختلافها خَلَقَ نوعا من الاختلال،في شكل الوحدة العنصرية والمذهبية التي نادى بها حكام الدولة المدرارية،وهو ما افْتَعَلَتْهُ بعض الأَقَلِّيَات الدينية والعُنصرية،مثل اليهود،الذين هيمنوا على مَصائر البلاد الاقتصادية باحتكارهم استغلال مناجم الذهب والفضة[4] في درعة[5]،دون إغفالٍ لِدَوْرِ بعض أقلِّيات المعتزلة والإباضية،في تحوير الأوضاع السياسية داخل الدولة المدرارية حسب ما يخدم مصالحها.

ضِفْ إلى ذلك ضعف شخصية بعض الحكام المدراريين،وعدم رشاد حكمهم،ما جعل الصفرية ينقمون عليهم ويرفضون الانصياع لهم،مُعْلِنِينَ رفضهم بحركات تمرد وعصيان،أدت حتى

=توفي قبله في معركة تاورغا سنة(144هـ)،كما أنه لا يوجد أي مصدر إباضي يذكر ذلك.ينظر:محمود إسماعيل عبد الرازق،**المرجع السابق**،ص: 119.

[1]– لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر السابق**،ص:140.

[2]–**مكناسة**:هم بطون كثيرة،كانت رئاستهم جميعا في بني يزول،أو مجدول بن مجدول بن تافريس بن فراديس بن ونيف بن مكناس،مواطنهم بالجوف وشرق منداس.ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج:06،ص– ص:246 – 265.السبع قادة ،**المرجع السابق**،ص: 17.

[3]– محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص: 122.

[4]– محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص،ص: 122، 123.

[5]– **درعة**:مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب،بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ،ودرعة غربيها وأكثر تجارها يهود.ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج:02،ص: 451 .

إلى خلع بعضهم ليُعيَّنَ غيره،مثلما حدث في عهد الإمام الصفري إلياس ابن أبي القاسم الملقب بأبي الوزير [1]،والذي امتد حكمه من وإلى(174هـ-208هـ/790م-823هـ)،ذلك أنه كان خاملا فاترِ الهِمَةِ [2]،ما حَمَلَ الصفرية على الانتفاض عليه وخَلْعِه،ثم تولية أخاه اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي المنصور،وكَنَوْعٍ من أنواع الصراع لأجل السلطة داخل الأسرة الحاكمة،لا يَسْتَبْعَدُ البكري أنْ يكون ذلك من تدبير اليسع أبي المنصور [3]،الذي أعَدَّ الجيش وجمع الأنصار للقضاء على فتنة الإباضية،حتى وُصِفَ بأنه كان جباراً عنيداً،فَظًّا غليظاً [4]،فَقَضَى على هذه الفتنة،وأعاد إعمار سجلماسة،ما حَمَلَ المؤرخين على وَصْفِ عهده بالازدهار والاستقرار.

عادت تلك النَعَرَات للظهور من جديد،لكن هذه المرة في عُقْرِ دار الحُكم المدراري وذلك في عهد مدرار بن أبي المنصور اليسع الذي خَلَفَ أباه ولُقِّبَ بالمنتصر،إذ لم يزل ملكا على سجلماسة إلى أن اختلف الأمر بين ولديه،وكل منهما يُدعى ميمون،أحدهما من زوجته ابنة عبد الرحمان بن رستم)،والآخر من زوجة ثانية تدعى بقية [5]،ونظرا لقرب ميمون بن الرستمية من من نفس المنتصر،وَلاَّهُ الحُكم بَعده،ما خلق صراعا بين الأخوين دام ثلاثة أعوام(221-224هـ/835-838م)،وبدعم من مُقَدَمِي الصفرية ورؤساؤهم،انتهى الصراع بالمنتصر طريدا

---

[1]- **إلياس بن أبي القاسم الملقب بأبي الوزير**: يَذكر ابن الخطيب أنَّ:" ولايته كانت في آخر سنة (199هـ)،واستمرت ستة أشهر وخلعه أخوه أبو المنتصر،في عام(200هـ)".ينظر:لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر السابق**،ص: 142.

[2]- محمود إسماعيل، **المرجع السابق**،ص: 123.

[3]- أبو عبيدة البكري،**المصدر السابق**،ص:150.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر نفسه**،ص: 142.

[5]- اختلف المؤرخون حول تسمية زوجة المنتصر الرستمية،حيث يذكر البكري وابن خلدون وإبراهيم بحاز أن:اسم ابنة عبد الرحمان ابن رستم وأمَّ ميمون هي أروى،في حين يُورد لسان الدين ابن الخطيب أن اسمها هم هنو بنت عبد الرحمان ابن رستم،وتتفق جل المصادر والمراجع على أن أمَّ ميمون الثاني تُدعى تقية أو بقية.ينظر:عبيد الله البكري، **المصدر نفسه**،ص:150؛عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج:06 ص،ص:268، 269.لسان الدين بن الخطيب، **المصدر نفسه**، ص،ص:144،143؛إبراهيم بحاز، **المرجع السابق**،ص،ص: 384، 385.

شريدا من سجلماسة إلى بعض القرى،حتى توفي سنة(253هـ/867م)،وذلك بأمر من ابنه ميمون ابن بقية،الذي تولى الحكم وبقي به إلى أنْ توفي سنة (263هـ/877م)[1].

تَوَلَّى بعد ميمون ابن بقية ابنه محمد ابن ميمون بن مدرار،الذي واصل اقتفاء أثر الإباضية بسجلماسة ودرعة حتى قضى عليهم ،وتوفي سنة (270هـ/884م)، ووُلِّيَ بعده ابنه اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الملقب بالمنتصر[2]،والذي انشغل بتوسيع رقعة دولته حتى داهمه الخطر الشيعي.

فانتهى بمقتله وسقوط الدولة المدرارية سنة(296هـ/909م)[3]،هكذا تكون الخلافات العنصرية والقبلية المذهبية،قد وَجَّهَتْ سياسة دولة بني مدرار الداخلية،وقَيَّدت نشاط سياستها الخارجية إلى حَدٍ ما،مُعْلِنَةً بداية عهد جديد في تلك الأرض،ومع عنصر مذهبي جديد .

ب – دولة الأدارسة بفاس(172هـ– 296هـ/788م – 909م):

نشأت دولة الأدارسة على يد إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[4]،إذ يبدوا أن المطاردة التي لحقت بأحفاد علي رضي الله عنه،من طرف العباسيين بعد موقعة فخ[5]،جعلتهم يفكرون في السياسة أكثر من تفكيرهم في

---

[1]– محمود إسماعيل، **المرجع السابق**،ص:126.

[2]– "من المعروف أنه في أيام هذا الوالي(اليسع ابن المنتصر بن اليسع بن مدرار)،قَدِمَ عبيد الله المهدي أول حكام العبيديين من الشيعة،وابنه أبو القاسم من المشرق،فدخلا سجلماسة متنكرين،وكان الخليفة المعتضد بالله العباسي قد أوعز إلى اليسع هذا بالقبض عليهما،فبحث عنهما وقبض عليهما،وأودعهما السجن،إلى أن افْتَكَّهُمَا وأطلق سراحهما مقيم دولتهم أبو عبد الله الشيعي المعروف بالمحتسب".ينظر: ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:06،ص:131؛لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر السابق**،ص: 145.

[3]– محمود إسماعيل ،**المرجع نفسه**،ص: 127.

[4]–محمد بن عبد المنعم الحميري ،**الروض المعطار في خبر الأقطار** ،ص،ص:545،546؛بوزياني الدراجي،**دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس** ،دار الكتاب العربي،بيروت–لبنان ،د ط، 2007م،ص:139.

[5]–هي موقعة دبَّرها العباسيون للقضاء على العلويين تماما،وذلك عن طريق قتلهم جماعيا"وذلك سنة(169هـ)قتل فيها الحسين بن علي وأكثر أصحابه،أفلت إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن

المذهب[1]،وكانت بلاد المغرب الإسلامي ملجأ لِكُلِّ مَنْ فَرَّ مِنْ سُلطة الخلافة،نجاة بنفسه ورغبة في إقامة حُكم مُناهض للخلافة،كما ووَجَدَتْ فيه مؤهلات العصبية القبلية الداعمة لإقامة المذاهب المختلفة.

كان ذلك ما لَمِسَهُ إدريس ابن عبد الله لدى وِفَادَتِهِ إلى أرض المغرب،وما لَقِيَّهُ من ترحيب وتكريم من قبيلة أوربة[2]،كَوْنُهُ يَصل بنَسَبِهِ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم،جعله يَنْزِل بينهم سنة (170هـ/787م) ببلدة وَلِيْلِي[3] بالمغرب الأقصى،فَحَضِيَّ بدعم قبيلة أوربة البرنسية،وانقاد إليه أهل هذه القبيلة،ووَلُوهُ الحُكم فيهم سنة(172هـ/789م)[4]،وما إن تسامعت أخباره في باقي القبائل البربرية،حتى جاءه بعضها عاقدين البَّيْعة والوَلاَءَ له[5].

شرع إدريس الأول بعد بيعته في ترسيخ أركان دولته،وكان عليه أن يُؤَسِّسَ عاصمة جديدة،وأن يَسْتَنَّ نُظُمَ الدولة ورُسُومَها،وأنْ يُجَيِّشَ الجيوش التي تَكْفَلُ لها البقاء والاستمرار من ناحية،والتوسع من ناحية أخرى[6]،فاختط مدينة فاس سنة(172هـ/789م) في الموضع الذي يحوي عدوة الأندلسيين[7]،وعندما آنس إدريس الأول من جماعته قوة،بدأ بالتوسع في الأصقاع

=علي رضي الله عنه،فوقع إلى مصر..."للمزيد حول موقعة فخ ينظر:محمد بن عبد المنعم الحميري، **المصدر نفسه**،ص:545.

[1]- عبد الكريم غلاب،**المرجع السابق**،ج: 01،ص،ص:286،287.

[2]-**أوربة**:قبيلة من البربر مساكنهم قرب فاس.ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 278.

[3]-**وليلي**:مدينة بالمغرب بطرف جبل زرهون،وهي مدينة رومية قديمة.ينظر:أحمد ابن يعقوب اليعقوبي، **المصدر السابق**،ص: 609.

[4]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01، ص: 210.

[5]- يُعَدِّدُ ابن أبي زرع تلك القبائل قائلا:"...ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب،منهم زواغة،زواوة،لماية،سدراتة،غياثة،نفزة،مكناسة،غمارة، فقَوِيَتْ أموره وتَمَكَّنَ سلطانه."ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، صور للطباعة والوراقة،الرباط- المغرب الأقصى،د ط،1972م،ص:20.

[6]-محمود إسماعيل،**الأدارسة حقائق جديدة**،ص:59.

[7]-على خلاف كل المؤرخين،الذين يقرون بأن إدريس الثاني هو باني مدينة فاس،شارل أندري جوليان يؤكد بالأدلة القطعية التاريخية والأثرية- عثر على قطعة نقدية بفاس ضربت في عهد إدريس الأول

المجاورة لمضارب أنصاره،وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والإسلام بها قليل،فأسلم جميعهم على يَدَيْهِ[1].

كان هذا في سنة(172هـ/789م)،أما في السنة الموالية فتَوَجَّهَ بجيوشه شرقا قاصدا تلمسان،التي خرج إليه حاكمها مُسْتَأْمِنًا ومُبَايِعًا،وبايعته قبائل البربر فَقَبِلَ إدريس الأول بيعتهم،ودخل تلمسان وبَنَىَ فيها مسجدا ثم عاد إلى وليلي[2]،تَطَايَرَتْ أخبار هذا التوسع في مغارب الأرض ومشارقها،فبَلَغَتْ الخليفة العباسي الذي تَخَوَّفَ من تمادي هذا التوسع ليَبْلُغَ المغرب الإسلامي كُلُّه،فأرسل إليه رجلا داهية كان يُلَقَّبُ بالشَماَّخ[3]،استطاع بفضل ذكاءه أن يكسب ثقة إدريس الأول،ثم سَمَّهُ فمات إدريس الأول غدرا[4]،وكان ذلك بوَلِيلِي سنة(175هـ/791م)[5].

وُلِّي بعد إدريس الأول ابنه إدريس الثاني،الذي ولد له من جارية بربرية تدعى كنزة،وسهر المولى راشد على تربيته تربية مكتملة وسديدة،وعُقِدت له البيعة سنة (186هـ/802م) وقيل في سنة (187هـ أو 188هـ/803م)،وكان لا يزال صبيا،ابن أحد عشر سنة وقيل أكثر من ذلك[6]،واصل إدريس الثاني سياسة أبيه في تَقْوِيَة نُفوذه في الداخل،والتوسع في الخارج،مُسْتَنِدا

=سنة(172هـ)-"أما فاس التي أسسها إدريس الأول،فقد ورثت الدور الذي تقوم به وَلِيلِي..."

ينظر:شارل أندري جوليان، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى 1830م**،ج:02،ص:21؛محمود إسماعيل،**الأدارسة حقائق جديدة**،ص:59.

[1]- ابن أبي زرع الفاسي،**المصدر نفسه**،ص: 20 ، 21.

[2]- عماد البحراني ،**المرجع السابق** ،ص: 17.

[3]- **الشماخ**:هو يحي علي سليمان ابن جرير ينظر:محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص:63

[4]-حول رواية قتل الشماخ لإدريس الأول.ينظر:مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار** ،ص،ص:196،195؛ابن أبي زرع الفاسي،**المصدر نفسه**،ص،ص:22، 23.

[5]-غير أن هناك من الباحثين مثل محمود إسماعيل من يذكر أن قتل إدريس الأول تَمَّ سنة(177هـ/ 793م).ينظر:محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص:63.

[6]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01، ص،ص:210، 211.

لِقُوَةِ البربر أولا،ثم العناصر العربية الوافدة من إفريقية والأندلس،فَاسْتَقَامَ له الأمر بالمغرب الأقصى وتَوَطَّدَ ملكه،وعَظُمَ سُلطانه، وقَوِيَّ عسكر[1] .

كما قام إدريس الثاني بتعميق سياسة التوازن القبلي،والتي نجحت في وضع حد للمؤامرات داخل الدولة الإدريسية،حتى وفاته سنة(213هـ/829م)،إذ كان سبب وفاته أنه أكل عنبا فَغَصَّ بحبة ومات،في حين يذكر البعض أنه توفي مسموما[2].

وُلِيَّ الحكم على الأدارسة محمد ابن إدريس الثاني،الذي عوَّل على اتخاذ سياسة جديدة،تتضمن وضع حد للقوى المناوئة من البربر والعرب على سواء،فقسَّم البلاد على إخوته بأمر من جدته كنزة[3]،فاقتطع هو مدينة فاس،ومنح باقي المناطق لإخوته،وجعل تلمسان وبعض الجهات من المغرب الأوسط لبني عمه سليمان بن عبد الله [4]،كان هذا التقسيم نِقْمَةً على الإخوة،إذ ظهرت الفتن بينهم بسبب جَشَعِ وطَمَعِ كُلٍّ منهم في التوسع على حساب الآخر،ورغبته في ضَمِّ إقليم أخيه،ورُغْمَ جهود هذا الوالي الجديد إلا أنها لم تدم طويلا،فَبَعْدَ مَرَضِه وموته سنة(221هـ/837م)[5] بدأ الضعف يَدُبُّ في أرجاء دولته.

ترك محمد ابن إدريس ثلاثة أولاد بعد وفاته: علي وإدريس وعبد الله،تقدم لخلافته على الحكم ابنه علي(221هـ – 234هـ/837م-848م)، الملقب بحيدرة نسبة إلى جده علي رضي الله عنه،والذي مرت أيامه في استقرار وأمن وهدوء [6]،إلى غاية وفاته سنة (234هـ/848م)،وخلفه أخوه يحي ابن محمد الذي كانت أيامه في ازدهار واستقرار [7]،وبعد

---

[1]- عماد البحراني ،**المرجع السابق**،ص:18.

[2]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**، ج:01،ص:211.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي،**المصدر السابق**،ص:51؛ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**، ج: 01،ص: 211 .

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**، ج:04،ص،ص: 27 ،28.

[5]- عماد البحراني،**المرجع نفسه**،ص:19.

[6]- عماد البحراني،**المرجع نفسه**،ص:19.

[7]–يذكر ابن عذارى هذا الحاكم وولايته وينقل الحكم بعد موت علي ابن محمد ابن إدريس الثاني مباشرة إلى أخيه يحي بن محمد لكنه يصف سوء سيرته،وهو في ذلك ربما يخلط بين عهده وعهد ابنه يحي ابن

موته وُلِيَّ ابنه يحي ابن يحي بن محمد ابن إدريس الحكم، الذي كان سيء الأفعال،بغيض السيرة،ماجن الأخلاق،ما أثار رعيته عليه،وتَمَّ إخراجه من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين،حيث توفي بها بعد إخراجه بليلتين من خروجه[1].

انتقلت الإمامة بعد موته يحي بن يحي بن محمد ابن إدريس الثاني،إلى ابن عمه ووالد زوجته علي بن عمر ابن إدريس الثاني،الذي استقام له الأمور،إلى أن ثار عليه الصفرية وأخرجوه من فاس،فبعث أهل عدوة القرويين يستقدمون يحي بن القاسم ابن إدريس الملقب بالمقدام،الذي قضى على ثورة الصفرية وأعاد امتلاك فاس وعُدوة الأندلسيين،وطالت أيام يحي هذا بفاس وما وَالاَهَا من الأقطار والقلاع،إلى أن قتله ربيع بن سليمان سنة(292هـ/904م)[2].

لَمَّا قُتِلَ يحي بن القاسم ابن إدريس الثاني خلفه يحي ابن إدريس بن عمر ابن إدريس سنة(292هـ/904م)،وعاد لحكم فاس،فكان أهَمَّ وأحسن حُكام الأدارسة،لحسن سيرته ورجاحة عقله[3]،لكنه لم يطل المكوث،حيث جابهته الجيوش الفاطمية،وأُجْبِرَ على إعلان الولاء للدولة الفاطمية سنة(307هـ/929م)،بعدها تمكنت العصبية القبلية التي كانت نفسها أحد دعائم قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى،أحد أهم أسباب انهيارها،وذلك بعد مواجهة بين تحالف عصبية قبائل مكناسة وصنهاجة مع كتامة،لدعم الفاطميين ضد عصبية قبيلة أوربة الداعمة لحكم الأدارسة،لكن الثابت هو سقوط وانهيار دولة الأدارسة لهذا السبب أو لغيره،بعد توافر ظروف الزوال والانهيار واجتماعها،بعدما لقيَّته هذه الدولة من تكالب عوامل أُفولها،وتَشَرُّدِ حاكمها بنواحي إفريقية سنة(332هـ/943م) حيث مات جوعا وعطشا[4].

=يحي بن محمد ابن إدريس،الذي تتفق المؤلفات التاريخية على مجونه وسوء أفعاله،ولعل هذا الخلط كان بسبب قصر مدة حكم يحي بن محمد ابن إدريس الثاني.ينظر:ابن عذارى، **المصدر نفسه**،ج:01،ص:211، 212؛عماد البحراني،**المرجع نفسه**،ص:19.

[1]- ابن أبي زرع الفاسي،**المصدر السابق**،ص:46.

[2]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:212.

[3]- أبو عبيدة البكري، **المصدر السابق**، ص: 132.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:04،ص:32.

وعلى ذلك يمكن تقسيم تاريخ الأدارسة إلى طورين متمايزين،الطور الأول:طور القوة،ويمثل عهود إدريس الأول والثاني ومحمد بن إدريس،وخلاله تمثلت قوة الدولة في جهاز سياسي،وإداري جبائي مُحْكَمْ وجيش قوي،وعاصمة مركزية تسيطر على كافة أقاليم الدولة.

أما الطور الثاني فيشمل عهود خلفاء محمد ابن إدريس حتى سقوط الدولة سنة (332هـ/943م)[1]،ومن سِمَات هذه الحقبة،ضُعف السلطة المركزية،واتساع رقعة الأقاليم التي لا تَخْضَعُ لسلطة الدولة،وكذا اضمحلال النظم والرسوم وتَشَرْذُمْ الجيوش،وحَسْبُنَا أنها شَهِدَتْ مزيدا من الصراع بين أفراد الأسرة الإدريسية بعد تقسيم الدولة إلى كيانات إقطاعية بين الإخوة والأبناء،ومحاولة كل أمير أن يتوسع على حساب أمراء فاس من ناحية،وعلى حساب جيرانه من ناحية أخرى[2]،وقف المذهب الشيعي الزيدي العلوي[3] دائما.

هكذا كانت سنة(296هـ/909م)تقرع أجراس النهاية لكل دول المغرب الإسلامي على اختلاف مذاهبها،سواء كانت سُنِّيَة أو إباضية أو صفرية،أو حتى شيعة زيدية علوية لتعلن عن قيام دولة جديدة تُوَحِدُ أقاليمها مذهبيا،في نوع من الوحدة الصورية تحت لواء المذهب الشيعي الفاطمي،لدولة جعلت شعارها الإسلام ونشره،ومذهبها شيعي،أما نسبها وأصولها فجَذَّرَتْهَا بالفاطمية العلوية،وإلى بيت الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم،رغم الاختلاف بين المؤرخين حول كون ذلك حقيقة أم مجرد زعم.

يتطلب الحديث عن الدولة الفاطمية كوافد جديد اجتاح بلاد المغرب الإسلامي،وشغل تاريخه ردحا من الزمن،الوقوف على أهم المعطيات التاريخية لأصول هذه الحركة

---

[1]-على أن محمود إسماعيل يورد لذلك تاريخا يميل إلى المبالغة(375هـ)وهو تاريخ كانت فيه الدولة الفاطمية قد تجذَّرت بالمغرب الأقصى،في حين يُورد ابن عذارى تاريخ(317هـ)كتاريخ لنهاية الدولة الأدارسة.ينظر:محمود إسماعيل عبد الرازق، **الأدارسة حقائق جديدة** ،ص:69؛ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**،ج:01،ص:214.

[2]- محمود إسماعيل،**المرجع نفسه**،ص:69.

[3]في حين يذكر محمد أحمد عبد المولى نسبتهم إلى المعتزلة قائلا:"...و يمكن اعتبار دولة الأدارسة بفاس في المغرب الأقصى(172هـ-313هـ/788م-925م)هي الممثلة للمعتزلة على أساس أن الأدارسة منهم" ينظر:محمد أحمد عبد المولى،**المرجع السابق**،ص-ص: 90-95؛نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص:16.

السياسية،المتجذرة عقائديا في عمق إحدى الفرق الشيعية،ألا وهي الشيعة [1] الإسماعيلية [2]،ودون التطرق إلى البدايات الأولى لظهور التشيع في العالم الإسلامي واختلاف آراء المؤرخين حول

---

[1] – **الشيعة:في اللغة** :كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة،شيعة الرجل أتباعه وأنصاره،ويقال شايعه كما يقال والاه من الولي...،وتشيع الرجل أي ادعى دعوى الشيعة،وتشايع القوم صاروا شيعا،وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع،وقوله تعالى :**"كَمَا فُعِلَ بِأَشياَعِهِمْ مِنْ قَبْلُ"** (**سورة سبأ الآية 54**)،أي بأمثالهم من الأمم الماضية،فالشيعة من حيث المدلول اللغوي تعني الصحب والأتباع والأعوان.أما في **الاصطلاح**:فكلمة شيعة اتخذت معنى اصطلاحيا مستقلا،حيث أطلقت حسب عبد الرحمان ابن خلدون:"على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة،ويعتني القائم بها بتعيينهم بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام،...ويجب عليه أن يعين الإمام للأمة.وقد قال أبو الحسن الأشعري في صدد ذكره للشيعة:"وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا–رضي الله عنه–ويقدمونه على سائر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم".ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج:04،تح:عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف،الإسكندرية–مصر،د ط،د س ن،مادة شيع، ص: 2376،2379؛عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة،من كتاب العبر،مج: 01**،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت–لبنان،1979م،ص:196،197؛أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، ج:01،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة–مصر،ط:01، 1950م،ص:65؛محمد علي الصلابي،**الدولة الفاطمية**،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع،القاهرة – مصر،ط:01، 2006م،ص: 13.

[2] **– الإسماعيلية**:نسبة إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق،ويتفق أتباع هذه الفرقة مع الإثني عشرية في النسبة إلى جعفر الصادق،إلا أن الإسماعيلية يُقِرون أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل،وقد قالوا إن ذلك كان بنص من أبيه جعفر لكنه مات قبله،ومع أنه مات قبله أعملوا النص على إقامته من بعده،وكان إعمال هذا النص،بأن تبقى الإمامة في عقبه،وهم يعتبرون أن أقوال الإمام كنصوص الشرع تماما،يجب إعمالها ولا يسوغ إهمالها،نشأ هذا المذهب بالعراق كغيره من المذاهب الشيعية،وقد فَرَّ المعتنقون له بتأثير الاضطهاد إلى فارس وخراسان،وما وراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند وتركستان،وهنالك خالط مذهبهم بعض آراء وعقائد الفرس القديمة،والأفكار الهندية،وتحت تأثير ذلك انحرف كثير منهم،فقام فيهم ذوو أهواء"،ويُرجع برنارد لويس"بداية هذه الحركة إلى القرن الثاني الهجري،ويرد أصولها إلى أصل فارسي أو سرياني غنوصي".ينظر:محمد أبو زهرة،**تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**،ص،ص:50،51؛برنارد لويس، **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية** ،مرا وتق:خليل أحمد

تحديد تاريخ معين لذلك [1]،كونه هذه الفكرة موضوع يحتاج لبحث منفرد لوحده،سبقنا إليه بعض الباحثين،لذا فإننا سنقتصر على فكرة التشيع عند فرقة الإسماعيلية بداية من كونها دعوة مذهبية تسللت إلى أرض المغرب الإسلامي،وصولاً إلى تأسيس دولة ترعى هذا المذهب،ثم الحياة السياسية لهذه الدولة ببلاد المغرب الإسلامي.

4/أهم مراحل الدعوة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي:

بعض الشيعة يرون أن التشيع فكرة سياسية صرفة،وهناك من اعتبره وجدان عاطفي،والحقيقة أن هناك عدة أحداث تاريخية كان لها أثرها في نشأة التشيع وصياغة تعاليمه،إذ هيأت النفوس للتشيع لآل البيت والتعاطف معهم،حتى فشا التعصب لهم بين الخاصة والعامة وخرج عن حدود الحق [2]،ثم ولج بلاد المغرب الإسلامي باسم المذهب الشيعي الإسماعيلي وبداية الدعوة إليه،والتي سنتناولها على مرحلتين:

أ_ مرحلة الإعداد العقائدي النظري:

وهي التي واكبت دخول أولى الشخصيات الشيعية لبلاد المغرب الإسلامي [3]،ألا وهما أبو سفيان الحسن بن القاسم [1] وعبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني [2]،اللَّذين وصلا إلى

=خليل،دار الحداثة،لبنان،ط: 01، 1980م،ص:30؛محمد سهيل طقوش، **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام** ،دار النفائس،بيروت-لبنان،ط: 02 ، 2007م،ص:51؛محمد علي الصلابي،**المرجع نفسه**،ص- ص:36 – 38.

[1]-هناك اختلاف بين المؤرخين حول البدايات الأولى لظهور التشيع في تاريخ الإسلام،فمنهم من يرجعها إلى رجل اسمه "عبد الله ابن سبأ"،وهو يهودي يماني عاصر عليا رضي الله عنه،وكان يدعو إلى =تأليهه،فأمر علي بحرقه لما دعا إليه،ومن هنا قيل أن أصل التشيع مأخوذ من اليهودية،في حين يرجع البعض الآخر تاريخ بداية التشيع إلى يوم السقيفة وصراع الإرث السياسي الأول في تاريخ الإسلام،بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم،ويرجع آخرون بداية التشيع إلى الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما،ثم امتدت إلى ما بعد موت علي رضي الله عنه.ينظر:برنارد لويس،ص: 61؛محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه** ،ص: 47، 48.

[2]- نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص: 41.

[3]- محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 63.

المغرب الإسلامي في عام(145هـ/762م)[3] وذلك بهدف التوطئة لمجيء صاحب البذر كما أمرهم جعفر الصادق[4]،إذ قال الحلواني:"بُعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا:"اذهبا إلى المغرب فإنما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها،واكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر،فيجدها مذللة،فيبذر حَبَّهُ فيها"[5]وصاحب البذر هنا هو أبو عبد الله الشيعي[1].

---

[1]-**أبو سفيان الحسن ابن القاسم**: نزل بموضع تالا من أرض مرماجنة،كان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما اشتهر به ذكره،وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت النبوي منه،ويأخذونها عنه،فمن قبله تشيع من تشيع من أهل مرماجنة،وأهل الأربس ونفطة،وكثر فيها التشيع حتى غدت تعرف باسم الكوفة الصغرى،توفي السفياني قبل وصول الداعي أبي عبد الله.ينظر:أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، **افتتاح الدعوة** ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت-لبنان،ط: 2005م،ص: 23؛محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 64.

[2]-**عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني**: تقدم حتى وصل سوجمار فنزل موضعا يقال له الناظور،وكان في العبادة والفضل علماً في موضعه،فاشتهر به ذكره،وضرب الناس من القبائل إليه،وتشيع كثير منهم على يديه،من كتامة ونفزة وسماته،عاش الحلواني دهرا طويلا،ومات في الناظور تاركا ابنته أم موسى وعددا من الأفراد من معارفه،عاش بعضهم طويلا وحضروا وصول الداعي أبي عبد الله.ينظر:القاضي النعمان،**المصدر نفسه**،ص:24؛محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:65.

[3]-موسى لقبال،**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،د ط،1979م،ص:216، 217.

[4]-**جعفر الصادق**:أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب،أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية،تعده الإمامية سادس أئمتهم،ولد سنة(80هـ/699م)أمه هي فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق،وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق،لذا كان يقول عن نفسه:"ولدني أبو بكر الصديق مرتين"،وهو من سادات أهل البيت والتابعين فقها وعلما وفضلا،وهو بريء من افتراءات وأكاذيب الشيعة حوله،توفي سنة(148هـ)بالمدينة ودفن بالبقيع.ينظر:شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،**سير أعلام النبلاء** ،ج:06،إشراف وتح:شعيب أرنؤوط وحسين الأسد،مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،ط: 11، 1996م،ص،ص:255، 269؛ابن خلكان،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،ج:01،ص،ص: 327،328.

[5]-القاضي النعمان،**المصدر نفسه**،ص: 24.

الذي ظهر بأرض كتامة[2] من بلاد المغرب الإسلامي سنة ستة وثمانين ومائتين[3]،بعد أن أوفده إليها داعي دعاة الشيعة باليمن[4] ابن حوشب[5] قائلا:"إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان،وقد ماتا،وليس لها غيرك،فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"[1].

---

[1]-**أبو عبد الله الشيعي**: هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا،كان من الدُّهاة،وقد مهَّد القواعد للمهدي،ووطَّد له البلاد،وقتله المهدي مع أخيه سنة(298هـ)،وهو من أهل صنعاء اليمن،فكان من =الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون،ومن ألقابه الصنعاني نسبة إلى صنعاء عاصمة اليمن،وبهذا اللقب سُبَّ ولُعن وشُهِر به في القيروان بعد نجاح جهوده ضد الأغالبة،كما لقب بالمحتسب لأنه كان محتسبا في العراق،واشتهر الصوفي لتقشفه في الحياة،وملازمته للبس الخشن من الثياب،واشتهر بعدة ألقاب =أخرى منها،الأهوازي والإيكجاني وصاحب البغلة الشهباء،وكذلك بالحجاني وبالمعلم.ينظر:تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**،ج:01،تح:جمال الدين الشيال،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة–مصر،ط: 02 ، 1996م،ص:40؛ابن خلكان،**المصدر السابق** ،ج:02،ص:192؛عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج:04،ص:33؛موسى لقبال،**ملحمة أبو عبد الله الإكجاني مذهبية وتوحيد**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د ط،1990م،ص:23؛أحمد مختار العبادي،**في التاريخ العباسي والفاطمي**،ص: 224.

[2]-**كتامة**:فرع من البرانس،من قبائل البربر الكبرى،وكانت تنزل من الفتح العربي بين جبال الأوراس والبحر المتوسط،حول جبل ايكجان بنواحي قسنطينة شرقي الجزائر،ومكانها اليوم بلاد القبائل الحالية،كانت تابعة لولاية القيروان،وكانت لها فروع بمراكز مهمة منها ايكجان،وتازروت،ومدينة البصرة وأصيلا،ولم يقتصر وجود فروع كتامة على منطقة إفريقية والمغرب الأوسط،وإنما تجاوزهما إلى أماكن أخرى في شمال المغرب الأقصى،وجنوب شبه جزيرة الأندلس.ينظر:أحمد مختار العبادي، **المرجع نفسه** ،ص:224؛موسى لقبال،**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري(11م)**،ص- ص: 162 –166 –181 –182.

[3]– عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر نفسه**،ج:04،ص: 15.

[4]–**اليمن**:وما يشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران،ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشّحر،حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة وهي بين عمان والبحرين.ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،ج: 05،ص،ص: 447 ، 448.

[5]–**ابن حوشب**:هو أبو القاسم الحسن فرج بن زادان الكوفي،ويسميه ابن الأثير في(الكامل في التاريخ) برستم بن الحسين ابن حوشب بن داذان النجار،ويذكر المقريزي في(اتعاظ الحنفا)أن اسمه أبو القاسم

ومن خلال ما تقدم ذكره،يتجلى لنا أن الدعوة الإسماعيلية ليست طارئة على بلاد المغرب الإسلامي،وإنما وُجدت قبل مجيء أبي عبد الله بزمن طويل،وأصبح لها أتباع ومراكز،ولما جاء الداعي وجد الجو مهيأ لبدء دعوته[2]،التي مثلت المرحلة الثانية من عمر الدعوة الشيعية ببلاد المغرب الإسلامي بشكل عام.

ب_ مرحلة الإعداد العملي المذهبي والسياسي:

والتي تولاها الداعي أبو عبد الله الشيعي،فقامت على أكتافه وعُرف بالمحتسب والداعي الشيعي الصنعاني،وفي نهاية هذه المرحلة الأخيرة كان مجيء المهدي عبيد الله فقيام الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية.

هذه المرحلة بدورها يقسمها بعض الباحثين إلى قسمين أو مرحلتين،المرحلة الأولى كانت مجرد دعاية سلمية لجلب الأنصار،استغرقت ثلاث سنوات(288-291هـ)،ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية وهي جهاد حربي طويل،انتهى بالاستيلاء على القيروان عاصمة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية عام(297هـ).

1/مرحلة الدعاية:

استخدم الداعي فيها التنبؤ والسحر والتبشير كوسيلة من وسائل الدعاية،التي تلائم عقلية الناس في هذه الناحية من العالم الإسلامي[3]،حيث يذكر ابن الأثير أن الداعي"استخدم السحر

=الحسين ابن فرج حوشب الكوفي،أما لقبه فهو منصور اليمن،ونجد أن هناك شبه إجماع بين المؤرخين على أن ابن حوشب من الكوفة،ويرجح ولادته حوالي سنة(235هـ)،بالنظر إلى سنة تكليفه بالدعوة في اليمن سنة(268هـ/ 881م)،وتوفي سنة(302هـ أو 303هـ/914م- 915م).ينظر:سيف الدين القصير، **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق-سوريا،د ط:1993م،ص- ص: 34- 35- 91.

[1]-علي حسن الخربوطلي، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة،د ب ن،1972م،ص:25؛تقي الدين المقريزي،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 55.

[2]-محمد الصالح مرمول، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات،الجزائر،د ط،1989م،ص،ص: 29، 30.

[3]-جدير بالذكر أن مجيء أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب الإسلامي كان مخططا له مسبقا من قبل رؤساء الدعوة الإسماعيلية في المشرق الإسلامي،وكان قد خرج ضمن قافلة الحجاج اليمنيين إلى مكة،في

وصَنَعَ من الحِيل والطلاسم والرقى والأحجية ما أذهل العقول،فأتاه البربر من كل مكان"[1]،كذلك أخذ يبشر الناس بظهور المهدي ويهيئ عقولهم لقبول فكرته،واعتناق المذهب الإسماعيلي،ما أحدث اضطرابا شديدا بين البربر،وقامت حروب بين كتامة وبعض القبائل البربرية،واضطر الداعي إلى الاختفاء،ولكن هذه المحنة انتهت بانتصار الفريق الذي يحميه،فكان هذا انتصارا للدعوة الفاطمية،وصار أبو عبد الله ذا جند عظيم وسلاح كثير،دون ذكر الأموال التي كان يأخذها من الناس كرسم لدخول المذهب الشيعي[2].

لعل ذلك الدعم الذي لَقِيَّهُ من كتامة كان أحد أسباب حرصه على النزول بين أهلها والبقاء بها،ثم اختيارها من قبل التنظيم الدعوي لتكون قاعدته لنشر المذهب في بلاد المغرب،وكذلك قاعدته العسكرية لإقامة الدولة،لأنها تتميز بطبيعة جبلية وعرة،وبُعْدُهَا عن مركز السلطة بمدينة القيروان،وهذه الطبيعة الجغرافية والبعد فرضا عليها عزلة فكرية وعلمية، فما كان يدور من صراع فكري ومذهبي ومناقشات كلامية في القيروان وبعض الأمصار المغربية،مثل

=عام(279هـ/893م)،واجتمع بحجاج كتامة في منى،وكان الوفد الكتامي يضم شخصين ينتميان إلى إحدى اكبر بطون كتامة،وهما حريث الجميلي وموسى بن مكارم،وكانا قد اعتنقا المذهب الشيعي بتأثير من الحلواني،وقد استقطبهم أبو عبد الله بالتأثير النفسي والإقناع والاستهواء،ولما انتهى موسم الحج وسألوه عن وجهته قال مصر،فصحبوه ولما بلغوها ادعى أنه يريد تعاطي التعليم والمقام فيها،فسألوه الذهاب معهم لتعليم أبناءهم مع مزايا أكثر،لكنه تمنع ووعدهم أن يقتفيهم إذا ما خاب أمله بمصر،بعدما استقى منهم كل ما تعلق بالظروف السياسية والاجتماعية لبلادهم من معلومات خلال الرحلة،وبالفعل بعد أن غاب عنهم مدة لحقهم قائلا:"لم أجد بهذه البلاد ما أريد"،ووصلوا إيكجان في(15ربيع الأول 280هـ/ حزيران893م)،بعد أن استراحوا بسوجمار،التي كان قد حرثها الحلواني مذهبيا،ومن إيكجان بدأت الدعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي بزعامة أبو عبد الله الشيعي.للمزيد ينظر:محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**،ص،ص: 66،67.

[1]-أبو الحسن علي بن الأثير،**الكامل في التاريخ**،ج:**06**،مرا وتص:محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:01 ،1987م،ص:450.

[2]- أحمد مختار العبادي،**في التاريخ العباسي والفاطمي**،ص: 225.

فاس[1] وتيهرت وغيرهما لم تعرفه هذه المنطقة،إضافة إلى استغلال الوضع الاجتماعي للسلطة العباسية كسبب للاحتجاج،وتقديم فكرة المهدي المنتظر كبرنامج بديل،كما استفاد التنظيم من طبيعة المجتمع القبلية المعتمدة على العصبية وما تملكه القبائل من سلاح وخيل،وبالتالي الحصول على النصرة السياسية في منطقة صالحة للعمل العسكري،قبل الحصول على مرتكز فكري لتطوير المذهب،لأن الفكر قد تمت صياغته وحددت أبعاده وأهدافه ووضعت أسسه وبرامجه في المشرق أيام الأئمة الأوائل،منذ نهاية القرن الأول هجري/السابع ميلادي،فكان يكفيها من الناحية الفكرية أو المذهبية ما يُكِنُّهُ الكتاميون من حب لآل البيت،وكره للسلطة الأغلبية[2].

2/مرحلة الحرب:

إن المجتمع الذي أقامه أبو عبد الله لم يكن مهددا للنظام السياسي فقط،بل كان أيضا مهددا للنظام القبلي السائد بين كتامة وغيرها من قبائل البربر،ذلك أن هذا المجتمع يضع سلطة جديدة فوق سلطة مشايخ القبائل،مما يهدد سلطتهم،كما أنه يقسم ولاء الفرد بين قبيلته ومجتمعه الجديد،بالإضافة إلى أنه يحوِّل المصالح القبلية إلى مصالح عامة تنصرف إلى غير قبيلته داخل المجتمع الشيعي،من هنا كان الصدام بين مختلف بطون كتامة المناوئة والموالية منتظرا،وزادت احتمالاته إثر الصدام السياسي بين أبي عبد الله وأمير إفريقية الأغلبي[3].

لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بنشر الدعوة للفاطميين في بلاد المغرب،بل أخذ يعمل منذ سنة(289هـ)على بسط نفوذهم في المغرب الإسلامي،فوقعت في يده عدة مدن،وكان مما

---

[1]-**فاس**:" مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر،وهي حاضرة البحر وأجَّل مدنه قبل أن تختط مراكش"،"كانت فاسم كزا جليلا من مراكز السنة،وأطبقت السنة من إفريقية والمغرب الأقصى على المغرب الأوسط،في الجناح الغربي لدولة الإسلام،رغم قيام الدولة الفاطمية فيه سنة(296هـ/909م)،وانتقالها إلى مصر سنة(358هـ/968م)،واستيلائها على القاهرة".ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ،ج:04،ص، ص:230، 231؛حسين مؤنس،**أطلس تاريخ الإسلام**،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة – مصر،ط: 01، 1987م،ص:152.

[2]-بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران** ،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة – مصر،ط: 01، 2014م،ص،ص: 15، 16.

[3]-محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 68.

ساعده في تقدم الفتوح [1] تولي زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة العرش،والذي انصرف إلى اللهو والترف،بينما كان وزراؤه يعملون على نجاح المذهب الشيعي،الذي اعتنقه أهالي هذه البلاد،ولم تنقطع الحرب بين قوات كل من أبي عبد الله الشيعي وزيادة الله الثالث حتى سنة(296هـ/909م)،حيث دارت واقعه الأربس،التي أدت إلى زوال دوله الأغالبة بإفريقية،وامتد نفوذ الفاطميين في ذلك الوقت إلى أكثر أجزاء بلاد المغرب،حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من مدينة القيروان[2].

لم تكن الإرادة الشيعية المتشبعة بالحمية المذهبية وحدها كافية للقضاء على دولة مثل دولة الأغالبة،ثم إتباعها بدويلات أخرى كانت قد صنعت لنفسها وزنا ثقيلا في ربوع المغرب الإسلامي،لتقام على أنقاضها هذه الدولة الفتية المكَنَّات بالدولة الفاطمية،وإنما تضافرت عدة ظروف ساهمت بشكل أو بآخر في دعم وإنجاح تلك الجهود الشيعية،وبصيغة مباشرة أو غير مباشرة كان لها يد في حَبْكِ خيوط نهايتها المحتومة كما ذكرنا سالفا في مدخل البحث،إذ تم لنا التطرق لتلك الظروف الداخلية خاصة،وحتى أتينا على ذكر بعض الظروف الخارجية منها.

وغير بعيد عن دولة الأغالبة وتزامنا مع سقوطها،كان الدور قد جاء على الدولة الرستمية،التي أسسها بنو رستم في تيهرت على أسس مذهبية إباضية،هذه الأخيرة شهدت قبل عَصْفِ الشيعة بها ظروفا صعبة،تميزت بالفرقة والانقسام ومَاجَتْ البلاد بتيارات الفتن فأثر ذلك على مجريات الأحداث في الدولة فتنكرت لمبادئها،وتولى واحد عليها بالسيف لا طبقا لاختيار الأمة،وقامت في البلاد ثورات متعددة،وعبثت بالشعب واتحاده العصبيات القومية

---

[1] –مع تحفظنا حول هذه الكلمة،التي يفضل استبدالها بكلمة اجتياح،توخيا للموضوعية،وتفاديا لعامل الذاتية في نقل الأخبار الشيعيه من المؤلفات،خاصة وأن كلمة فتوح مرتبطة في الدين الإسلامي بعمليات الفتوح الكبرى للأمصار وإدخال الدين الإسلامي على أهاليها،ومنطقة المغرب الإسلامي هنا كانت قد عرفت الإسلام وعايشته قبل دخول الشيعة إليها لذا فمن زاوية منظورنا الخاصة،لا يمكن تسمية الاجتياح الشيعي لبلاد المغرب الإسلامي بالفتح.

[2] – محمد جمال الدين سرور،**تاريخ الدولة الفاطمية**،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،د ط،ص:24.

والمذهبية،وعصفت بهيبة الحكومة المنافسات السياسية والاختلافات الداخلية،تلك حال الدولة الرستمية في الوقت الذي ظهرت فيه الدعوة الشيعية بكتامة،وقضت على دولة الأغالبة .[1]

كان الشيعي في ذلك الوقت قد سيطر على منطقة الزاب كلها،واستفحل أمره وقرب من ديار الرستميين،وبعدما فرغ من الأغالبة قصد تيهرت،ونزل عليها ولم يلق في طريقه كيدا فخرج إليه أهلها متبرئين من اليقظان وواعدين له بتسليم المدينة [2]،ثم خرج اليقظان في جمع من أهل بيته،لقي أبا عبد الله الشيعي مسلما مسالما،خشيت دوسرا [3]أن يبقي عليه فأتته مع أخ لها ووعدته نفسها زوجا إن هو ثأر لها من قتلة أبيها،فأتى القتل على اليقظان ومن معه وفرت دوسرا فلم يقف لها على أثر،وهكذا استولى أبو عبد الله الشيعي على دولة تيهرت لأنه وجد أمة بلا حكومة وحكومة بلا أمة [4]،فدخل تيهرت ونهبها واستباحها وقصد المكتبة المعروفة بالمعصومة،وأخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع غيرها من العلوم الدنيوية أحرق الباقي كله،ومن هناك فقدت أغلب مؤلفات المذهب،إذ كانت المكتبة عظيمة جامعة [5]وبعد أن قتل

[1] – عبد الله محمد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة–مصر،د ط،ص: 31.

[2] –يورد مبارك بن محمد الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث رأيين متناقضين حول ذات الموضوع،إذ يذكر في هذا الموضع أن العبيديين دخلوا تيهرت سلما بعد أن سلمها أهلها،وفي موضع آخر من ذات الكتاب في نفس الجزء الثاني في الصفحة 142،يورد قائلا:"...وجاءت جيوش العبيديين،فحاربو أهل تيهرت ثلاثة أيام ثم دخلوها في صفر(296هـ/909م)،وفعلوا بأهلها الأفاعيل"ينظر:مبارك بن محمد الميلي،**تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ،ج:02،تقد وتص:محمد الميلي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د ط،ص–ص: 87– 142.

[3] –**دوسرا**:هي ابنة أبي حاتم يوسف ابن محمد عم اليقظان ابن أبي اليقظان آخر الحكام الرستميين لتيهرت.ينظر:سليمان ابن عبد الله الباروني، **كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**،ج:02،دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،تونس،د ط،ص: 292.

[4] –مبارك بن محمد الميلي،**المرجع نفسه**،ص،ص:87، 88؛عبد الله محمد جمال الدين، **المرجع نفسه**،ص: 31.

[5] – سليمان ابن عبد الله الباروني،**المرجع نفسه**،ص: 293.

اليقظان ابن أبي اليقظان وجماعة أهل بيته بعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس،وخليفته على رقادة،وطوّفت بالقيروان ونصبت على باب مدينة رقادة،وانقضت دولة بني رستم بتيهرت[1] .

بعد هذه الانتصارات التي حققها الداعي أبو عبد الله أرسل إلى الإمام عبيد الله المهدي يُبَشِّرُهُ،ويستقدمه من سلجلماسة التي استوقفته الظروف بها قافلا من سُلَّمِيَة[2] ببلاد المشرق،لكن هذا الأخير كان سجينا وابنه لدى حاكم سجلماسه اليسع ابن مدرار،الذي كان قد سأل المهدي وابنه عن نسبهما وحالهما فأنكرا وأقرَّا بأنهما تاجرين،كذلك سأل بعض رجالهم فأنكروا أيضا فضربهم،"...وسمع أبو عبد الله ذلك فشق عليه،فأرسل إلى اليسع يتلطَّفُه،وأنه لم يقصد الحرب–لأنه كان يزحف على رأس جيشه إلى سجلماسة–وإنَّما له حاجة مهمة عنده،ووعده الجميل فرمى الكتاب،وقتل الرُّسُل،فعاود بالملاطفة خوفا على المهدي،ولم يذكره له فقتل الرسل أيضا،فأسرع أبو عبد الله في السير،ونزل عليه فخرج إليه اليسع وقاتله يومه ذاك،وافترقوا فَلَّمَا جنهم الليل،هرب اليسع وأصحابه وأهله وبنو عمه،...فدخل هو وأصحابه–أي أبو عبد الله الشيعي–البلد وأتوا المكان الذي فيه المهدي فاستخرجه واستخرج ولده،وكانت مسرَّة عظيمة كادت تذهب بعقولهم،فأركبهما،ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما،وأبو عبد الله يقول للناس:هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح،فلما ظهر المهدي أقام بسجلماسة أربعين يوما،وسار إلى إفريقية،وأحضر الأموال من إيكجان[3] فجعلها أحمالا وأخذها معه،ووصل إلى

---

[1]– ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج: 01،ص: 124.

[2]–**سُلَّمِية**:مدينه على بادية حمص من بلاد الشام،أو بلدة في ناحية البرية من أعمال حماه بالشام،تقع شمال شرق حمص على مسافة 55كلم،وقد اتخذها أئمة الإسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم إلى كافة الأقدار الإسلامية.ينظر:أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض** ،ص:170؛ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج:06،ص،ص: 452، 453؛أبو عبد الله محمد ابن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**،تح ودرا:التهامي نقرة وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة–مصر،د.ط، ص: 35.

[3]–**إيكجان**:هو جبل بين سطيف وقسنطينة بالناحية الشرقية للجزائر حاليا،وعُرف ذلك الجبل بفج الأخيار،كانت تسكنه قبائل من كتامة،إذ كان هذا الموقع محل اجتماع الحجاج من الأندلس والمغرب وقد امتازت هذه المنطقة بحصانة طبيعية.ينظر:محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،ص:49؛ابن الأثير، **المصدر نفسه** ،ج:06،ص:127؛القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،

رقاده في العشر الأخير من ربيع الأخر من سنة سبع وتسعين ومائتين،وزال ملك بني الأغلب،وملك بني مدرار،وزال ملك بني رستم من تيهرت،وملك المهدي جميع ذلك"[1].

بعد هذا التحول في تاريخ المذهب الشيعي ببلاد المغرب الإسلامي بظهور المهدي عبيد الله،تغيرت معه مقاليد الزعامة فأضحى المهدي هو الزعيم السياسي والروحي لأتباعه من أهل المغرب الإسلامي وتلقب بأمير المؤمنين[2]،وضُربت السكة باسمه كما أرسل عماله إلى جميع أنحاء البلاد بما في ذلك جزيرة صقلية،وبذلك ينتهي الدور التأسيسي الأول للدولة الفاطمية،على أن الدولة الفاطمية في ذلك الوقت،كانت ما تزال مضطربة ناشئة وفي حاجة ماسة إلى استقرار وتدعيم،وكان على الإمام عبيد الله المهدي نفسه أن يقوم بهذه الأعمال[3].

ومما سبق ذِكره تتبادر إلى أذهاننا،في إطار الحديث عن هذا الوافد الجديد إلى بلاد المغرب الإسلامي،جملة من الاستفهامات،لعلّها تَتَرَاتَبُ كالآتي:هل كان الحكم الشيعي لبلاد المغرب على درجة من الرشاد والصلاح،تُخَوِّلُه لأن يكون جديرا بإلغاء ما سبقه من دول ومذاهب،بشتى الطرق قوة وعُنْفًا أو سِلْمًا ولطفا،ثم استمرار ذلك بداية من سنة (297هـ/910م)إلى غاية الانتقال إلى بلاد المشرق سنة (361هـ/972م)،وما مدى تمثيله فعلا للحكم الرشيد المثالي والسلطة الفعلية لبلاد المغرب الإسلامي في أعين الرعية وقتها،ثم في أعين المؤرخين وكتاباتهم عبر العصور والحِقَبْ اللاحقة،وهل تميز كل إمام شيعي فاطمي بسياسته خلال حكمه لبلاد المغرب الإسلامي عن سابقه،أم أنهم كانوا جميعا نسخة تتكرر كل عهد،تشريعا وتنفيذا موجهة طبعا لحكم رعية مغربية مختلفة الأعراق،وفي خضم كل ذلك التغير السياسي للأحداث،ما دور الفئة المثقفة-إن صح التعبير- من أئمة وفقهاء،وهم من نخبة

=ص،ص:47،48؛Georges Marcais ,**la berberie musulmane et l'orient au moyen age** , paris, 1946, p :133

[1]- ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج: 06،ص،ص:460، 461.

[2]- أحمد مختار العبادي،**المرجع السابق**،ص: 230.

[3]- أحمد مختار العبادي،**المرجع نفسه**،ص:230.

المجتمع،في تسيير أمور الدولة بشكل أو بآخر،وكيف كانت مواقف هؤلاء خاصة في المجالين العلمي والسياسي في ظل الحكم الفاطمي الشيعي لبلاد المغرب الإسلامي ؟

تساؤلات وأخرى تُطرح،ربما تحمل المؤلفات التاريخية في طيَّاتها إجابات عنها وربما لا،فهل يا ترى يمكن لهذه المؤلفات أن ترشدنا أولا إلى تراجم أهم فقهاء المغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية؟ ثم دور هذه الفئة المهمة وتأثيرها على الحياة العلمية والمذهبية في الدولة الفاطمية عبر قنواتها ووسائلها المختلفة ؟

الفصل الأول:

أهم فقهاء المذاهب الإسلامية بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية(297هـ-361هـ/910-972م):

1/أهم الحواضر العلمية المشرقية التي قصدها طلبة العلم المغاربة من بداية القرن(2هـ/8م) إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ/910م):

2/أهم فقهاءالخوارج في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م):

أ_أهم فقهاء الإباضية

ب_أهم فقهاء الصفرية

3/أهم فقهاء أهل السنة في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

أ_أهم فقهاء الحنفية

ب_أهم فقهاء المالكية

ج_أهم فقهاء الشافعية

د_المذهب الحنبلي بالمغرب الإسلامي

4/أهم فقهاء الشيعة الإسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م).

5/أهم فقهاء المعتزلة في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م).

شَكَّلَتْ سَمَاحَةُ الإسلام قاعدةً مُهيَّأةً ومجالا مفتوحا لتنوع مذهبي،نتج عن اختلاف في الأفكار والمعتقدات بين المجتمعات المختلفة،كُلٌّ حسب ظروفه الاجتماعية،السياسية والثقافية و...،ليَتَبَلْوَرَ في الأخير مشكلا تنوعا مذهبيا مُؤَسَّسًا،تدعمه جهود حثيثة من دُعاة وفقهاء كل مذهب[1] بغية نشره وتعميمه،في مشارق الأرض ومغاربها،ويمكن القول أن بلاد المشرق الإسلامي على اختلاف عِرْقِيَّاتِ أفرادها وثقافاتهم،كانت مَنْشأً لأغلب المذاهب الفقهية والفرق الكلامية وحتى الطوائف السياسية،بما توفر فيها من عوامل لذلك،لكن هذه الأرض على فترات زمنية مختلفة صَدَّرَتْ هذا الاختلاف إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي،ولَعَلَّ أبرز وأكثر المناطق استقطابا لهذه المذاهب والفرق والطوائف المختلفة،كانت بلاد المغرب الإسلامي بمساحته الشاسعة،وذِهْنِيَّاتِ سكانه وطبيعتهم،إضافة إلى توفره على الظروف الملائمة لكل نشاط سياسي يهدف إلى الاستقلالية والبعد عن السلطة المركزية،أو لكل مذهب أو فرقة كلامية تبحث عن الانتشار والامتداد خارج محيطها الأصلي،خاصة في الفترة الممتدة من أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى حوالي منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،ما تزامن والوجود الفاطمي ببلاد المغرب في القرنيين الأخيرين من الفترة المذكورة،فَجَعَلَ الواقع المذهبي للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،عبارة عن فسيفساء جمعت

---

[1]–**المَذْهَبْ**:**لغة**:"هو المعتقد الذي يُذْهَبُ إليه،والمذهب مَفْعَلٌ من الذَهَابْ،وهو مكان الذهاب والْمُتَوَضَّأُ لأنه يُذْهَبُ إليه،وهو الأصل في قولهم:وما يُدْرَى له ما مَذْهَبٌ،وذهب فلان مَذْهَبًا حسنًا أي سلك طريقا حسنًا..."ويقال:"ذهب القوم مذاهب شتى،بمعنى:ساروا في طرق مختلفة،وذهب الشخص مذهبه،أي ذهب طريقه"وأهل المذهب هم من يَدِيْنُونَ به ويَعْتَقِدُونَهُ.كان هذا في لغة العرب أما عن معناه **اصطلاحاً**:فيعبِّرُ عنه عند الفقهاء بما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية استنتاجًا واستنباطًا،ويطلق المذهب على ما يرتبط بالفتوى،أي ما يذهب إليه الفقيه،فيقال مثلا:طريقة مالك أي مذهبه في الفقه،رغم أن المصطلح بهذا الشكل لم يكن متداولا عندهم.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مج: 03،ج:17،تح:عبد الله الكبير وآخرون،دار المعارف،الإسكندرية– مصر،ط: 01،د س ن،ص: 1522؛عبد الله معصر، **تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي**،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،ط:01 ، 2007م،ص:121؛عن تعريفه اصطلاحا ينظر:علي بن محمد بن علي الجرجاني، **كتاب التعريفات**،تح:إبراهيم الأبياري،دار البيان للتراث وشركة الفتح للطباعة،القاهرة– مصر: د د ن، د ط،ص،ص: 265، 266.

عدة طوائف مختلفة،شَكَّلَتْ الإطار المذهبي لهذه الدولة،وباعتبار أن الفقهاء هم أساس كل مذهب وفرقة دينية وجب التطرق لذكر أهَمِّ هؤلاء،على سبيل الذكر لا الحصر،عند أبرز المذاهب والفرق الكلامية التي كانت بالمغرب الإسلامي على عهد الدولة الفاطمية به،فما هي الأسماء التي برزت عن كل مذهب في تلك الفترة الزمنية،ثم ما الذي جعل المصادر التاريخية تخلِّدها وتشيد بها؟

ارتأينا قبل الحديث عن أهم فقهاء[1] المغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية في طورها المغاربي،أن نذكر أهم الحواضر العلمية المشرقية التي قصدها طلبة العلم المغاربة بداية من القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي،إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي سنة(297هـ/910م)،ثم نُبيِّن كيف أننا سنذكر أسماء الفقهاء حسب ما توافر لنا من معلومات،وفي حدود اطلاعنا،حسب ترتيب مذهبي حاولنا فيه مراعاة السبق الزمني،إذ ستكون أسماء الفقهاء في كل إقليم امتد إليه الزحف فاطمي مذكورة على النحو التالي:فقهاء الخوارج

---

[1]- **الفقه**:**لغة**العلم بالشيء والفهم له،وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه على سائر أنواع العلم، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة،وتخصيصا بعلم الفروع منها،والفقه في الأصل الفهم،يقال:"أوتي فلان =فقهاً في الدين،أي فهما فيه،وفَقِهَ فقهاً بمعنى عَلِمَ علماً. **اصطلاحا**:يعرفه ابن خلدون في مقدمته قائلا:"هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين،وهي مأخوذة من أصول الشريعة وأدلتها،استخرجها الأئمة،واختلفوا فيها أنواعا من الاختلاف على ما أدَّاه اجتهادهم،وكان وقوع هذا الخلاف بينهم ضروريا،لأن الأحكام كُلَّها راجعة إلى النصوص من الكتاب والسنة واقتضاءاتها،وهي مختلفة الطرق،والأخبار أيضا تتعارض،وذلك كثير في الأحاديث،وأيضا فيما يعقد النص عليه من الوقائع ويحمل على منصوص منها مشابهة ما،وهذه كُلُّها مُثَارات للخلاف ضرورية،فلذلك وقع الخلاف بين أئمة السلف والخلف ورجع الأمر في ذلك إلى الاجتهاد،وسُلِّمَ لمن وُثِقَ في نظره ودينه أن يُؤْخَذَ دين الله عنه،ووقف ذلك عند الأئمة الأربعة:أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام العراقين،ومالك بن أنس الأصبحي إمام أهل المدينة،ومحمد بن إدريس الشافعي إمام أهل مصر،وأحمد ابن حنبل إمام أهل الشام.ينظر:ابن منظور،لسان العرب،باب الفاء،ج:38،مادة فقه،ص: 3450؛عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**،تح وتع وتقد:عبد السلام الشدادي،خزانة ابن خلدون بيت العلوم والفنون والآداب،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،ج: 05،ط:01 الطبعة الخاصة في خمس مجلدات،2005م ،ص:201.

كونهم الأوائل في ولوج دعاتهم لأرض المغرب الإسلامي،وكان ذلك مع أوائل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي،ثم فقهاء المذهب السُّني[1]،الذي ينضوي تحته فقهاء الحنفية[2]،المالكية[3]

[1]-"...إنَّ بداية المذهب السني ببلاد المغرب الإسلامي كانت مع بعثة الفقهاء أو القراء التسع أو العشر التابعين،التي أرسلها الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز،بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي،حيث اختار منهم واليا عيَّنه على افريقية،وكلَّفهم بنشر الفقه على نطاق واسع،فكان لهذه البعثة الأثر الكبير في نشر المذهب السني،وتفقيه أهل المغرب أمر الدين..."ينظر:موسى هيصام، **المذهب السني في المغربين الأدنى والأوسط(من 296هإلى547هـ/909م-1153م)**،رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02،الجزائر:2010-2011م،ص،ص:22، 23.

[2]-**الحنفية**:هم أتباع الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفقيه الكوفي،صاحب مدرسة الرأي،الذي يميل للأخذ بالقياس،عرض عليه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي قضاء بغداد فأبى، تَعَرَّضَ للمحنة التي أثارها المعتزلة في مسألة خلق القرآن،فضُرِبَ وسُجِنَ بسبب رفضه الإقرار بها،وكان وُلِدَ سنة ثمانين للهجرة،وتوفي ببغداد سنة مائة وخمسين هجرية(ت 150هـ/795م)،انتشر مذهبه بالكوفة والشام والعراق وما وراء النهرين والروم وغيرها،وأتباعه كثيرون جدا.ينظر:الموفق بن أحمد المكي، **مناقب أبي حنيفة**،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،ج: 01،ط:1981م،ص:207؛محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ،المطبعة السلفية،القاهرة-مصر: 1349هـ،ص: 28؛موسى هيصام، **المرجع نفسه**،ص:20.

[3]-**المالكية**:أتباع الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي،إمام دار الهجرة،وأحد أئمة المذاهب الفقهية السنية الأربعة، لم يبرح المدينة مسقط رأسه،إذ بها نشأت نظرياته في الفقه والاستدلال وإليه انتهت طرائقها،أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافعا مولى بن عمر رضي الله عنهما،وروى عنه الأوزاعي ويحي بن سعيد،و أخذ العلم عن ربيعة الرأي،ضرب بالسياط حتى خلعت كتفه وذلك لمعارضته الإفتاء برأي الخليفة في مسألة ما،انتشر مذهبه بالحجاز والبصرة وما والاهما وبإفريقية والمغرب والأندلس ومصر وأتباعه كثيرون جدا،كان مولده سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل سنة ثلاث وتسعين للهجرة على اختلاف الروايات بين المؤرخين،وتوفي سنة مائة وتسع وسبعين للهجرة.ينظر:ابن خلكان،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،ج:04،ص-ص:135-138؛أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،ضبط وتصح:محمد سا لم

فالشافعية[1] والحنبلية[2]،ثم فقهاء الشيعة وبعض الفرق الكلامية،على رأسها فرقة المعتزلة.

1/ أهم الحواضر العلمية المشرقية التي قصدها طلبة العلم المغاربة بداية من القرن(2هـ/8م)إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ /910م):

سنستهل ترتيبنا لفقهاء المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي بذكر فقهاء الخوارج،وذلك نظرا لسبقهم الزمني في دخول دعاتهم إلى بلاد المغرب الإسلامي،كما سلف لنا الذكر،بداية بانتشار مذاهبهم بين سكانه،إذ أن أوائل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي كانت تحمل

=هاشم،ج:01،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان:ط: 01 ،1998م،ص: 49؛عبد الحليم الجندي، **مالك بن أنس إمام دار الهجرة** ،دار المعارف،مصر:ط: 1969م،ص،ص: 238،239؛ محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص:27؛موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:20.

[1]–**الشافعية**:أتباع الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافع،ويعرف بالشافعي،ومولد سنة خمسين ومائة(164هـ/767م)،وقد قيل أنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة،وكانت ولادته بمدينة غزة ،وقيل بعسقلان،وقيل باليمن والأَوَّلُ أصح،وحُمِل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين،فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم،وارتحل إلى الإمام مالك بن انس وعاد ليخرج إلى بغداد ومصر،إذ بقي بمصر إلى أن توفي بها يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين(204هـ/819م) ينظر:ابن خلكان،**المصدر نفسه**،ج:04،ص:165؛شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ،ج:10،ص–ص:05 – 99.

[2]–**الحنبلية**:أتباع مذهب الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة،وقيل:إنه ولد بمرو وحُمِل إلى بغداد وهو رضيع،كان إمام المحدثين،صنف كتابه" المسند"وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره،وقيل:إنه كان يحفظ ألف ألف حديث،وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه،ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر،وقال في حقه، خرجت من بغداد وما خَلَّفْتُ بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل،ودُعِيَّ إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم فلم يُجِبْ،فضُرِب وحُبِسَ وهو مُصِرٌ على الامتناع،إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن،أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم:محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري،توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد.ينظر:ابن خلكان ،**المصدر نفسه** ،ج:01،ص،ص: 63،65؛محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص،ص:27، 28.

أفكارهم ومعتقداتهم الهاربة من بطش الأمويين بمركز الخلافة إلى أرضه،حيث أسَّسَ دعاتهم لاستقرارها،في حين أن المذهب السُّني لم تتبيَّن سِماته ببلاد المغرب الإسلامي- وإنْ وُجدت- إلاَّ مع بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي،على يد بعثة القرَّاء التسع أو العشر التابعين[1]،الذين بَعَثَ بهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز،لتعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم فيه،إذ كان لهذه البعثة بالفعل الأثر الكبير في نشر المذهب السُّني وتفقيه أهل المغرب الإسلامي فيه.

وبذلك أُدْخِلَت البلاد طور الانفتاح على المذاهب،فبدأت معالم الحركة العلمية الإسلامية تبرز شيئا فشيئا،متأثرة بعدة عوامل أدت إلى ازدهارها وكذا تراجعها أحيانا،فقد كانت عودة بعض التابعين وتابعي التابعين إلى المشرق،ووفاة البعض الآخر منهم،إضافة إلى ندرة نزوح العلماء المشارقة إلى المغرب الإسلامي،كل هذه الأسباب مجتمعة مع الرَّغْبَة المِلحَّة لبعض أهل المغرب الإسلامي،من طلبة العلم في الاستزادة من فقه دينهم والغوص في مكنوناته من موردها الأصلي،وهو جيل التابعين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخذوا عنهم،فيَمَّمُوا شطر المشرق الإسلامي الذي كان في هذه الفترة يعرف حركية علمية وفكرية واسعة وغزيرة،إذ

[1]- "...منهم:موهب بن حد المعافري وأقام بإفريقية حتى مات بها،وحيان بن أبي جبلة،وإسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي مولاهم وكان رجلا صالحا استعمله عمر بن عبد العزيز على إفريقية ليفقههم أيضا،وإسماعيل بن عبيد مولى الأنصار...وهو الذي يقال له تاجر الله،وممن بعث عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية طلق بن جابان يفقههم،وبكر بن سوادة،وعبد الرحمان بن رافع التنوخي،وقد كان وُلِيَّ قضاء إفريقية،وأبو عبد الرحمان الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد مات بإفريقية وله بها مسجد،وسعيد بن مسعود التجيبي،وحسب رواية جبلة بن حمود:أن الخمر كانت عند أهل إفريقية حلالاً حتى بعث عمر بن عبد العزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا أنها حُرِّمت..."ينظر:أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، **كتاب طبقات علماء إفريقية**،ج:01،تد وتح:محمد بن شنب،دار الكتاب اللبناني،بيروت-لبنان:د ط،ص،ص: 30،31؛ موسى هيصام ،**المرجع السابق**،ص،ص: 22، 23.

كانت تتجاذبه أطراف وتيارات مذهبية مختلفة الَمنْزَعْ والَمشْرَبْ،يمكن القول أن المشرق وقتها عرف نهضة علمية كبرى تُوِّجَتْ بنشوء المذاهب الفقهية والفرق الكلامية وقتذاك[1].

هذه النهضة العلمية تفاوتت بين أقطار المشرق الإسلامي،إذ تميز كل قُطْرٍ منها بِسِمَات علمية مختلفة نوعا ما عن غيره،فاشتهر الحجاز(مكة والمدينة المنورة) بنهضة شرعية تهتم بالعلوم النقلية(الحديث والتفسير والفقه والقراءات) [2]،وهو ما أدى إلى نشوء مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي(ت 179هـ)،والذي يعتمد الأثر أساساً في بناء أحكامه،وقد عُرف بالمذهب المالكي نسبة إليه،كما عُرِفَ بمذهب أهل المدينة لأن مالكاً وُلد وعاش ومات بها،ولَعَلَّ ذلك ما حَمَلَ أغلبية طلبة العلم المغاربة للتِرحال شطر المدينة المنورة[3]للقاء علمائها والتزوُّدِ منهم بالفقه وفق المذهب السُّني.

اهتم أهل العراق اهتماماً شديداً بالعلوم العقلية،مع عدم إهمالهم للعلوم النقلية،وذلك رغم ما حَوَتْهُ المنطقة من طوائف وأجناس ونِحَلْ مختلفة،وما عرفته من قلاقل وفتن وأحداث سياسية هامة،إذ نشأ فيه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان(ت 150هـ)،والذي يعتمد القياس أصلا في

[1]-يوسف بن احمد حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية(المغرب الأدنى)منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**،ج:01،رسالة دكتوراه،جامعة أم القرى،مكة المكرمة،ص: 115.

[2]-للمزيد حول مدرسة الحجاز ينظر:أحمد أمين، **فجر الإسلام** ،ص-ص:170-250؛محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ج:02،ص:249-250؛يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01،ص:116.

[3]-للمزيد حول فضل الرحلة في طلب العلم وخاصة ما كان منها إلى المدينة المنورة للتفقه في الدين وفق السنة النبوية وما ورد من أحاديث. ينظر:شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**،درا وتح وتع:علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة،ج: 01،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان: ط:01، 1995م،ص،ص: 14، 19.

بناء أحكامه فيما لم يَرِدْ فيه نَصٌّ من الكتاب والسُّنة[1]،كما نشأ فيه مذهبان آخران هما مذهب سفيان الثوري[2]في الكوفة،والحسن البصري[3] في البصرة،ثم توالى ظهور بقية المذاهب الفقهية الأخرى بعد ذلك[4]،وتميز العراق أيضا بنشوء الفرق الكلامية فيه[5]،وعدا هذا وذاك فقد تميز بظهور مدرستين لغويتين هما مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة اللتان ما فتئتا تتنازعان زعامة اللغة والنحو مدة مديدة من الزمن[6].

عرفت مصر هي الأخرى ارتحال طلبة العلم المغاربة إليها،وذلك لما تميَّزت به وقتذاك من انتشار للعلوم الشرعية على يد عدد من الصحابة والتابعين وتلاميذهم،فظهر بها مذهب فقهي

---

[1]-عن مدارس العراق العلمية وأحداثه ثم تأثيرها في الحركة العلمية،وكذا انتشار المذهب الحنفي به.ينظر:أحمد أمين، **فجر الإسلام** ،ص-ص:94-245؛يوسف بن أحمد حوالة ،**المرجع السابق** ،ج:01،ص،ص: 116، 117.

[2]-**سفيان الثوري**:(97هـ-161هـ/716- 778م)،هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري،أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد،ولد ونشأ بالكوفة سنة سبع وتسعين اتفاقاً،راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم،فأبى وخرج من الكوفة سنة(144هـ)،فسكن مكة والمدينة،ثم طلبه المهدي، فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها متخفيا سنة ست وعشرين ومائة،له من الكتب:"الجامع الكبير"و"الجامع الصغير "وكلاهما في الحديث،وكتاب في"الفرائض".ينظر:شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ،ج07،ص: 229،230؛خير الدين الزركلي،**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،ج:03،دار العلم للملايين،بيروت-لبنان:ط:15 ،2002م،ص،ص: 104، 105.

[3]-**الحسن البصري**(21-110هـ/642م-728م)،هو حسن بن يسار البصري،أبو سعيد تابعي،كان إمام أهل البصرة،وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء،ولد بالمدينة،وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب،وكان كاتبا لوالي خراسان ابن زياد في زمن معاوية،سكن البصرة،وله مع الحجاج بن يوسف مواقف وقد سَلِمَ من أذاه،توفي بالبصرة سنة مائة وعشرة للهجرة.ينظر:خير الدين الزركلي،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:226.

[4]-للمزيد حول باقي المذاهب التي ظهرت وقتذاك رغم اندثارها فيما بعد ولم يبقى منها ألا المذاهب الأربعة المشهورة.ينظر: محمد أبو زهرة،**المرجع السابق**،ج:02،ص،ص:250، 251.

[5]- أحمد أمين،**المرجع نفسه**،ص،ص: 256، 303.

[6]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01، ص: 117.

كان صاحبه الليث بن سعد[1]،كما جاءها الإمام الشافعي مُحْدِثًا بها نهضة علمية جديدة،وبذلك احتلت المرتبة الثالثة،في ترتيب مراكز العلم التي شُدَّتْ إليها رِحاَلُ طلبة العلم من المغرب الإسلامي.

تَذَيَّلَتْ الشام هذا الترتيب بعد ما كانت في مقدمته،أيام كانت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية،لكن هذا لا يعني عقمها العلمي بعدها،أو توقفها عن احتضان وفود العلم من المغاربة،إذ أن ظهور مذهب الإمام الأوزاعي[2] بها كان كافيا ليجعل منها قِبلة لمن طلب العلم[3]،رغم اختلاف مشاربه.

[1]-**الليث بن سعد**: بن عبد الرحمان الفهمي(93هـ- 175هـ)،ولد بقلقشند،وأكثر البخاري ومسلم من الرواية عنه،ووثقه الشافعي وأحمد وابن حنبل وغيرهما،وضع أسس مذهب فقهي ما لبث أن اضمحل شأنه بعد موت صاحبه.ينظر:يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع نفسه**،ج:01، ص:118.

[2]-الإمام عبد الرحمان بن عمرو الأوزاعي(88هـ-157هـ/707م-774م)،شيخ الإسلام وعالم أهل الشام،كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق،ثم تحوَّل إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات،وقيل كان مولده ببعلبك،في حياة الصحابة.ينظر:شمس الدين الذهبي،**سير أعلام النبلاء**،ج:07،ص-ص:107-134.

[3]- كان مذهب الأوزاعي غالبا على الأندلس قبل أن يسيطر عليها المذهب المالكي أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي،لكن قلة رجال هذا المذهب من علماء ومجتهدين أدى إلى ضعفه،ذلك أنه لم يستطيع تكوين مدرسة تصونه وتضمن استمراره،لذا آتت جهود علماء المالكية الرامية إلى تحجيم هذا المذهب بالأندلس أكلها،فقد تضاءل نفوذ الأوزاعية بشكل كبير ،إلى درجة أنه لا يعرف مصدر تناول طبقات الأوزاعية في الأندلس،مما يدل على انكماشها السريع أمام التيار المالكي،وهذا ما يؤكده بعض الباحثين في مؤلفاتهم،وحسب ما يذكره آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي،ويؤكده المقري في كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب.للمزيد حول ذلك ينظر:آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**،تر:حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة-مصر: 1955م،ص، ص:418،417؛أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**،ج:03،تح:إحسان عباس،دار صادر،بيروت-لبنان: 1988م،ص:230؛إسماعيل سامعي،**دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي**،دار الهدى،الجزائر: 2006م،ص:23؛خالد عبد الكريم حمود،

يمَّمَ طلبة العلم المغاربة صَوْبَ المدينة المنورة بكثرة،واختاروها من بين كل المدارس الفقهية والمراكز العلمية المذكورة وذلك لأسباب عدة لَعلَّنا نذكرها كالآتي مُقَسِّمِينَ إيَّاها إلى قسمين:

-**القسم الأول**: ما عُنِي منها بالجانب الروحي،وتمثل في قُدُسِيَّة المدينة المنورة وما تَحْتَلُّه من مكانة عظيمة في نفوس أهل المغرب الإسلامي،كَوْنُها حَوَتْ قبر وعِلْم وصحابة النبِّي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم،ومن بَقِيَّ بعدهم من التابعين،وقُربها الشديد من مكة المكرمة قِبْلَةُ ومَحِجُّ المسلمين من كل بقاع الأرض.

-**أما القسم الثاني**:فما عُنِي بالجانب العلمي،ذلك أنَّهم رَجَّحُوا المدينة المنورة كَوْنُهَا مركزا ومَنْبَعًا للعلوم الشرعية،لما ذكرنا لها من قُدُسِيَّة وأيضا لما تميَّزت به من علوم عن باقي الأقطار الإسلامية وقتذاك،ذلك أنَّهُم فَضَّلُوهَا على العراق مثلا،لأنَّهُ كان يعرف إذ ذاك عددا من التيارات الفكرية المتصارعة،ورغم احترامهم لِعِلْمِ الإمام أبي حنيفة ومذهبه وأتباعه،إلا أنَّ مَيْلَهُم للمذهب المالكي كان أقوى،ما أغناهم عن التَوَقُّف أيضا عند حدود المناظرات والجدل الذي كانت تثير نُقَاعَهُ بعض الفرق الكلامية،خاصة الخارجية التي كانت بالعراق،والتي لم تستهوي مِنْ أهل المغرب إلاَّ مَنْ تَمَذْهَبَ مِنَ البربر بالدعوة الخارجية[1]،فمثلا ارتحل فقهاء الإباضية والجريد إلى البصرة حيث شيوخ فِرقهم،مصر والشام أيضا لم تتفاضلا أمام المدينة المنورة كوجهة لأكثر طلبة العلم

=**الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية**،مكتبة الملك فهد،الرياض- المملكة السعودية:ط: 01، 2002م، ص،ص: 272، 273؛ نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص:31.

[1]- العراق أو البصرة كانت أيضا مقصدا لطلبة العلم من المغرب وتذكر بعض المصادر التاريخية التي أمكن لنا الإطلاع عليها عيِّنَةُ عن هؤلاء مثلا بكر بن حماد التاهرتي.للمزيد حول ذلك ينظر:ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**، ج:01،ص،ص:153،154؛أبو زيد الأنصاري الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،تح:محمد الأحمدي أبو النور وآخرون،مطبعة السنة المحمدية مكتبة الخانجي،مصر: ط:02، 1968م،ص،ص: 281، 282.

المغاربة،رغم قُرب مصر الجغرافي منهم،واحتوائها على عدد هام من العلماء البارزين وتلامذة الإمام مالك بن أنس[1].

كانت هذه دواعي رحلات طلبة العلم المغاربة إلى بلاد المشرق الإسلامي،ولمحة عن أهم مراكزه العلمية وأكثرها استقطابا لهم،أما من بَقي منهم بأرض المغرب الإسلامي فدخل دائرة الجَدَلْ الديني مع أصحاب المذاهب الأخرى من فقهاء الخوارج وكذا أصحاب الفرق الكلامية مثل المعتزلة وغيرهم .

أما المذهب الشيعي فَلَمْ تُأَسَّسْ قواعده إلا بعد انتشار مذاهب الخوارج والمذاهب السُّنِيَّة ببلاد المغرب الإسلامي [2]،والتي انتشرت به بعد عودة طلبة العلم من رحلاتهم المشرقية خاصة،فكان بذلك عامل الرحلة لطلب العلم السبب الرئيس في دخول هذه المذاهب إلى المغرب الإسلامي،إذ عاد هؤلاء الطلبة بما اكتسبوه من علم،فاستقر معظمهم بالمغربين الأدنى والأوسط في حوالي القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[3]،محدثين بعودتهم حركية علمية جديدة بالمغرب الإسلامي.

هذه الحركية العلمية كانت سبباً هاما في بروز العديد من فقهاء المذاهب المختلفة،زمن حكم الدولة الفاطمية للمغرب الإسلامي،واحتدام النزاع المذهبي بينهم،والذي أخذ في كثير من الأحيان أبعادا أخرى غير سلمية،حَذَتْ به منحا معاكس أدى إلى الثورات والانتفاضات،فما إن ترجح كفة أحد هذه المذاهب حتى يَنْكُبَ الرعية من باقي المذاهب المخالفة،وعلى رأسهم

---

[1]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص،ص: 119،121.

[2]-"كانت المسيرة العلمية للدولة الفاطمية لا تقل عن مسيرتها في عهد الدويلات المستقلة قبلها،غير أن طبيعة الحياة العلمية في عهدهم اتخذت منحى تمثل في اتجاهين:أولهما اتجاه يخدم الفكر والمعتقد الشيعي،سواء كان ذلك عن طريق الدراسات الشرعية،أو عن طريق الدراسات الأدبية،وثاني الاتجاهين هو الاتجاه السني المالكي،الذي هدف إلى مقاومة المد الفكري الشيعي".ينظر:يوسف بن احمد حواله، **المرجع نفسه**،ص:110.

[3]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:24.

دائما كان الفقهاء،ذلك أنهم يمثلون السلطة الروحية لكل مذهب،وبالمغرب الإسلامي تجلى هذا الصراع المذهبي خاصة في نزاع ثلاثة أطراف أو مذاهب-إن صح التعبير-تمثلت في المذهب الخارجي الإباضي والمذهب السُّني المالكي،والمذهب الشيعي الفاطمي،أما بقية المذاهب وإن ذُكرت فإن تواجدها يكاد يكون مجهري،لا يبرز إلا في إطار سند ودعم أحد هذه المذاهب ضد الآخر،أو في إطار الاختلاف المذهبي العلمي الذي مثّلته المناظرات الفقهية في المجالس المختلفة أو في بعض المؤلفات التي لم يبق منها أثر إلاَّ الذكر،لذا فإن تركيزنا في ذكر أسماء أشهر فقهاء المغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية به سَيَنْصَبُّ على فقهاء هذه المذاهب الثلاث،وإن سعينا إلى البحث عن أسماء فقهاء باقي المذاهب والفرق بالمغرب الإسلامي في إطار الفترة قيد الدراسة،واستنباط مواقفهم تجاه الدولة الفاطمية من خلال ما ورد في المصادر التاريخية من قرائن،مستندين على الترجيح والقياس فيما لم تصرِّح به المؤلفات أو ما لم توجد نصوص تاريخية وخاصة تدعمه.

2/ أهم فقهاء الخوارج في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297- 361هـ/910- 972م):

أ_أهم فقهاء الإباضية:

الفقه عند الإباضية وإن كان أساسا من أسس المدرسة فهو أيضا قسم من أقسام الحضارة الإسلامية"[1] ،لذا فإن الإباضية اعتنوا عناية خاصة بعلوم الدين والتي اجتمعت عندهم في كلمة فقه،فحرصوا على إحصاء أسماء فقهائهم وسيرهم،تخليدا لهم وإجلالا وتبركا،ما جعل من كتب الطبقات والسير مَنْهَلا لنا في إحصاء أشهرهم،مما نجا من مصادرهم من عوامل التَلَف البشرية والطبيعية ووصل إلى أيدينا،فبعد الضربات المريرة التي تلقاها الإباضية مع نهاية القرن الثالث

[1] -فرحات بن علي الجعبري،**دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية**، مؤتمر الفقه الإسلامي،جامعة السلطان قابوس،09_ 13 أفريل 1988م،ص:06.

الهجري[1] ،وحتى خلال القرن الرابع[2] لم يتوقفوا عن التأليف وإنْ شُغِلوا عنه بتلك الأحداث،ومن أشهر الأسماء[3] التي ذكرت في كتب السير والطبقات الإباضية[4] ممن عايشوا زمن الدولة الفاطمية من بداية تواجدها بالمغرب الإسلامي،وحتى انتقالها إلى بلاد المشرق الإسلامي نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر مايلي:

_**الشيخ يعقوب بن سهلون:** "أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي،المعروف بالطرفي،العا لم الفقيه،الفَطِنْ النَّبيه،ذو الجهادين الأكبر والأصغر،والاجتهادين المصلى والدفتر كان يلقب شيخ الرأي الناصح،وكانت قراءته على الأئمة بتيهرت قبل انطفاء تلك المصابيح..."[5]،وُلِيَّ القضاء والفتوى بوارجلان،ما يدل على سعة علمه وفقهه في مذهبه.

---

[1] – موقعة مانو سنة(283هـ/ 896م)،وسقوط الدولة الرستمية سنة (296هـ/909م).

[2] –عندما حاولوا استرجاع إمامة الظهور بثورة أبي القاسم الحامي(ت 358هـ/968م)،وثورة أبي خزر(ت 380هـ/990م)،وذلك قبل أن يتحولوا إلى مسلك الكتمان في القرن الخامس الهجري مع الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر(ت 440هـ/ 1049م).ينظر:فرحات بن علي الجعبيري ،**المرجع نفسه** ،ص،ص:32، 33.

[3] –على أن نتفق مسبقا بأن لفظ شيخ الذي سيرد قبل اسم كل فقيه إباضي،هو المرادف لكلمة فقيه.

[4] –حاولنا فيما يأتي القيام بعملية إحصاء للمشايخ الذين ترجم لهم الدرجيني في طبقاته،والطبقات التي تُعنى بالفترة التي ندرسها هي الطبقه السادسة(250هـ-300هـ)،الطبقة السابعة(300-350هـ)والطبقة الثامنة(350- 400هـ)،إضافة إلى ما ذكرته كتب السير،وقد كان اعتمادنا على الدرجيني أولا لاعتماده نظام الطبقات،مما يسهل تحديد الفترة التي تواجد فيها هؤلاء الفقهاء.

[5] –يُصَنَّفُ ضمن الطبقة السادسة(250هـ-300هـ)في طبقات الدرجيني،ومنه يُعْلَم أنه عاش في الإطار الزمني المذكور.ينظر:أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، **طبقات المشائخ بالمغرب** ،ج:02، تح:إبراهيم طلاي،مطبعة البعث،قسنطينة – الجزائر: د س ط،ص،ص:331، 332

_الشيخ أبو مسور يسجا بن يوجين اليراسيني[1]:فقيه إباضي وهبي رحل إلى جزيرة جربة[2]،التي كان أهلها نكاريون،وكان فيهم خلف بن السمح،فبعد أن كانت تيهرت عاصمة الدولة الرستمية هي مركز التعليم،إذ تستقطب وفودا هائلة من المشائخ والطلبة،إلى جانب جبل نفوسة،تحولت عدة مناطق منها جربة ووارجلان وقسطيلية،إلى قبلة لكل طالب علم وحياة فرَّ إليها،وبحكم بعد هذه المناطق عن الدولة الفاطمية تمكنت من أن لا تكون في متناول سلطتها،لذا نجد أنه في الفترة الممتدة من(300-400هـ/911م-1011م) أغلب المشائخ والعلماء استقروا بجربة[3]حيث لعبت دورا كبيرا في بداية حركة علمية إباضية جديدة،وليدة النكبة الشيعية الفاطمية،والعزلة السياسية بعد سقوط الدولة الرستمية الراعية للمذهب الإباضي في المنطقة،وتذكر المصادر أن هذا الشيخ كان كريما،إذ يصنع الطعام للناس،ويدعوهم إلى الوهابية،حتى لم يبق أحد على مذهب النكار،ولربما هذا ليس بكرم بل سياسة جذب للآخر،اتبعها لكسب قلوب النكاريين،وبنى مسجدا يُعرف"ببني يراسن"،لكنه مات قبل أن يتمَّه فأتمه ابنه بعده[4]،وتذكر المصادر التاريخية أنه كان يحضر مجالس بجربة يحضرها كل من الوهابية

---

[1]-"...هو الطالب أرفع مطلب ...الناهج أوضح طريق ومذهب...والهادي إلى طريق الرشاد،بيته في المذهب أكبر البيوتات..."،كان وهبيا عاش بين النكار بجربة زمن الخلف بن السمح،للمزيد عن سيرته ينظر:أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص: 336، 338.

[2]-أول مشايخ الطبقة السابعة(300- 350هـ)،تعلم بجبل نفوسة،في بداية حياته كان فقيرا لكن أهل الجبل تكفلوا بحاله،ولما أراد العودة إلى أهله اشتغل بنسخ الكتب،وعاد إلى جربة،وهناك صار عميد القوم وفقيههم.ينظر:أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم** ،تح:إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون-الجزائر: 1984م،ص،ص: 251،261؛الدرجيني،**المصدر نفسه**، ج:01، ص-ص: 157-159.و ج:02،ص-ص: 336-338.

[3]-يصنفه الدرجيني ضمن الطبقة السابعة(300-350هـ)ينظر:الدرجيني،**المصدر نفسه** ،ج:02،ص: 338؛سامية مقري، **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة(296هـ-409هـ/909م-1018م)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ، جامعة منتوري،قسنطينة- الجزائر: السنة الجامعية: 2005- 2006م،ص:51.

[4]- سامية مقري، **المرجع نفسه**،ص:53.

والنكارية،تتلمذ على يده عدد من التلاميذ،وهو الذي كان يتكفل بإطعامهم،مما سبق يتضح لنا ما كان لهذا الشيخ من دور في دعم الحركية العلمية للاباضية،إضافة إلى سعيه الدؤوب لنبذ الشقاق والفرقة في المذهب الواحد والدعوة لوحدته.

_**الشيخ سحنون بن أيوب**[1]**وأبو الخطاب وسيل**[2]:هذا الأخير قام ببناء مسجد في منطقة تدعى تمزرت بجزيرة جربة[3].

_**أبو صالح جنون بن يمريان**: "ذو الورع والسخاء ...إن لم يكن مُقَدَّمًا في العلوم فمُقَدَّمٌ في المعارف،وإن لم يكاشف أجسام الدواوين فهو لأرواحهم مكاشف"[4]،انطلاقا من قول الدرجيني،يظهر أن شخصية أبي صالح جنون بن يمريان كانت المسؤولة في المقام الأول عن ازدهار الحركة العلمية،وذلك لما له من نفوذ واسع[5]،وقد كرَّس حياته لخدمة العلم والعلماء،وكان ابنه يقرأ عليه الكتب يتدارسها[6]،ولأبي صالح مسجد يجتمع فيه أبو نوح[1] مع أهل وارجلان

---

[1]- من الطبقة السابعة(300- 350هـ) يقول في سيرته الدرجيني:"فقيه أوانه وعمدة مكانه،علقت عنه المسائل،وفتاوى في كثير من النوازل،ورويت عنه في العلوم روايات،وكان يعد في أهل الدرايات،وله آثار محفوظة غير منسية،بل منتشرة في الجهات الطرابلسية...فإنه في الأئمة الثقات المثبتة أسماؤهم في صدور الطبقات"ينظر:الدرجيني،**المصدر السابق**،ج:02،ص:339.

[2]-**أبو الخطاب بن سنتين الزواغي**:"معدود في هذه الطبقة،مذكور فيما أفنى بدنه في العبادة...مرسوم في ديوان علماء وقته..."من فقهاء الطبقة السابعة(300- 350هـ).للمزيد حول سيرته ينظر: الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص:339، 340.

[3]- سامية مقري،**المرجع السابق**،ص :53.

[4]- الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج :02،ص-ص:341- 345.

[5]-وكتحليل لترجمة الدرجيني لهذه الشخصية يظهر لنا أنه لربما لم يكن من المقدمين في العلم عند الإباضية،بمعنى أنه لم ينل حظا وافرا من العلم يخوّله لريادة الفقه والفتوى فيهم،لكنه بما بذله من مال وجهد في سبيل دعم طلبة العلم،والمساهمة في نشره ببناء مراكز علمية دينية مثل المسجد الذي عرف باسمه،جعلته يصنَّفُ ضمن كبار شيوخ الإباضية.

[6]- إبراهيم بحاز،**المرجع السابق**،ص:320.

يسألونه فيجيبهم،وذلك قبل عودته إلى إفريقية كما تذكر المصادر [2]،لكن بعد وفاة أبي صالح تغيرت الأوضاع بها،إذ رجع إليها أبو نوح ووجدها قد تغيرت.

_**سليمان بن زرقون**[3] **وبن ماطوس**:"...وإن تباعدت بقاعهما فقد جمعهما أصل واحد وعصر واحد،ولكل منهما تأليف في علوم الدين،وأبو صالح اليراسيني من تلاميذ أبي الربيع سليمان بن ماطوس"[4]،وفي ترجمة سليمان بن زرقون يذكر أنه كان رفيق أبي يزيد مخلد بن كيداد في الدراسة بسجلماسة،عندما ذهبا للتعلم عند ابن الجمع [5]،لكنه بقي على مذهب الوهابية ولم يتَّبع ابن كيداد،وعاد إلى قسطيلية لما مات ابن الجمعي،فمكث بها وطفق الناس يسألونه عن فنون العلم وهو يجيب،حتى أنه حسب ما تذكر كتب السير،كان هناك شيخ مُؤَدِّبٌ[6] قبل ذلك لأبي الربيع

---

[1] – هو أبو نوح سعيد بن زنغيل وسنورد ترجمته فيما سيأتي.

[2] –عمرو خليفة النامي،**ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري(محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي)**،مجلة الأصالة،العدد:45،فيفري1977م،مج:01،ص- ص:97- 119.

[3] –**أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي**: من العلماء المعدودين في الجبل بالصلاح والتقوى من قرية تادبوت،من نفوسة،مكان مولده ومسكنه،وأخذ العلم في سجلماسة مع أبو يزيد عند ابن الجمعي،وله ديوان في الفقه،وكتب أخرى.ينظر:الشماخي، **المصدر السابق** ،ص،ص:279،281؛مقرين بن محمد البغطوري،**سيرة مشائخ نفوسة** ،تح: توفيق عياد الشقروني،مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن: ط:2009م،ص- ص:33- 68؛ الدرجيني،**المصدر السابق**،ج:01،ص-ص: 109- 113.

[4] – الدرجيني، **المصدر نفسه**، ج :02،ص-ص: 349-351.

[5] – كل ما ذكرته السير عنه أنه قدم من المشرق وكان مطلعا على علوم عدة،لما مات أوصى بكتبه لأبي الربيع.ينظر: أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**،ص:182.

[6] –مصطلح مؤدب من المصطلحات التي ظهرت في هذه الفترة بالذات في كتب السير والطبقات، يقول محمد قمبر:"كل من كلمات:التربية ،التعليم،التأديب،فإنها كثيرا ما استعملت بمعنى عام...ولذلك نجد مؤرخي التراجم يستخدمون هذه الكلمات،ويمزجون بينها فتارة يذكرون العالم بأنه مؤدب ومعلم..."ويقول بأن المؤدِّب ظهر في الحضارات القديمة كالبلاد الإغريقية والفارسية،وعند المسلمين ظهر منذ العهد الأموي،إذ اتخذ الخلفاء المؤدبين لتهذيب وتخريج أبنائهم،فالتأديب كصنعة لها أصول وقواعد يجيدها نفر من

في صغره،قبل أن يتعلم، لم يتماسك أن يقول:كُلَّما رآه:"أنا عَلَّمْتُه"ويكرر ذلك أينما جاز[1]،وكان كثير التنقل بين المناطق الإباضية للتعلم ومحاربة النكار،ومما يذكر عنه أنه سافر إلى إفريقية فوجدها رجعت إلى مذهب النكار،وبقي بها حتى رَدَّهُمْ إلى الوهابية،واتبع أثر النكار وطاردهم أينما كانوا ،وتذكر المصادر المناظرات التي عقدها،وكانت الغلبة له[2].

_**الشيخ أبو سهل الفارسي**: شاعر ومؤرخ ،"غلبت عليه هذه العزوة الفارسية وليس بفارسي،وإنما هو نفوسي،ولاشك أن أُمَّهُ رستمية من بيت الإمامة،فغلب نسبها عليه واشتهر به،وقيل هو رستمي أباً وأماً،وأن أباه ولد لميمون بن عبد الوهاب،تَمَسَّكَ من العلوم بسبب...حتى دُوِّنَتْ الدواوين من كلامه،وانتشر في الآفاق حسن نظامه،وكان أبو سهل فصيحا بلغة البربر،ولقد كان ترجمان جده الإمام أفلح [3]،وقيل بل ترجمان خاله يوسف

=المتخصصين،الذين يُعِدُّون أنفسهم لها،ويتملكون ملكات،وقدرات وصفات ترشحهم لممارستها،وقد عبَّر عنها الأقدمون"بالصنعة"،ويسمى الطلبة بالطلبة النظاميين"ينظر:محمد قنبر، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**،مج:03،دار الثقافة،الدوحة-قطر:ط: 01، 1992م،ص-ص:225-246؛سامية مقري، **المرجع السابق**،ص:56.

[1] - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر،**المصدر السابق**،ص:194.

[2] - الدرجيني، **المصدر السابق**،ج:01،ص:110.

[3] -"...وقد جعل منه البعض ابنا لميمون،وهو بن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم،وتروي لنا الأخبار التاريخية الإباضية أنه كان ترجمان الإمام أفلح بن عبد الوهاب(أو الإمام يوسف)،فيما يخص اللغة البربرية التي كان يعرفها جيدا،مما يعني أنه عاش-إن كانت هذه المعطيات صحيحة-حوالي النصف الأول من القرن الثالث الهجري،أما تصنيفه من قبل الدرجيني في الطبقة السابعة(النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)،فهو نتيجة سوء فهم فقط،وسكن(بعد سقوط تاهرت)في مرسى الخزر أو في مرسى الدجاج على الشاطئ بالجزائر،ويدعي البعض أنه كتب اثني عشر كتاب شعر باللغة البربرية في مجال التاريخ والتجمعات الإباضية في إفريقية الشمالية،وللأسف تمت سرقة قسم من هذه الأشعار من قبل النكار،والأرجح أن ذلك كان في زمن تمرد أبي يزيد مخلد بن كيداد(صاحب الحمار)،أما القسم الباقي فقد احترق في حريق قلعة بني درجين في إقليم قسطيلية في سنة (440هـ/1048م).ينظر:تادايوش ليفيتسكي،**المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**،تر:ماهر جرار وريما جرار،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن،ط : 2007م،ص،ص:69، 70.

الإمام،قال فَقَيَّدَ له اثنى عشر كتابا في المواعظ،وفيها جمل تواريخ أهل الدعوة،ولما أخذت قلعة بني درجين وأُحْرِقت،أُحرق ما وُجِدَ من هذا الكتاب"[1].

_**الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل:** من العلماء الذين بقوا بإفريقية،وقسطيلية وأبي الرحيل مع المعز،فقد كانت له مكانة خاصة عنده حتى أنه يذكر عن المعز [2] أنه كان يجمع علماء الفرق ليتناظروا حوله في العلوم فيتكلمون بين يديه،ويحكم بينهم،فاشتهر أبو نوح في بلاطه ببراعته وفصاحته وفنون رده على المخالفين،ولما رحل المعز رفض الرحيل معه،وادعى المرض فتوجه إلى وارجلان،ونزل عند أبي صالح جنون بن يمريان،ومكث مدة لكنه عاد إلى إفريقية فوجدها قد فسدت،فندم لرحيله عن وارجلان وبقي ينتقل بين قسطيلية وإفريقية،محاولا إصلاح ما فسد،كما كانت له مناظرات في بلاط المنصور[3]ابن بلكين[4].

_**أبو صالح بكر بن قاسم اليراسيني** [5]:عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي،مما ذكر عنه أنه كان في أول أمره بالبادية،في موضع يقال له:"إزراق" [6]،فلما اشتد الحال في البادية وكثرت الزلازل واضطرمت نيران الفتن،انتقل إلى جربة،ويُذكر عنه أنه كان

---

[1]–"...وحينئذ تلافى أبو عبد الله ما تحصل في صدور العزابة،فقَيَّدَ منها أربعة وعشرين بابا فلذلك تجد فيها قلة الاتزان والزيادة والنقصان،وقبره بجزائر بني مزغنة"ينظر:الدرجيني، **المصدر السابق** ،ج:02،ص، ص:151، 152.

[2]–عند تنقل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر.ينظر:أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**،ص،ص: 44، 45.

[3]–ابن الآبار، **الحلة السيراء** ،ج:02،ص،ص:21،22؛ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ،ج:01،ص،ص : 240، 241.

[4]– الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج :02،ص: 335؛سامية مقري،**المرجع السابق**،ص:58.

[5]– من علماء الطبقة الثامنة(350–400هـ) في طبقات المشايخ للدرجيني.

[6]– لم نجد فيما أمكننا الإطلاع عليه من كتب الجغرافيا ذكرا لهذا الموضع،لكن الراجح لدينا أنه في إفريقية،وربما يكون أحد قُراها التي اندثرت بعد الفتن التي عرفتها المنطقة.

يصلح بين الناس في الخصومات،ولمّا علم بأن النكار استولوا على جبل دمر [1]،توجه إليهم بالحلقة،رغم ما كان يكابده من الجوع وصعوبة مسالك الجبل لإحياء سيرة المسلمين [2]،وهو والد أبو محمد وسيلان بن أبي بكر [3]"أنجب من طالع ودرس،وأحد من أحيا ما كان عفا ودُرِس،جِبلته طلب الصلاحية والعلم،وسِمته الاعتصام بالوقار والحلم،وكان أحد من يوصف بالاجتهاد والتصميم..." [4].

_**أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور**:يظهر من خلال رواية الدرجيني عنه أن الحياة العلمية بدأت تعرف تطورا أكثر زمنه،إذ صار للتلاميذ منزلا يأوون إليه فيجمعهم،فما روي عنه أنه قال:"منزل التلاميذ كشجرة الخرُّوب"،ويشرح الدرجيني قوله هذا بما معناه:"أنه لا ينبت حول الخَرُّوب نبات،فإن نبت كان ضعيفا لأن الخروب يشتف،وكذلك ما كان حول منزل التلاميذ،فإنه يكون اهتمام أهله لما يصلح شأن التلاميذ...وكأني به يخاطب بذلك أهله،وحشمه ليكون لهم من الاهتمام والابتهال بأمورهم والقيام بحقوقهم..." [5]،ولربما من هذه الرواية نستطيع أن نتصور ظروف التلاميذ التي كانت صعبة،إذ أنهم كانوا بحاجة للاهتمام والرعاية،وهذا ما جعل ابن أبي مسور- كما تذكر المصادر- يتكفل بالتلاميذ،إذ يجعل الدراهم في القراطيس أو الصُّرَرْ ويعلِّقها في ألواح التلاميذ،وربما يجعلها في أوعية دفاترهم أو بين التلميذ وثيابه دون أن يشعر،رغبة منه في كتمان الصدقة إلى أن مات،وانقطعت هذه العادة،فعلموا أنه هو من كان يفعل ذلك [6].

---

[1]-**جبل دمر**:يدعى جبل الحاوية حاليا بتونس،لجنة البحث العلمي، **معجم أعلام الإباضية (مدخل إلى التاريخ والفكر الإباضي من خلال تراجم لأكثر من ألف عَلَمٍ من أعلام المغرب الإسلامي منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر)**،ج:01،جمعية التراث،غرداية- الجزائر،1990م، ص:327.

[2]- سامية مقري،**المرجع السابق**،ص :55.

[3]- تادايوش ليفيتسكي،**المرجع السابق**،ص :53.

[4]- الدرجيني، **المصدر السابق**،ج :02،ص- ص: 353 – 361.

[5]- الدرجيني،**المصدر نفسه**، ج :02،ص:363.

[6]- سامية مقري،**المرجع نفسه**،ص:55.

الملاحظ من هذه الرواية أن الحياة العلمية بدأت تعرف تطورا متزايدا،إذ أن للتلاميذ منزلا وألواحا ودفاتر يستعملونها،مقارنة بالحياة العلمية زمن إمامة الظهور،وذلك بحكم الاحتكاك المذهبي بين المذهب الإباضي وباقي المذاهب الأخرى،فبلاد المغرب في هذه الفترة كانت تعيش موجة ازدهار في الحياة العلمية،خاصة بعد دخول المذهب المالكي.

_**أبو عبد الله محمد بن بكر**[1]:وُلِد بفرسطاء بجبل نفوسة[2]،وقد حقق عمرو خليفة النامي في تاريخ مولده بأنه كان سنة(345هـ/956م)،لا تذكر النصوص عن حياته التعليمية الأولى بالجبل شيئا،ولا الفترة التي مكثها،كل ما أوردته أنه تعلَّم على يد كل من أبي نوح سعيد بن زنغيل بقسطيلية،كما توجه إلى جربة ليتعلَّم عند أبي زكرياء بن أبي مسور،كما توجه إلى القيروان ليتعلَّم بها النحو والعربية،يقول الوسياني:"أبو عبد الله توجه إلى مؤدب يعلِّمه...فوجد أبو عبد الله صبيانه في علَّة العلل...جازوا العلّة" [3]،وتذكر بعض المؤلفات التاريخية أنه أول من وضع أُسُسْ نظام الحلقة[4] للإباضية[5].

---

[1]– ينظر ترجمته عند أبي زكرياء يحي بن أبي بكر،**المصدر السابق**،ص:263،264.

[2]– عمرو خليفة النامي،**الحركة العلمية بوارجلان**،ص:105.

[3]–أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، **سير الوسياني**،ج:03،درا وتح:عمر بن لقمان حمو سليمان بن عصبانة،نشر وزارة التراث والثقافة،مسقط–سلطنة عمان،ط: 01: 2009م،ص،ص: 65، 66.

[4]–نظام الحلقة أساس العزابة،إذ من المعروف أن الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية ركنوا إلى الكتمان،وأقاموا نظاما جديدا للحلقات يلي الظرف الذي يوجدون فيه،وهذا يدل على أهمية الحلقة عندهم،وهذا النظام الجديد هو ما يُعرف بالعزابة،أي الذين أعزبوا عن الدنيا وتفرغوا للآخرة،فأقاموا حلقة العزابة الرئيسية،التي تتفرع عنها حلقات العلم،وأول من أحدث هذا النظام أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي،في القرن الخامس الهجري،وهو الذي رتَّب قواعده،وأسس سير الحلقة.ينظر:إبراهيم بكير بحاز، **المرجع السابق**،ص:281.

[5]–"لما عَزَمَ أبو عبد الله محمد بن بكر التنقل إلى أريغ بسبب الزلزال،أرسل إلى أبي القاسم يونس بن أبي ورجون الوليلي أن يهيئ له غارا ليجتمع فيه مع طلبته ليدرسوا فيه،ويأووا إليه،ولا تورد المصادر المعلومات عن هذا الغار إلا ما قاله أبو زكرياء:"...أبو القاسم عندما طلب منه ذلك بدأ في حفره..."بعد ذلك وفي

_**أبو زكرياء يحي بن سفيان اللالوتي**: شيخ كبير وعالم فقيه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع،تولى حُكم الجبل،عُرِفَ بالعدل والتفقه في الدين،تتلمذ على الشيخ محمد خصيب التمصمصي وأبي عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي،ويروي عنه عمَّر كثيرا حتى جاوز الذين تعلَّم عندهم والذين تعلَّم معهم والذين تعلَّموا عنده،وكان حكيما عالما وكانت عنده حلقة[1].

_**أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري النفوسي**: وصفه الشماخي بأنه:"بقية الحافظين واعتماد أهل الدنيا والدين،بل كان من الراسخين،أخذ العلم من منبعه وسقاه كل عطشان من مستحقه..."[2]،كان عمره عند وقوع معركة مانو(120سنة)،ويَذكر الشماخي أنه عاش بعدها (30سنة)،وبذلك يكون مولده سنة(153هـ)،ووفاته سنة(303هـ)،تلقى العلم عن شيخه أبان بن وسيم،وكان يذهب يوميا من بلده بغطورة إلى قرية بغو ليحضر الدرس،عاش فقيرا منكبًّا على العلم والفتيا،وظلَّ يعلِّم الناس كل ألوان الفقه إلى أن توفاه الله[3].

=حوالي سنة(409هـ/1018م)-وان كان هذا التاريخ خارج الإطار الزمني لبحثنا-تأسس نظام الحلقة،ووُضعت أُطُرُه على يد الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر ،واختلفت الدراسات الحديثة في المؤسس الحقيقي لنظام الحلقة،وهناك حقيقة واردة هي أن نظام الحلقة الذي وضعه أبو عبد الله محمد بن بكر لم يكن من ابتكاره،بل نتاج جهود بذلها دُعاة من قبله،منذ بداية الدعوة السرية للمذهب الإباضي،بدءً بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة،إلى حملة العلم،إلى أبي نوح وأبي القاسم،وأبي زكرياء بن أبي مسور،وعبد الله محمد بن بكر قَنَّنَها،وصاغها في شكل نظام حلَّ محا الإمامة كما يقول أبو عمار عبد الكافي"...الحلقة التي أثبتها المشايخ رحمهم الله حين عُدِمَ عن أهل المذهب السُّلطان العادل،وتبوَّءوها(كذا)،وأنزلوا الحلقة منزل السلطان العادل في العدل سواء..."ينظر:الدرجيني، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:170؛سامية مقري، **المرجع السابق**،ص،ص: 61، 62 بتصرف.

[1]-الشماخي،**المصدر السابق** ،ص :296؛يحي معمر ، **الحلقة الثانية** ،القسم الأول،ص: 173؛البغطوري ،**المصدر السابق**،ص:35.

[2]- الشماخي،**المصدر نفسه**،ص:235.

[3]- الشماخي ،**المصدر نفسه**،ص:235؛ البغطوري،**المصدر نفسه**،ص:50.

_**أبو محمد التمصمصي**:من الراسخين في العلم كما يقول الشماخي،وكان واعظا ذو مناقب عديدة،يرحل إلى تالوت لطلب العلم عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن هارون،عاش فقيرا إلى أن توفي،وصفه أبو عبد الله محمد بن جنون بأنه:"جرثومة من جراثيم الإسلام"[1].

_**ابن الجزار**(...-350هـ/...-961م):أحمد ابن إبراهيم بن أبي خالد أبو جعفر القيرواني ابن الجزار،طبيب،مؤرخ،من أهل القيروان،له من المؤلفات:"زاد المسافر" في الطب و"الاعتماد" في الأدوية المفردة،و"البغية" في الأدوية المركبة،و"التعريف بصحيح التاريخ"و"ذم إخراج الدم"،و"رسالة في النفس"،و"أسباب الوباء بمصر والحيلة في دفعه"،و"طب الفقراء"،و"دولة المهدي العبيدي وظهوره بالمغرب"،وغير ذلك[2]-وكان على غير مذهب أهل السُّنة[3].

_**أبو نوح سعيد بن يخلف (إخلاف) المزاتي**: علامة وراوٍ ينتمي بالأصل كما يظهر من نسبته إلى قبيلة مزاتة البربرية،سُمِّيَّ أيضا —وذلك بحسب قائمة الشيوخ الإباضيين لأبي عمار عبد الكافي-بالمدوني،نسبة للقبيلة البربرية مدونة،وهي بطن من مزاتة،عاش حوالي العام (350هـ/916م)،وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،ويبدو أنه قضى سنوات شبابه في الزاب موطن مزاته الإباضيين[4]،وقد اضطر بعد ذلك إلى مغادرته على إثر الحرب التي قامت بين صنهاجة وزناتة،كما يسميه مُدَوِّنُوا الأخبار التاريخية بالعصيان الإباضي الوهابي،الذي حصل نحو العام(358هـ/968-969م)،والذي كان موجها ضد الفاطمي أبي تميم المعز ومستشاره بلكين بن زيري الصنهاجي،وذهب مع بطن مزاتة الذي ينتمي إليه إلى طرابلس،حيث قابل أبا نوح سعيد بن زنغيل،الداعي الذي أرسله أبو خزر زعيم المتمردين

---

[1] - الشماخي،**المصدر نفسه**،ص،ص: 313، 314؛ البغطوري،**المصدر نفسه**،ص:67.

[2] -باقر أمين الورد،**معجم علماء العرب من أواخر القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري**،ج:01،مرا:كوركيس عواد،نشر عالم الكتب،مكتبة النهضة العربية،بيروت-لبنان،ط: 01 1986م،ص،ص:46،45.

[3] -أبو بكر المالكي،**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ،ج:02،تح:بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت- لبنان،ط:02، 1994م،ص،ص:430، 431.

[4] - الشماخي، **المصدر نفسه**،ص:503.

الإباضيين الوهابيين إلى ذلك البلد،لإثارة القبائل الإباضية [1]،ويذكر الدرجيني أن أبا نوح كان عالما بالسير حافظ على إحياء السير والآثار[2].

_**أبو عبد الله محمد بن أحمد**: راوٍ وأحد مراجع أبي نوح،وإليه تعود الرواية التي نجدها في مؤلفات أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني،وأبي العباس الشماخي عن معركة (باغايه سنة358هـ/968-969م)[3]،بين القبائل البربرية الإباضية-الوهابية والجيش الفاطمي،ويروي أبو عبد الله هذا الأثر عن أبي واتودين،ولا نعرف شيئا عن هذا الراوي،الذي عاش على ما يبدو في(القسم الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)،أو نحو بداية (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)في وادي ريغ،وهو الواحة التي كان ينزل فيها أبو نوح،والتي يوجد فيها قبره[4].

_**أبو ولاواتودين**: راوٍ وأحد مصادر أبي زكرياء الوارجلاني في روايته عن العصيان الإباضي-الوهابي،الذي نشب في(النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)،في بلاد الزاب بوادي ريغ ووارجلان،ونجده عند الشماخي بصيغة وانودين،ولا نعرف شيئا عن هذا الراوي الذي عاش مع ذلك على الأرجح فيما بين(منتصف القرن الرابع الهجري،وبداية القرن الخامس الهجري)[5].

_**أبو يعقوب بن أبي إسحاق**: راوٍ ذكره أبو زكرياء فيما يتعلق بنشاط دُعاة القائد الإباضي أبي خزر،الذي كان يحضِّر في وارجلان لثورة ضد الفاطميين،ولا نعرف شيئا عن هذا الراوي الذي عاش على الأرجح في واحة وارجلان ،بعد زمن نشاط ابن خزر(النصف الأول من القرن الرابع

[1]- تادايوش ليفيتسكي،**المرجع السابق**،ص : 58.

[2]- الدرجيني، **المصدر السابق**،ج :02،ص:367.

[3]- ابو زكرياء يحي بن أبي بكر،**المصدر السابق**،ص- ص: 214-225.

[4]- تادايوش ليفيتسكي،**المرجع نفسه**،ص: 32.

[5]- تادايوش ليفيتسكي،**المرجع نفسه**،ص:76.

الهجري/العاشر الميلادي)،وقبل فترة تأليف مجموعة أخبار أبي زكرياء التاريخية مع بداية(القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)[1].

مما سبق يتضح لنا أن هؤلاء الفقهاء أو المشايخ ممن ذكرنا،ومِمَنْ لم يَسَعْنَا المقام لذكرهم،كان لهم دور فعّال في إثراء الفقه الإباضي،بما خلَّفوه من فتاوى واجتهادات وأحكام في العديد من النوازل،لأن منهم من دوَّنها في تصنيف له،ومنهم من تركها شفوية تروى عنه في كتب السير والتراجم،وهم الأغلب،كما وكانت لمعظمهم مواقف وأفعال لدعم الحركة العلمية الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي،تهدف إلى الحفاظ على أسس هذا المذهب الفقهية،والذود عنه لضمان استمرارية بهذه الأرض،رغم كل عوامل الفناء التي توافرت ضده،خلال الفترة قيد الدراسة.

وسخَّر العلماء والفقهاء الإباضية كما ذكرنا كل الوسائل والسبل البشرية والمادية،للمضي بالحركة العلمية الإباضية رغم زوال الرعاية السياسية لهذا المذهب بسقوط الدولة الرستمية،وحلول الدولة الفاطمية الشيعية مكانها،لذا فإن الفقهاء أخذوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على المذهب الإباضي،بالسعي لنشر العلوم الدينية خاصة،ودعم حركة التعليم الإباضي عامة،إذ نجد الفقيه حسب ما ورد في سيَّر أغلبهم،هو الذي يبني المسجد ليتعلم فيه الصبيان الإباضيين تعاليم الدين وأصول الفقه الإباضي،من ماله الخاص،وآخر يبني للطلبة بيتا يأويهم في بعدهم عن ديارهم لطلب العلم،وهذا يكفلهم حتى يُتِمُّوا دراستهم،وغيره يُوَزِّع عليهم المال خفية ليكفيهم ذل السؤال،وفقهاء قطعوا المسافات البعيدة يرتحلون من مراكز الفتن إلى مناطق أبعد،هروبا بعقائدهم وحفاظا على فقه مذهبهم من الزوال،ناهيك عما تركه الكثير منهم من مؤلفات وتصانيف هامة في مختلف ألوان العلوم الدينية،سواء العقلية أو النقلية،فكلما كان يتوفى فقيه منهم،يخلفه آخر من تلاميذه أو من معاصريه،لذا فإن أهم سلاح استخدموه في الدفاع عن مذهبهم كان التعليم ،ثم محاولة تجاوز واستئصال كل أشكال الفرقة داخل المذهب الواحد،فحاربوا النِّكار،وبَذَلَ الفقهاء جهودا عظيمة في الوقوف ضد المد الشيعي الفاطمي بكل أشكاله،بل هناك من دفعوا بأرواحهم لأجل المذهب الإباضي،والظاهر أن جهودهم لم تذهب

[1] – تادايوش ليفيتسكي،**المرجع نفسه**،ص: 77.

أدراج الرياح بدليل تأسيسهم لنظام تعليمي فقهي إباضي [1]،ترسَّخَ في تجمعاتهم إلى يوم الناس هذا.

ب- أهم فقهاء الصفرية:

رغم بحثنا الجاد في المؤلفات التاريخية عن أسماء فقهاء الصفرية الذين عايشوا فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،وعن تراجمهم وسيرِّهم التي كان لها أن تفيدنا في الاضطلاع على دورهم في الحياة العلمية والمذهبية خلال الفترة المذكورة،إلاَّ أننا عبثًا حاولنا،لأن أغلب المصادر والمراجع التاريخية لا تورد ما يمكن أن يفيدنا في ذلك،لكننا انطلاقا من بعض القرائن التاريخية،وبعملية استدلال وإسقاط لمواقف بعض الصفرية،مما تذكره المؤلفات التاريخية،سنحاول على الأقل التوصل إلى موقفهم من السلطة الفاطمية الشيعية وتواجدها ببلاد المغرب الإسلامي.

إنه لمن الطبيعي أن يُوَلِّد الاختلاف المذهبي بين الصفرية والشيعة نوعا من الخِلاف الذي ما لبث أن تحوَّل صراع،مع موجة الرفض والثورات التي ظهرت من طرف المذاهب المختلفة،ضد الدولة الفاطمية الشيعية وتواجدها ببلاد المغرب الإسلامي،والصفرية باعتباره مذهب خارجي،ومن المذاهب المخالفة للشيعة،ظهر موقفهم جليا من السلطة الشيعية في المنطقة من خلال ثورتهم،التي كان أساسها التعارض بين السياسة الدينية للشيعة،والنزعة الاستقلالية للصفرية من البربر،وكذا الاختلاف في العقائد والمعتقدات لكل مذهب،خاصة بعد محاولة السلطة الشيعية فرض مذهبها على كل مخالفيها،يِكد ذلك قول ابن عذارى عن السياسة الدينية للمهدي عبيد الله:"...أنه أظهر التشيع القبيح وسبَّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم وزوجاته...ومَنع الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد...[2]"[1]فالثابت أن المهدي عمد إلى نشر مذهبه بحد السيف،وغيَّر من النظم والأحكام

---

[1]-نقصد نظام الحلقة أو ما عُرِفَ فيما بعد بنظام العزابة،الذي توسعت مهامه لتشمل عدة مجالات هامة تخص حياة الفرد داخل التجمع الإباضي الواحد،وتنظِّمها وفق أسس وعقائد المذهب.

[2]-حول ما جاء به المهدي من فتاوى في هذا المذهب الموضوع ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج: 01،ص:220.

بما يتماشى وتعاليم المذهب الإسماعيلي [2]،ذلك ما لم يتقبَّله الصفرية،وعلى رأسهم فئة الفقهاء،الذين يعتبرون المشرع الأساس للمذهب الصفري في المنطقة،فكان من البديهي أن يفزع صفرية سجلماسة بقيادة فقهائهم من هذه السياسة الدينية الجائرة ويعلنوا موقفهم الرافض لذلك صراحة في شكل ثورة.

مثَّلت حركة الشاكر لله [3] سنة(332هـ/945م) [4] دليلا قاطعا لرفض الصفرية للسلطة الشيعية في المنطقة،ومناهضة سياستها الدينية التي حاول حكامهم فرضها عُنوة على الصفرية،إذ نظر الصفرية في إنكار وريبة إلى تلك السياسة الدينية،معتقدين أنهم:"يدفعون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،ويَدَّعُونَ النُّبُوَة بعده،ويَدَعُون سنَّتَهُ وشريعته ويَدْعُون إلى غيرها" [5]،بل ارتبطت العقائد الإسماعيلية في تصوُّرهم بالخرافات والأساطير،فاعتقدوا أنهم:"يعبدون رأسا عندهم يُكَلِّمُهُمْ ويسجدون له من دون الله،وأنَّ هذا الرأس ينثر من فاه الدنانير" [6]،ما جعلهم يدعمون حركة الشاكر لله وينظمُّون إليها للدفاع عن مذهبهم وعقائدهم.

نجح الشاكر لله بحسن سيرته وتعصبه لمذهبه وتفقهه فيه [7]"وظنُّه أن ليس الحق إلا ما انتهى إليه" [8]،في جمع شمل الصفرية تحت لوائه والانفصال بسجلماسة عن طاعة الفاطميين،إذ يبدو لنا

---

[1] – ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج :01،ص:220.

[2] – إسماعيل محمود عبد الرازق،**الخوارج في بلاد المغرب**،ص:220.

[3] –**الشاكر لله**:هو مدرار محمد بن الفتح بن ميمون،ابن عم المنتصر سمكو بن محمد حفيد المعتز بن محمد الحاكم المدراري،قائد ثورة الصفرية سنة(332هـ/945م).ينظر:خير الدين الزركلي، **الأعلام**،ج: 03،ص:152؛إسماعيل محمود عبد الرازق،**المرجع نفسه**،ص:222.

[4] –سَنُفَصِّل أكثر في هذه الحركة في الفصل الأخير من هذه المذكرة،وذلك في إطار حديثنا عن دور الفقهاء في حركات المعارضة ضد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي.

[5] – إسماعيل محمود عبد الرازق،**المرجع نفسه**،ص:221.

[6] – إسماعيل محمود عبد الرازق،**المرجع نفسه**،ص :221.

[7] – إسماعيل محمود عبد الرازق،**المرجع نفسه**،ص :225.

[8] –القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات** ،تح:الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي،دار المنتظر،بيروت– لبنان،ط:01، 1996م،ص:415.

جليا من قول محمود إسماعيل عن شخصية الشاكر لله أنه قبل أن يكون قائدا ناجحا بحسن سيرته،كان فقيها متعصبا لمذهبه،وفي ذلك إشارة إلى قوة علم هذا الرجل لأن التفقه في المذهب وزعامة أتباعه لا يتولاَّها إلا ذا علم في الفقه غزير،ولعل ذلك ما تميَّز به الخوارج الصفرية عن غيرهم في اختيارهم لحكامهم أو لأئمتهم – إن صح التعبير– قياسا على ما اعتمده نظراؤهم من الإباضية في اختيار أئمتهم ووُلاَّتُ أمورهم.

رغم أن بعض المؤرخين ذهبوا إلى أن الشاكر لله أخذ بمذاهب أهل السنة [1] –رجَّحوا أنه كان سنيًّا مالكيا–ورفض مذهب الخوارج الصفرية،ونادى بالدعوة لبني العباس،إلا أننا نعتقد أن حركة الشاكر لله كانت حركة خارجية صفرية محضة،تمثل رد الفعل الصفري ضد السياسة الدينية التعسفية للحكم الفاطمي،التي حاول عُمالهم تطبيقها على سكان سجلماسة من الصفرية،إذ أن الشاكر لله لو تَأَكَّدَ فعلا للصفرية تَنَصُّلَهُ من مذهبهم لما دعموه،خاصة وأن المذهب السُنيِّ المالكي أيضا يخالفهم،مثله في ذلك مثل المذهب الشيعي،إلا أن الفرق الوحيد كان السلطة والهيمنة التي توفرت للمذهب الشيعي ليطغى،بحكم أنه كان مدعوما سياسيا من قبل السلطة الحاكمة،وهو ما لم يتوفر للمذهب السنيِّ المالكي مثلا وقتها.

دعا الشاكر لله لنفسه مُمَوِّهًا بالدعاء لبني العباس [2]،حتى يؤازره السُّنة بالمغرب،ومن المستبعد أن يكون قد تخلى عن المذهب الصفري واعتنق المذهب المالكي للدخول في طاعة الخلافة العباسية،لأن نفوذها ببلاد المغرب الإسلامي كان قد زال بزوال الدولة الأغلبية سنة(296هـ/909م)،ولم يكن بمقدور العباسيين مناجزة الفاطميين بالمنطقة لبعد المسافة أولا،ولما دبَّ في جسد الخلافة العباسية من ضعف على يد الأتراك ثانيا،ثم لما اتخذه الشاكر لله من علامات السلطة والاستقلالية،من ضرب السكة باسمه،وكذا تلقبه بأمير المؤمنين الشاكر لله،ولو أنه فعلا كان ينشد التبعية لقوة مناوئة للسلطة الفاطمية [3]،لكان لجأ إلى أمويي الأندلس

---

[1] –أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، ج:05،دار الكتب الخديوية– المطبعة الأميرية، القاهرة – مصر، 1915م، ص:167.

[2] – أبو العباس أحمد القلقشندي،**المصدر نفسه**،ص :167.

[3] – محمود إسماعيل عبد الرازق، **المرجع السابق**،ص:225.

أقرب سلطة مضادة للحكم الفاطمي بالمنطقة،خاصة وأنهم كانوا يسيطرون على أغلب مناطق المغرب الأقصى–نقصد أمويي الأندلس–وكانوا على قدر من القوة يخوّلهم لمواجهة الفاطميين.

ومما سبق يتضح لنا أن الفقهاء الصفرية كان لهم دور في قيادة إخوانهم في المذهب بتجمعهم في سجلماسة،والتعبير عن موقفهم الرافض للحكم الفاطمي الشيعي بالمنطقة، خاصة بعد السياسة الدينية التي حاول هؤلاء فرضها عليهم،وقياسًا على شخصية الشاكر لله وما كان له من دور في الدفاع عن استقلالية قومه وحريتهم المذهبية،وحسب اعتقادنا فإنه كان للفقهاء الصفرية مكانة هامة لدى أتباع هذا المذهب،لما قاموا به من أعمال ضد الحكم الفاطمي،تمثل دورهم في الحفاظ على استمرارية وجود المذهب الصفري في المنطقة،وتمتعه بالحرية الدينية التامة في المعتقد والتمذهب،حتى ولو في ظل حكم سلطة دينية مخالفة،وما كان الشاكر لله إلا عيِّنَة عن هؤلاء الفقهاء الذين افتقرت المؤلفات التاريخية من أسمائهم وأَحْجَمَتْ عن ذكر سيَّرهم وتراجمهم،لأسباب ليس لنا غاية في البحث عنها،لكننا نرجح منها عامل قلة التدوين في التراجم والسير،عكس ما كان عند الإباضية،إضافة إلى عامل الفتن والحروب التي قد تكون قضت على ما دُوِّنَ منها إن وُجِدْ

3/أهم فقهاء أهل السُّنَة في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297–361هـ/910– 972م):

سنقتصر في ذكرنا لأهم فقهاء أهل السُّنة على المذاهب الفقهية السُّنية الأربعة (الحنفية،المالكية،الشافعية،الحنبلية)،وذلك للتقيد بالإطار الزماني والمكاني للدراسة،لذا فإننا لن نفصِّل في المذاهب الفقهية السنية التي كانت بالمغرب الإسلامي قبل ذلك– نقصد هنا المذهبين الأوزاعي والثوري–لأنه بداية من تمكين المذهب الحنفي وانتشاره في عهد الأغالبة،أصبح وجود المذاهب السنية السابقة رمزيا ونادرا–إن لم نقل منعدماً–إذ سرعان ما اختفت هذه المذاهب لفسح المجال لمذهبين سنيين أكثر صلابة هما المذهب الحنفي والمذهب المالكي(بصفة خاصة)،وقد افترضنا أن مذهب الثوري مهّدَ الطريق للحنفية كي تنتصر بإفريقية،بسبب ارتباط المذهبين،فكل منهما ينتسب إلى مدرسة الكوفة،والافتراض نفسه يصح بالنسبة إلى المذهبين

الأوزاعي والمالكي،وربما يؤيد ذلك ما وقع بالأندلس،إذ مهَّدَ الأول للثاني ثم أزاح هذا الأخير المذهب الأوزاعي في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي [1]،أما الحديث عن فقهاء باقي المذاهب السُّنية من شافعية وحنبلية فلا يكاد يكون إلا تلميحا،وذلك لعزوب المصادر والمراجع التاريخية عن الحديث عنهم،إلا ما كان من ذكر عابر لبعضهم في سياق الحديث عن المذاهب الأخرى،ولعل السبب في ذلك يعود لقلة المتمذهبين بهم من أهل المغرب الإسلامي،من سُلطة ورعية،لكننا سنجتهد في ذكر أهم فقهائهم مما ورد من إشارات عابرة في المؤلفات التاريخية،مع نوع من التفصيل في ذكر غيرهم من فقهاء الحنفية والمالكية،فمن هم أهم فقهاء السُّنة بالمغرب الإسلامي،وما كان دورهم في تفعيل الحركة العلمية و المذهبية به؟

أ_ أهم فقهاء الحنفية:

المذهب الحنفي هو أقدم المذاهب السُّنية الأربعة،وصاحبه الإمام أبو حنيفة النعمان الكوفي،وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الإمام،ثم انتشر في سائر بلاد العراق،يقال لأصحابه أهل الرأي،لأن الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه،ولإمامهم مقام في الفقه لا يُلحق ،شهد له بذلك أهل جلدته،وفي مقدمتهم الإمامين مالك والشافعي [2].

ولعل الباحث منَّا يتساءل عن وجه الاختلاف بين المذاهب السُّنية،رغم كونها جميعا تصب في مضمار واحد لا تحيد عنه،هو تتبع أثر الرسول صلى الله عليه وسلم،وإتباع سنَّته،وعدا اختلاف وجهات النظر بين الأئمة الأربعة خاصة وكذا اختلاف مناطق بعثهم لمذاهبهم،كان اختلافهم في أصول الفقه وتقديم أو تأخير مصدر من مصادر التشريع على الأخر بعد الأخذ بكتاب الله وسُنَّته،فنجد الإمام أبي حنيفة مثلا يبني مذهبه على الأصول التالية على

[1]–نجم الدين الهنتاتي،**المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**،منشورات تبر الزمان،تونس: 2004م،ص،ص:19، 20.

[2]–أحمد تيمور باشا،**المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين** ،دار القادري،بيروت–لبنان،ط:01، 1990م،ص:50.

الترتيب:كتاب الله(القرآن الكريم)،سنَّةُ نبِّيِّه محمد صلى الله عليه وسلم،أقوال أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم،القياس[1]،الاستحسان،الإجماع[2]،العُرف[3].

ويذكر أصحاب طبقات الحنفية أن هذا المذهب شاع في بلاد بعيدة ومدن عديدة،ولعل من أسباب انتشاره هو إيثار الخلافة العباسية للفقهاء الأحناف بالقضاء وفي مقدمتهم القاضي أبو يوسف صاحب أبو حنيفة،وذلك بعد(سنة 170هـ)،ثم أصبحت تولية القُضَاة بيده،فلم يَكُن يولي ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر–إلى أقصى عمل إفريقية–إلا من أشار به،وكان لا يُوَلِّيِّ إلا أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه،فاضطرت العامة إلى أحكامهم وفتاويهم،وفشا المذهب في هذه البلاد فُشُواً عظيماً،كما فشا المالكي بالأندلس،بسبب تمكن يحي بن يحي بن كثير عند الحَكَم المنتصر،حتى قال ابن حزم:" مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان،الحنفي بالمشرق والمالكي بالأندلس"[4].

---

[1]–**القياس**:وأصله في اللغة التقدير،ولذلك يقال للميل الذي يسبر به غور الجرح مقياس ومسبار،وفي الاصطلاح هو إلحاق المجتهد مسألة حادثة بأصل–أمر ورد فيه نص شرعي–في الحكم لعلَّة جامعة بينهما.ينظر:القاضي إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**،درا وتح:مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط: 01، 1996م،ص:44؛وهبي سليمان غاوجي، **أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء** ،دار القلم،دمشق–سوريا،ط:06، 1999م،ص:28.

[2]–**الإجماع** :في اللغة :هو العزم على الأمر ،ويقال أجمعت على الشيء وأزمعت عليه بمعنى واحد،ومنه قوله تعالى **" فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءِكُمْ"**(**سورة يونس: 71**)،وقيل الإجماع في عبارة أهل الفقه استفاضة القول وانتشاره في الجماعة الذين ينسب إليهم الإجماع،وهو اتفاق الأئمة المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من أمور الدين.ينظر:ابن فرحون المالكي، **المصدر نفسه**،ص:44؛وهبي سليمان غاوجي،**المرجع نفسه**،ص:28.

[3]–محمد أبو زهرة،**أبو حنيفة حياته وعصره–آراؤه وفقهه**،دار الفكر العربي،القاهرة– مصر،د س ط،ص–ص: 262- 404.

[4]– أحمد تيمور باشا،**المرجع السابق**،ص :51.

أما في إفريقية[1] وصقلية فكان الغالب عليهما السُنَنْ والآثار،إلى أن قَدِمَ عبد الله بن فروخ أبو محمد الفارسي[2] بمذهب أبي حنيفة، وكذا عبد الله بن غانم (ت 190هـ/805م)[3]،وقد سمع هذين الفقيهين من الإمام مالك ومن أئمة المذهب الحنفي،وبسبب ذلك أصبح من الصعب تصنيفهما ضمن الحنفية أو المالكية،وإن تم إدخال المذهب الحنفي إلى إفريقية على أيدي هذين العالمين،فإن نشره وتركيزها بها تم على يدي أسد بن الفرات بن سنان[4]،وغَلَبَ لما وُلِيَّ قضاءها

[1] – إفريقية هنا يقصد بها المؤلف شمال إفريقيا وليس تونس كما تُعرف حاليا.

[2] –**عبد الله بن فروخ الفارسي**: قال أبو العرب:"كان من شيوخ أهل إفريقية وكان مُسِنًّا ممن رحل في طلب العلم"،ويُقال إن مولده كان بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة،ثم سكن القيروان ورحل إلى المشرق،فلقي بالمشرق مالك بن انس وسفيان الثوري،وقد لقي أيضا أبا حنيفة،ولقي غير واحد ممن حمل عنه سفيان،طلب منه روح بن حاتم تولي القضاء في عهده فرفض،وكان من أروى الناس عن ابن فروخ معمر بن منصور،ومات بن فروخ بمصر ودفن بالمقطم،وقال أبو العرب:"حدثني سعيد بن إسحاق قال:مات ابن فروخ سنة ستٍ وسبعين ومائة،ويذكر الهنتاني في كتابه المذهب المالكي بالمغرب الاسلامي:أنه توفي سنة(185هـ/801م)،وقد سمع منه يحي بن سلام".ينظر:أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، **كتاب طبقات علماء تونس**،تح:أحمد بن محمد الطلمنكي وعمر بن علي بن أحمد بن عطية بن يوسف أبي بكر الأنصاري،دار الكتاب اللبناني،بيروت- لبنان،د ط :ص،ص: 34، 35؛أبو بكر عبد اله بن محمد المالكي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:176.نجم الدين الهنتاني،**المرجع السابق**،ص:19.

[3] –ينظر **ترجمته** في: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج:01،أكمله وعلق عليه:أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي،نشر مكتبة الخانجي،القاهرة- مصر،د س ط،ص- ص:288- 313.

[4] –**أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان** : مولى بني سليم رحمة الله تعالى عليه،قال أبو العرب: "أصله من أبناء جند خراسان- نيسابور،ولد بنجران سنة(142هـ)،سمع الفقه بمصر على عبد الرحمان بن القاسم،وعنه دوَّن الأسدية،وقَدِمَ بها القيروان،فسمعها منه خلق كثير،منهم سحنون وغيره،ثم أظهر مذهب أبي حنيفة لقضية تركناها،وأخذه الناس عنه وانتشرت إمامته،خرج إلى المشرق سنة(172هـ)،وقصد مالك بن أنس،فلما فرغ من سماعه على الموطأ،اتجه إلى العراق،وسحنون تلميذ أسد بن الفرات،ولاَّه زيادة الله القضاء ثم الإمارة،ولم يجتمع لأحد الولاية والقضاء ببلد إفريقية إلا لأسد،وكتب زيادة الله بن الأغلب بفتح صقلية على يد أسد بن الفرات إلى المأمون،وتوفي من جراحات شديدة أصابته،وهو محاصر لسرقوسة،وذلك في

سنة(203هـ/818م)،وقد ساعده في ذلك الأغالبة الذين قدَّموا المذهب الحنفي منذ سنة(201هـ/816م)مقلدين في ذلك العباسيين[1]،وبقي المذهب الحنفي غالبا على إفريقية حتى حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك،وهو الغالب إلى اليوم على أهلها إلا قليلا منهم يقلِّدون المذهب الحنفي[2].

وقد كان أسد بن الفرات في بدايته مالكيا،ثم انتابته حيرة في التخيير المذهبي،وانتهى بتقديم المذهب الحنفي،إثر خلافه مع شيخه ابن القاسم وتلميذه سحنون بن سعيد[3] حول مسألة الأسدية،وهو الذي ساهم في تدوين المذهب الحنفي بالمغرب بعد أن كان بن فروخ أدخل إليه نحو عشرة آلاف مسألة غير مدونة رواها عن أبي حنيفة،وعلى يديه تخرج الرعيل الأول من علماء الحنفية بالمغرب،وقد نقل المالكي في هذا الصدد أن أسد "سمع عليه كل معروف بصحبته

=شهر ربيع الآخر سنة(213هـ)،ودفن بذلك الموضع رحمه الله،وهو أول من فتح صقلية،وولد سنة(142هـ أو143هـ).ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص-ص:05 – 26.

[1]– نجم الدين الهنتاني، **المرجع السابق**،ص:19.

[2]– تيمور أحمد باشا، **المرجع السابق**،ص :53.

[3]–**أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي**: واسمه عبد السلام،وغلب عليه لقب سحنون،قال عياض:"سمعت مشايخ أهل الحديث يذكر عن بعض شيوخ إفريقية أنَّه سُمِيَّ سحنونا باسم طائر حديد النظر،لحدته في المسائل،وأصله شامي من حمص،وقدم أبوه سعيد في جند حمص،سمع بإفريقية من علي بن زياد،والعباس بن الأشرس والبهلول بن راشد،وعبد الله بن غانم،ومعاوية بن الصمادحي،رحل إلى المشرق،وعاد إلى القيروان ليظهر علم أهل المدينة بالمغرب،وكان أول من أظهره يعني كان مالكيا– في هذا القول نظر لأسبقية علي بن زياد و البهلول بن راشد وغيرهم على سحنون في إدخال علم مالك إلى المغرب الإسلامي–ولاَّه الأمير أبو العباس أحمد بن الأغلب القضاء سنة(234هـ)،وأقام قاضيا ستة أعوام ولم يزل قاضيا إلى أن مات،وهو أول قاضٍ فرق أهل البدع من الجامع ،وكانوا فيه حِلَقاً من الصفرية والإباضية والمعتزلة،وأدَّب جماعة منهم لمخالفتهم أمره وأطافهم،وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة،وكان ولد سنة ستين ومائة،وتوفي في رجب من سنة أربعين ومائتين.ينظر:أبو زيد الدبَّاغ، **المصدر نفسه** ،ج:02،ص-ص:77-88؛القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تع وتق:محمد تاويت الطنجي،ج: 01،د د ن،الرباط–المملكة المغربية،د ط،ص،ص: 25، 26.

مثل معمر بن منصور،ومحمد بن وهب ومحمد بن قادم،وأبي منهال وسليمان بن عمران،وسائر من يقول بقول الكوفيين"[1].

ومن هنا تنطلق مرحلة تغليب المذهب الحنفي بل وسيطرته بإفريقية،ربما على امتداد النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي،وتؤيد ذلك عدة مؤشرات،فقد تبيَّن لنا أن تلاميذ أسد كانوا من أصناف اجتماعية متنوعة بما في ذلك الحرفيين والريفيين،وهذا يعني أن المدرسة الحنفية–آنذاك– لم تكن مقتصرة على الخاصة،كما تبيَّن لنا أنه وجد أحناف معوزين مثل معمر بن منصور،الذي كان يشكو الفاقة لسحنون،ولعبد الله بن طالب العالمين المالكيين،من جهة أخرى اعترف القاضي عياض:"بأن أكثر الفقهاء بإفريقية حوالي سنة(233هـ/848م)كانوا من الأحناف"،مما يفسر جزئيا ظهور عائلات حنفية عريقة من أشهرها عائلة بني وهب[2].

كان المذهب الحنفي المبادر بالسيطرة في المغرب الإسلامي،على أن الأحناف ساهموا كثيرا خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في ازدهار الحياة الفكرية بإفريقية،إذ يبدو أنهم كانوا أنذاك أكثر تأليفاً من المالكية،كما تميزوا بتفتحهم على علوم متنوعة،فعرفت إفريقية في أيامهم نوعا من الحرية الفكرية،تجسمت في تمكن أتباع المذاهب والفرق الدينية المخالفة من التحليق بجامع عقبة،إلا أن سحنون زعيم المذهب المالكي بالمغرب،كان له موقف معين من ذلك النوع من الحرية،جسَّده إثر توليه منصب القضاء سنة(234هـ/849م)[3].

ويذكر ابن فرحون :"أن المذهب الحنفي ظهر ظهورا كثيرا بإفريقية إلى قريب من أربع مائة عام،فانقطع منها ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديما بالأندلس وبمدينة فاس"[4]،في حين يضيف أحمد تيمور باشا في كتابه"المذاهب الفقهية الأربعة" قولا للمقدسي في أحسن

---

[1]– نجم الدين الهنتاني، **المرجع السابق**، ص :19.

[2]– نجم الدين الهنتاني،**المرجع نفسه**،ص :21.

[3]– نجم الدين الهنتاني،**المرجع نفسه** ،ص:22.

[4]–ابن فرحون المالكي،**الديباج المذهب**،ص:47.

التقاسيم مفاده:"أن أهل إفريقية حنفيون" ويضيف كيفية انتشاره على يد أسد بن الفرات،كما يذكر سبب عدم انتشاره بالأندلس قائلا:" قالوا: لم يكن بالأندلس أقل منه ها هنا،ولكن تناظر الفريقان يوما بين يدي السلطان،فقال لهما:من أين كان أبو حنيفة؟،قالوا:من الكوفة فقال:ومالك؟ قالوا:"من المدينة"،قال:"عالم دار الهجرة يكفينا"،وأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة،وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان،وسمعت هذه الحكاية من عدة مشايخ بالأندلس"[1].

أما عن عوامل انتشار المذهب الحنفي في إفريقية خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي إلى أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فيمكن ذكر أهمها كالآتي:

_**تبنِّي الدولة العباسية رسميا لهذا المذهب**:ما أدى إلى انتشاره في المناطق التي شملها نفوذها المباشر وغير المباشر،بما في ذلك إفريقية،وذلك عن طريق رجال الدولة،وقادة الجند،ولا سيما منهم الأمراء الأغالبة ،الذين وَلَّوا الفقهاء الأحناف بعض الخطط الشرعية سواء عن اقتناع أو مجاملة للخلفاء العباسيين[2].

_**الهجرة**:فقد كانت بلاد المغرب قِبلة للعديد من أهل المشرق من أصحاب المذاهب والعلماء والرحالة،والفنانين والتجار،الذين كانوا يمارسون بعض الأنشطة،كالتجارة والتعليم والفتيا،هذا من ناحية،ومن ناحية أخرى كانت مدن بلاد المشرق مثل:مكة،المدينة،الكوفة والبصرة...إلخ مقصد بعض المغاربة من أجل طلب العلم وأداء فريضة الحج،وهذا ما لعب دورا فعالا في انتشار المذهب الحنفي بإفريقية[3].

_**البعثات الرسمية**:فقد كان أمراء بني الأغلب يرسلون كل سنة مرة أو مرتين بعثة إلى بغداد لتجديد ولائهم للخلافة العباسية،وكانت هذه البعثة تُكَلَّفُ إلى جانب ذلك بشراء نفائس

[1]- أحمد تيمور باشا،**المرجع السابق**،ص :54.

[2]-حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية(من القرن 02هـ-05هـ/08-11م)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة الحاج لخضر،باتنة- الجزائر،2008- 2009م،ص:130.

[3]- حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص:131.

الكتب وجلب علماء اختصاصين في مختلف العلوم من بغداد ومصر،وكان بعض هؤلاء على المذهب الحنفي[1]،وهو ما يُجسد أحد أشكال الدعم،الذي حظي به المذهب الحنفي في كنف السلطة الأغلبية التي ساهمت في انتشاره.

هذه الأسباب وأخرى ساهمت في نشر المذهب الحنفي بالمغرب الإسلامي،لكن رجاله وفقهاؤه على وجه التحديد هم من مكَّنَ لترسيخه،حتى بعد ما زالت الدولة الأغلبية وفقد المذهب سنده السياسي من سلطة ترعاه،نعم تضاءل تواجد هذا المذهب بعد زوال دولة الأغالبه وحلول الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،نتيجة ما مورس على أتباع هذا المذهب وأعيانه،خاصة الفقهاء منهم،لكنهم حافظوا على وجوده بكل ما أمكنهم من وسائل،رغم فشلها في ذلك نتيجة تغليب السلطة السياسية القائمة أنذاك لمذاهب على حساب الأخرى.

كان لفقهاء الحنفية–الكوفيين أو العراقيين[2]–صولة في الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي ودور مؤثر خلال الحكم الفاطمي له،فقد استعان بهم هؤلاء في تولي مناصب القضاء في دولتهم نكاية في المالكية،غير أن النشاطات العلمية لهم وخاصة الفقهية أو السياسية لا نعرف للأسف شيئا عنها،ولعل أقصى ما يمكن أن نعرفه عن فقهاء الحنفية–وقد أغفل مؤرخو التراجم عمداً ذكرهم–هو عدة أسماء ما كان يمكن أن نعرفها لو لا ذكرها هؤلاء المؤرخون عرضا،في حديثهم عن المضايقات التي واجهها بعض المالكية من الفاطميين وأتباعهم[3].

---

[1]–إسماعيل سامعي، **دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي (من القرن02–05هـ/القرن08– 11م)**،ص–ص: 61- 64.

[2]–هي تسميات سُمِوُا بها من طرف أهل المغرب الإسلامي،وخاصة من مخالفيهم من فقهاء المذاهب الأخرى،وجرت تلك التسميات على ألسنة مؤرخي التراجم والطبقات لعلماء المغرب الإسلامي والمغرب الأدنى خاصة،من أمثال:أبو العرب التميمي،ومحمد بن حارث الخشني،والمالكي والقاضي عياض والدبَّاغ وابن ناجي وغيرهم،كما سُمُّوا أيضا بالفقهاء المشارقة،"ويعتقد عبد العزيز المجذوب أن سبب إطلاق لفظ الكوفيين أو العراقيين على علماء الأحناف إنما يعود إلى سببين: الأول أن يكون نسبة إلى مكان ظهور المذهب الحنفي وشيوعه،والثانية إشارة عنصرية ،لأن معظم من تمذهب بالمذهب الحنفي في إفريقية كان من أصل عراقي أو فارسي".ينظر:يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص:313.

[3]– يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج :01،ص:357.

وعلى أية حال فقد عُرِفَ عدد من أولئك الفقهاء الأحناف نذكر منهم:محمد بن الكلاعي(كان معاصرا لعبيد الله المهدي)،وقد ألَّفَ كتاباً يرد فيه على من لا يقول بخلق القرآن،وهو من أهل المناظرة والجدل[1]،وكان له موقف ضد بعض علماء المالكية،وسعى بهم عند عبيد الله المهدي،الذي قضى عليهم،ومنهم أيضا محمد بن سرين(كان معاصرا كذلك لعبيد الله)،وجعفر بن أحمد بن وهب[2]،ومنهم كذلك أبو إسحاق ابن المنهال[3]،وقد تولى القضاء في عهدهم،وأحمد بن بحر[4]،ومحمد بن عمران النفطي الحنفي[1]،والقاضي المروذي[2]–الذي تذكر المصادر والمراجع أنه شيعي غير أن هناك من يَضُمُّه إلى قائمة الفقهاء الأحناف– وغيرهم[3].

---

[1]–الخشني،**طبقات علماء إفريقية**،تق وتح وتع:محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي،القاهرة–مصر،ط:01، 1993م،ص:76.

[2]–**جعفر بن أحمد بن وهب**: تشرَّق وولاَّهُ إسحاق بن المنهال مظالم القيروان.ينظر:الخشني، **المصدر نفسه**،ص:79.

[3]–**أبو إسحاق بن المنهال**:أحمد بن محمد بن أبي المنهال أبو طالب بن أبي القاسم،وُلِّي قضاء تونس،ثم نقله المعز لدين الله أبو تميم معدّ إلى قضاء المنصورية والقيروان،لما برز يريد مصر،فقدم عليه وهو بسردانية =فولاَّه عوضاً عن القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد،وجعل إليه أن يولي من يشاء ويعزل من يشاء من قضاة مدائن المغرب خلا القاضي عبد الله بن هاشم،قاضي القيروان،فإنه لا حكم له عليه،وظل قاضيا إلى(سنة 368هـ/979م)،حيث وُلِّي أبو الفتوح يوسف القاضي محمد بن إسحاق التميمي المعروف بابن الكوفي قضاء المنصورية عوضا عن ابن أبي المنهال،هذا الأخير كان من بيت علم حنفي المذهب،ثم تحول إلى المذهب الشيعي تاركا مذهبه،غير أن المصادر لا تشير إلى تاريخ التحول،هل كان أيام الدعوة أو بعد قيام الدوله.ينظر:تقي الدين المقريزي،**المقفى الكبير(تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)** ،تح:محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان،ط: 01، 1987م،ص،ص: 282،283؛الخشيني،**المصدر نفسه**،ص:92بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص–ص: 67–73.

[4]–"كان أحمد بن بحر عراقي المذهب أي حنفي ثم اعتنق المذهب الشيعي،مما جعله يفوز بوظائف في القضاء،فتولى في البداية مظالم القيروان في سنة(313هـ/925م)،ثم بعد ذلك عُيِّن قاضيا على طرابلس،وأخيرا قاضيا للقضاة،إلى أن قتل سنة(333هـ/942م) بالقيروان من طرف أصحاب أبي يزيد صاحب الحمار أثناء ثورته.ينظر:الخشيني، **المصدر نفسه** ،ص:79؛بوبة مجاني، **المرجع نفسه** ،ص،ص: 73، 74.

مما سبق ذكره عن المذهب الحنفي وانتشاره وكذا فقهاؤه بالمغرب الإسلامي،يتضح لنا أن رجال المذهب الحنفي وإن غابت دعامتهم السياسية بزوال الدولة الأغلبية،إلا أن جهودهم الحثيثة في سبيل الحفاظ على مذهبهم رغم الظروف المعادية ظلت قائمة،أوردت بعض المؤلفات التاريخية أسماء بعض ممن تحوَّل منهم إلى المذهب الشيعي،ممن كانت طموحاتهم تبلغ سحاب المناصب،فلم يشغلهم الذود عن مذهبهم،وبعضهم ممن ذكرنا أسماءهم،ذلك أن غيرهم ممن دافع عن مذهبه أهملته المؤلفات التاريخية سواء السنِّية المالكية- بسبب ما كان من توتر بين رجال المذهبين-أو من المؤلفات الشيعية-أيضا بسبب العداء المتجذر بين الطرفين للانتماء السياسي الذي كان للدولة العباسية من طرف الأحناف ناهيك عن الاختلاف المذهبي- هذه العوامل وأخرى أحجمت عنا فقهاء الحنفية بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية،وكذا

[1]-ولَّى عبيد الله،محمد بن عمران النفطي ،وكان من قبل قاضيا بأطرابلس ونفطة التي نُسِبَ إليها مدينة بقسطيلية،فأقام نحو السنة ثم مات.ينظر: الخشني،**المصدر نفسه**،ص:92.

[2]-**نجده أيضا باسم المروزي**: وهو من جند خراسان الذين استقروا بالقيروان منذ دخولهم إلى بلاد المغرب أيام حكمه من طرف العباسيين،وكان متشيعا من بيت تشيع،و يؤكد الدبَّاغ في معا لم الإيمان كونه شيعي المذهب وليس حنفي:"...وكان محمد بن عمر المروذي هذا معتقدا لمذهب الشيعة،معروفا بذلك،فلما دخل الشيعي بادر إليه،ودخل في دعوته ولزِمه،ولاَّه قضاء إفريقية،فتصلَّبَ وتكبَّرَ وتجبَّرَ،وكانت أيامه صعبة جدا ،وأخاف أهل السنة،ثم خرج الشيعي إلى سجلماسة واستخلف في مكانه أبو العباس،فأطلق يد المروذي،وقوي أمره..."وعن وفاته قال:"لما طال على ابن خنزير كثرة من يأتي به المروذي من العلماء والصالحين ليقتلهم سعى به عند عبيد الله،ومضى به إلى المهدية،فقبل عبيد الله قوله،ومكَّنه منه،فأخذه وألبسه ملبسا ورماه في اصطبل الدواب تمشي عليه،فركضت في بطنه حتى قتلته"،ومما سبق نجد تعارضا بين قول الدباغ ويوسف بن احمد حوالة،والراجح عندنا أنه كان شيعيا حسب قول الدبَّاغ لكثرة ما ذكر من روايات حول إيذائه لفقهاء وقتله لأخر،مثل ابن خيرون.ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01،ص:151؛القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،ص:215؛أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي،**رياض النفوس**،ج:02،ص:55؛أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**، ج:02،ص،ص:289،291؛ بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص:61.

[3] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص،ص:357، 358.

دورهم في الذود عن مذهبهم اتجاه مخالفيهم من السنَّة المالكية خاصة، ومن الشيعة الفاطميين سُلطة وفقهاء.

ب- أهم فقهاء المالكية:

وفد المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي عن طريق طلبة العلم المرتحلين منه إلى بلاد المشرق،وإلى الحجاز خاصة بغية حج بيت الله الكريم،وكذا التزود من ما فيها من علوم خاصة بعدما ذاع صيت الإمام مالك،وانتشر في البقاع ضرب الرحال إليه،فكان بذلك عامل الرحلة السبب الرئيس في دخول المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي،كما يؤكد ذلك ابن خلدون"إذ كانت في البداية رحلتهم مقصورة على الحجاز،وإمامها يومئذ هو الإمام مالك،فكانت من الطبيعي أن يتأثروا بهذا المذهب وبصاحبه،وهذا ما حصل فعلا"[1].

لقد تحدثت كتب التاريخ والطبقات عن مجموعة من طلبة المغرب الإسلامي،خرجوا في رحلة منتصف القرن الثاني الهجري إلى المشرق،وضمت هذه الرحلة من طلبة الأندلس:"زياد بن عبد الرحمان المعروف بشَبْطُون(ت 204هـ)على أشهر الأقوال،ويُذكر أنه أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس،وقرعوس بن العباس،وغيرهما"[2]،وفيها من طلبة المغرب الأدنى:علي بن زياد[3] صاحب الرواية المشهورة للموطأ،وأول مؤلف مغربي في المذهب(ت 183هـ)،وابن أشرس

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون،**المقدمة**،ص:245.

[2]-عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط-المغرب الأقصى،ط:01، 1993م،ص:15.

[3]-**علي بن زياد**:التونسي العبسي،سَمَع من مالك والثوري،وبن لهيعة،وسمع منه البهلول بن راشد، وسحنون وشجرة بن عيس،وأسد بن الفرات وغيرهم،ولم يكن بإفريقية في عصره مثله،له كتب منها كتابه المعروف المسمى(خير من زنته)،وكان أول من أدخل المغرب"جامع سفيان الثوري"،و"موطأ مالك"،وفسَّر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفوه من قبل،وكان دخل الحجاز والعراق لطلب العلم،توفي سنة(183هـ).ينظر:أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس**، ج:01،ص-ص:234-237؛محمد المختار محمد المامي،**المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته-خصائصه وسماته**،إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ،العين - الإمارات العربية المتحدة،ط:01، 2002م،ص:95.

الأنصاري[1] ،والبهلول بن راشد[2]،وأبو علي شقران بن علي القيرواني وأبو محمد عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني[3] ،وأسد بن الفرات وغيرهم كثير،وهم الرعيل الأول السبَّاق إلى هذا المذهب،وهؤلاء كلهم تتلمذوا لمالك،وأخذوا عنه مباشرة،فلما عادوا إلى بلدانهم أخذوا ينشرون علمه وفقهه بين الناس،وذلك بالتدريس والفتيا والقضاء والشورى وغيرها من وظائف

[1]-**أبو مسعود العباس بن أشرس الأنصاري:** ويسميه محمد المختار محمد المامي بعبد الرحيم بن أشرس،مولى لهم(في الطبقات هو رجل من العرب،لكن في المدارك للقاضي عياض هو أنصاري من العرب)هذا على ما أورده أبو بكر المالكي،سمع من مالك وابن القاسم،ولم نجد في كتب المالكية–في حدود ما اطلعنا عليه–سنة لوفاته.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج:01،ص،ص: 252، 253؛محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص:95.

[2]-**البهلول بن راشد:** قال أبو العرب"أبو عمرو البهلول بن راشد،كان ثقة مجتهدا ورعا،لاشك في أنه مستجاب الدعوة،وكان عنده علم كثير،سمع من مالك بن أنس،ومن سفيان الثوري،ومن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم ومن موسى بن علي بن رباح ومن الليث بن سعد والحارث بن نبهان،أحسبه سمع منه لما دخل الحارث إفريقية،وقال بن تميم:وقد سمع البهلول بن راشد من وجوه مشايخ إفريقية"،ويذكر أنه توفي(سنة 183هـ)،وقيل(182هـ)وهو ابن خمس وخمسين سنة،ومولده(سنة 128)بالقيروان،ودفن بباب سَلْم.ينظر:أبو العرب تميم، **المصدر السابق** ،ص–ص:52–61؛أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج: 01،ص:278.

[3]– **أبو محمد عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني** :ويكنيه المالكي بأبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني،قاضي إفريقية وصاحب مالك بن أنس،كان فضله وعلمه وورعه أشهر من أن يذكر وهو أحد الثقات الأثبات،روى عن مالك وعليه معتمده،وروى عن جماعة يطول ذكرهم،دخل الشام والعراق في طلب العلم،ولقي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة،وقد أدخله ابن عبدوس في المجموعة،كان مولده ومولد البهلول بن راشد في ليلة واحدة (سنة 128هـ)،أما وفاته فكانت في (ربيع الآخر سنة 190هـ)،وصلى عليه إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ودفن بباب نافع– ولعل هذا ما يرجح عندنا كونه حنفي المذهب وإلا لما صلى عليه الأمير الاغلبي ذا المذهب الحنفي،إضافة إلى دفنه بباب نافع وهي مقبرة لجل الحنفية ولم يدفن بباب سلم كما دفن باقي فقهاء المالكية،وهذا طبعا في اعتقادنا لأنه لم يستطع معظم المؤرخين الفصل بين المالكية والحنفية لتحول بعضهم في المذاهب.ينظر:أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:215؛محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص:95.

الدولة،فالتزموا مذهبه في الأصول والفروع والسلوك،وترسموا مذهبه في التأليف وطريقته في الاستنباط والبحث،ولم ينتقل الإمام مالك إلى جوار ربه حتى كانت مدرسته في الأندلس وإفريقية من أقوى المدارس في العالم الإسلامي،أشدُّها استمساكا بآرائه ،وتعصبا لها،فازدهرت مدرسة قرطبة والقيروان،وصار لهما من الذيوع والشهرة ما فاق سائر المراكز العلمية في العالم الإسلامي أو كاد [1]،وهو الدور الأول من أدوار انتشار المذهب المالكي به،وهؤلاء الفقهاء السابق ذكرهم هم من حمل على عاتقه مهمة إيصال هذا المذهب إلى بلاد المغرب الإسلامي.

وكان من الطبيعي بعد أن ذاع صيت مالك وعلمه أن تتزايد الرحلة إليه والرغبة في الأخذ عنه،وبالتالي زاد انتشار علمه ربوع المغرب الإسلامي بعُدْوَتَيْه،حتى أن بعض الحكام أخذوا بمذهبه وأمروا الناس بإتباعه وصيَّروا الفتيا والقضاء عليه،كما فعل الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمان بن معاوية في الأندلس [2]،وإدريس بن إدريس في المغرب الأقصى،والمعز بن باديس في المغرب الأدنى والأوسط [3].

نجحت المدرسة المالكية منذ ظهورها بالأندلس في توطيد مكانة هذا المذهب بتلك الربوع،وامتدت حتى إلى سبتة وفاس من مناطق العدوة الأولى،وكان حَمَلَ فِكر المدرسة المالكية

---

[1]- عمر الجيدي، **المرجع السابق**،ص،ص:15، 16.

[2]- ويذكر المقري في نفح الطيب اسم الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية على أنه هو من غيَّر مذهب الأندلس من الأوزاعي إلى المالكي بفرضه على رعيته الفتيا والقضاء وفق مذهب مالك،"وبذلك انتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا،بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره"،لكن عمر الجيدي يعارضه في أن ذلك كان عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان لا في عهد الحكم،أما سبب هذا التغيير فحسب ما يذكر المقري دائما ،فهو بسبب دعاء مالك الذي بلغ الأمير عن طريق رعيته الذين قصدوا الحجاز للحج وطلب العلم،إذ بعدما "سألهم عن حال ملكهم معهم ومدحوه له قال:"نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم"،أو كلاما هذا معناه فنُمِيَّتْ المسألة إلى ملك الأندلس،مع ما علم من جلالة مالك وقدر،فحمل الناس على مذهبه،وترك مذهب الأوزاعي،والله تعالى أعلم".ينظر:أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج:03،ص:230؛القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج:02،ص:27؛عمر الجيدي،**المرجع نفسه**،ص:17.

[3]- محمد بن محمد مخلوف،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،ص:129.

إلى الأندلس وأسَّسَ لها يحي بن يحي الفقيه،الذي أخذ عن الإمام مالك "الموطأ"،ثم توجه إلى مصر بعد وفاة مالك،لينهل من مَعين علم زعيمي المدرسة المصرية والمدينية(ابن القاسم وابن وهب)،دون تعصب لأحدهما،ثم حمله بعده تلميذه العتبي(ت 254هـ)[1]،الذي أخذ عنه كما أخذ عن الإمام سحنون،ثم دوَّنَ مستخرجته التي جمع فيها أقوال مالك وصاحبه،فاعتنى بها أهل الأندلس وعكفوا عليها،واعتمدوها وهجروا ما سواها وبَوَّبُوهَا،ثم أفضى الأمر بعده إلى تلميذه بن لبابة(ت 314هـ)[2]،الذي دارت عليه الأحكام وتدريس الرأي،أكثر من ستين سنة،ولم تزل هذه المدرسة يذيع صيتها،ويطير ذكرها في الأندلس بالفضل بن سلمة(ت 319هـ)[3]،وأبي بكر بن زرب (ت 381هـ)[4].

كان هذا بالنسبة للأندلس وكيفية تحولها إلى مذهب الإمام مالك،وأهم فقهائه الذين يعود لهم الفضل في نشر هذا المذهب وتوسيع قاعدته بعُدوة الأندلس،أما بالنسبة للمغرب الأدنى والأوسط فبعد عودة طلبة العلم الذين سبق ذكرهم إلى ديارهم،بدأ الدور الثاني لانتشار وتمكين

---

[1]-**العتيبي**:هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز كنيته أبو عبد الله،سمع من يحي بن يحي وسحنون وغيرهما، روى ابن لبابة عنه كتابه المستخرجة المشهور"بالعتيبية"نسبة إليه،توفي(سنة254هوقيل 255هـ). ينظر:محمد المختار محمد المامي،**المرجع السابق**،ص:100.

[2]-**ابن لبابة**:هو محمد بن عمر بن لبابة،كنيته أبو عبد الله،أخذ عن العتيبي وغيره،لكنه اختص به،كان يحب الحجة والكلام في الفقه،توفي (سنة 314هـ).ينظر:القاضي عياض، **المصدر السابق** ،ج:05،ص-ص: 153- 156؛ محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص:101.

[3]-**الفضل بن سلمة** : هو الفضل بن سلمة بن حريز بن منخل الجهني مولاهم،سمع من أصحاب سحنون،وسلك طريقتهم،له مختصر في المدونة ومختصر في الواضحة،وله مختصر الموازية وكتاب جمع فيه مسائل المدونة والمستخرجة والمجموعة،توفي(سنة 319هـ).ينظر:ابن الفرضي،**تاريخ علماء الأندلس**، ج:01 تح:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،القاهرة-مصر،دار الكتاب اللبناني،بيروت-لبنان،ط: 02، 1989م،ص،ص:352،353؛القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج:05،ص،ص: 222، 223.

[4]-**أبو بكر بن زرب**: هو أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي،ألَّفَ كتاب الخصال المشهور في الفقه على مذهب مالك،توفي(سنة 381هـ).ينظر:ابن الفرضي، **المصدر نفسه** ،ج:02،ص،ص:94،95؛ القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج:07،ص- ص:114- 118.

المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي،فعرفت المنطقة حركية علمية ونشاط فقهي مميز،بداية بعودة علي بن زياد،ثم البهلول بن راشد الذي كان شديد المقاومة لأهل البدع والأهواء [1]،وعبد الله بن عمر بن غانم،وبعده تلميذاه الذين تخرجا على يديه أسد بن الفرات(ت213هـ) [2]،الذي كان له أكبر أثر في تدوين فقه هذه المدرسة من خلال كتابه المعروف بالأسدية نسبة إليه،وسحنون بن سعيد(ت 240هـ)،الذي استطاع هو الآخر أن يربط تلك الفروع بأصولها في مدونته،نتيجة إحاطته بأصول إمامه،تلك الإحاطة التي ورثها عن شيخه علي بن زياد ونمَّاها وصقلها على شيخه الآخر ابن القاسم [3].

وقد عرفت المنطقة في زمن الإمام سحنون ازدهارا علميا كبيرا خاصة على مستوى المدرسة المالكية،حتى جعل بن حارث [4] عهده كأنه مبتدأ قد محا ما قبله،فكان أصحابه سرج أهل القيروان،"فهو عالمها،،وابن عبدوس [5] فقيهها،وابن عمر [6] حافظها" [1]،كان هذا العهد بداية ترسيخ

---

[1] - يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01، ص:284.

[2] -رغم أن هناك الكثير من المؤلفين يعدُّ أسد ابن الفرات في عداد الفقهاء الأحناف على أنه تحول من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي.

[3] -عمر الجيدي،**المرجع السابق**،ص:96.

[4] -**بن الحارث**: هو محمد بن الحارث بن أسد الخشني،يُكَنىَ أبا عبد الله،له تآليف كثيرة،أوصلها بعض المؤرخين إلى المائة،منها الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك،وتاريخ علماء الأندلس،وطبقات فقهاء المالكية،وتاريخ قضاة الأندلس،وكتاب في حياة سحنون،توفي(سنة 361هـ).ينظر:محمد بن محمد مخلوف، **المرجع السابق**، ص:95.

[5] -**ابن عبدوس**:هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير،من كبار أصحاب سحنون،له كتاب المجموعة أعجلته المنيَّة عن إتمامه،وله أيضا كتاب التفاسير،تفسير المرابحة،وتفسير المواضعة،وتفسير كتاب الشفعة،وكتاب الدور،وغير ذلك من الكتب،توفي(سنة 260هـ).ينظر:محمد المختار محمد المامي، **المرجع السابق**،ص:97.

[6] -**ابن عمر**:هو يحي بن عمر الأندلسي سمع من سحنون،ثم رحل إلى المشرق،ثم عاد فسكن القيروان حتى مات(سنة289هـ)،من مؤلفاته أحكام السوق.ينظر:أبو العرب، **المصدر السابق**،ص،ص:134، 135؛ أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:490.

ترسيخ لأسس قاعدة المدرسة المالكية بالمغرب الإسلامي،ليَتِمَ لطلبة هذه النخبة الفضل في التقدم بزيادة توسع هذه المدرسة على نطاق شعبي واسع،وذلك بما عرفه المجتمع المغاربي سلطة ورعية من فضل ودين وكذا أخلاق هؤلاء،كيف لا وهم من جنى ثمار شجرة علم الإمام مالك من يد تلاميذه فتلاميذ تلاميذه.

بعد هذه الكوكبة من الفقهاء خلفهم خلف واصل المسيرة من طلبتهم،وهم من تولوا الدور الثالث لترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي،وهم كما يسميهم يوسف بن أحمد حوالة صغار تلاميذ سحنون،عايشوا سقوط دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية،وعايشوا عنفوان المد الشيعي والمقاومة العنيفة له،ولم يستجيبوا لكل وسائل الترغيب والترهيب التي لجأ إليها الفاطميون،لإثنائهم عن مذهبهم المالكي،لعلنا نذكر منهم أبرزهم:

بداية **بجبلة بن عبد الرحمان الصدفي** :(ت299هـ)[2]،كان يقول بمذاهب العراقيين ثم تحوَّل إلى المذهب المالكي،وأصبح يذود عنه ضد الأحناف الأغالبة،ثم ضد الشيعة الفاطميين[3].

ومنهم أيضا **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي المعروف بابن برذون** (ت 299هـ)[4]،وقد دافع عن المذهب أيام الأغالبة،ثم لما قدِم الشيعة راودوه ترك مذهبه لكنه أبى،فأمروا بقتله هو والفقيه **أبو بكر بن هذين**[1].

---

[1]- محمد المختار محمد المامي،**المرجع السابق**،ص :97.

[2]-أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان بن مسلمة الصدفي،كان يسمع كلام العراقيين في البداية،ثم ترك ذلك وصحب سحنون وغيره من أئمة المالكية،فاق أصحاب سحنون في الزهد والعبادة،لما دخل عبيد الله الشيعي إفريقية ترك جبلة سكنى الرباط ونزل القيروان،ولم يكن في وقته من هو أكثر منه مجاهدة لعبيد الله وشيعته،توفي(سنة 299هـ)،ودفن بباب سلم متصلا بقبر البهلول بن راشد من الشرق.ينظر:أبو زيد الدَّباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص- ص: 271- 280.

[3]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص:284.

[4]-**ابن برذون**: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي المعروف بابن البرذون،سمع من رجال سحنون،كان فقيها بارعا في العلم يذهب مذهب النظر من رجال أبي عثمان سعيد بن الحداد،ولم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه،كان شديد التَحَنُّك للعراقيين والمناظرة،فدارت عليه بذلك دوائر دولتهم،فضرب بالسياط من قاضي القيروان،ثم سعى عليه العراقيون عند

ونذكر أيضا **محمد بن محمد خيرون المعافري الأندلسي**[2] (ت301هـ)،الذي دفع حياته ثمنا لنصرة المذهب المالكي والتمكين له،ولوفاته قصة يذكرها صاحب معالم الإيمان مفصّلة ويذكر كيف دارت الدائرة على القاضي المروذي الذي سعى به للقاضي الشيعي ابن خنزير.

_**أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد**[3] (ت302هـ)،واجه الفاطميين ودعاتهم في عدة مجالس للمناظرة،كانت أغلبها في توضيح بعض اتجاهات المذهبين المالكي والاسماعيلي في بعض الأمور العقائدية[4].

_**أبي بكر بن اللبَّاد** (ت333هـ)[5]،الذي كان من حُفاظ المذهب على غرار شيخه ابن عمر المتقدم ذِكره،وأصحابه الذين بلغوا في العلم شأواً عظيما،خاصة **دراس بن إسماعيل**[1]،وهو يعد ناشر فكر هذه المدرسة المالكية بفاس[2].

=دخول الشيعة فأمر أبو العباس الشيعي، القاضي محمد بن عمر المروذي،بضرب عنقه هو والفقيه أبو بكر بن هذيل وطيف بهما مسحوبين على وجوههما مربوطان إلى سند بغل،وكان ذلك سنة(299هـ)،ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص-ص: 261- 265.

1- ينظر ترجمته،أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج :02،ص- ص: 266- 269.

2- ينظر ترجمته،أبو زيد الدبأغ **المصدر نفسه**،ج:02،ص- ص:289- 290.

3- يذكر الدباغ أنه تحول من المالكية إلى الشافعية،وحدث أن ناظر عبيد الله الشيعي وغلبه،ينظر : أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص:295، 298.

4- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:258.

5- **ابن اللبَّاد** :هو أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح اللخمي مولاهم،من أصحاب يحي بن عمر وبه تفقه وتفقه به ابن أبي زيد،ألَّف كتاب الطهارة،وكتاب فضائل مالك،وكتاب الآثار والفوائد عشرة أجزاء،كان إماما في الدين وعالما في مذهب مالك مع صحبة الصالحين،وكان لا نظير له في علم القرآن قراءته وإعرابه،وأحكامه وناسخه ومنسوخه،اتفقت عليه محنة من قِبل أشياع بني عبيد،وسجن أياما ثم أطلق ومُنع الفتوى والإسماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفي،توفي(سنة 333هـ)وهو ابن ثلاث وثمانين سنة،قبل دخول أبي يزيد الخارجي إلى القيروان بثلاثة أيام.ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج: 03،ص،ص: 21، 26؛ محمد المختار محمد المامي،**المرجع السابق**،ص :97.

_**ومنهم: أبو الفضل العباس بن عيسى الممسي**(ت333هـ)،كان ممن خرج لقتال بني عبيد من أهل القيروان،قال المالكي:" رأى أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرض،لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام،وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين"[3].

دون أن ننسى ذكر بعض الفقهاء ممن كان لهم دور فعّال في مقاومة الوجود الفاطمي بكل الأساليب السلمية(التأليف و المناظرات والتدريس وغيرها...)،أو بالطرق الحربية (المشاركة في الثورات كثورة صاحب الحمار التي تبرز رد الفعل العنيف وتقّر عن الرفض للعبيديين)،ومنهم: **ربيع القطان**[4](ت333هـ)،كان يبيع القطن،وقطع على نفسه أن لا يشبع من طعام أو نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد،خرج مع أبي يزيد لحرب بني عبيد،وكانت له حلقة بجامع القيروان أيامه.

_ **أبو العرب محمد بن تميم بن تمام ابن تميم التميمي** (ت333هـ)،وهو مؤرخ كثير التأليف والمشايخ،ثقة ثبتا صحيح التقييد ضابط الرواية،وهو رافع للواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه،ومعاني الحديث[5]،وهو ممن قُتل دفاعا عن المذهب والسُّنة مع صحبه الممسي وربيع القطان،في الموقعة التي حدثت بين أهل القيروان بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد والشيعة سنة(333هـ)[6].

_**محمد بن الفتح المؤدب المرجي المعروف بابن الصواف يكنى بأبي بكر** (ت334هـ)،أحد من عقد للخروج على بني عبيد لكنه لم يخرج لضعفه وكبر سنه،كان يستتر

---

[1]-**دراس بن إسماعيل** : من أهل فاس،أخذ العلم عن أبي بكر اللبّاد وغيره،توفي (سنة 357هـ)وقيل (سنة358هـ) بفاس.ينظر: محمد بن محمد مخلوف،**شجرة النور الزكية**،ص:103

[2]- محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص:103.

[3]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03، ص:30.

[4]- ينظر ترجمته في :أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج:03،ص:34.

[5]-أبو زيد الدبّاغ، **المصدر نفسه**، ج :03،ص:38.

[6]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص:288.

ويقرأ على أصحابه خوفا من بني عبيد الذين منعوهم من بث العلم،وسجنوا العلماء في دورهم[1]،ومنهم **أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي الزاهد** (ت 356هـ)،كان من أهل القيروان مباينا لأهل البدع شديد الغلظة عليهم،وكان معاديا لبني عبيد ولا يلقاهم إلا متسلحا.

_**أبو محمد عبد الله بن قاسم بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجّام** (ت 346هـ)[2]،كان جد معادي للعبيديين لدرجة أنه لم يكن يرد عليهم السلام، **أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي الدباغ** (ت 359هـ)[3]،وغيرهم كثير ممن ذاد عن مذهب مالك ووقف في وجه بني عبيد مدافعا عن مذهبه.

نذكر أيضا **ابن أبي زيد القيرواني**[4] –وإن كان الحديث عنه خارج الإطار الزماني للبحث – الذي انتشل الفكر من الضياع بذهاب أئمته نتيجة ما توالى عليهم من محن ونكبات أيام بني عبيد،فقد استطاع أن يجمع ما تناثر من روايات وآراء لأئمة المذهب في المدونات المالكية المختلفة،غير المدونة السحنونية،في كتابه الكبير المعروف"بالنوادر والزيادات على ما في المدونة"،مُرَجِحًا ومُشَهِراً[5].

وإذا ما حاولنا رصد أهم أسباب انتشار المذهب المالكي وازدهاره ثم انحصاره حينا آخر نجد **أهمها** مايلي:

_ من العوامل السياسية،نجد غياب الدعم السياسي للمذهب قبل النصف الأخير من القرن الرابع الهجري،وإن كان أيام الإمام سحنون وتلاميذه على عهد الأغالبة قد عرف مدًا واسعاً،وذلك لسماح بني الأغلب لهذا الفكر ورجاله من صنع قاعدة متينة،وذلك من تمكينهم–

[1]– أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص،ص:38، 39.

[2]– أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:59.

[3]– أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص،ص:75، 78.

[4]–هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان القيرواني النفزي،كان إمام المالكية في وقته حتى عُرف بمالك الصغير،له كتاب النوادر والزيادات،ومختصر المدونة،والرسالة،وتهذيب العتيبية،توفي(سنة 386هـ) ينظر:محمد المختار محمد المامي،**المرجع السابق**،ص:98.

[5]– محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص:98.

في حدود–من مناصب هامة في الدولة إلى جانب الفقهاء الأحناف،وذلك في القضاء،والفتيا،والتدريس[1]–لاتقاء شرهم من وجهة نظرنا–وبالتالي مشاركتهم في الحياة السياسية والاجتماعية المذهبية،مما ساهم في ازدهار التفريع والتأصيل،لكن هذا المد عرف بعد دخول بني عبيد جزرا شديدا،إذ منعوا الفتيا بمذهبهم،وأُمِرُوا بالفتيا على السلطة السياسية الجديدة،لكنهم رغم ذلك لم يتوانوا عن التدارس والتذاكر سرا،ومنهم أبو بكر اللباد الذي سبق ذكره،والذي مُنِعَ من الفتوى و التدريس إلى أن توفي،ولم تكن ثورة أبي يزيد الخارجي إلا شكلا آخر من أشكال محاولات دحض المذهب المالكي لكن بصيغة غير مباشرة،إذ انتشر فيها القتل لأعيان المذهب،ومن بقي منهم اتجه في الغالب إلى التصوف،والابتعاد عن واقع الناس،حتى صار تدريس التصوف هو موضوع الحِلَقْ بدلا من تدريس الفقه وأصوله [2]،هربا من عدم القدرة على تغيير الواقع أو تربية للناس على الصبر على الابتلاء،ولازالوا كذلك حتى زال عنهم العبيديين،وعاود الفقهاء نشاطهم لاسترداد مكانة المدرسة المالكية بالمغرب الإسلامي وعلى رأسهم الفقيه ابن أبي زيد القيرواني.

ـ لم تكن الرحلة العلمية لطلبة العلم المغاربة إلى بلاد المشرق واحتكاكهم بباقي المذاهب الفقهية هناك،خاصة المذهب الشافعي،السبب الوحيد في نشاط الحركة الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي وفق المذهب المالكي،وإنما حتى محنتهم على يد العبيديين،ساهمت في ذلك التفاعل بين المذاهب السُّنية لاشتراكهما في مواجهة العدو الواحد،فعبَّروا عن مهادنتهم لبعض عن طريق المناهج التعليمية أو المؤلفات،بل وحتى التقليد والإتباع في الآراء الفقهية أحيانا[3].

رغم كل ما كان من ظروف سياسية عاتية سارت عكس وجود المذهب المالكي،وكلها كانت تنذر بزواله إن لم يكن على يد الأغالبة الحنفيين الذين تعايشوا معهم،فكاد يكون على يد الشيعة الفاطميين،لو لا ما بذله رجالات هذا المذهب ،وما قدموه من تضحيات في سبيل

---

[1] – محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص :108.

[2] –القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج:05،ص–ص:310–312؛أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**، ج:01،ص،ص: 495، 496.

[3] – محمد المختار محمد المامي،**المرجع نفسه**،ص:113.

الحفاظ على هذه المدرسة المدينية المالكية بأرض المغرب الإسلامي،والتي كاد نشاطهم الفكري يحولها إلى الحجاز الصغيرة بما ضمته من علماء وفق مذهب مالك،وحتى من باقي المذاهب السنية،وقد أثمرت جهودهم بعد زوال الدولة الفاطمية برحيلها إلى المشرق واستلام الزيريين سلطة الحكم بالمغرب الأدنى وصولا إلى المغرب الأوسط،وإقرارهم للمذهب المالكي مذهبا رسميا للدولة،وعليه تجري معاملات الرعية من قضاء وفتيا وغيرها،وبقي المذهب المعمول به بكل المغرب الإسلامي إلا في أجزاء بسيطة منه،والتي بقيت على مذهب الإباضية أو الحنفية،هذه الأخيرة لا يستبعد زوالها النهائي في الفترة الحديثة والمعاصرة.

ج_ أهم فقهاء الشافعية:

يُنسب المذهب الشافعي إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150هـ204هـ/ 767م-819م)،وأصول مذهبه هي:الكتاب والسنّة،الإجماع وأقوال الصحابة والقياس،وقد أبدى الإمام الشافعي قدرة فائقة في مجال تنظيم وتقنين أصول الفقه كما يتجلى ذلك في كتابه "الرسالة"،الذي يُعَدُّ الأول من نوعه لدى المسلمين في هذا الباب،ولعل هذا ما جعل بعض أهل إفريقية-أقلية منهم- يتأثرون به ويتبنّون مذهبه .

المذهب الشافعي وانتشاره بالمغرب الإسلامي يكاد يكون محل إجماع بين المؤرخين على أنه كان انتشارا ضئيلا،ولا يوجد تعليل منطقي لانصراف أهل المغرب الإسلامي عامة وطلبة العلم خاصة عن هذا المذهب،لذا لجأنا إلى بعض ما وجدنا من قرائن ودلائل جاءت على لسان المقدسي،تفسِّر ذلك الانتشار الضئيل بكون المغاربة رفضوا التمذهب بمذهب الشافعي تعصبا منهم لمالك،لأنه ساءهم أن يخرج الشافعي عن مذهب شيخه بمذهب جديد،وهو الذي أخذ العلم عنه[1]،لكن هذا التفسير يبقى غير منطقي تماما لأن الإنسان يميل إلى ما يخدم أفكاره ويتماشى مع بيئته،وليس من المنطقي أن يتمسك بمذهب لمجرد أنه تمذهب به منذ البداية ولم يرد تغييره،رغم رغبته في الآخر،أما السبب الثاني الذي يحمل نوعا من الموضوعية ربما- فيما رواه المقدسي دائما- هو أن المغاربة لم يروا وقتها ما يثير اهتمامهم في المذاهب الأخرى،لأنهم اكتفوا بمذهب مالك والحنفي،وما دونهما لم يلقى من الأهمية شيء،اللهم إلا بعض الأفراد ممن كان

[1] - يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص:313.

يبحث عن الابتعاد عن دائرة الاختلافات والخلافات الناشئة بين المالكية والحنفية،لكن يبقى الغالب منهم ينهل من بحري هذين المذهبين،مبتعدا عن الانشغال بالساقية كما يعبَّر عنه المقدسي[1]،مستغنين عن غيرهما،لكننا كما ذكرنا لا نعدم وجود بعض ممن تمذهب بمذهب الشافعي من المغاربة،ولعل كتب التراجم والطبقات قد أشارت لبعضهم.

ولا يمكننا الحديث عن الفقهاء الشافعية بالمغرب الإسلامي،دون أن نتطرق إلى كيفية دخول هذا المذهب إليه،مع الأسف فإن المصادر والمراجع التاريخية لا تذكر شيئا عن ذلك،لكننا نرجح في ذلك عامل الرحلة كونه المنفذ الأقرب لتسلل هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي،خاصة ما كان منها للحج،فالحجاج المغاربة لم تكن رحلاتهم إلى المشرق وإلى الحجاز خاصة فقط للحج،وإنما للتزود بعلوم رجالات المشرق ،وبالاغتراف قدر المستطاع من علومهم على اختلاف مشاربها،أما المسار الثاني فيمكن أن يكون عن طريق من وفد إلى بلاد المغرب الإسلامي من أهل الأندلس[2]عائدا من المشرق متأثرا بمن لاقى به من شافعية وأخذ بآرائهم.

كما ذكرنا سالفا أن معظم المصادر والمراجع التي أمكننا الإطلاع عليها لا تذكر من كان من فقهاء المذهب الشافعي بالمغرب الإسلامي على عهد الدولة الفاطمية،لكن بعضها لا يخلو من الإشارة إلى بعضهم،مثلما هو الحال مع أبو زيد الدباغ،الذي ذكر في مُؤَلَّفِه "معالم الإيمان" ترجمة لرجلين منهم هما: **أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد**[3]،والذي يذكر أنه كان مالكيا ثم تحوَّل إلى الشافعية،غير أن هذا الرأي لا يذهب إليه غيره،فباقي المصادر والمراجع في معظمها تضمُّه إلى قائمة فقهاء عصره من المالكية،وإن كان فقهاء السنة في الفترة قيد الدراسة متداخلي المذاهب كثيرا،بمعنى أن الكثير منهم كان على مذهب سني معين ثم تحوَّل

---

[1] – هذا ما يذكره يوسف بن أحمد حوالة على لسان المقدسي دون أن يذكر توثيقه لذلك.ينظر:يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01،ص:314.

[2] –لأن هذا المذهب أخذ به أهل الأندلس وطلبتهم أكثر من أهل المغرب عامة وسنتطرق إلى ذكر بعض من الفقهاء الأندلسيين الذي أخذوا بهذا المذهب.

[3] – ينظر ترجمته في:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص،ص:295، 298.

عنه إلى مذهب سني آخر كالشافعي أو من الحنفي أو المالكي بعد أن كان على غيره،وذلك تأثرا بآراء فقهاء ذلك المذهب وشيوخه .

ومنهم أيضا: **أبو العباس الفضل بن نصر الباهي المعروف بابن الرايس** [1]،**أبو عبد الله محمد بن علي البجلي(ت 314هـ/926م)** [2]،**وأبو إبراهيم إسحاق بن النعمان(ت 315هـ/927م)**،**وأبو العباس التستري**،وكذا **أبو العباس السندي** الذي ضُرِبَ وعُذِبَ من قِبَل الشيعي،**وتوفي قبل سنة(320هـ/932م)** [3]،على أن أبرزهم **هو عبد الملك بن محمد الضبي المعروف بابن بردون** [4]،الذي كان من المناظرين في الفقه والجدل،إلا أنه تشرَّقَ وكان يفتخر بذلك.

يمكننا أن نلاحظ من خلال الروايات التاريخية القليلة عن أتباع هذا المذهب،أنهم لم يتبوَّؤُا مناصب يمكن أن تساعدهم على نشر مذهبهم وتكوين قاعدة اجتماعية مرموقة،كما هو الحال مثلا بالنسبة للمذهبين الحنفي والمالكي،كما سبق لنا القول،وحتى لما عُرِضَ القضاء مثلا على أبي عيد الله علي بن البجلي رفضه،كما أنَّ تلقي الإمام الشافعي العلم عن الإمام مالك ثم مخالفته إياه في بعض الأصول كالاستحسان وعمل أهل المدينة،حال دون ذيوعه بشكل كبير،وابتعادهم عنه،لأنهم رأوا بأنه أقل من ناحية سعة علمه من الإمامين أبي حنيفة ومالك،لذا على الرغم من وجود مصر على طريق رحلة المغاربة إلى بلاد المشرق،والاهتمام الذي

---

[1]- **أبو العباس الفضل بن نصر الباهي المعروف بابن الرايس:** كان فقيها صالحا يميل إلى مذهب الشافعي وإلى النظر والحجة،وقال أبو بكر المالكي:"كان عالما بمذهب الشافعي"،سكن سوسة ثم انتقل منها إلى القيروان،وكانت له مهمة ورئاسة بالقيروان وحسن هيئة،وله شعر راق وأدب عظيم،وله مخاطبات ومراثي عديدة رثى بها ابنه الذي فقده بالجزيرة،توفي سنة(344هـ).ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج:03،ص:56.

[2]- حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص:115.

[3]- حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص:115.

[4]-سبق لنا الترجمة له انطلاقا من قول الدباغ على أنه مالكي المذهب لا شافعي ولعل ميله للنظر كما ذكر الدباغ جعل بعض الباحثين يعدون في جملة الفقهاء الشافعية بالمغرب الإسلامي.ينظر:أبو زيد الدبَّاغ،**المصدر نفسه**،ج:01، ص:261؛حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص:115.

أبداه الإمام الشافعي بعد إقامته بها بنشر مذهبه،خصوصا من خلال تقريبه لطلبة العلم الغرباء منه،وحثِّه لكبار تلاميذه على ذلك،فإن هذا الأمر لم يفلح في جلب فقهاء المالكية إلى مذهبه،ما عدا بعضهم ممن أبدوا ميولا إلى هذا المذهب في بعض المسائل،مثل:أبي العباس عبد الله بن أحمد المعروف بالأبياني،وأبو القاسم السيوري[1]،فإن جُلَّهم كان يبغض هذا المذهب،لذا فقد ضيَّقوا على أتباعه مستعينين في ذلك بقضاتهم[2].

ونظرا لشدة امتعاضهم منه فإنهم لم يتوانوا في وضع المؤلفات في الرد على الشافعي،منها: كتاب"الرد على الشافعي وأهل العراق"لمحمد بن سحنون[3]،وكتاب"الرد على الشافعي"ليحي بن عمر[4]،وكتاب"الرد على المخالفين لمالك"-من الشافعية وغيرهم-لعبد الله بن أحمد بن طالب[5]،ولعل هذا ما حمل ابن العباداني الشافعي على انتقاص مالك في مجلس محمد بن سحنون[6].

وعلى الرغم من أن المصادر والمراجع لا تذكر لنا إن كان الشافعية قد وضعوا مصنفات أو مؤَلفات بصفة عامة في الرد على الشيعة العبيديين،إلا أننا لا نستبعد ذلك انطلاقا من وضع بعضهم مؤلفات في الرد على المالكية،وهم أهل سنة مثلهم،فكيف بمن هم على غير مذهبهم،خاصة وأن الشافعية كما يذكر الخشني كانوا من أهل النظر،مما يوحي لنا تفاعلهم مع شتى التطورات الفكرية،ومما يؤكد لنا ذلك أيضا هو مُؤَلَّفْ أبو عبد الله محمد بن علي البجلي الذي ألَّفه في "الرد على الشكوكية"[7]،وكتاب في"الحجة في الشاهد واليمين"في أربعة أجزاء،وهي

---

[1]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:326.

[2]- نجم الدين الهنتاني، **المرجع السابق**،ص:110.

[3]- ابن فرحون،**المصدر السابق**،ص :334.

[4]- محمد بن محمد مخلوف،**المرجع السابق**،ص:73.

[5]- ابن فرحون،**المصدر نفسه**،ص :219.

[6]- نجم الدين الهنتاني،**المرجع نفسه**،ص :110.

[7]-**الشكوكية** :أتباع محمد بن عبدوس في مسألة الاستثناء في الإيمان.ينظر:حفيظ كعوان، **المرجع السابق**،ص:117.

أجزاء،وهي مؤلفات في الرد على المالكية،لذا لا يستبعد أن تكون هناك تآليف من طرف الشافعية في الرد على الشيعة لكن لم تذكر المصادر عنها شيئا.

ولا يمكننا أن نتجاوز ذكر فقهاء الشافعية بالأندلس خلال الفترة قيد الدراسة،حيث يفيدنا عمر الجيدي في كتابه"مباحث في المذهب المالكي"بذكر جملة من فقهاء الشافعية بالأندلس فيما يوافق عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،وكذا ذكر من دخل هذا المذهب على أيديهم إلى الأندلس،"حيث يعزى ذلك إلى جماعة من كبار العلماء،منهم قاسم بن محمد بن سيار القرطبي،الذي رحل إلى المشرق أواسط القرن الثالث الهجري،ودرس على كبار شيوخ الشافعية،ولما عاد إلى الأندلس أنكر على فقهائها تقليدهم الأعمى لما كان عليه شيوخهم المالكية،وانصرف إلى نشر المذهب الشافعي بين أهل بلده عن طريق التدريس والتأليف،وعهد إليه الأمير محمد بتحرير وثائقه وشروطه،وظل بهذا المنصب إلى وفاته سنة(276هـ/890م).

ويُذكر أيضا المحَدِّث المسند بقي بن مخلد،الذي كان أول من أدخل كتب الشافعي إلى الأندلس،وخلَّف وراءه نفرا طيبا من تلاميذه،الذين دَرَسُوا المذهب الشافعي على يديه، ومنهم:هارون بن نصر القرطبي(ت302هـ/914م)[1]،وعثمان بن وكيل من أهل المدور الأقصى من حوز قرطبة،وحرقوص بن عثمان بن سعيد الجياني(توفي قريبا من سنة 320هـ/ 932م) وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد (ت 319هـ/931م)،وعبد السلام بن السمح بن نابل الهواري(ت303هـ/915م)،رحل إلى المشرق وتفقَّه بمصر للشافعي،وقدم الأندلس،وكان حافظا لمذهب الشافعي حسن القيام به،وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن التجيبي القرطبي المعروف بابن الزيات(ت 314هـ/926م)،رحل مرتين إلى المشرق وتمذهب بمذهب الشافعي[2].

بعض المصادر التاريخية مثل القاضي عياض المالكي تذكر جملة ممن حمل المذهب الشافعي أو تحوَّل إليه مثل:محمد بن لبابة،يحي بن عبد العزيز،أحمد بن شرين،محمد بن إسماعيل التجيبي،كلهم كانوا على مذهب الشافعي،والأمير الحكم الثاني كان يظلل بحمايته نفرا من

[1] –"صحب بقيا حوالي أربع عشرة سنة،أثر فيها الرواية عنه،ومال إلى كتب الشافعي فعني بها ،وحفظها وتفقه فيها".ينظر: عمر الجيدي،**المرجع السابق**،ص:23.

[2] –أحمد بن محمد المقري التلمساني،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج:02،ص:528.

الشافعية تحوّلوا إلى مذهب الإعتزال،وكان هو نفسه يحتفظ في مكتبته بنسخة من كتاب الأم للإمام الشافعي،إلى غير هؤلاء من الأعلام الذين تمذهبوا بالمذهب الشافعي [1] كان هؤلاء من تيسر لنا ذكرهم مما ذُكر في المؤلفات التاريخية،من فهاء هذا المذهب في المغرب والأندلس،دون أن نجد من تابع أعمالهم وسِيَّرَهم.

ومما سبق يمكن أن نستنتج موقف فقهاء الشافعية من الدولة الفاطمية الشيعية،فَهُمْ على موقف أهل السُّنة وإن كانت بينهم بعض الاختلافات في الفروع،إلا أنها لا تتعدى كونها مجرد اختلافات فقهية،لكن علاقتهم بالشيعة الفاطميين وموقفهم منهم يختلف تماما عن علاقتهم بأهل السُّنة،فرغم قِلتهم وضعف حيلتهم ببلاد المغرب الإسلامي،إلا أنهم شاركوا باقي أهل السنة وأهل المغرب الإسلامي بصفة عامة حتى الخوارج منهم،موقف الرفض المطلق للعبيديين،وإن كنا تطرقنا فيما سبق لأهم فقهاء مذاهب أهل السنّة من الحنفية والمالكية والشافعية،فلا يمكن أن لا نتطرق ولو بالذكر-كما سيأتي-للمذهب الحنبلي ببلاد المغرب الإسلامي خلال الحكم الفاطمي له.

د_ المذهب الحنبلي بالمغرب الإسلامي:

يُنسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،المولود ببغداد(سنة 164هـ) وتوفي بها(سنة 241هـ)،وقيل ولد بمرو،ورحل إلى بغداد رضيعا،ومذهبه رابع المذاهب الفقهية السنَّية المعمول بها عند جمهور المسلمين،وكان من خواص أصحاب الإمام الشافعي إلى مصر،وكان منشأ هذا المذهب ببغداد،ثم شاع في غيرها،ولكن دون شيوع باقي المذاهب [2]-أي أقل من شيوع باقي المذاهب السنِّية-خاصة في بلاد المغرب الإسلامي لأسباب سنتطرق لأهمها فيما سيأتي.

قال عبد الرحمان ابن خلدون:"وأما أحمد بن حنبل فمقلدوه قليل،لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض،وأكثرهم بالشام والعراق في بغداد ونواحيها،وهم أكثر الناس حفظا للسُّنة ورواية للحديث،وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورا بيِّناً إلى

[1] - عمر الجيدي،**المرجع السابق**،ص :25.

[2] - أحمد تيمور باشا،**المرجع السابق**،ص :81.

القرن السابع"،وعلَّله السيوطي في "حسن المحاضرة" بقوله:"وهم بالديار المصرية قليل جدا،ولم أسمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع وما بعده،وذلك أن الإمام أحمد كان في القرن الثالث،ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع،وفي هذا القرن ملك العبيديون مصر،فأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة،قتلا ونفيا وتشريدا،وأقاموا مذهب الرفض والشيعة،ولم يزولوا عنها إلا في أواخر القرن السادس،فتراجع إليها الأئمة من سائر المذاهب،وأول إمام من الحنابلة علمت حلوله بمصر هو الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب العمد"[1].

واستفحل أمر هذا المذهب ببغداد حوالي(سنة 323هـ)،أما عن انتشاره بباقي معاقل الإسلام من المشرق فكان يسير بوتيرة بطيئة وضعيفة،إذ لم يكن بالقوة التي تجعله مذهبا رسميا لدولة ما في تلك الفترة،أما عن وصوله وانتشاره ببلاد المغرب الإسلامي فلم نصادف في المصادر والمراجع التي أمكن لنا الاطلاع عليها ما يشير إلى وجوده به،أو إلى كيفية دخوله ولا حتى لبعض رجالاته الذين حَلُّوا بأرض المغرب الإسلامي،مما يجعلنا نعتقد أنه لم يصل إلى المغرب الإسلامي إلى في الفترات المتأخرة بداية من القرن السابع الهجري ربما،وذلك لجملة أسباب افترضناها وهي كالآتي:

1_الفترة التي استفحل فيها هذا المذهب بالعراق،أي حوالي ربع القرن الرابع الهجري كانت فيها بلاد المغرب الإسلامي تحت وطأة الحكم الفاطمي،ونظرا لما كانت تعرفه إذ ذاك من توتر في الأوضاع السياسية وحتى العلمية الفكرية،بين السُّنة والشيعة الفاطميين من جهة،وبين الخوارج والشيعة الفاطميين من جهة أخرى،وحتى بين السنّة والخوارج –وان كان هذا النوع من التوتر قد ركد نوعا ما في الفترة الفاطمية بعد أن كان جد نشط في عهد الأغالبة خاصة بالمغرب الأدنى– وما قاد إليه هذا التوتر من فتن وثورات فيما بعد،جعلنا نفترض غياب عامل الاستقرار السياسي للمنطقة وانشغال المغاربة به سببا لعدم دخول هذا المذهب إلى بلاد المغرب الإسلامي،لكننا لا نعدم وجوده به البتَّه،لأن الحركة المذهبية والفكرية التي كان يعرفها المغرب الإسلامي وقتها،كانت في أوج نشاطها ،إذ جعلت فقهاء المغرب الإسلامي وطلبتهم شغوفين بكل ما هو جديد من علوم خاصة ما كان منها فقهي صرف،وذلك لتدارسه والأخذ منه

[1]– أحمد تيمور باشا،**المرجع نفسه**،ص:82.

حسب ما يخدم ظروفهم وتوجهاتهم،أو إيجاد ثغرات رفضه ودحضه بكل الطرق العلمية الكفيلة بذلك،وهذا عامل سياسي فكري إن صح التعبير.

2_ بما أن الإمام أحمد بن حنبل أخذ علمه عن أتباع الإمام الشافعي،وهذا الأخير تلميذ الإمام مالك،ومنبوذ المذهب نوعا ما عند أهل المغرب الإسلامي لعدوله عن مذهب مالك واستحداثه لمذهب جديد خاص به-أي الشافعي- وكعلاقة طردية بين المذهب الحنبلي وأهل المغرب الإسلامي،يكون الرفض ناتجها،كعامل مذهبي.

3_ أما السبب الثالث والأخير حسب ما نعتقد،فهو عامل جغرافي بالدرجة الأولى سياسي بالدرجة الثانية،إذ أن منشأ هذا المذهب وبؤرة انتشاره هي العراق،ونظرا لبعد المسافات بين المغرب الإسلامي والعراق،وانعدام قنوات اتصال-إن أمكننا قول ذلك-بين المنطقتين،لعدم وجود هذه الأخيرة على طريق سير قوافل الحج،وانشغال فقهاء المغرب الإسلامي بما عرفته بلادهم من حركة فكرية مذهبية إذ ذاك أغنتهم عن كل من سواهم خارج إطارهم الجغرافي،إلا ما اتصل منه بمنشأ المذاهب السُّنية السابقة الذكر والتي كانت تتواجد به وتتنازع زعامته،مثل الحجاز لأجل مذهب مالك والتواصل مع أعيانه،وهذا السبب يقودنا أيضا إلى كون المذهب الحنبلي بدون دعامة سياسية،أو سلطة معنوية –أن صح التعبير- تدعمه وتذود عنه مثلما كان الأمر مع المذهب الحنفي الذي تظلل بحماية الأغالبة ورثة الخلافة العباسية بالمغرب الإسلامي،فالفترة التي ظهر بها المذهب الحنبلي كانت فيها الخلافة العباسية تتداعى،ليختم الانتقال الفاطمي إلى بلاد المشرق نهايتها ويعلن بداية كيان سياسي آخر يختلف عن سابقه مذهبا وأتباعها،والمذهب الحنبلي لم يكن يدين بالولاء لا لهذا ولا لذاك،وبالتالي كما بدأ ضعيفا انتشر وبقي إلى أوقات لاحقة في ضعفه وتلاشيه.

4/ أهم فقهاء الشيعة الإسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297- 361هـ/910- 972م):

اعتنى الشيعة الفاطميون بالفقه عناية خاصة كونه يمثل أحد دعائم مذهبهم،وأهم ركائزه،التي بها يذودون عن مبادئهم،لكن المصادر التاريخية والدراسات الحديثة-مع الأسف- لم تسعفنا في التعرف على وضعية الفقه الشيعي ورجالاته في بلاد المغرب الإسلامي،إذ لا يَعْدوا ذكرهم لأهم

فقهاء الدولة الفاطمية الشيعيين،الأئمة الأربعة الأوائل للمذهب،عبيد الله المهدي وابنه القائم المنصور،المعز،وبعض أعيان الدولة ممن كان له باع في الفقه،مع العلم أن اختيار الحكام الفاطميين أصحاب المناصب الحساسة في دولتهم كان يتم اعتبارا لفقه هؤلاء،وامتداد باعهم في العلم بأصول المذهب.

سنترك ذكر الأئمة الأوائل للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(عبيد الله المهدي،القائم، المنصور،المعز)،رغم كونهم من أهم فقهاء الدولة لأننا نعلم ما هم عليه من علم بالفقه الشيعي،ولذكرهم في الكثير من المؤلفات التاريخية ما يُغني القارئ عن مراجعتهم في هذا الموضع،وسنكتفي بذكر أهم فقهاء الشيعة في عهد هذه الدولة بالغرب الإسلامي،الذين صادف ذكرهم ضمن الروايات التاريخية،لأننا لا نجد تراجمهم في كتب السِّيَر والتراجم التي كانت كلها تقريبا سُنِّية المذهب،ونظرا لحساسية العلاقة بين السُّنة والشيعة ببلاد المغرب الإسلامي،لا نتوقع أن يُترجموا لشخصياتهم إلا ما كان عَرَضًا،وعدم توصلنا فيما اطلعنا عليه من مؤلفات لما يختُّص بتراجمهم.

لكننا سنحاول ذكر أهمهم انطلاقا مما بين أيدينا من مؤلفات تاريخية،إذ نجد على رأس هؤلاء الفقيه **القاضي النعمان ابن حيون**[1]،الذي عاصر كل الأئمة الفاطميين بالمغرب الإسلامي،وكان طيلة قربه بهم سندا رئيسيا قويًّا لهم،إذ وَلوُّهُ القضاء في بداية الأمر ثم قضاء القضاة(أي رئاسة القضاة)،،وقد بلغ من المكانة والنفوذ ما لم يبلغه مثيله من رجالات الدولة بالمغرب ومصر عهد الدولة الفاطمية إلا قليل،فكان لذلك يلقب عند الإسماعيلية "بسيدنا القاضي النعمان"،وكذلك للتفريق بينه وبين الإمام أبي حنيفة الذي يعزى إليه المذهب

---

[1]–**القاضي النعمان بن حيون**: هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيون التميمي المغربي،يُجهل تاريخ ميلاده لكن بعض المؤرخين يرجحون ولادته سنة(259هـ)،وهو حسب ما ذكر ابن خلكان كان مالكي المذهب ثم تحول إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي،وأصبح أحد أهم دعائمه،لأنه عاصر كل الأئمة الشيعة للدولة الفاطميين بالمغرب الإسلامي،له العديد من المؤلفات التي روى أخبارها عن أئمة الشيعة خاصة المعز،من مؤلفاته:المجالس والمسايرات،افتتاح الدعوة...الخ،توفي(سنة 363هـ).ينظر:ابن خلكان،**المصدر السابق**،ج:05،ص:215؛القاضي النعمان بن محمد المغربي **الهمة في آداب إتباع الأئمة**،نش وتح:محمد كامل حسين،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،د ط،ص،ص:05، 06.

الحنفي،وسُميَّ أيضا باسم"سيدنا الأوحد"،و"الداعية أبي حنيفة"،وقد وصل مرتبة الحجة المعلومة المعروفة عند الشيعة،فوصفه ابن خلكان بالعالم بوجوه الفقه،وعلم اختلاف الفقهاء إلى غير ذلك من العلوم والفنون،فكان كثير التأليف في شتى العلوم حتى قيل أن عدد كتبه بلغ بضعا وأربعين كتابا[1].

من أهم فقهاء الشيعة بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية، **جعفر بن منصور اليمني"ابن حوشب"**، الذي يعتبر من كبار دعاة المذهب الشيعي باليمن،غادر اليمن إلى المغرب سنة(322هـ)،وذلك عندما خلع أخوه أبو الحسن بن منصور طاعة عبيد الله المهدي في آخر أيامه،ولم يستجب لمعارضة أخيه جعفر فعل ذلك،فما كان من جعفر إلا الرحيل عن اليمن صوب المغرب،ويعتبر من أفقه فقهاء المذهب الشيعي بالمغرب وأهمهم،التحق بالمغرب الإسلامي في عهد القائم بأمر الله،وأحاطه المنصور بعده برعاية فائقة،وقرَّبه المعز فنال مرتبة"باب الأبواب"و"داعي الدعاة"،ثم رافقه إلى مصر وظل على رأس منصبه حتى وفاته(المجهول تاريخها)،امتاز جعفر بن منصور اليمن بنشاطه الفكري في حقل التأليف خاصة،وفي مجال الفلسفة الدينية،وكان خصبا في الإنتاج وله العديد من المؤلفات،منها كتاب الفرائض وحدود الدين،الشواهد والبيان،أسرار النطقاء ،الكشف[2]...وغيرها من المؤلفات الهامة في المذهب الشيعي.

يعقوب بن كلس[3] هو الآخر من فقهاء الدولة الفاطمية،الذين كانت لهم حُضْوَة عند المعز لدين الله الفاطمي،وذلك لما كان عليه من علم في الفقه الشيعي(الجعفري) كما تذكر بعض

---

[1]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص:362.

[2]- عارف تامر، **المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى** ،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت- لبنان،ط:01، 1982م، ص،ص: 207، 208.

[3]- **يعقوب بن كلس**:هو أبو الفرج يعقوب بن كلس،ولد ببغداد من أسرة يهودية،ونشأ فيها حيث درس الكتابة والحساب،اتخذ التجارة مهنته ومكسبه،أقام بعدها في الرملة بالشام،ثم انتقل إلى مصر سنة(334هـ)،وبفضل مرونته وجرأته اتصل بكافور الإخشيدي،فقرَّبه وعيَّنه في ديوانه الخاص،فاعتنق الإسلام،ولزم دراسة القرآن،رتَّب له كافور رجالا من العلماء درَّسوه أصول الدين الإسلامي،فاجتهد في الدرس حتى بلغ فيه درجة عالية وزاد من تقريب كافور له،مما أثار حسد الوزير جعفر بن الفرات،فنصب له

المراجع،ويمكن أن نذكر من فقهاء الشيعة الفاطميين بالمغرب أيضا **أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد بن عبد الرحمان**،الذي كان في إقليم طرابلس ،من أصل عراقي قدم المغرب صغيرا وعاش به حتى وفاته،وظل في كنف الدولة الفاطمية إلى أن توفي بعدهم(سنة376هـ)،مُخَلِّفاً الكثير من المؤلفات منها:تفسير الأحاديث والأحكام،ثواب القرآن،اختلاف الحديث وغير ذلك من المؤلفات[1].

هؤلاء كانوا أهم من تيسر لنا ذكرهم من فقهاء الشيعة في الدولة الفاطمية بالمغرب،ممن وردت أسماؤهم في المؤلفات التاريخية التي بين أيدينا،ولا شك أن مؤرخيهم وما تحلوا به من مكانة عن السلطة الحاكمة من جهة،ثم لما لهم من علم وفقه،خوَّلهم لنيل تلك المراتب،وهم على قِلَّتِهِم يَنُوبُون عن غيرهم ممن لم يكن لهم حظ في الذكر من طرف المؤرخين،لكننا لا نستبعد أن يكون الفقهاء الشيعة أصلا في عهد هذه الدولة قليلون،مرجحين كون تعاليم المذهب وما تَنُصُّ عليه من أنَّ الإمام أو الحاكم الفاطمي هو أصل كل علم،وأفقه الفقهاء ومنه أصول وفروع العلم،ما يغنيهم عن غيره وإن كان على قدر من العلم،فالمشَرِّعُ الأعلى للفقه عنده هو العالم بالتأويل،وهو ما اختص به الأئمة الأربعة بالمغرب الإسلامي عندهم،لكننا لا نعدم وجود رجال على قدر وافر من الفقه الشيعي خانهم الذكر من المؤلفات التاريخية،وجلُّها سُنِيَّة غضَّت الطرف عنهم وتَرَكَتْ ذِكرهم وَلَوْ عَرَضًا،ما صَعَّب وصول أخبارهم إلينا.

=الحبائل لإخراجه من البلاد،وبعد وفاة كافور سجنه،لكنه تمكن من الفرار إلى المغرب،حيث اتصل بالخليفة الفاطمي المعز لدين الله،فقرّبه وعطف عليه،ولازمه حتى انتقلوا إلى مصر،حيث عيَّنه على الخراج والحسبة والأموال والنظر في جميع أمور القصر(بعض المؤرخين يتهم ابن كلس بالجوسسة لصالح المعز،عندما كان في خدمة كافور وذلك لاتصاله بدعاة الفاطميين وتزويدهم سرا بكل أخبار مصر)،وبعد موت المعز ظل مقرباً عند الخليفة العزيز بالله رغم أنه سجنه في قصره سنة(343هـ)،ثم عاد وأطلقه دون أن تذكر المصادر التاريخية سبب ذلك،اهتم ابن كلس بالعلم ورجالاته اهتماما خاصا،وذلك لشغفه به،حيث قيل أن مؤلفاته بلغت العشرين مجلدا كلها فقدت ولم يبق منها إلا"الرسالة الوزيرية"،ويُذكر أنه صاحب فكرة تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة علمية،واهتم بكل تفاصيل هذا التحويل،توفي (سنة 380هـ).ينظر:عارف تامر،**المرجع نفسه**،ص،ص:209، 217.

[1] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص:364.

5/ أهم فقهاء المعتزلة في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297- 361هـ/910- 972م):

وُجدت العديد من المذاهب والفرق الكلامية بالمغرب الإسلامي،يجب أن نُنَوِّهَ هنا إلى أننا نقصد بالفرق الكلامية تلك التي تعارف المؤرخون وكُتَّاب الفرق الإسلامية،على أنها تعني المذاهب الكلامية العقائدية البحتة،والتي تأتي في مقدمتها فرقة المعتزلة ثم المرجئة وغيرها،ولا نقصد هنا المذاهب الدينية السياسية التي كان للكلام جانب كبير من معتقداتها كالخوارج والشيعة،لذا فإننا نصرف نظرنا عن دراسة باقي الفرق والمذاهب التي كانت ببلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة قيد الدراسة،مثل المذهب الظاهري،وفرقة المرجئة... وغيرها ،لنركز ذكرنا على فرقة المعتزلة،إلا أننا ومن باب الذكر والاختصار لا الحصر اقتصرنا على ذكر أهم فقهاء هذه الفرقة،لما نالته من اهتمام من أهل المغرب الإسلامي،وكان رجالها حاضرين في مختلف المجالس العلمية لفقهاء المذاهب السُنيّة،وحتى في مجالس الشيعة،ومشاركتهم فيها بالمناظرة وهو أهم ما ميَّز هؤلاء،إذ كان لهم رجالات تذود عن فرقتهم ببلاد المغرب الإسلامي،وتحاول الترسيخ لوجودها به، فلعلنا هنا نحاول ذكر أهمهم على النحو التالي:

تعد هذه الفرقة من أقدم الفرق الكلامية،التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي،فقد عمل واصل بن عطاء[1] على نشر الفكر الاعتزالي في مختلف الأقاليم الإسلامية،عن طريق بث دعاته فيها،ولهذا الغرض أرسل بعبد الله بن الحارث إلى بلاد المغرب،وواصل بن عطاء[2] كانت وفاته (سنة131هـ/748م)،وبناء على ذلك يمكننا القول أن الاعتزال قد عُرِفَ بالمغرب الإسلامي في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

1-ينظر ترجمته في:شمس الدين الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج: 05،ص:464؛شهاب الدين ابن العماد الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،ج:02،تح وإشراف:عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،دار ابن كثير،دمشق-سوريا،بيروت- لبنان،د ط،ص،ص:137،136.

2-يصنِّفه عبد الرحمان بدوي ضمن الطبقة الرابعة للمعتزلة.للمزيد ينظر:عبد الرحمان بدوي، **مذاهب الإسلاميين(المعتزلة،الأشاعرة،الإسماعيلية،القرامطة،النصيرية)**، دار العلم للملايين،بيروت-لبنان، 1997م،ص:41.

ولعل من الأسباب التي ساهمت في نشر الفكر الاعتزالي بالمغرب الإسلامي وفود بعض رجاله من أهل الشام والعراق في فترات مختلفة،وشغلهم لمناصب ووظائف إدارية وعسكرية هامة،إضافة إلى تبني بعض الأمراء الأغالبة للاعتزال اقتداءً بالمأمون،ومن جاء بعده من الخلفاء العباسيين ممن تبنوا الاعتزال،لهذه الأسباب وأخرى شغل الاعتزال بالمغرب الإسلامي مكانة مميزة،خلقت له أتباعا يعتنقونه،ومتعصبين يدافعون عنه في مناظراتهم من أمثال:

_**سليمان بن عصفور المعروف بالفراء،وعبد الله بن الأشج**،الذين سعيا في نشر أفكارهما في الوسط الاجتماعي المغربي وخلق قاعدة شعبية لهم بين أهله،بالتأثير فيهم عن طريق المناظرات التي هم بارعين فيها،ويدعمون ما يذهبون إليه برواية حديث نبوي لتأكيد ما يذهبون إليه،فقد روى أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي عن مالك عن نافع عن ابن عمر،أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "**مَا بَعَثَ الله تَعَالَى نَبِيّاً قَبْلِي فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَمْرُ الأُمَّةِ،إِلَّا كَانَ فِيْهُمْ قَدَرِيَّةٌ**[1] **وَمُرْجِئَةٌ،يُوَسْوِسُونَ أَمْرَ أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ،أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ القَدَرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ اِثْنَيْنِ وَسَبْعِيْنَ نَبِيًّا**"[2]،واحتجوا أيضا بالخبر الذي رواه سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :"**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِيْنَ فِرْقَة،أَبَرُّهَا وَأَتْقَاهَا الفِئَةُ المُعْتَزِلَة**"[3]–وللإشارة فإن هذا الحديث موضوع–لكن فقهاء المالكية كانوا ينظرون إلى آرائهم على أنها من قبيل البدع المخالفة للدين القويم،لذا سعوا إلى مجاهدتهم وإنكارهم في كل المجالس العلمية،خاصة عن طريق المناظرة،ورغم تبني بعض أمراء الأغالبة للاعتزال إلا أن فقهاء المالكية على الخصوص لم يرضخوا لهم ولأهوائهم،بل تصدوا للاعتزال بقوة غير آبهين بما قد ينجر عليهم من وراء ذلك،حتى أنهم كانوا يتمنعون عن إلقاء السلام وردِّه

[1]–"أطلق أهل السُّنة هذا اللقب على المعتزلة لقولهم أن الله قدَّر الخير والشر" ينظر:أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،**الملل والنحل**،ج:01،ص:38.

[2]– أبو بكر المالكي،**رياض النفوس**،ج:01،ص،ص: 241، 242.

[3]–أحمد بن يحي بن المرتضي، **طبقات المعتزلة** ،تح:سوسن ديفلد–فلزر،د د ن،بيروت–لبنان،ط: 02، 1987م،ص:03.

على المعتزلة إلا في حالة الضرورة[1]،لذا امتحن العديد منهم كالإمام سحنون،وأبي جعفر موسى بن معاوية بن الصمادحي على أيدي أهل الاعتزال[2].

أما في عهد الدولة الفاطمية فللأسف لم تسعفنا المصادر والمراجع مما أمكننا الإطلاع عليه،للتعرف على فقهاء المعتزلة ،لأن ذكرهم قلّ في المؤلفات التاريخية،لعل ذلك راجع لاحتدام المنافسة بين أهل السنَّة من المالكية والحنفية،وكذا الصراع بين أهل السُّنة والشيعة،والسبب الرئيس هو نكران أهل المغرب لعقائد المعتزلة وأفكارهم،هذا ما نرجحه كسبب لقلَّة ذكرهم إن لم نقل ندرة ذلك.

من ذكرنا السابق لأعلام الفقهاء بالمغرب الإسلامي عهد الدولة الفاطمية على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم،وبعد أن عرفنا جانبا من سيَّرهم،وجب علينا الآن التطرق لدور هؤلاء في الحياة الفكرية والمذهبية للمنطقة خلال الفترة الزمنية قيد البحث،هل كان دورهم على قدر من الفاعلية ما أحدث تغييرا في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية سلطة ورعية،أم أنهم اكتفوا بدور حمل العلم في صدورهم لا أكثر،مع العلم أن تلك الفترة الزمنية كانت من أهم فترات التنافس الفكري والمذهبي بالمغرب الإسلامي،ما هي إسهاماتهم في هذه المنافسة إن وُجدت،وما هي وسائلهم فيها،ثم ما كانت نتيجة ذلك على المنطقة وأهلها سلطة ورعية؟ ذلك ما سنحاول معالجته في الفصل التالي.

[1]–وقد فعلوا ذلك اقتداءً بالبهلول بن راشد،ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:01،ص: 186؛أبو زيد الدباغ،**معالم الإيمان**،ج:01،ص:266.

[2]– حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص :120.

الفصل
الثاني

دور الفقهاء في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م):

1/المؤسسات العلمية في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ودور الفقهاء فيها(297هـ-361هـ/910-972م):

أ_المساجد والجوامع:

1/ المسجد الجامع بالقيروان أو جامع عقبة بن نافع.

2/جامع الزيتونة بتونس

3/المساجد الخاصة

ب_الكتاتيب:

1/كتاتيب خاصة

2/كتاتيب عامة

ج_الرباطات

د_المكتبات:

1/المكتبات العامة

2/المكتبات الخاصة

و_دُور الفقهاء وقصور الُحكام:

1/المجالس الخاصة

2/المجالس العامة

هـ_ تنظيم فقهاء أهل السُّنة لحركة التعليم:

1/الإسهام في بلورة طرق التعليم

2/تنظيم حركة التعليم

3/فرض الرقابة على حركة التعليم

2/المناظرات الفقهية ودورها في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م):

أ_المجالس العامة.

ب_الخاصة.

3/حركة التأليف ودورها في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م):

أ_ المؤلفات العقدية.

ب_المؤلفات الفقهية.

ج_المؤلفات التعليمية التربوية.

د_مؤلفات في التاريخ والتراجم.

و_ المؤلفات الأدبية:

1/النثـــــر.

2/الشـــعر.

هـ_مؤلفات العلوم الطبيعية:

1/مؤلفات في الطب والصيدلية.

2/مؤلفات في الفلك والحساب.

ن_جهود بعض علماء المالكية في الحفاظ على مؤلفاتهم في عهد الدولة الفاطميةبالمغرب الإسلامي:

1/وقف الكتب.

2/إيداع الكتب.

هؤلاء الفقهاء وغيرهم ممن ذكرنا في الفصل السابق،وعلى اختلاف مذاهبهم عمدوا في نشر علمهم بين أهل المغرب الإسلامي إلى اتخاذ منابر وقنوات متعددة لخدمة هذا الهدف،إضافة إلى اتخاذها سلاحا لمواجهة المد الشيعي الفاطمي،وذلك في محاولة لتنشئة أجيال تؤمن بما هي عليه أسلافها،وتذود عن مذاهبها فلا تكون عرضة لِمُحْدَثَاتْ الأفكار الوافدة إلى بلادهم،والتي إن لم تصادفهم طوعا صادفتهم كرها،ومن هنا جاء الدافع لزيادة عدد المؤسسات التعليمية،واشتغال الفقهاء بها،فتعددت تعدد ما واجههم من ظروف في سبيل الوصول إلى هدفهم،وكذا حسب سِن وعدد طلابهم،فاتخذوا من المساجد،والجوامع والكتاتيب(الخاصة والعامة)،والمكتبات(العامة والخاصة)،والرباطات،وحتى بيوت الفقهاء ودُورِهم،ومجالس الحكام وقصورهم بالنسبة للشيعة الفاطميين أيضا،منابر لنقل علومهم للآخر القريب والبعيد مذهبيا،ومن هنا نجد أنفسنا موجهين للبحث عن كيفية انتقال علم فقهاء المغرب الإسلامي إلى خَلَفِهِم،ثم ما هي القنوات التي اعتمدت في ذلك،إذا ما اصطلحنا على تلك القنوات اسم المؤسسات التعليمية؟ ما دورهم في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،وكيف تجلى في مؤسساتها التعليمية،ومجالسها المختلفة وكذا في تآليفهم؟

1/ المؤسسات العلمية في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ودور الفقهاء فيها(297-361هـ/910-972م):

إن من أهم ما ميَّز حقبة ما قبل الفاطميين بالمغرب الإسلامي عامة،هو تلك الرعاية التي أولتها الدويلات المستقلة بأقاليم المغرب المتعددة بالمؤسسات العلمية وبُؤَر العلم والمعرفة ونشرها،إذ كانت القيروان وتيهرت على سبيل المثال كثيرة المساجد،تَعُجُّ بطلبة العلم من كل حدب وصوب،إذ تذكر المصادر التاريخية أن تاهرت كان بها مسجد لكل طائفة،حيث اختلفت المساجد حسب اختلاف المذاهب التي تبنَّاها رعية الدولة الرستمية من غير الإباضية،فقيل حسب ما يورد ابن الصغير:"...هذا مسجد القرويين ورحبتهم،وهذا مسجد البصريين،وهذا مسجد الكوفيين..." [1] وفي هذا القول ما يحمل من الدلالة على التنوع

[1] - ابن الصغير،**أخبار الأئمة الرستميين**،ص :32.

المذهبي،والتعايش الديني-وإن كان هذا المصطلح حديث نوعا ما-داخل وكر الدولة الرستمية،لهذا وُجدت مساجد إباضية،وأخرى مالكية،وغيرها حنفيه...الخ.

هذا ما أَتَتْ على ذِكره المصنفات التاريخية من أخبار المساجد والجوامع،ناهيك عن بيوتات العلم الأخرى،التي اهتمت السلطة الحاكمة في الدولة الرستمية وحتى في الدولة الأغلبية،وكذا المدرارية بإنشائها والإنفاق على تسييرها وتجهيزها المادي والمعنوي،فكانت داعمها الرئيسي،في حين تولى الفقهاء تفعيلها وتنشيطها بما كان يُدَرَّسُ فيها من ألوان العلوم.

كان ذلك قبل دخول الفاطميين إلى بلاد المغرب الإسلامي،أما بمجيئهم فتغيرت الأوضاع وتبدل حال هذه المؤسسات العلمية،بعد أن كان نشاطها وفق مذهب أهلها ظاهرا معلنًا،أصبح لزاما عليهم تخفيف نشاطهم-هذا في البداية ثم منعه تماما-لأنه مخالف مذهبيا للسلطة الحاكمة الجديدة،التي لديها منظور خاص وتأطير مميز للتعليم ومناهجه،وحتى للأشخاص الموجه إليهم،وهذا طبعا وفق المذهب الإسماعيلي،أما التعليم وفق باقي المذاهب خاصة السنيَّة منها فمرفوض إلاَّ ما لم يخدش منه المصالح المذهبية والسياسية للسلطة الجديدة [1]،ومن هنا نجد أن مسؤولية الحفاظ على هذه المؤسسات وعلى نشاطها وما كانت تدعو إليه وقعت على عاتق الفقهاء،فظهر ذلك النشاط الملحوظ لهم في تأسيس المؤسسات العلمية،أو بيوتات العلم-كما يفضل البعض الاصطلاح عليها-ونلمس ذلك بالمرور على سيَّرهم بين دَفَّاتْ المؤلفات التاريخية،إذ نجد أن الكثير منهم أسَّسَ أو أَسْهَمَ إسهاما بالغا في تمويل هذه المؤسسات من ماله الخاص،خدمة للعلم ونشرا لمذهبه.

فنجد هذا يبتني المساجد لتكون منبرا لنشر الدين والعلم وفق المذهب المالكي مثلا كأبي جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري الأندلسي الفرضي [2]،الذي قتله الشيعة وأزالوا اسمه من على مسجده بالقيروان،أما أبو عبد الله محمد بن أبي موسى بن حريز الأزدي العطار فكان

---

[1] -تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن والحساب كان مسموح بها ان تدرس في المساجد والجوامع والكتاتيب،أما غيرها من العلوم الدينية،فكانت محضورة،خاصة ما كان منها مخالف مذهبيا للدولة الفاطمية.

[2] - أبو زيد الدبآغ، **معالم الإيمان**،ج:02،ص:289.

بيته أحد أهم بيوتات العلم بالقيروان [1]،وهذان الفقيهان كما يذكر الدباغ كانا مالكيين،فقهاء الإباضية كذلك فتحوا بيوتهم لطلبة العلم من الإباضيين فهذا الشيخ أبو مسور يسجا الوهابي "بيته في المذهب من اكبر البيوتات" [2]،أما أبو زكريا فصيل بن أبي مسور"فكان يعتنى بالطلبة[3]،إذ يجعل الدراهم في القراطيس أو الصرر ويعلّقها في ألواح التلاميذ،وربما يجعلها في أوعية دفاترهم،أو بين التلميذ وثيابه دون أن يشعر،رغبة منه في كتمان الصدقة إلى أن مات وانقطعت هذه العادة،فعلموا أنه هو من كان يفعل ذلك"[4].

هذا الاهتمام والنشاط العلمي الذي تبنّاه فقهاء السُّنة وحتى فقهاء الإباضية والصفرية بالمغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي،تزايد–في اعتقادنا–بشكل ملحوظ مع بدايات القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي [5]،رغم ما عرفته المنطقة من ظروف صعبة بتحول موازين القوى السياسية إلى يد الشيعة الفاطميين،وكان من ملامح هذا التطور أو

---

[1]– أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:288.

[2]– أبو العباس الدرجيني،**طبقات المشايخ**،ج:02،ص:338.

[3]– أبو العباس الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:361.

[4]–أبو العباس الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:363؛سامية مقري،**التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة(296هـ–409هـ/909م–1018م)**،ص:55.

[5]–في حين يرى بعض الباحثين أنه هذا النشاط قد تقلّص وتضاءل ذلك الإشعاع الثقافي الذي كان بالمغرب الإسلامي في عهد الدويلات المستقلة(الرستمية،الأغلبية،المدراريه)،خاصة ذلك الإشعاع المالكي،نظرا لتراجع مراكز الدراسات المالكية،إذ مُنِعَ علماء المالكية من مجالس الفتيا والتدريس،مما يؤدي في نتيجة حتمية إلى تراجع الطلبة وحتى هجرة بعضهم،وبالتالي تراجع المستوى الثقافي لأتباع هذا المذهب،لكننا نخالف هذا الرأي،ونعتقد أن هذه الظروف كانت الدافع الأكثر فاعلية في تنمية الحياة العلمية والفكرية،وتوسيع دائرة نشاط العلماء والفقهاء خاصة السنة منهم،لأن الهمة تولد من رحم الأزمة،للمزيد حول أنصار الرأي الأول ينظر:أحمد ندات، **دور الحكام الفاطميين في الحياة الفكرية في المغرب(297هـ–362هـ/909م–972م)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية –قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02،الجزائر،2011- 2012م،ص:62.

التزايد في حركية الحياة العلمية،ذلك الاهتمام الشديد بتحصيل العلوم وتلقينها(خاصة ما كان دينيا مذهبيا منها)والتصنيف فيها،واتخذت هذه الحركة العلمية من المؤسسات التعليمية قنوات لبث علومها ونشرها في أوساط المجتمع المغربي،وبرز فيها بشدة فقهاء السُّنة وحتى فقهاء الخوارج،وذلك في دفاعهم عن معتقداتهم أمام الشيعة العبيديين،الذين لم يدخروا أي جهد في سبيل فرض مذهبهم على هؤلاء،ومحاولة ردع كل جهد منهم للحفاظ على ما كان في أرضهم من مذاهب.

وبما أن التعليم هو أساس كل نهضة علمية،وهو اليد العليا الموجِهة لكل سلوك إنساني أو نشاط فكري يقوم به الفرد،فَبِهِ يتم ترسيخ المبادئ والأفكار في نفوس النشء،لصقل سلوكاتهم وتوجهاتهم المستقبلية،لذا وجب الاعتناء به عناية خاصة،ولعل ذلك ما تفطَّن له الفقهاء بالمغرب الإسلامي وحتى السلطة الحاكمة،فكان بالنسبة لفقهاء السنَّة سلاحا لمحاربة مخالفيهم،وكان بالنسبة للشيعة الفاطميين الميزة التي يتفاضلون بها والتي على أساسها يحدد إيمان الأفراد،ومن هنا اتجه كل من الطرفين إلى تأسيس المراكز العلمية التي تخدم مذهبه وسعى في نشرها بين العامة،فشيَّدوا المساجد،والجوامع والكتاتيب،والرُبُطْ وكذا المكتبات، وتمايزت قنوات التعليم عند كل طائفة من الطائفتين،إذا أخذنا السنَّة والشيعة كأنموذج لمتابعة نشاط هذه المؤسسات،تاركين ذكرها عند الفرق الأخرى كالخوارج مثلا(وهذا في عهد الدولة الفاطمية) توخيا للاختصار ومحاولة التقيد بأطر الموضوع الزمكانية لا أكثر.

سنبدأ بالتعليم ومؤسساته عند السنَّة(خاصة المالكية منهم)،ثم نتطرق للتعليم وقنواته عند الشيعة الفاطميين،وفي الأخير سنحاول إبراز مدى فاعلية الفقهاء في تنشيط وتنظيم هذه المؤسسات،أو بصيغة أبسط دورهم في تفعيل هذه المؤسسات وتوجيهها لخدمة مذاهبهم.

أ_ المساجد والجوامع:

كانت ولا تزال المساجد والجوامع في البلاد الإسلامية تكتسي حُلَّة تعبدية روحية وأخرى تعليمية تربوية،فهي من أهم المؤسسات التعليمية الإسلامية والمكان الرئيس للحياة الدينية والمذهبية بنشاطها،وهذه المكانة التي بلغتها المساجد والجوامع كانت لارتباطها في الفترة الأولى من الفتوحات الإسلامية بتعليم أحكام الدين،وظلت مرتبطة بها،فقد كان من السهل على

المسلم التوجه إلى المسجد للتفقه في الدين إضافة إلى أداء الفرائض الدينية[1]،وما نحن بصدد طرحه في هذا العنصر هو ما اضطلعت به هذه المؤسسة الدينية التعليمية من دور علمي مذهبي خلال الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،وكذا دور الفقهاء في تفعيلها لريادة هذا المجال.

ارتأينا البدء بدور أقدم مسجد في المغرب الإسلامي كله،وهو:

1/ المسجد الجامع بالقيروان،أو جامع عقبة بن نافع:

نسبة إلى مُؤَسِّسِهِ كما يُفَضِّل الكثيرين تسميته،وذلك لأهميته العلمية والدينية،وكذا لدوره السياسي والاجتماعي في تاريخ المغرب الإسلامي بصفة عامة،والقيروان بصفة خاصة،فقد كان تصدَّر للتدريس فيه العديد من فقهاء القيروان الذين وُلِدُوا وترعرعوا بها،وكذلك الكثير من الفقهاء الوافدين إليه من بقية مدن إفريقية والمغرب والأندلس وحتى من المشرق،منذ مطلع القرن الثاني للهجرة[2]،فمعظمهم كان يتخذ فيه حلقة للتدريس والإقراء خاصة من المالكية،الذين تركوا ذلك مُكرهين بعد قيام الدولة الفاطمية بالمنطقة،ومحاولة حكام هذه الأخيرة فرض مذهبهم على هؤلاء،وهو الأمر الذي رفضه فقهاء السُّنة واقتصروا على الصلاة فقط ومقاطعة تدريس وإقراء العلوم الدينية[3] في الجامع الأعظم[1]،في حين لم ينقطع تحصيل باقي العلوم والمعارف غير

---

[1]-علي بن محمد الزهراني، **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**،إصدارات مركز البحوث بجامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1996م،ص:231.

[2]-يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص205.

[3]- لم يكن هذا موقف كل رموز المدرسة السنية المالكية،فهناك من عارض ذلك وأصر على المواضبة على حلقات العلم بجامع القيروان،وتكثيف نشاطهم لإبراز تميزهم وتحصين أتبتعهم،نكاية في الفاطميين ومعارضة لقراراتهم:"فهذا الفقيه خلف أبو سعيد بن عمر(299هـ-371هـ/912-982م)،كان يجتمع مع ثُلة من نظرائه أمثال أبو الأزهر بن متعب،وأبو محمد بن أبي زيد القيرواني،وابن شبلون،وابن التبان وابن اللباد والقابسي وآخرون من كبار فقهاء المغرب الإسلامي في تلك الفترة،ممن كانت لهم مواقف وبطولات عدة في مواجهة السلطة الفاطمية،كانوا يتحلقون بالجامع المذكور يتدارسون الفقه، ويعرضون لأحوالهم في ظل الواقع الإسماعيلي الشيعي وكيفية التصدي له".ينظر:ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**،ص،ص:270،269؛موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص: 155.

العقائدية والمذهبية كعلوم اللغة العربية ونحوها وغيرها،بعدما كانت صبغته قبلا العلوم الدينية بكافة فروعها،من فقه وحديث وقراءات وعقائد،أما علوم اللغة العربية فكانت في المقام الثاني،أما ما عدا ذلك من علوم فللأسف لم نجد فيما أمكننا الإطلاع عليه من مؤلفات تاريخية ما يشير إلى تدارسها بالجامع الأعظم بالقيروان.

ولم يقتصر دور الجامع الأعظم على تدريس العلوم فقط،بل كان بمثابة دار للقضاء،فيه تقضى الأحكام وتُفَضُّ المنازعات بين المتخاصمين،خاصة من تقاضى منهم إلى مذهب مالك،وشهد كذلك خلال الفترة التي نشطت فيها المجادلات الكلامية بين الفرق والمذهب المختلفة توافد عدد كبير من أتباع تلك الفرق عليه،ما حمل القاضي سحنون على التصدي لهم،وإصدار قرار بتفريقهم ومنعهم من التجمع فيه [2] وذلك قبيل السيطرة الفاطمية على بلاد المغرب الإسلامي.

أما خلال فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،فقد حرص الدعاة والأئمة العبيديون على أن يحوّلوا الجامع الأعظم ومنبره إلى قناة اتصال وتواصل مع الرعية،يَبُثُّونَ من خلاله مواقفهم وأصول دعوتهم،بل ويحاولون تطبيق تلك الأصول،مثل الزيادة في الأذان جملة "حي

---

[1] -تورد بعض المصادر التاريخية روايات تثبت مقاطعة أهل العلم السنَّة لمجالس التعليم بالمساجد زمن الفاطميين،وذلك لما رأوه من محاولة فرض المذهب الشيعة على الرعية من طرف السلطة الفاطمية بالمنطقة،وكذلك بسبب ما طالهم من ظلم على يد هؤلاء إذ مُنعوهم من الفتيا والتدريس وفق مذاهبهم في المسجد الأعظم ولعلَّه سبب مقاطعتهم له،وهذا ما يؤكده القاضي عياض في روايته عن الفقيه جبلة بن حمود بن عبد الرحمان الصدفي(210-299ه)،وموقفه من الفاطميين قائلا:"قال الفقيه بن سعدون القروي:"لما دخل عبيد الله الشيعي القيروان وخطب أول جمعة،وجبلة حاضر،فلما سمع كُفرهم قام قائما وكشف عن رأسه حتى رآه الناس،وخرج يمشي إلى آخر الجامع ويقول: قطعوها قطعهم الله،فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا"وهذا الموقف وإن كان يتعلق بصلاة الجمعة إلا أننا نعتقد أن علماء المالكية قد تركوا حضور الجامع نهائيا مُكرهين.ينظر:القاضي عياض، **ترتيب المدارك** ،ج:02،ص،ص: 251، 252؛أبو زيد الدباغ، **معالم الإيمان** ،ج:02،ص-ص:270-280؛يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**،ج:01،ص:207.

[2] -أبو بكر المالكي، **رياض النفوس** ،ج :01،ص:182؛القاضي عياض، **المصدر نفسه** ،ج:01،ص: 474.

على خير العمل" [1]،ومنع صلاة التراويح وهي سُنَّة لَزِمَهَا أهل السنَّة كل رمضان،ما دفع علماءهم وفقهاءهم إلى اعتزال الصلاة في المسجد الجامع،وخاصة صلاة الجمعة،لكنهم عندما قرَّروا الانضمام إلى صف أبي يزيد مخلد بن كيداد في ثورته ضد الشيعة الفاطميين أعلنوا ذلك من على منبر الجامع الأعظم،ومن نفس المنبر أعلن علماء المالكية تبرؤهم من دعوة أبي يزيد ومناصرته،عندما تكشفت لهم نواياه واتجاهاته الخارجية التي كان يُضمرها [2].

كان هذا ما برز به الجامع الأعظم من دور خلال الفترة المذكورة إضافة إلى كونه قِبلة العديد من العلماء والفقهاء واللغويين والزُّهاد والعُبّاد،الذين كان لهم شأو كبير في المغرب الإسلامي،وليس بعيدا أن يمارس هؤلاء دورا علميا فكريا حتى ولو ضئيلا [3] من خلال هذا الفضاء الديني،الذي كان يحتل في قلوب العامة من أهل المغرب مكانة مرموقة،لِقِدمه وجلالة قدر من مرَّ بمنبره من الفقهاء.

لا يمكن الحديث عن الجامع الأعظم دون ذكر من تعاطى التدريس به من الفقهاء،ولعلَّه أكثر ما يهمنا من ذلك،وقد صرَّحت المصادر والمراجع التاريخية ببعض الأسماء نذكر منهم: أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي،الذي كان يفتي في جامع القيروان أزيد من ثلاثين عاما،ولنا أن نتخيل ما قام به هذا الرجل خلال هذه المدة الطويلة من أعمال في سبيل نشر المذهب السنِّي،في اللغة العربية وآدابها نذكر أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن القزاز القيرواني،كواحد من أشهر علماء اللغة الذين تتلمذوا في الجامع الأعظم على يد شيوخ اللغة والأدب،ثم عَلَتْ به هِمته ليتصدَّر التدريس تحت سواري المسجد الجامع،ومنهم أيضا

---

[1]-تذكر المصادر التاريخية أن عروس المؤذن المالكي عُذِّب وقُتل لأنه لم يقل"حي على خير العمل" في الأذان،وكان شهد عليه نفر من المشارقة بذلك سنة(317ه).ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج:03،ص:05.

[2]-سنتطرق لذكر ذلك لاحقا،ينظر:القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج :02،ص-ص:318-321؛ يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص: 208.

[3]-أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:398.

الشاعر الأديب بكر بن حماد بن كلب الزناتي التاهرتي،الذي تصدَّر لإملاء دروسه في العلم والأدب بجامع القيروان الأعظم[1] .

2/جامع الزيتونة[2] بتونس:

يأتي في المرتبة الثانية بعد الجامع الأعظم بالقيروان من حيث الأهمية،في نشره للعلم بالمنطقة،وتذكر المصادر والمراجع التاريخية أسماءً لبعض من تصدَّر للتدريس به زمن الحكم الفاطمي لتونس،منهم الفقيه أبو العباس عبد الله بن أحمد الأبياني(ت 352ه)[3]،ولقمان بن يوسف الغساني [4]،الذي كان واحدا من العلماء التونسيين المعروفين أنذاك،وقد توفي سنة(319ه)،وغيرهما كثير ممن لم تسعفنا كتب التاريخ في الحصول على نصوص صريحة عن إلقائهم للعلوم والدروس بالمسجد الجامع لتونس خلال الحكم الفاطمي لها.

3/المساجد الخاصة:

لم يكن جامعا عقبة بن نافع بالقيروان والزيتونة بتونس المركزين العلميين الفريدين في بلاد المغرب الإسلامي،رغم ما كان لهما من صيت وشهرة وكذا ما قدَّماه من إشعاع علمي لأهل المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،وحتى قبل ذلك بزمن،إلا أن ذلك الدور الذي برز به هذان المسجدان شاركهما فيه عدد لا يُستهان به من المساجد الخاصة،وهي الخاصية التي تميز بها هذا القطر الإسلامي،فإضافة إلى وظيفتها التعبدية كان هدف الفقهاء من

---

[1] - يوسف بن احمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص:211.

[2] -تختلف المؤلفات التاريخية في نسبة بنائه بين الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب(116ه-123ه/734م-741م)،والقائد الفاتح حسان بن النعمان الغساني،والراجح عندنا ما ذهب إليه بعضهم في الجمع بين الروايتين من أن حسان بن النعمان هو من بناه وعبيد الله بن الحبحاب هو من زاد في توسعته وضخامته،أما تسميته بالزيتونة فهناك العديد من الروايات حولها،لكنها تسمية لم تطلق عليه إلا في القرن السابع،أي في عهد الدولة الحفصية وهذا ما يذهب إليه يوسف بن احمد حوالة. للمزيد حول الموضوع ينظر:سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي–تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسه**،ج:02،ص:102؛يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01 ص:214.

[3] - القاضي عياض، **المصدر السابق**،ج :02،ص- ص:347- 352.

[4] - القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج :02،ص-ص: 311-313.

تأسيسها اتخاذها مدارس أو مراكز علمية،مُهمتها تنشئة الأجيال على ما حَوَتْ صُدُورُ الفقهاء من علوم ومعارف دينية ودنيوية،ونذكر من بين هذه المساجد:مسجد الخميس،ومسجد السبت[1]،وقد وصف الدباغ تأثير نشاطه على السلطة الفاطمية بالقول:"كان هذا المسجد يحضره الجمع الغفير من العلماء والصالحين،كان حضورهم يُغيظ بني عُبيد لأنهم يخافون من اجتماعهم أن يتفقوا عليهم..." [2]،والذين أَمَّهُمَا عدد من العلماء والفقهاء بجانب الزُهاد والمتصوفة،كما أنشأ الفقهاء المغاربة مساجد خاصة نسبت في بعض الأحيان إليهم،وكانوا غالبا ما يُلقون دروسهم فيها لعلنا نذكر منهم:أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي،وأبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي،وغيرهم.

مدينة طرابلس وإقليمها عامة غصَّت هي الأخرى بالمساجد الخاصة،فضلا عن الجوامع الكبرى،مثل مسجدي عمر بن العاص الذين بناهما بها،إضافة إلى جامع طرابلس الأعظم الذي بناه الفاطميون بأمر من المعز لدين الله الفاطمي،أثناء مروره عبر طرابلس إلى مصر سنة(361هـ)،ويُنسب إليه،وعُرِفَ هذا المسجد بمسجد الناقة تيمنا بالناقة المحملة بالذهب،والتي كان قد أهداها المعز لدين لله لأهل طرابلس[3].

ومعظم هذه المساجد كما يتراءى لنا كانت بمثابة مراكز علمية،تُنْشَرُ العلوم والمعارف عن طريقها،وتُسْهِمُ مع جميع المراكز والوسائط في إثراء الحياة العلمية في المغرب الإسلامي،وتقوم بأدوار مهمة في تنظيم حياة الفرد الدينية والعلمية وحتى الاجتماعية.

---

[1]-أحد مساجد القيروان،نال شهرته اعتبارا للقاء الأسبوعي الذي كان يجمع العامة بخيرة الفقهاء والعلماء.ينظر:موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:166.

[2]- أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج :03،ص:25.

[3]-يوسف بن احمد حوالة، **المرجع السابق**،ج :01،ص،ص: 224، 225.

ب_ الكتـاتيب:

الكتاتيب[1] هي الأخرى تعتبر من الوسائط العلمية المهمة،التي أسهمت في نشر المعارف والعلوم الإسلامية على وجه الخصوص،والشيء الثابت أن الكُتَّاب من أقدم المؤسسات التعليمية في الإسلام،فهو يُعَدُّ النواة الأولى في العملية التعليمية بالمساجد والجوامع(لتبعيته غالبا–أي الكُتَّاب– لهذه المؤسسات)،وكان ظهوره بالمغرب الإسلامي في فترات مبكرة من التاريخ الوسيط،لأنه كان الوجهة الأولى لتثقيف ناشئة المسلمين بعد استكمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واستقرار الفاتحين به،والذي كان من علاماته بناء الدُور والمساجد،التي بِدَوْرِهَا وَفَرَتْ شروط قيام الكُتَّاب–وقِوامه:معلم ومكان وصبيان[2]– فأنشئ بهدف تعليم وتربية الناشئة تربية إسلامية قويمة،قائمة على إقرائهم كتاب الله وتحفيظهم إياه كُلاً أو جزءً،مع ضرورة الإلمام بقواعد الكتابة والقراءة،وبعض المبادئ الدينية التي تتصل بأركان الإسلام الخمس،مع شيء من علوم اللغة والنحو ومبادئ الحساب–كانت بمثابة المناهج التعليمية بمصطلح حديث– فمثل بذلك الكُتَّاب المرحلة الأولية الابتدائية،التي توطئ لالتحاق الطالب بحلقة الشيخ والمريدين بالجامع،بعد بلوغه سِناً وتحصيلا علميا معينين،يخولانه للانتظام في حلقات الجامع،التي تعد مرحلة متقدمة من التعليم.

كانت الكتاتيب تنتصب إما في المساجد،أو في الأماكن الخاصة،وبالمغرب الإسلامي عامة كانت كتاتيب البادية مُلحقة غالبا بالمساجد،أما في المدن فكانت إما ملحقة بالمساجد أو مستقلة عنها وهذه الأخيرة على نوعين:

1/ كتاتيب خاصة: تلك التي كانت تنتصب في قصور الأمراء والوزراء وعِلِيَّة القوم.

2/ كتاتيب عامة: هي التي كانت تنتشر في زوايا وأركان المدينة[3].

---

[1] –**الكتاتيب**:جمع كُتَّاب،وهو لفظ مشتق من التَّكْتِيْبِ،أي تعليم الكتابة،يقول ابن منظور في لسان العرب:"وكَتَّبَ الرجل وأَكْتَبَهُ إكتابا:علَّمَهُ الكتاب"ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**،مادة كتب،ص: 3817

[2] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص:227.

[3] – يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع نفسه**،ج :01،ص:228.

هذه المؤسسة العلمية الهامة كان لابد لها من قَيِّمٍ على شؤونها،يهتم بتعليم صبيانها وكذا بتجهيزها بما ييسر تعليمهم،ومن هنا وجب تنصيب معلم أو مؤدب،يشترط لتنصيبه توفره على حظ يسير من العلم الديني،وليس شرطا أن يكون عالما بارزا في العلوم الدينية،وإنما يشترط فيه حفظ كتاب الله وأحكامه،...الخ[1].

وإن لم تسعفنا المصادر والمراجع التاريخية في ذكر أماكن تواجد هذه الكتاتيب بالمغرب الإسلامي،والتي نرجح انتشارها الكبير به انتشار المساجد كون معظمها كان ملحقا بها،لكن كتب التاريخ هنا تفيدنا في ذكر بعض أسماء الفقهاء المؤَدِبيْنَ،الذين رغم فِقههم وعلمهم اشتغلوا بتأديب الصبيان وتعليمهم،وَعْيًا منهم بمدى أهمية هذا الدور في تثقيف وتوعية المجتمع المغربي بَدْءً بصبيانه،الذين تحوَّلوا فيما بعد إلى شيوخ وفقهاء المنطقة،فنجد منهم-أي الفقهاء المؤَدِبيْنَ- **أبو علي شقران بن علي الهمذاني(يدعى الفرضي)** ،العالم الذي كان يُقْرِئ الصبية مجانا في كُتَّاب منسوب إليه في القيروان، **ومحرز بن خلف بن أبي رزين البكري** (340ه-413ه)،الذي عمل مُعَلِّماً للصبيان في تونس،واشتهر بذلك حتى كان يطلق عليه المربي محرز،فهو إلى جانب اشتغاله بالتعليم في الكُتَّاب هو عالم فقيه واعظ زاهد،كما اشتهر في مدينة طرابلس **عمر بن يمكتن**،الذي كان له كُتَّاب لتعليم القرآن الكريم[2](لَعَلَّها كانت بمثابة المدارس الخاصة)،واستخدمها فقهاء المالكية خاصة كأداة لكسر شوكة السلطة الشيعية،التي عملت على إحكام قبضتها الحديدية على هذا المجال بالذات،لما له من أهمية في تحديد بقائها بالمنطقة،مما أدى إلى التفاف الطلبة خصوصا والعامة عموما حول الفقهاء والعلماء،فكان أثر ذلك عظيما في نشر المذهب السُّني والذود عنه[3].

التأليف في هذا المجال كان مما أولى به الفقهاء اهتمامهم وجدّوا فيه،لكننا نترك ذكره في هذا الموضع،ليأتي ضمن دور الفقهاء في تنظيم حركة التعليم بالمغرب الإسلامي خلال الحكم الشيعي الفاطمي له،ونتناول بحديثنا مؤسسة تعليمية أخرى هي الرباطات.

---

[1]- كانت تلك بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في معلم المرحلة الابتدائية إن صح التعبير.

[2]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01،ص:232.

[3]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :166.

ج_ الرباطات:

تأتي الرباطات أو الرُبُط[1] في المرتبة الثالثة من الأهمية في تسلسل الوسائط أو المؤسسات العلمية بالمغرب الإسلامي،إذ نجدها واكبت تطور عصرها بتزايد مَهامها،فبعد أن كانت الكلمة تعني المقام أو المكان الذي يجتمع فيه المتطوعة لمدافعة العدو والتَعَبُّد،أصبحت عبارة عن منشأة علمية ذات صبغة عسكرية دينية،بل صبغة دفاعية للذود عن حوزة الإسلام والمسلمين[2]،فانتشرت الرباطات بالمغرب الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري،وبعد أن تميز الرباط بطابعه العسكري،أصبح معهدا ومركزا دينيا لِبَثِّ الدعوة الإسلامية،ونشر العلوم والمعارف في

---

[1]-**الرِّبَاطُ والمُرَابَطَةُ:** ملازمة ثغر العدو،وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله،ثم صار لزوم الثغر رِبَاطاً،والإقامة على جهاد العدو بالحرب،وترصد تحركاته،والصدام مع مفارزه المتقدمة،وارتباط الخيل وإعدادها رِبَاطٌ،قال القتيبي:"أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر،وكل منهما مُعِدٌ لصاحبه فسمِّيَ المقام في الثغور رباطاً"ومنه قوله تعالى :**"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونْ"** ،والرباط عبارة عن ثكنة عادة ما تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية التي تحيط به،ومن طبقات تعلو جوانبه،تنتهي بجامع وصومعة تستخدم للأذان،وبرجا أو أكثر للمراقبة تجنبا لغدر الأعداء،إضافة إلى وسائل أخرى للاتصال بالمدن والرباطات الأخرى،كالحمام الزاجل،والنار،والمرايا العاكسة...الخ،ومن أشهرها بالمغرب الإسلامي:رباط المنستير ورباط سوسة،ورباط شرشال،ورباط سيدي بومدين بالمغرب الأوسط،...عن الربط ينظر:القرآن الكريم سورة الأنفال،الآية:60؛ابن منظور، **لسان العرب** ،مادة ربط،ص: 1561؛ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب**،ج:01،ص،ص:89،88؛محمد الأمين بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين** ،مذكرة ماجستير،معهد التاريخ،جامعة الجزائر 1987،02م،ص:34؛ موسى هيصام، **المرجع نفسه**،ص:42.

[2]-بدأ ظهور الرباطات بالمغرب الإسلامي بعد أن تاخمت الحدود البيزنطية في آسيا الصغرى حدود دولة الإسلام،مما دفع بالمتطوعين من المسلمين للمرابطة على الثغور للدفاع عن بلاد المسلمين،ورد الخطر البيزنطي عنهم،وهذا الأمر قاد المسلمين إلى بناء حصون أو ثكنات عسكرية لها طابعها العسكري المعماري الخاص الذي تميزت به من بعد،وكانت بمثابة خطوط دفاع أولية متقدمة.ينظر:يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:01،ص:239.

صفوف المتطوعة،وعلاوة على هذا كان ينقطع فيه للعبادة العُبَّاد والزُّهاد بإرشاد شيخ زاهد منهم،ويتلقون فيه تعليما إسلاميا،ونشأت بالإضافة إلى الرُبُط مَحَارِسَ وقصور بالقرب منها،نزلها العُبّاد والزُّهاد،الذين كانوا يقومون بواجب الدفاع الحربي من جهة،والانصراف إلى العبادة والتعليم من جهة أخرى.

ذكر بعضا من أسماء القصور والمحارس [1] التي كانت تحاذي الرباطات بالمغرب الإسلامي،وبعضا ممن رابط بها من الفقهاء والعُبأَّد،أو ممن سكن قصورها ومحارسها،أو وفد إليها من المدن فَاراً بنفسه من بطش السلطة الحاكمة،وأحدثوا بها حركة علمية هامة،منهم"الإمام **سحنون بن سعيد التنوخي**،الذي كان يرابط بالمنستير في شهر رمضان من كل سنة،ينشر علمه وفقهه بجانب قيامه بواجبه الجهادي،وابنه **محمد بن سحنون** [2] الذي كان يَأْتي من القيروان إلى سوسة للمرابطة بقصر الطوب،ومن الطبيعي أن يمارس دوره التعليمي هناك،وهو العالم الفقيه المتبحر،وكذلك الفقيه **يحي بن عمر** الذي كان يرابط بسوسة والمنستير،ويلقي دروسه العلمية هناك[3].

الفقيه الزاهد **أبو يوسف جبلة بن حمود الصدفي(ت 297هـ/910م)** [4]،كان يرابط في قصر الطوب [5]،وعندما عظم شأن الدعوة الإسماعيلية فضَّل مغادرة الرباط،والاستقرار بموضع قريب من القيروان،حتى يتسنى له رصد حركاتهم والتصدي لهم عند الضرورة،بتعبئة سكان

[1] – مثال هذه القصور:"قصر لمطة،قصر طارق،قصر زياد،قصر بن حبشي،وقصر الطوب...الخ"وقد سمي بعض منها بأسماء من أسسها أو مرَّ بها من الشخصيات الهامة في التاريخ الإسلامي.ينظر:يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01،ص:245.

[2] – ينظر ترجمته،أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص- ص:345-348.

[3] – يوسف بن احمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج :01،ص:246.

[4] –أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:02،ص:28؛ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص: 161؛أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:270.

[5] –والقصور كما ذكرنا عبارة عن أحياء ملحقة بالمدن ،وقصر الطوب واحد منها كان على العهدين الأغلبي والفاطمي تابع لرباط المنستير.ينظر:موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:152.

المغرب الأدنى لمواجهة سلطانهم،فكان يصرِّح قائلا:"كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر فتركناه،وأقبلنا على هذا الذي حلَّ بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم" [1] ،مواصلا إنكاره العلمي لدعوتهم،والإفتاء بضرورة محاربتهم،معتبرا مواجهتهم والتصدي لمخططاتهم من الضرورات الشرعية[2] ،وجسد ذلك عمليا بتعبئة العامة عليهم،وكذا المرابطة على حدود القيروان لحراسة المسلمين[3] ،ومن العُبَّاد نذكر: **أبو عثمان الجزري،وحمدون بن عبد الله العسال،وأبو الأحوص أحمد بن عبد الله المتعبد**"[4].

هذا النشاط المتزايد للفقهاء جعل حكام الدولة الفاطمية يتخوفون من هذه الفئة النخبوية،نظرا لما يشكلونه من خطر على مستقبل تواجد هذه السلطة الجديدة بالمغرب الإسلامي،ما دفعهم إلى إرسال العيون لتقفي آثارهم وتتبع تحركاتهم وترصد نشاطهم،فأرسلوا الجواسيس لذلك تحت ما أسموه "بديوان الكشف"[5]

هذا التخوف الفاطمي من مواقف الفقهاء المرابطين كان في محلَّه،نظرا لما تملكه هذه الفئة من قوة تأثير في نفوس المجتمع المغاربي–استغلال العامل النفسي بحكم مكانتهم الموقرة عند العامة–وكذا استحواذ هذه الرباطات على غرار رباطي سوسة [6] والمنستير[1] بالمغرب الأدنى

---

[1]–أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج:02،ص:37؛محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،ص،ص:73، 74.

[2]– موسى لقبال،**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**،ص :421.

[3]–لما استقر عبيد الله المهدي برقادة،كان جبلة بن حمود يصلي الصبح ثم يخرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة،حاملا معه قوسه ونشابه،ويجلس مقابلا لهذه الأخيرة،فيقيم نهاره في موضعه،وسيفه وترسه معه،فإذا حل الغروب رجع إلى داره،وعندما كان يُسْأَلُ عن سلوكه ذاك يجيب:"أحرس عورات المسلمين منهم،فإذا رأيت شيئاً حركت المسلمين عليهم".ينظر:أبو بكر المالكي،المصدر السابق،ج: 02،ص: 38؛أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص:272؛ موسى هيصام ،**المرجع السابق**،ص:152.

[4]– يوسف بن احمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01،ص: 249.

[5]– لعلَّه ما يمثل جهاز المخابرات في الأنظمة الدولية الحديثة.

[6]– بناه الأغالبة سنة(206ه/834م).ينظر:موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:42.

مثلا،على قوة بشرية وحصانة عسكرية هامة-عامل مادي عسكري- مكنتهم من السيطرة على مجتمع عريض من أهل السُّنة،خاصة المالكية منهم،فإضافة إلى دورها العسكري الرئيسي قامت مؤسسة الرباط بدور تربوي هام،من شأنه ترسيخ العقيدة والفقه السُّني في نفوس المعتكفين بها وحتى الوافدين إليها من العامة،وبذلك تقارع العدو بسلاحي التعليم والقوة العسكرية [2]،مما دفع الفاطميين ومنذ البدايات الأولى لتواجدهم بالمنطقة إلى السَّعي لكسر شوكة مؤسسة الرباط،وتحديد أفرادها تحسبا لنشوب صراع بين السلطة الجديدة وعموم سكان المغرب الإسلامي،فكان من آلياتهم تجريد هذه المؤسسات من أموال الوقف،وتحويل بعض حصونها إلى مخازن للسلاح والمؤن [3]،لأنها كانت تمثل أحد أهم بؤر المعارضة الكامنة،التي كانت تهدد بالانفجار في وجه الدولة الفاطمية في أية لحظة،ومن جهة أخرى التضييق على فقهائها للعدول عن مواقفهم تجاه هذه الدولة الجديدة بهياكلها،لكن فقهاء المغرب الإسلامي اتخذوا في سبيل هدف نشر العلم وفق مذاهبهم السنِّية وسائل وقنوات أخرى لعلنا نتطرق منها للمكتبات،التي مثلت هي الأخرى إحدى المؤسسات العلمية بالمغرب الإسلامي خلال الفترة قيد الدراسة،وكان للفقهاء فيها دور فعال كذلك.

د_ المكتبات:

ولا يمكن أن يخفى ما للمكتبات من دور في دفع عجلة التنمية الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي،باعتبارها من أهم الوسائط العلمية التي أسهمت بشكل أو بآخر في نشر العلوم والثقافة به،ونظرا لغزارة التأليف والتصنيف التي تميز بها فقهاء المغرب الإسلامي حتى قُبيل قيام الدولة الفاطمية بأرضه،جعل وُلَّاةَ الأمر به يُأَسِّسُون المكتبات العامة والخاصة لاحتواء مؤلفات علمائهم،وكذا ما وفد إليهم من مؤلفات علماء المشرق الإسلامي.

---

[1]-بناه الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة(180ه/796م).ينظر:موسى هيصام، **المرجع نفسه** ،ص: 42.

[2]- بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**،دار المدار الإسلامي،بيروت- لبنان :ط:2003م،ص،ص:120، 121.

[3]- موسى هيصام، **المرجع نفسه**،ص،ص: 153، 154.

ومع الأسف رغم ضخامة بعض تلك المكتبات-مثل **مكتبة بيت الحكمة** برقادة التي أنشأها الأغالبة(حافظ عليها العبيديون مع بعض التغيير في نظامها كزيادة بعض القاعات لتضم مجالس المناظرات بين الشيعة ومخالفيهم مثلا)، **ومكتبة المعصومة**[1] بتيهرت والتي أنشأها الرستميون-واحْتَوَتْ على آلاف المصنفات في شتى العلوم،إلا أن يد التخريب والحرق الفاطمية قد طالتها،مثلما تذكر بعض المراجع الإباضية في أخبارها عن هذه المكتبة،إذ يُذكر أنها ضمَّت حوالي ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب[2]،ولم ينجو منها إلا ما كان خاصا بعلوم الفلك والهندسة والرياضيات والطب،ويصلح للملك والحساب[3] ومختلف العلوم التجريبية،وأحرقت لتدمير كل أثر للفكر الإباضي المعادي لهم،رغم أن هناك من الباحثين من يشكك في قضية الحرق تلك[4]،ولم تكن المعصومة وحدها الأثر الفكري الجليل للإباضية والذي تمت إبادته،كذلك تذكر لنا بعض المراجع المهتمة بالتاريخ الثقافي للإباضية مكتبة أو **خزانة نفوسه**،التي يذكر أن مقرّها كان بمدينة شروس[5] عاصمة الجبل[6]،وكانت هذه المكتبة تزخر بالآلاف من المصنفات،حال العشرات من الخزائن المنتشرة بقرى ومدن الجبل،وإن دلَّ ذلك

---

[1]- يذكر أبو زكرياء الورجلاني وأبو العباس الدرجيني أن بدايتها كانت صومعة.ينظر:أبو زكريا يحي بن أبي بكر،**سير الأئمة**،ص:113؛أبو العباس الدرجيني،**طبقات المشايخ**،ج:01،ص:94.

[2]- محمد عيسى الحريري،**الدولة الرستمية**،ص:237.

[3]-بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:42.

[4]-رغم شبه الإجماع بين المؤرخين والباحثين على أن مكتبة المعصومة أحرقت من طرف الشيعة العبيديين،إلا أن موسى لقبال في إحدى مقالاته يشكك في ذلك.ينظر:موسى لقبال، **من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت أم نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني ورجلان؟**، مجلة الأصالة، العدد:45،سنة:1977م،ص- ص:51- 59.

[5]-**شروس**:مدينة كبيرة آهلة وهي قصبة الجبل،وأهلها إباضية.ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج:03،ص:217.

[6]-سليمان ابن الشيخ عبد الله الباروني، **الأزهار الرياضية في الأئمة وملوك الإباضية**، ج:02، ص:209.

على شيء إنما يدل على مدى اهتمام الإباضية بالعلم وتحصيله،ولم نَنَل مع الأسف من المكنونات العلمية لتلك المكتبات الضخمة إلا أخبارا عن وجودها الذي(كان) ولم يعد.

1/ مكتبات عامة:

كانت تلك الأمثلة السابقة عن مكتبات وُجِدَت ببلاد المغرب الإسلامي قبيل قيام الدولة الفاطمية به،أما ما بلغنا ذكرها من مكتبات عامة كانت على عهد هذه الدولة فنذكر **مكتبة المسجد الجامع بالقيروان** ،والتي كان قد أنشاها الأغالبة لتكون ملحقة بمحرابه وتنال الجزء المجاور له،عُرِفَت هذه المكتبة **ببيت الكتب**،وحَفِلَتْ بأمهات المصنفات النفيسة،بسبب وُلوع الأمراء والعِلِّيَةُ من القوم بوقف الكتب الجليلة عليها[1]،وتذكر بعض المراجع أن العناية بهذه المكتبة استمرت حتى القرن الخامس الهجري،ثم أصابها بعد ذلك من التَّلف والضياع ما قلَّل من قيمتها ومكانتها.

جامع الزيتونة هو الآخر كانت به مكتبة ضمَّت أنفس الكتب،ناهيك عن ما ضمَّته **مكتبة بيت الحكمة** برقادة كما سلف لنا الذكر،فكانت بها مجموعات كبيرة من المجلدات،في شتى أنواع العلوم والمعرفة خاصة العلوم الدينية والتجريبية،كما يُعتقد كذلك احتوائها على كثير من المؤلفات التي تُرجمت عن اللغات الأعجمية كاليونانية والفارسية والسريانية[2].

تجدر الإشارة هنا إلى نوع آخر من المكتبات العامة،وهي تلك التي كانت بالرباطات،فهي بالإضافة إلى دورها الجهادي والديني كما سبق لنا الذكر،كان لها دور تعليمي،باحتوائها على مدرسة للرجال وأخرى للنساء،ومعمل لصنع الورق،ودار وراقة لنسخ الكتب وبَثِّها،احتسابا لوجه الله تعالى،لاسيما المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه[3].

الحكام الفاطميون كذلك اهتموا بالمكتبات اهتماما يعكس شغفهم بالعلم،ولعلَّه ما يفسر احتفاظهم بمكتبة بيت الحكمة برقادة،ويُضَعِّفُ من رواية حرقهم لمكتبتي المعصومة وخزانة جبل نفوسة،حيث كانت مدينة صبرة(المنصورية) منشأً لإحدى أضخم المكتبات،التي أسَّسَها المعز

---

[1] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :01، ص:252.

[2] – يوسف بن احمد حوالة، **المرجع نفسه**،ج :01،ص: 253.

[3] – يوسف بن احمد حوالة، **المرجع نفسه**،ج :01،ص:257.

لدين الله الفاطمي [1] في قصره،وكانت ضخامتها دليلا على مدى ثقافته وغزارة علمه وعلم آبائه،إذ كانوا جميعا زيادة على شغفهم بالعلم أدباء وعلماء،أسهموا إسهاما بالغا في حركة التأليف بالمغرب الإسلامي،مما زاد من ثراء هذه المكتبة التي ضمَّها قصر المعز لدين الله،وفتح أبوابها للعلماء والمشايخ وغيرهم(من الشيعة)،وأباح لهم الإطلاع على ما فيها من كتب مختلفة،ودراستها واستنساخها وكذا التعلم والتفقه منها.

2/ مكتبات خاصة:

اتخذ الفقهاء-السُنِّيون-من المؤَلَفات الدينية خاصة،سلاحا لمحاربة العقائد الشيعية العبيدية الوافدة إلى بلادهم،فجدّوا في ذلك وحرصوا عليه،ونظرا لغزارة تأليفهم وقوته من نسخ وتحرير،تكوَّن لكلٍّ منهم تقريبا مكتبة خاصة في بيته،منهم من جعلها وقفا لأحد الجوامع،ومنهم من تركها خاصة لكنها مفتوحة لكل طلبة العلم ممن يقصده،ونذكر منهم على سبيل الذكر:أبو العرب التميمي(ت 333ه)،والقاضي محمد بن حارث الخشني(ت 366ه)،والطبيب المشهور ابن الجزار(ت 369ه)،والقاضي عيسى بن مسكين الذي كانت له مكتبة عامرة بالمصنفات المتنوعة في مدينة رقادة،ومنهم أحمد القصري(ت 322أو333ه/933أو944م) [2]،وعبد الله بن قاسم بم مسرور المعروف بابن الحجام(273-346ه/886-957م)،الذي احتوت مكتبته على كتب كثيرة بلغ وزنها سبعة قناطر،كلها من نسخه ما عدا كتابين [3]،ولا ننسى ذكر محمد بن بسطام،والفقيه المالكي سعدون بن أحمد الخولاني(ت 327ه/939م) كان يملك

---

[1]-تذكر الروايات التاريخية أن المعز لدين الله الفاطمي من شدة حرصه على العلم وشغفه بالمطالعة،كان يعرف مواضع كل كتب مكتبته وما فيها من معلومات،وأنه بات ليلة واقفا يطالع كتابا،بعد أن طلبه من أحد خدمه فأطال عليه واستبطأه،فقام وبحث عنه بنفسه ولم يشعر إلا وهو يقضي ليلته واقفا يطالع كتابه بعد أن وجده،وإنما يدل ذلك على شدة شغفه بالعلم وحبه للمطالعة،للمزيد ينظر:يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:01،ص:254.

[2]-أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص: 197.

[3]-أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:03،ص،ص:57،59؛ابن فرحون، **الديباج المذهب** ،ص: 220.

كتب الحدثان وصادرها منه عبيد الله المهدي[1]،وكانت للفقيه المالكي أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم(ت346ه/957م) كتب في شتى العلوم صودرت منه،ووضعت في خزانة القصر[2]،وغيره ممن لم نوفق في التعرف على خزائنهم الخاصة.

ولم يكن دور هذه المكتبات الخاصة بمنءً عن دور أصحابها،إذ يمكن القول أن بيوت الفقهاء ودُورهم كانت هي الأخرى إحدى أهم المؤسسات التعليمية،التي تم اللجوء إليها خاصة بعد التضييق الذي مارسه الشيعة العبيديون على فقهاء أهل السُّنة وحتى على شيوخ الخوارج،فكانت مراكز علمية مصغرة تعمل على بث العلم ولو بوسائل بسيطة،بعيدا عن أعين السلطة الحاكمة ورقابتها،وفي المقابل كانت قصور الحكام كذلك منبرا خاصا لبث العلم وفق المذهب الشيعي للحكام وخاصتهم،وكذا لعامتهم في منابر مختلفة وهذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

و_ دُور الفقهاء وقصور الحكام:

سنبدأ بدُور الفقهاء لأن هذه المؤسسة على بساطتها كانت جد مهمة طيلة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،إذ لجأ لها علماء السُّنة(المالكية) لمواصلة نضالهم في سبيل نشر العلم والثقافة رغم التضييق المسلَّط عليهم،بعدما مُنعوا من التدريس–خاصة العلوم الدينية–في المساجد والجوامع،وتَعَرَّضَ بعض ممن خالف ذلك للتنكيل وحتى للقتل،وممن كان بيته حضن علم خلال الفترة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي نذكر:أبو بكر اللباد،الذي يذكر المالكي"أن أبا محمد بن أبي زيد القيرواني،وأبا محمد بن التبان[3]،كانا يأتيان إليه في خفية،وربما جعلا الكتب في أوساطهما حتى تبتل بعرقهما،خوفا من بني عبيد وعيونهم من أن ينالوهم بمكروه"[4]،ويؤكد

[1]–أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**، ج :02،ص:259؛بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:41.

[2]– بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:42.

[3]–ينظر ترجمته في :أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**، ج:03،ص،ص:88،89؛محمد بن محمد مخلوف ،**شجرة النور الزكية**،ص،ص:95، 96.

[4]– أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص: 258، 259.

الدباغ ما ذهب إليه المالكي قائلا:"...وبقي أبو بكر بن اللباد لا يُسمع إلا خفية،فإذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرؤون"[1].

واسْتُغِلَتْ فضاءات أخرى لتحقيق نفس الهدف من طرف الفقهاء،مثل الحوانيت[2] (كما فعل سعدون بن أحمد الخولاني)،وحتى المقابر[3] (استخدمها أبو بكر بن الصواف)،ولم تكن هذه المنابر إلا أدوات لاستمرار التواصل العلمي بينهم وبين طُلابهم،وهي على بساطتها كانت تمثِّل للفقهاء ضمان لمواصلة تبليغ الرسالة،ومواجهة للقوة السياسية الحاكمة التي رغم حصارها المذهبي لهم، لم تستطع أن تخلق فيهم تبعية مذهبية وعلمية تخدم مصالحها،وإنما كان النقيض من ذلك فكانوا أحد أسباب التنغيص على مذهبها ببلاد المغرب الإسلامي.

قصور الحُكام هي الأخرى وسائط فكرية اعتمدها الفاطميون في نشاطاتهم العلمية،حيث انتصبت فيها مجالس للحكمة والعلم،تحت إشراف وتوجيه من الحُكام،ولعل في ذلك دلالة على دعم السلطة السياسية وتأييدها لرجال العلم والأدب–الشيعيين–واحتضانها في هذا المكان الرسمي الذي زهدت فيه المصادر والمراجع التاريخية،عن ذكر مجالس اللهو والترف[4].

[1]– أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03، ص:26.

[2]–سعدون ابن أحمد الخولاني(342ه/936م)،كان يخرج بجماعة ممن يجتمع إليه من الناس،يخرج بهم إلى الدور–قصد الدراسة والتفقه والاستطلاع– فخاف عبيد الله منه،ووجه وراءه صقلبيا يترصَّده،فدخل هذا الصقلبي على سعدون في داره فقيَّده وجمع ما في داره من كتب،ثم خرج به وبكتبه حتى وقف به على عبيد الله المهدي،ولو لا تدخُّل زوجة هذا الأخير بضرورة إطلاق سراحه لنال منه كما نال من غيره من العلماء.ينظر:أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص،ص: 258، 259.

[3]–هناك رواية لأبي زيد الدباغ عن محمد بن الفتح المؤدِب المرجي المعروف بأبي بكر ابن الصواف(ت334ه)،تثبت ذلك،إذ يذكر أنه:"كان يخرج إلى مقبرة باب سلم،فيستتر بحائط يقرأ على أصحابه هناك،خوفا من بني عبيد لأنهم منعوهم من بث العلم،و سجنوا العلماء في دورهم".ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:39.

[4]–لعل من فرط حرص المصادر التاريخية–الشيعية خاصة–على إخراج المجالس التي كان يعقدها الحكام الفاطميين في أحسن حُلة من الزُّهد والتعفف،أغفلت تماما تصوير الحياة الخاصة لهم وغطَّت ذلك بما كان

ومن القرائن الدالة على ذلك النشاط العلمي الذي عرفته القصور الفاطمية،هو وفود عدد من الشعراء على مجالس المهدي ثم القائم،وما أجراه هذان الإمامان الإسماعيليان من صلات على هؤلاء الشعراء،من أمثال محمد البديل،وابن حيّوس الفاسي،وابن الصقيل،وخليل بن إسحاق وعلي الإيادي وغيرهم [1]،في حين فتح المعز أبواب قصره ومكتبته [2]أمام عامته، للاستفادة من مجالس السماع التي كان يُلقيها دعاته،وعلى رأسهم القاضي النعمان الذي كان يقرأ عليهم ما جاد به من علم الظاهر في كتابه الدعائم،كما كان المعز نفسه يتقدم لمجالس علمية خاصة،يلقي فيها من علومه في كل فن من الفنون تقريبا،كالفتيا والفقه وعلم التوحيد وغير ذلك،لكن هذه المجالس كانت حكرا على كِبار رجال دولته من دُعاة وعُلماء وأُدباء،وليست مباحة للعامة.

ومما سبق يمكننا أن نقسم هذه المجالس العلمية التي كانت تُعقد بقصور الحُكام الفاطميين إلى قسمين:

1/المجالس العلمية العامة:

وكان يتزعمها الحاكم أو داعي دعاته،يلقي فيها ما جاد به من علوم الظاهر،وهذه مفتوحة على المريدين من العامة،كان المعز حريصا على تنبيه داعي دعاته لضرورة شرح وتذليل كل ما يصعب على الأولياء فهمه،حتى يُتاح لهم بعد الترويج لمبادئ المذهب.

2/المجالس العلمية الخاصة:

وهي المجالس العلمية المقتصرة على أقرب الأتباع من الدعاة،يستمعون فيها إلى أسرار المذهب الشيعي أو علم الباطن،الذي كان يعرف بعلم آل البيت [3]،والذي اختص به الحكام

=أولئك المؤرخون يصبون إليه في حكامهم،وما كانوا يَرَوْنَهُ فيهم من سِمات الجدية والحزم،وهذا واضح جليّ في مؤلفات القاضي النعمان.

[1]-أحمد ندات،**المرجع السابق**،ص:68.

[2]-عارف تامر،**المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى**،ص،ص:48، 49.

[3]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:108.

الفاطميين فقط،فالمعز مثلا كان يشارك في هذه المجالس الخاصة ويقرأ بنفسه على أشياعه كتب علم الباطن،وخاصة على أولئك الذين لديهم استعداد لفهم أدقّ أسرار التأويل الباطني[1].

وهكذا قامت قصور الأئمة والحُكام بدور احتضان الحياة العلمية،بما يتوافق وتوجهات النخبة الحاكمة،وتحوّلت إلى مؤسسة تعليمية،تُعقد فيها مجالس العلم الباطني بحضور الحاكم نفسه،والذي كان يشارك بآرائه في النقاشات المطروحة،مُصَوِّباً لأخطاء المتكلمين،ومُمْلِيًا عليهم أفكاره،وبقي القصر خاصا في مجالسه بإزاء المسجد،الذي كان يضم الموافق في المذهب والمخالف،بمعنى أن القصر ضمَّ فقط الموافق للمذهب الشيعي خاصة في مجالسه الخاصة،أما المسجد الجامع مثلا فضمَّ كل الفئات وجميع المذاهب خاصة السنّية منها[2].

أما نظرة الفكر الإسماعيلي للتعليم والمعلمين،فهي نظرة خاصة تتميز بالنخبوية والانتقائية،إذ يعتقد الإسماعيليون أن الناس من حيث قوة نفوسهم وسلامة تفكيرهم فريقان،عامة وخاصة،فالخاصة من الناس هم وحدهم القادرين على النظر العقلي،وهم الذين يجب أن يُعتمد عليهم في إصلاح عقائد العامة،وفي تطويرها حسب مقتضيات الظروف،أما العامة منهم فليس عليهم إلا أن يتلقوا التعليم من الخاصة،وأن يقلّدوهم فيه ويسلّموا لهم بلا جدال،وجعلوا الخاصة على درجات،يكون على رأسهم الإمام أو الحاكم،وهو المجتهد الأكبر الذي يجمع في نفسه حقيقة الشريعة وحقيقة الفلسفة،ثم يأتي بعده أصحاب الدرجات الأخرى على التوالي،إذ تكون مراتبهم من الإمام بمقدار ما تكون عليه عقولهم من قوة نظر ونضج تفكير،وهؤلاء هم الذين يتوسطون بين الإمام والعامة[3].

كانت تلك نظرة الفاطميين للتعليم وتنظيمهم له،انطلاقا من مُشَرِّعِهِ الأول،ألا وهو الحاكم الفاطمي،الذي يجسد شخصية الفقيه والسلطة الروحية السياسية الأولى في بلاد المغرب

---

[1]–للإطلاع أكثر حول هذه المجالس الخاصة ينظر:القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص: 546.

[2]– أحمد ندات،**المرجع السابق**،ص:70.

[3]– أحمد ندات،**المرجع نفسه**،ص :97.

الإسلامي[1] -وهذا طبعا من منظور شيعي-في حين لم يَعْتَرِفْ فقهاء باقي المذاهب والفرق خاصة السُّنية منها،بهذا التنظيم الذي هُمْ والعامة-السواد من الناس- خارجه،فسعوا إلى رفض ذلك بوضع أطر ومناهج تعليم حسب مذهبهم،وتخدم في ذات الآن أهدافهم في تربية نشء إسلامي سُنِّي،لا يتأثر بسلطة ومذهب الدولة الفاطمية.

ولعل دَور الفقهاء والعلماء السنِّيون في تسيير المؤسسات التعليمية السابق ذكرها تمثل في سعيهم لتطوير نُظُمْ التعليم،وتنظيمها بما يخدم أهدافهم في تنشئة جيل مثقف متعلم ومتدين وخاصة سُنِّي،قادر على مجابهة الصراعات السياسية والمذهبية التي كانت تذبذب أوضاع بلاد المغرب الإسلامي إذ ذاك.

فصنَّفوا المعلمين بالنظر إلى درجاتهم العلمية المتفاوتة إلى:

-العلماء والأدباء الذين كانوا يؤدبون أبناء الأمراء والخلفاء،كموسى بن عبد الله الطرزي، وعلي بن الحسن التنوخي.

-العلماء الذين كانوا يدرسون بالأماكن العامة كالمساجد مثل:أبو القاسم عبد الخالق بن شبلون(ت390هأو391ه/999مأو1000م)[2]،وفضل بن سلمة البجائي(ت 319ه/ 921م)،والذي دَرَّسَ مُدة بالمسجد الجامع ببجاية[3].

- مُعلمو الكتاتيب الذين كانوا يعلمون ويؤدبون الصبيان،كعبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي،الذي قضى شطرا من حياته في تأديب الصبيان بالقرب من بجاية بعد خروجه من الأندلس[4].

[1]-الفكر الإسماعيلي منطلقه العلم الرباني الذي اختص به الخلفاء وبعض الدعاة دون سواهم. ينظر:بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:39.

[2]-القاضي عياض، **ترتيب المدارك** ،ج :02،ص:166؛أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:03،ص: 124؛ابن فرحون،**الديباج المذهب**،ص:259.

[3]- ابن فرحون،**المصدر نفسه**،ص :315؛ محمد بن محمد مخلوف،**شجرة النور الزكية**،ص:82.

[4]-القاضي عياض، **المصدر نفسه** ،ج :02،ص،ص:309،310؛حفيظ كعوان، **المرجع السابق** ، ص:56 .

والملاحظ أن مشاركة الفقهاء في حركة التعليم كانت واسعة وفعَّالة،وذلك للصلة الوثيقة بين مكانة هؤلاء الفقهاء العلمية والاجتماعية،فهذه الأخيرة جعلت منهم موضع ثقة يتهافت عليه طلاب العلم للأخذ عنه،ومثال هؤلاء الفقهاء:يحي بن عمر [1]،وابن أبي زيد القيرواني [2]،وأبو سعيد خلف بن عمر المعروف بابن أخي هشام الخياط،الذي كان يُعرف بمعلم الفقهاء [3]،وأبو عمران الفاسي [4] وغيرهم .

هـ_تنظيم فقهاء أهل السنَّة لحركة التعليم:

ونلمس آثار هؤلاء الفقهاء على حركة التعليم بشكل واضح من خلال ما يلي:

1/الإسهام في بلورة طرق التعليم :فقد اشتغل فقهاء المالكية —خاصة– من أجل إعداد العلماء والمعلمين والأئمة والخطباء،الذين يبثون في المسائل والقضايا الفقهية،ويقومون بالتوعية الدينية بين أفراد المجتمع،باعتماد أساليب وطرق التعليم التالية:السماع أو الإلقاء قراءة الكتب،الحفظ،المناظرة،والرحلة،رغم أننا لم نُفَصِّل في هذه الأدوات بغية للاختصار لا أكثر.

2/تنظيم حركة التعليم: وهي التصنيف في المناهج التربوية،على هدي ما فعل الإمام سحنون الذي صنَّفَ كتابا بعنوان"آداب المعلمين"،ويُعَدُ هذا الكتاب باكورة الأعمال التربوية لدى المسلمين قاطبة،لذا يُعَدُّ ابن سحنون رائدا في مجال التأليف التربوي،ويبدو أنه كان شديد التأثير في الأوساط التربوية التعليمية،حتى أن أحد المعلمين وهو العابد أبو إبراهيم بن العربي(ت333هـ)،ترك التعليم تورعا وخوفا من عدم القدرة على الالتزام بما ورد فيه من شروط وضوابط [5]،وهناك الكثير من الفقهاء الذين ألَّفوا في هذا المجال لعلَّنا نذكر منهم:ابن أبي زيد القيرواني الذي صنَّف كتابا في "حكم المعلمين والمتعلمين"،و"الرسالة"الذي ألَّفه خلال النصف

---

[1] – أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:493.

[2] – القاضي عياض، **المصدر السابق**،ج:02،ص:142.

[3] – القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:139؛ ابن فرحون،**المصدر السابق**،ص:181.

[4] –القاضي عياض، **المصدر نفسه** ،ج:02،ص:280؛أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:03،ص: 160.

[5] – أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:354.

الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،نزولا عند طلب المؤدب محرز بن خلف التونسي،ويُعد من أولى المختصرات في المذهب المالكي الموجهة للصبيان،كما ألَّف أبو الحسن القابسي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي"الرسالة المفصَّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"[1]،وغيرها كثير من المؤلفات في هذا المجال.

3/فرض الرقابة على حركة التعليم: حَرِصَ فقهاء المالكية خاصة قبل قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،على فرض التعليم وفق المذهب السُّني،ومَنعوا أصحاب الفرق الأخرى من مزاولة التعليم والتدريس[2] بالمسجد الجامع بالقيروان خاصة[3]،ولعل هذا ما مكنهم من غرس مبادئ مذهبهم في قلوب النشء،ومكنهم تدريجيا من تكوين قاعدة اجتماعية قوية المعالم،ووحدة فكرية للمجتمع رغم تعدد فئاته وطوائفه.

كل هذه المجهودات التي بذلها الفقهاء من الأطراف السُّني،الشيعي،الخارجي وحتى المعتزلي،تَصُبُّ في مسار واحد وهو تحريك عجلة الحياة العلمية المذهبية إلى الأمام،لكن لابد من التنويه بالدور المهم الذي أُلْقِي على عاتق الفقهاء والعلماء،بحكم كونهم الطبقة النخبوية المثقفة في المغرب الإسلامي،وهذه المنابر وأخرى من المؤسسات التعليمية إنما أبرزت ما قام به هؤلاء من أعمال جليلة،وما كان لهم من دور في الحياة العلمية والمذهبية،المناظرة هي الأخرى كانت إحدى قنوات نشر العلم والمعرفة بالمغرب الإسلامي،والتي نَشَّطَها الفقهاء بتفاعلهم مع موضوعاتها،فكيف كانت وإلى أي مدى أبرزت دور الفقهاء في الحياة العلمية المذهبية،خلال فترة حكم الدولة الفاطمية للمغرب الإسلامي؟.

---

[1] - حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص :63.

[2] -أبو العرب تميم، **المصدر السابق** ،ص-ص:165-184؛أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:02، ص،ص: 87، 88.

[3] -وهو ما فعله"القاضي أبو سعيد سحنون عندما فرّق أهل البدع من الجامع،وكانوا فيه حِلَقاً من الصفرية والإباضية والمعتزلة،وأدَّبَ جماعة منهم لمخالفتهم أمره"ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه** ،ج: 02،ص،ص:87، 88.

2/ المناظرات الفقهية ودورها في الحياة العلمية المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (297-361ه/910-972م):

تعتبر المناظرة[1] أو كما تعرف بالمذاكرة والجدال والنقاش،من الأساليب الهامة في التدريس، وذلك لما لها من دور في ترسيخ المعلومات،وتمحيص الآراء والوصول إلى أصوب الآراء وأوجهها،كما أنها من أهم الوسائل التي انتهجها أهل الفرق والمذاهب،في الذود عن مبادئهم وآرائهم،لذا فلا عجب إذا وجدنا أن فقهاء المالكية الذين أخذوا على عاتقهم مقاومة كل الفِرق المخالفة للمذهب السُّني،كانوا من ذوي القدرة على المناظرة[2]،إلا أن مستوياتهم تفاوتت في ذلك(حسبما تذكر لنا المصادر السُّنية أما المصادر الشيعية فلا نجد فيها إلا إشارات لبعض مجالس المناظرات)[3]،فهناك من الفقهاء من كان يناظر في علم الكلام والفقه،ومن أبرزهم محمد بن سحنون،وأبو الفضل الممسي الذي كان يناظر في علم الكلام وفي الفقه،إلا أنه كان يجيد المناظرة في الفقه أحسن من المناظرة في علم الكلام[4]،ومنهم من اقتصر على المناظرة في الفقه،ومن هؤلاء:أبو العباس عبد الله بن طالب،الذي عُرِفَ بحرصه الشديد على المناظرة،حيث كان يجمع المختلفين في الفقه في مجلسه،ويبيِّتهم أحيانا عنده ويسامرهم،ويغري بينهم[5]،ومنهم

[1]-**النظر**:هو الفكر في حال المنظور إليه والتوصل بأدلته إلى المطلوب،يقال تناظر الرجلان،إذا تقابلا بنظريهما،أيهما المصيب وأيهما المخطئ،وقيل:هو تصفح الأدلة لاستخراج الأحكام،وللنظر شروط: أحدها أن يكون الناظر كامل الآلة،والثاني:أن يكون نظره في دليل لا في شبهة،والثالث:أن يستوفي شروط الدليل وترتيبه على حقيقته،بتقديم ما يجب تقديمه،وتأخير ما يجب تأخيره،والرابع:يجب أن يكون المطلوب علم الاكتساب لا علم الضرورة.ينظر:ابن فرحون،**المصدر السابق**،ص،ص:44، 45.

[2]-ظهرت المناظرة كسلاح جدل ديني استخدمه الشيعة لبراعتهم فيه،كوسيلة لفرض مذهبهم على سكان المغرب الإسلامي بعدما سخروا لذلك كل الوسائل،وقد قِيْدَ فقهاء المالكية للمناظرة كنوع من المواجهة بنفس سلاح الخصم.

[3]-يوسف بن احمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02،ص:116.

[4]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:26.

[5]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص،ص: 159، 160.

أيضا أبو عبد الله محمد بن غلبون الصنهاجي،وأبو سليمان ربيع بن عطاء الله القطان،الذين كانت تجري بينهما المناظرات الفقهية[1] .

كما كان بعض الفقهاء يتناظرون خلال مذاكرتهم لما يتم تعلُّمه أو دراسته،حول المسائل المتعلقة بذلك،ومنهم:أبو العباس الأبياني،وأبو بكر بن اللّباد[2]،وأحيانا كانت تجري هذه المناظرات تحت إشراف أحد العلماء،من ذلك أن أبا إسحاق الجبنياني كان العلماء يتذاكرون العلم بحضرته،حيث"كان كل من يَعرف مسألة يحضر مجلسه،فإذا تنازعوا فصل بينهم بأمر يرجعون كلهم إليه[3].

اعْتُمِدَتْ المقاومة الجدلية أو المناظرة كأقوى أنواع المقاومات التي قام بها علماء السُّنة المغاربة ضد الشيعة الفاطميين،لكن بعد ظهور المناظرات الكلامية ببلاد المغرب الإسلامي،برزت فئة من العلماء والفقهاء لم تؤيد هذه المناظرات الكلامية،أولًا لتَمَسُّكِهَا بالمنهج التقليدي في التَعَلُّمِ والتعليم ولعلَّ المالكية كانوا رواد هذا المنهج بالمغرب الإسلامي،كما تذكر المؤلفات التاريخية،وثانياً لما تولِّده هذه المناظرات-ربما-من تعصُّب ونقاشات في مسائل لا طائل منها،لكنها كانت أداة نافعة جدا لمن اعتمدها من الفقهاء حتى يثبتوا قدراتهم[4]،وتُتَاحَ لهم الفرصة للاجتهاد في المسائل الفقهية-خاصة المختلف فيها- بين المذاهب الإسلامية،وقد سَطع

[1] - القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:48.

[2] - القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:48.

[3] -أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:02،ص:492؛القاضي عياض، **المصدر نفسه** ،ج:02،ص: 67؛حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص:58.

[4] -كانت هذه المناظرات انعكاسا لظروف سياسية معينة عاشها المغرب الإسلامي خلال الحكم الفاطمي،لأن الفاطميين اتخذوا منها وسيلة لإقناع الناس بتغيير مذهبهم،وسعوا إلى كسر الرقابة التي كان فقهاء المالكية قد فرضوها على الحياة الفكرية،وشجعوا على تعاطي مختلف أنواع العلوم بما فيها الفلسفة والتأويل إلى جانب الجدل والشعر،وهو ما سمح بتوفير فرصة لعلماء المغرب الإسلامي كي يخرجوا من مجالات الفقه العقيمة والضيقة،واتخاذ موقف الجهاد العلمي ضد المذهب الجديد وأعيانه.ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق** ،ج:02،ص:298؛نجم الدين الهنتاتي، **المرجع السابق** ،ص:157؛أحمد ندات، **المرجع السابق**،ص:79.

في سماء هذه المساجلات العلمية والمناظرات العقدية عدد كبير من العلماء،كانوا لسان حال أهل السنَّة،الناطق والذَّاب عن حوزة الإسلام والمسلمين السُّنيين خاصة،وسنحاول فيما يلي ذكر أبرز رجال هذا النوع من المقاومة في المغرب الإسلامي.

البداية مع إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون(ت297ه)،الذي كان يقول:"إني أتكلم في سبعة عشر فناً من العلم" [1]،كان قَوِيَّ الحُجَّة في الجدل،ولم يكن في شبابه أحد أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه [2]،ومنهم محمد الرقادي القيرواني(ت316ه/928م)،الذي كان من أئمة هذا الشأن وله فيه مقامات مشهودة،إذ كان حاضر الجواب مليح المناظرة،وألَّف كتبا كثيرة في ذلك [3]،كما برز أيضا في تلك المساجلات عبد الله بن التبّان(ت371ه)،وكان هذا الفقيه من أشد الناس على بني عبيد وأكثرهم مقاومة لهم [4]،وله مناظرات عدة معهم [5]،ورغم غلبته لهم في معظمها [6] لم يُحْجِلْهُمْ أنْ يَعْرِضُوا عليه الدخول في نحلتهم [7]،لكنَّه أبى وقال لهم:"شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه،ويرد على اثنتين وسبعين فرقة يقال له هذا؟،لو نشرتموني في اثنتين ما فارقت مذهبي" [8].

---

[1]- الخشني،**المصدر السابق**،ص،ص:215، 216.

[2]-أبو بكر المالكي،المصدر السابق،ج:02،ص:47.

[3]- الخشني،**المصدر نفسه**،ص،ص: 217، 218.

[4]- ينظر مواقفه مع بني عبيد في :أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص:91.

[5]-للاطلاع على بعض مناظرات هذا الفقيه للشيعة العبيديين.ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج: 03،ص:93.

[6]-هذه طبعا رواية المصادر السنية،أما المصادر الشيعية فلم تذكر هذه المناظرات إلا ما كان منها في مجالس الدعوة،أي ببلاط السلطان أو في مسجده،وهي التي أوردها القاضي النعمان في بعض من مؤلفاته.

[7]-إبراهيم علي التهامي، **أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية(من الفتح إلى نهاية القرن الخامس)**، رسالة دكتوراه،ج: 02،كلية الدعوة وأصول الدين،قسم العقيدة،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية،سنة 1412ه،ص:468.

[8]- أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:115.

ومنهم أيضا عمرو بن هارون الوراق(ت 379ه)،وقاسم بن محمد بن قاسم[1] وحسن بن سعد بن إدريس(ت332ه/943م)[2]،وأحمد بن موسى التَّمار(ت329ه/940م) الذي كان كان يُعنى بالمناظرة والجدل[3]،وأبو بكر بن القمودي الفيلسوف،الذي كان قائما على بيت الحكمة زمن الأغالبة وحتى زمن الفاطميين،وناظر أبو العباس الشيعي برقادة–في بيت الحكمة– مناظرة أفحمه فيها مما أثار عليه أبو عبد الله الشيعي،ووجَّه له كلاما قاسيا،ما جعله يخشى على نفسه،فاضطره للاعتذار إليه،بل كان ذلك هو السبب في انضمامه إلى الدعوة الفاطمية بعدها،فولاَّه دار السكة[4] ورياسة دار الضرب بالبلاد[5]،إلا أن رائد هذا العلم أو الفن بالمغرب الإسلامي إبآن الفترة الفاطمية به حسب إجماع المصادر التاريخية[6] – السنِّية– هو الفقيه أبو عثمان سعيد بن الحداد،الذي لُقِبَ بلسان أهل السنَّة وابن حنبل المغرب[7]،حتى قال عنه السُّلَمي[8] صاحب طبقات الصوفية:"كان فقيها صالحا فصيحا متعبدا،أوحد زمانه في المناظرة والرَّدِ على الفرق"[9]،قال عنه المالكي:"...وكانت له مقامات في الدين مع الكفرة المارقين أبي

1- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج:04، ص:446.

2- ابن الفرضي،**المصدر السابق**،ج :01،ص:129.

3- الخشني، **المصدر السابق**،ص :271.

4-الخشني،**المصدر نفسه** ،ص :222؛ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:159؛أحمد ندات، **المرجع السابق**،ص:73.

5-ابن عذارى، **المصدر نفسه** ،ج :01،ص،ص:158،151؛يوسف بن احمد حوالة، **المرجع السابق** ج:02،ص:119.

6- عن مناظرته الأولى لأبي عبد الله الشيعي ينظر الملحق رقم 01.

7-يقول الخشني:"كان يرد على أهل البدع المخالفين للسُّنة،وله في ذلك مقامات مشهودة وآثار محمودة،ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل" ينظر:الخشني،**طبقات علماء إفريقية**،ص:199؛ أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص:309.

8-ينظر ترجمته في :شمس الدين الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ،ج:03،ص،ص: 523، 524.

9- إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02، ص:469.

عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس وعبيد الله المهدي [1] أبان فيه كفرهم وزندقتهم وتعطيلهم"[2]،وكان هذا الإمام مهجورا من قبل المالكية،لأنه كان يتهكم عليهم ويسمي"مدونة" ويسمي"مدونة" سحنون "بالمدودة"،إلا أن مناظرته للشيعة ودحضه لشبهاتهم ردت إليه اعتباره،إذ دُعِيَّ هذا الإمام لمناظرة الشيعة،وعُقدت بينه وبينهم مناظرات عديدة،ذكرها المالكي في كتابه"رياض النفوس"،والخشني في"طبقاته" وغيرها.

وكانت تلك المجالس التي جمعت للمناظرة فقهاء السنَّة بدُعاة بني عبيد تنقسم إلى قسمين:

أ_ المجالس العامة[3]:

اشترك فيها عدد كبير من علماء السُّنة [4]،على اختلاف مذاهبهم الفقهية لمناظرة الشيعة،وألغيت خلال هذه المجالس كل الحساسيات التي كانت بين فقاء المذاهب السنَّية المختلف،لتتوحد آراؤهم في رأي واحد،ومن ذلك ما كان بين ابن الحداد وابن عبدون(ت299ه)من هجران بسبب سجن ابن عبدون لابن حداد أيام توليه القضاء،لكن في المناظرة تراجعا عن هجرانهما لبعض،إذ قال ابن عبدون لابن الحداد:"تقدم يا أبا عثمان،فلم

---

[1]– تذكر بوبة مجاني في إشارات خاطفة تطور نشاط المناظرات بالمغرب الإسلامي في العهد الفاطمي حسب عصر كل حاكم منهم.ينظر:بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:18.

[2]– أبو عبد الله المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص:75.

[3]–لعلها نفس المجالس العامة التي كان الشيعة الفاطميون يستخدمونها للتدريس،مع العلم أن المناظرة كانت إحدى وسائل التلقين والتعليم عندهم،لأن بعضها دوِّن في مؤلفات للإفادة منها وتقييد ما قيل فيها من معلومات.

[4]–شَهِدَ جامع القيروان مثلا مجلس مناظرة برئاسة ابن القطان،بين فقهاء المالكية ودعاة الشيعة الفاطميين،وممن حضره من الفقهاء:أبو سعيد خلف بن عمر وأبو الأزهر بن متعب،وأبو محمد بن أبي زيد،وعبد الخالق بن شلبون،وابن التبان وأبو الحسن القابسي ومحمد بن أحمد السدري،وابن أخي هشام وعمر بن محمد السعال،وعبد الله بن عامر بن الحداد وابن أبي الليث مولى اللباد،وعبد الله بن الأحدري.ينظر:القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج:05،ص-ص:297-310؛أحمد ندات، **المرجع السابق**،ص:79.

يجبه،فقال له:تقدم فليس هذا وقت مهاجرة،فلسانك سيف الله،وصدرك خزانة الله"،وإنما أراد بذلك ابن عبدون أن يحرِّضه على مناظرة الشيعي[1] .

ب_المجالس الخاصة:

انتشرت خاصة في السنوات الأولى من الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،وهي تلك المجالس التي كان يحضرها رجل واحد من أهل السنة،وكان هذا الرجل هو الفقيه ابن الحداد[2]،ورجل من الشيعة هو أبي عبد الله الشيعي،أو أخوه أبي العباس،أو أحد الحكام الفاطميين فيما بعد[3].

أما عن مواضيع هذه المجالس والمناظرات،فهي نفس المواضيع التي لا يزال الخلاف فيها قائما بين أهل السُّنة والشيعة إلى يومنا هذا،فالشيعة يحاولون جاهدين إثباتها ويحشدون الأدلة والبراهين لذلك،وأهل السُّنة والجماعة يَنْفُونَهَا ويُفنِّدونها،ويمكن أن نذكر أهم ما كانت ترتكز عليه هذه المناظرات من مواضيع،والتي تمثلت في:إمامة علي-رضي الله عنه- وإمامة المفضول مع وجود الفاضل،وصلاة التراويح،ونكاح المتعة،والتقية[4] وغير ذلك من المواضيع التي يسعى

---

[1] - إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج :02،ص:472.

[2] -عَرَّف الخشيني بأربعة مجالس منها بصفة مقتضبة،أما المالكي فأوردها بإطناب ودقة،وكانت هذه المجالس بحضور أبو عبد الله الصنعاني،ثم أخوه أبو العباس،ثم المهدي عبيد الله،وهي تمثل محاولات الحكام الفاطميين لإقناع أهل السنة بالتحول إلى المذهب الشيعي،ظنا منهم أن علماء المغرب الإسلامي قاصرين عن الدفاع عن اتجاههم السني،إلا أن تمرُّس ابن الحداد وأتباعه من المدرسة الكلامية،جعل أبو العباس ثم عبيد الله المهدي يعمدان للقوة لنشر مذهبهم عنوة.ينظر:الخشني، **المصدر السابق**،ص،ص: 199،212؛أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص،ص:96،76،أحمد ندات،**المرجع السابق**،ص:80.

[3] -اتسم الحكام الفاطميون بقوة الجدل في المجالس التي يعقدونها،نظرا لسعة ثقافتهم وتمكنهم من الأداء ووسائله،وتفانيهم في الدفاع عن معتقداتهم،وللتعرف على شدة حرصهم على العلم بالمناظرات ينظر:القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص:133.

[4] -حول المناظرات في هذه المواضيع ينظر:إبراهيم علي التهامي، **المرجع نفسه**،ج :02،ص،ص: 473، 474، 475.

الشيعة من أجل فرضها وإثباتها[1]،حتى على شيوخ الخوارج الوهابية الذين اشتهر منهم أبو نوح سعيد بن زنغيل بمناظرة الشيعة،إذ كان المعز يقرّبه ويمدح فصاحته في الجدال والمناظرة،لأن هذا الأخير كان يجمع علماء الفرق المختلفة ويتناظرون بين يديه ومنهم أبي نوح،ثم يحكم بينهم[2]،وقد يُعجب الباحث من العلاقة الطيبة بين أبي نوح والمعز الفاطمي والتي تحوَّلت إلى ولاء ودفاع عن العبيديين[3].

كانت مجالس المناظرة تلك كثيرة،قدَّرها بعضهم بأربعين مجلساً،والذي نُقِلَ إلينا لا يعدو مجالس معدودة،مع العلم أن جُلْ هذه المجالس كانت أحداثها تدور في إحدى قاعات بيت الحكمة[4]،أو مسجد القصر أو المسجد الجامع بالقيروان.وهي أشهر وأكثر ثلاث أماكن تناظر فيها فقهاء الطرفين ودعاتهم،مع العلم أن نشأة المناظرة في بلاد المغرب الإسلامي تزامن في مرحلة مترادفة مع علم الكلام،وكانت أداته الرئيسية للنقاش[5].

في الأخير وللإشارة فإن هذه المناظرات والمجالس التي ذكرناها لم تتطرق لها سوى المصادر السُّنية وخاصة كتب الطبقات والتراجم من أمثال محمد بن حارث الخشني،وأبو بكر المالكي،الذي كان يعيش قريبا من ذلك العصر،أما كتب الشيعة المعاصرة لتلك الحقبة

---

[1]-للاطلاع أكثر على المناظرات التي تمت بين الشيعة والسّنة،والتي فصل القول فيها وقسَّمها إلى قسمين،المناظرات العقدية والمناظرات الفقهية،والمناظرات المشتركة،والمناظرات الخاصة، ينظر:محمد أحمد عبد المولى،**القوى السنّية في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية** ،ج:01،ص-ص:231-266؛إبراهيم علي التهامي،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:484.

[2]-وهذه المناظرات كانت تطول أحيانا فتنتج مؤلفات،وتقصر أحيانا فتأتي في ورقة أو ورقات ذوات العدد،وذلك حسب طبيعة المسألة المتناظر فيها،ودرجة المناظرين من حيث سعة علومهم وكثرة اطلاعهم،وقوة عارضتهم في المناقشة أسلوبا واستحضاراً.ينظر:عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي**،ص:165.

[3]-أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم** ،ص،ص:226، 227؛أحمد ندات، **المرجع السابق**،ص:82.

[4]- إبراهيم علي التهامي،**المرجع نفسه**،ج :02،ص:472؛ أحمد ندات،**المرجع نفسه**،ص:72.

[5]- أحمد ندات،**المرجع نفسه**،ص :76.

الزمنية،فلم تشر إلى تلك المناظرات ولا لمجالسها،وكل ما استطعنا العثور عليه هو إشارات مقتضبة في كتاب"افتتاح الدعوة" للقاضي النعمان،عندما أشار إلى أن أبو العباس الشيعي قد تصدى لمناظرة بعض فقهاء المالكية،فأفحمهم وأسكتهم[1]،ولكن يا ترى أيمكن أن يكون مقصوده من ذلك نفس تلك المناظرات التي ذكرها المؤرخون المالكية على أن أسلافهم تغلبوا فيها على الشيعة؟ أم أنها مجالس أخرى لم يتسنى لهؤلاء تدوينها أو الحديث عنها،أو ربما أحجموا عن ذكرها لسبب أو لآخر؟.

قناة أخرى أمكن للفقهاء التعبير من خلالها عن مواقفهم المختلفة من الدولة الفاطمية،والمساهمة في تفعيل الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي على عهدها،كانت حركة التأليف،والتي تعتبر المعين الرئيسي الذي نستقي منه معلوماتنا عن هذه الحقبة الزمنية من تاريخ المغرب الإسلامي،فكيف كانت هذه الحركة،وما مدى فاعليتها في تنشيط الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،على اعتبار أن الفقهاء على اختلاف مذاهبهم استغلوها للحفاظ على علومهم،كما هو الحال عند سائر الأمم التي كانت تهتم بالعلم وتسعى للحفاظ عليه رغم تغير الظروف السياسية؟

[1] – الداعي إدريس القرشي يشير بدوره لتلك المناظرات التي انتظمت بين الطرفين،متناهيا فيها بقدرة الشيعة في التفوق على خصومهم بالحجة والبيان،إذ يقول في ذلك:"واجتمع شيوخ القيروان وفقهاؤها إلى أبي العباس–المخطوم–وناظر الفقهاء في الإمامة،وفيما خالفوا فيه أهل البيت من قبل الفتيا في ذلك،وعجبوا من قوة حجاجه ونفاذ قوله"،وهي نفس ما يشير إليه الأستاذ جوذر الجوذري في نصوصه حول علم الأئمة الفاطميين بعلم الكلام أحد أهم مواضيع مجالس المناظرات.ينظر:الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق**،ص:140؛أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين**،تق وتح:محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة،دار الفكر العربي، مصر،د ط، ص: 33؛ موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:220.

3/حركة التأليف ودورها في الحياة العلمية والمذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (297-361ه/910-972م):

كانت حركة التأليف في المغرب الإسلامي إبَّان الحكم الفاطمي تمثل بما امتلكته من مقومات ميدان صراع غير مباشر بين أتباع المذاهب الإسلامية به-خاصة السُّنة المالكية- ودُعاة الشيعة وأئمتهم،لا يمكن الجزم أن كل ما أُلِّفَّ خلال هذه الفترة كان في إطار هذا الصراع المذهبي،ولكننا نرجح ذلك لكثرة القرائن الدالة عليه،لعل أهمها حالة التوتر السياسي الذي صاحب تواجد هذه الدولة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي،حتى قبيل إعلان قيامها،وهو ما انعكس بشكل أو بآخر على مختلف المجالات الأخرى بما فيها الحياة العلمية والمذهبية،إضافة إلى أن المطَّلِّعْ على عناوين تلك المؤلفات ناهيك عن فحواها يستنتج تلقائيا توجه أصحابها والغاية منها،لذا يمكن القول أن حركة التأليف تلك-خاصة التي تزعمها فقهاء المالكية-كانت بمثابة تعبير عن الرفض للآخر المختلف مذهبياً-وإيديولوجيا-قبل الدخول معه في مواجهات عسكرية لأنهم يعلمون عدم تكافؤ الطرفين فيها.

انعكس الواقع السياسي والضغط المذهبي الذي سلَّطه دعاة وحُكَّام الدولة الفاطمية على الحياة العلمية والمذهبية لسكان المغرب الإسلامي عامة وفقهائه خاصة،فجعلها تعرف نوعا من التثبيط الذي حال دون ازدهارها[1]،ذلك الإزهار الذي كان من شأنه أن يبرزها كمدرسة قطب تمثل الجناح الغربي من العالم الإسلامي،إلاَّ أن النشاط والحركية التي قام بها الفقهاء على وجه الخصوص من الطرفين(سُنَّة وشيعة)،في مجال التأليف المذهبي- إن صح التعبير- جعل الحياة العلمية والمذهبية به تشهد حركية مميزة تحسب لرواده،فكيف كان تأثير هذه الحركية على الواقع العام للمنطقة،ثم إلى أي مدى استغل الفقهاء-خاصة السنَّة المالكية-العامل الفكري المذهبي بأبعاده المختلفة،والتي منها نشاط التأليف والتدوين-على غرار ما ذكرنا من مؤسسات تعليمية

---

[1]-"فلم يزدهر منها إلا ما احتضنته الروح الإسماعيلية العنيفة،وارتضت له أن يظهر لخدمتها،فكان له أثره في ضعف الحركة العقلية والأدبية عموما".ينظر: محمد عبد الله عنان، **الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**،مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر،دار الرفاعي،الرياض-السعودية،ط:03، 1983م،ص،ص: 252، 253.

ومناظرات-في الصراع المذهبي القائم بالمغرب الإسلامي خلال الفترة الزمنية المؤطرة لهذا البحث؟

قبل الحديث عن واقع حركة التأليف خلال العهد الفاطمي بالمغرب الإسلامي،وجب الإشارة إلى أن تصنيف الكتب استخدم من طرف بعض الفقهاء كشكل من أشكال المقاومة [1] لتواجد الشيعي الفاطمي بالمنطقة،وعلى هذا الأساس تمَّ تدوينهم لمؤلفاتهم،التي تخدم مذهبهم وتذب عنه،أمام ما استخدمه خصومهم من دعاة لتبليغ اعتقاداتهم القائمة على التأويل،أي القول بأن لكل ظاهر باطن [2]،فعمل فقهاء السنَّة في المقابل من خلال إنتاجهم العلمي على إبراز خصوصيتهم العقدية والفقهية [3] من خلال مؤلفاتهم التي سنتناولها على النحو الآتي دون إغفال ما يقابلها من مؤلفات الطرف الثاني،ألا وهو مؤلفات دعاة الشيعة وأئمتهم.

أ_ المؤلفات العقدية:

كانت من أولى اهتمامات الفقهاء خاصة السُّنة المالكية منهم،وهي في نفس الوقت أكثر مؤلفاتهم استفزازا للسلطة الشيعية ما أدى إلى قتل العديد منهم بسبب ما خَطَّتْ أنامله، مثلهم في ذلك مثل الفقيه أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري،الذي قتله الفاطميون سنة(301ه)،بسبب تصنيفه لكتاب"نسب الشيعة" [4]،وهي أكثر المسائل التي كانت تثير نقمة الشيعة الفاطميين على من يخوض فيها.

---

[1] -"كانت المقاومة عبر التأليف ونظم الشعر-أيضا- من الوسائل المجدية والنافعة في مقاومة الشيعة،والتي كان لها أثر طيب في إقلاقهم وقض مضاجعهم،كما كان لها أثر في تبصير العامة بالحق وإرساء دعائم السنة".ينظر:إبراهيم علي التهامي،**أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية**،ج:02،ص:499.

[2] -محمد حسن الأعظمي، **الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية الإثني عشرية** ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة- مصر،ط:1970م،ص،ص: 23، 24.

[3] - موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:232.

[4] - أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج :02،ص،ص: 52، 53.

ومما أُلِّفَ أيضا في باب العقيدة،"رسالة في الاعتقادات"وكتاب"البعد عن شبه التأويل" للقابسي(ت403هـ/1013م)،وهما مصنفان رئيسيان في الرد على اعتقادات الفاطميين القائمة على القول بالظاهر والباطن،ولأن مسألة الإمامة شغلت بال فقهاء أهل السُّنة من وجهة نظر الشيعة،كان لابد لهم أن يُؤَلِّفُوا فيها،على نحو ما فعل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري–القلانسي [1] (ت359هـ/970م) [2]،الذي صنَّف كتاب"الإمامة والرد على الرافضة"،وهو مصنف في العقيدة والفقه،تناول فيه صاحبه موضوع الإمامة،فأبطل نظرية الشيعة فيها،مُستندا إلى حجج أهل السنَّة وفقههم،وهو من دون شك عصارة ما تم تداوله في مجالس علم الكلام والجدل،التي صارت تميز واقع لقاءاتهم العلمية السرية،إبان عهد الدولة الفاطمية [3]،مما دعا الخليفة القائم بأمر الله إلى ضربه بالسياط،وسجنه لمدة أربعة أشهر،والتنكيل به بمختلف ألوان العذاب في"دار النحر"،التي استحدثت خصيصا لمتابعة أمثاله من النخبة المناوئة لهم [4]،كما حَرِصَ الفقيه والمؤرخ محمد بن أحمد أبو العرب التميمي (ت333هـ/944م)على استقراء كتاب الإمامة لمحمد بن سحنون،وألَّفَ كتاب"المحن"،الذي عمل من خلاله على إبراز مواقف الصحابة والتابعين في تصدِّيهم لمختلف صنوف الابتلاء،وهي وسيلة حاول من خلالها تثبيت قلوب أهل السنَّة غداة تعرضهم لبطش

---

[1] – ينظر ترجمته في:محمد بن محمد مخلوف،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،ص:94.

[2] – يختلف تاريخ وفات هذا الفقيه بين يوسف بن احمد حوالة الذي يذكر أنه(ت 361هـ)،في حين يورد موسى هيصام أن ذلك كان سنة(359هـ/970م)كما هو موضح في المتن،ونحن نرجح التاريخ الذي ذكره موسى هيصام لأن محمد بن محمد مخلوف يؤكده في كتابه شجرة النور الزكية.ينظر:محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص:94.موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:233؛يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**،ج:02،ص:110.

[3] – موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص : 234.

[4] – القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:524.

الفاطميين،في محاولة لدفع العامة لاعتناق مذهبهم الشيعي الإسماعيلي [1]،في ذلك الوقت الذي هبَّت فيه رياح المعارضة ضدَّهم،من قِبَلْ أهل السُّنة والثائر أبو يزيد مخلد بن كيداد[2].

وألَّفَ الفقيه ابن التبان مُصَنَّفاً سماَّه"فضائل أهل البيت"،ردا على اعتقادهم في الإمامة،وقد ذكر الدباغ حول ظروف إخراج هذا المؤَلَّفْ،أن صاحب القيروان عبد الله بن عبد الله المدعو المختال[3]استدعاه إلى مجلسه،وقد تأخر ابن التبان عن الحضور إليه،بعد أن طلبه بمعية مجموعة من فقهاء ومشايخ القيروان،فقال له:" أبطأت عنا يا أبا محمد؟، قال: في شُغلك،كنت أَلَّفْتُ كتاباً في فضائل أهل البيت،آتاني به المسفر،وأخرجه من كُمِّه وقدَّمَهُ له"[4]،وهو يَنُمُّ عن شجاعة منه في التصدي للأفكار والمعتقدات الباطنية للشيعة الفاطميين،خاصة في مسألة إنكارهم لبعض مصادر التشريع التي يعتمدها أهل السنَّة مثل الإجماع والقياس،وتطرق آخرون لمعتقدات الشيعة في تأليفه مثلما فعل صاحب كتاب"كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب"[5]،احتوى الكتاب على أقوال علماء السنَّة في تصنيفهم للفاطميين من زمرة الزنادقة والمرتدين،بما أظهروه من خلاف للشريعة[6].

يفسر هذا الرد الفكري العنيف من جانب ثلة من النخبة السنِّية،ما لاقوه من مختلف صنوف المعاناة والتنكيل الذي لخَّصه الفقيه القابسي بالقول:"...إن الذين قتلهم بنو عبيد من العلماء والعُبَّاد أربعة آلاف رجل،ليردُّوهم عن الترضي على الصحابة،فاختاروا الموت"[7]،ونحا نحو

1- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :234.

2- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02،ص:110، 111.

3- لم نجد تعريفا لهذه الشخصية في حدود ما أمكننا الإطلاع عليه من كتب السير والتراجم.

4- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص،ص: 91، 92.

5- يذكر موسى هيصام في رسالته للدكتوراه السابق ذكرها،أن صاحب الكتاب اسمه"أبو شامة" لكننا لم نجد له ذكرا في كتب التراجم،كما أن الدكتور هيصام لم يوثق لمعلومته في حاشية الصفحة.ينظر: موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:233.

6- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:233.

7- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:233.

نحو هؤلاء جميعا فقهاء آخرون أثاروا مختلف أغراض التأليف،كوسيلة سلمية للتصدي لتوجهات الشيعة المناقضة لواقع المنطقة،أمثال:ابن أبي زيد القيرواني(ت 386ه/ 996م)،الذي سارت مؤلفاته على ما جاء به أبو العرب التميمي،حيث اهتم بنفس الموضوع نقاشا وتحليلا،فكانت مؤلفاته:"كتاب الاقتداء بأهل السنّة"،وسمّاه محمد مخلوف في"شجرة النور الزكية"بكتاب"الاقتداء بأهل المدينة" [1]،وكتاب "الرد على الجدال"،وكتاب"التنبيه على القول"،ورسالة"في أصول التوحيد" [2]،أما فيما يخص الرد على عقيدة التأويل عندهم-أي الشيعة الإسماعيلية-فإن الفقيه أبو الحسن علي المعافري(ت 403ه/ 1012م)قد ترك في ذلك مصنفات هامة،كان قد صنَّفها للرد عليهم ودحض معتقداتهم،لعلّنا نذكر منها:مصنّفه"أحكام الديانة"،و"المنقذ من شبهة التأويل"،و"المنبه للفطن من عوائل الفتن" [3]،وكتاب"الاعتقادات" [4].

تكبَّد فقهاء آخرون الرد على معتقد عصمة الأئمة عند الشيعة الإسماعيلية في مؤلفاتهم، نذكر منهم على سبيل الذكر:أبي بكر محمد بن وشاح(ت 333ه/944م)،في"كتاب إثبات الحجة في بيان العصمة"،وسعيد بن الحداد المناظر الفذ في كتابه:"عصمة الأنبياء"،وكتاب "المقالات"مع أننا لم نَسْتَكْنِهْ فَحْوَى الكتاب حقيقة،وأن صاحبه ألَّفه في عهد عبيد الله المهدي،إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد استهدف المذهب الشيعي في جملة ما استهدف من المذاهب،ولعل اعتقادنا يزداد يقيناً إذا ما تذكرنا كونه الفقيه الأشهر في مناظرة وجدال الشيعة،والقرينة الأخرى أن سعيد ابن الحداد لا يستغرب منه التأليف للرد على الشيعة،وهو الذي ألَّف كتابا أسماه "الرد على الشافعي"وهو أميل إلى مذهبه في بعض أوقات حياته [5]،كما

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،ص:143.

[2]- للاطلاع أكثر على عناوين مؤلفات هذا الفقيه التي يذكر محمد مخلوف بعضها،في حين يعدُّها القاضي عياض بأكثر من ثلاثين مُؤَلَّف.ينظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك**،ج:02،ص:494؛ محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص،ص:134، 135.

[3]- محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص :145.

[4]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :233.

[5]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:02،ص،ص: 295، 296.

رد الفقيه الزبيري-القلانسي(السابق الذكر)على هذا المعتقد عند الشيعة الإسماعيلية في مُؤَلَّفَيْه "الإمامة"و"الرد على الرافضة"،كان هذا ما أَلَّفه فقهاء السُّنة من مؤلفات عقدية ردا على معتقدات الشيعة الإسماعيلية.

ب_ المؤلفات الفقهية:

توجهت موضوعاتها نحو ترسيخ فقه أهل السُّنة خاصة المالكية منهم،للوقوف في وجه المد الشيعي الإسماعيلي،الذي دعم سلطته بالبطش بكل من خالف مذهبه،مستعينين في ذلك بنشر الكثير من دعاتهم،لكسب أكبر قدر من الأتباع،فكان الإنتاج الفقهي السُّني غزيرا[1]،رغم التضييق الشديد المفروض على نخبهم المتصدرة للذَّب عن هويتهم،إذ نجد في هذا الاختصاص مؤلفات الفقيه ابن أبي زيد القيرواني،عُمدة الفقه عند المتقدمين والمتأخرين من المغاربة،والتي نذكر منها:"كتاب الذَّب عن مذهب مالك"،و"كتاب الرد على المسائل" وكتاب"الرسالة"[2]،وغيرها كثير أحصتها أغلب المصادر والمراجع التي أرَّخت للواقع الفكري لتلك المرحلة[3].

على نهج ابن أبي زيد القيرواني سار الفقيه المؤرخ أبو عبد الله الخشني(ت 361هـ/ 972م)مُؤَلِفاً العديد من المصنفات،ضبط القاضي عياض عددها بقوله:"بلغني أنه أَلَّفَ مائة ديوان،وكان عالما بالأخبار وأسماء الرجال"[4]،لعلَّنا نذكر منها بعض مؤلفاته الفقهية مثل:"كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك"،"كتاب الفتيا في الفقه على مذهب مالك"،الذي خرج فيه الفقيه عن التقليد وحاول التجديد بجمع الأصول التي تنبني عليها الأحكام الفقهية الفرعية

---

[1]-في حين يذكر الباحث حفيظ كعوان في رسالته للماجستير السابقة الذكر أن:هذه المرحلة وهي المرحلة الثانية من تقسيمه الزمني لنشاط حركة التأليف بالمغرب الإسلامي من أواخر القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري،كانت مرحلة زيادة شروحات وتعاليق وما يلحقها من ذلك حول المؤلفات التي أُلِّفت في القرن السابق.ينظر:حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص:87.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص : 235.

[3]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:494.

[4]- القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:581.

في المذهب المالكي[1]،و"كتاب التحاصر والمغالاة"،هذه بعض كتبه التي أمكن لنا إيرادها،الفقيه عبد الخالق بن أبي سعيد بن شلبون(ت391ه/1001م)[2]،هو الآخر ألَّفَ كتبا فقهية في هذه الفترة الزمنية،ولا يستبعد أن تكون للرد على الشيعة،بدليل اعتماد كتابه"المقتصد لتلخيص مسائل المدونة والمختلطة"–جاء في أربعين جزء– مقررا للتدريس والفتوى بالمسجد الجامع بالقيروان،على غرار مصنفات لفقهاء آخرين،حيث صنَّفَ الفقيه ابن خلف المعافري كتاب" ملخص الموطأ"،وكتاب "الممهد في الفقه"[3].

تزعم كذلك الفقيه أبو القاسم خلف بن خلف الأزدي المكنى بالبرادعي[4] –هناك اختلاف بين الباحثين في تاريخ وفاته–[5] مدرسة الفقه بالقيروان،فأبدع في تنويع تآليفه،رغم ما تعرضت له مؤلفاته من تضييق،بسبب مواقفه السياسية من الفاطميين التي خالفت آراء غيره من النَّسابة،حيث ألَّفَ مصنفا يثبت فيه صحة نسب الفاطميين لآل البيت،ومع ذلك تعدد إنتاجه الفقهي،ليشمل عدة عناوين منها:"كتاب التهذيب في اختصار المدونة "الذي اتسم بتنسيق

---

[1]– حفيظ كعوان،**المرجع السابق**،ص:89.

[2]–أبو القاسم عبد الخالق بن خلف بن سعيد بن شبلون القيرواني،تفقه بابن أخي هشام وسمع من ابن مسرور والحجام،وكان الاعتماد عليه بالقيروان بعد ابن أبي زيد.توفي سنة(391ه).ينظر محمد بن محمد مخلوف،**المرجع السابق**،ص:97.

[3]– موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :236.

[4]–**أبو سعيد خلف بن خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي** :من حُفاَّظ المذهب المالكي،ومن أصحاب ابن أبي زيد والقابسي وبهما تفقه،له تآليف مشهورة منها التهذيب، لم تحصل له رئاسة بالقيروان فخرج إلى صقلية،وحصلت له شهرة هناك وجاه،وبها ألَّف غالب كتبه، لم أقف على تاريخ وفاته–هو ما يورده محمد بن محمد مخلوف– لكن موسى هيصام يورد التاريخ المذكور في المتن كَسَنَةٍ لوفاته.ينظر:محمد بن محمد مخلوف،**المرجع نفسه**،ص:105؛موسى هيصام،**المرجع نفسه**، ص:236 .

[5]–يذكر حفيظ كعوان تاريخا مختلفا عما ذكره موسى هيصام حول وفاة هذا الفقيه (ت372ه/ 983م)،فيذكر أنه كان سنة(430ه/1038م)،والتاريخ الذي ذكره هيصام هو تاريخ تأليف هذا الفقيه لكتابه "التهذيب" عند كعوان،ولكن المتفق عليه بينهما أنه توفي بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر سنة(361ه).ينظر:حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص:85.

مسائله وتبويبها وفقا لما ورد في المدونة تقريبا،وقد لاقى قبولا كبيرا ورواجا واسعا بين طلبة العلم،مما يؤكد لنا أهميته العلمية الكبرى [1]،وعلى الرغم من أنه ألَّف عدة مؤلفات أخرى منها:"التمهيد لمسائل المدونة"،و"الشرح والتمامات لمسائل المدونة"،و"اختصار الواضحة" [2]،إلا أنَّ فقهاء القيروان أفتوا بطرحها،وأن لا تُقرأ باستثناء كتابه"التهذيب"،الذي رخصوا قراءته لاشتهار مسائله [3]،كما ظهر مُؤَلَّف "تجديد الإيمان من شرائع الإسلام"،الذي أَلَّفه الفقيه أحمد بن عبد الرحمان القصري(ت 322ه) [4]،والذي برز في فترة اشتداد الصراع المذهبي السُّني الشيعي [5]،ليعبر عن موقف صاحبه من السلطة الشيعية الاسماعيلية.

فقهاء المغرب الأوسط كان لهم في هذا المضمار باع لعلنا نذكر منهم:الفقيه الفضل بن سلمة البجائي(ت319ه/931م)الذي أَلَّفَ كتاب"جامع المسائل الموازنة والمستخرجة" [6] أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي (ت 402ه/1011م) هو الآخر أَلَّفَ عدة مؤلفات فقهية،أشهرها كتاب"الواعي في الفقه" [7]،"القاضي في شرح الموطأ"،ويبدو أن هذه الكتب لم تَلْقَ من الرعاية والاهتمام ما لَاقَتْهُ الكتب المؤلفة من قبل،كون المصادر لا تشير إلى أنها-أي مؤلفات الفقيه الأسدي- كانت محل شرح أو اختصار أو تعليق من قِبل علماء إفريقية،إلا أنها تحوي دلالات واضحة على ما اتسمت به المدرسة المالكية من نشاط وحيوية في هذا المجال،حتى في الفترات التي أعقبت مرحلة التفريع وجمع المسائل في المذهب [8].

1- حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص: 86.

2- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص: 236.

3-حفيظ كعوان ،**المرجع نفسه**،ص: 87.

4-أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:198.

5- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:111.

6- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص: 237.

7- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:237.

8- حفيظ كعوان،**المرجع نفسه**،ص: 89.

كانت هذه بعض العيّنات مما أُلِّف من مصنفات على يد فقهاء المغرب الإسلامي خلال الحكم الفاطمي له،ولم تنحصر مجالات تأليفهم على الكتب الدينية الفقهية فقط،وإنما تخطتها لمجالات أخرى استطاعوا من خلالها أن يُحققوا بعضا من أهدافهم المرجوة،في مقاومة الشيعة الإسماعيليين مذهبياً وسياسياً بطرق سلمية،نظرا لعدم تكافؤ القوى العسكرية للطرفين،إضافة إلى السعي الدؤوب لتثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس الناس،من منظور سُنِّي [1]،ولعلَّه الأثر الإيجابي الذي سعوا إليه وحققوه بفضل الدراسات الشرعية التي قاموا بها،واجتهدوا بها كثيرا للحفاظ على مذاهب أهل السُّنة–خاصة المذهب المالكي–من الضياع تحت طائلة الضغط،الذي كانت تمارسه السلطة الفاطمية بالمنطقة وبمختلف الأشكال.

وما دُمنا قد أشرنا إلى مصنفات أهل السنَّة العقدية والفقهية خلال العهد الفاطمي،فمن الضروري أن نذكر بعضا من مؤلفات الشيعة الفقهية التي أُلِّفت من قِبل دُعاتهم وفقهائهم في نفس الإطار الزمكاني للموضوع،لأنها أسهمت أيضا في إثراء الدراسات الشرعية،بطريقة غير مباشرة،فالقاضي النعمان [2] كعيِّنة عن فقهاء الشيعة،الذي لم تقتصر أنشطته العلمية على الجانب الفقهي والتشريعي فقط،وإنما تعدَّته إلى ما هو معرفي،بإثرائه للمكتبة العربية الإسلامية عامة والمكتبة الفاطمية خاصة بمؤلفات غزيرة في علوم العقيدة والفقه والتاريخ،وتميزت مؤلفاته بعدم الإسهاب في التأويل كعادة دُعاة الإسماعيلية وفلاسفتها الأوائل [3].

حسب رأي ابن زولاق(ت 387ه) فإن القاضي النعمان"كان في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه،وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة

---

[1] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02،ص:113.

[2] – للتعرف أكثر على شخصية القاضي النعمان المغربي ينظر: محمد الناصر صديقي، **القاضي النعمان المؤرخ الداعي**،مجلة عصور،منشورات مخبر البحث التاريخي(مصادر وتراجم)،جامعة وهران–الجزائر،العدد :20،جانفي–جوان 2013.ص:134.

[3] – محمد الناصر صديقي،**المرجع نفسه**.ص:133.

بأيام الناس من عقل وإنصاف[1]...ألَّف لأهل البيت من الكتب آلاف الأوراق بأحسن تأليف وأملح سجع" [2]،ألَّفَ العديد من الكتب في الفقه وعلوم الدين،نذكر منها:"كتاب الإيضاح"،"مختصر الإيضاح"،"الأخبار في الفقه"،"الاقتصار"،"المنتخبة"،"دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام"،وهذا الكتاب يشتمل على الفقه الفاطمي كلّه[3]،ويخدم صراحة المعتقد الشيعي،وقد ألَّفه بطلب من الخليفة المعز لدين الله[4]،"كتاب منهاج الفرائض"،"الاتفاق والافتراق"،"المقتصر والينبوع"،"كتاب الطهارة"[5]،هذه جملة من الكتب الفقهية للقاضي النعمان ذكرها محمد الناصر صديقي في باب مفرد،أسماه باب في الفقه وعلوم الدين لمؤلفات هذا الفقيه،الذي اكتفت به المصادر والمراجع – ومعظمها سُنِّية- عن غيره من فقهاء جيله من الشيعة الإسماعيلية،ومن عاصروا الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،غير أننا نجد عند الداعي إدريس القرشي بعض من أخبار الدعاة الذي ألَّفوا في الفقه أو استنسخوا كتبا فيه،حيث يذكر أن كبير دعاة كتامة أفلح بن هارون الملوسي،استنسخ كتبا كثيرة في الفقه وفضائل أهل البيت،وخطب الإمام علي وأبنائه أيام الخليفة المهدي[6]،يُرجح كذلك أن يكون النسخ قد تم أيام الدعوة السرية،وعند تأسيس الدولة وأثناء قدوم الإمام عبيد الله المهدي من المشرق،كانت معه كتب ملاحم أخذت منه في برقة[7].

---

[1] – القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**،ج:01، تق:آصف بن علي أصغر فيضي ،دار المعارف،القاهرة-مصر:1969م،ص:12.

[2] – ابن خلكان،**المصدر السابق**،ج:05،ص:416.

[3] – محمد الناصر صديقي،**المرجع السابق**،ص :137.

[4] – يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02،ص:114.

[5] – محمد الناصر صديقي،**المرجع نفسه**،ص :136.

[6] –الداعي عماد الدين إدريس، **عيون الأخبار وفنون الآثار**(**السبع السادس أخبار الدولة الفاطمية**)، تح وتق:مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت-لبنان،ط:02،1984م ،ص :211.

[7] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،ص :151؛ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:110؛تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**،**ج: 01**،تح:جمال الدين الشيال،المجلس

ومن الدعاة الذين كانت لهم تآليف في بداية الدولة في عهد خليفتها الأول المهدي، الداعي الطالبي أبو علي باب الأبواب(ت 321ه/933م)،ومن مؤلفاته كتابه الموسوم بعنوان"أمهات الإسلام"،رد فيه على الفلاسفة والأمم المخالفة للإسلام،كما تعرَّض فيه كذلك إلى التأويل وحقيقة وجوده،وظل الداعي الطالبي يُؤَلِّفُ ويُصنِّف الكتب إلى أن توفي [1]

أما من عاصر من الدعاة الخليفة المهدي وكانت له تآليف في الفقه نذكر أبو عبد الله جعفر بن الأسود بن الهيثم،الذي نقل عنه أخبار الدعوة والدولة،الداعي إدريس القرشي [2]،وظلت حركة التأليف في عهد الخليفة المهدي نشطة،فالداعي أبو اليسر الرياضي الذي تولى خطة الكتابة بعد تأسيس الدولة،صنَّف كتبا في علوم شتى منها علوم الحديث والقرآن والأدب [3].

الخلفاء الفاطميون أيضا أسهموا في حركة التأليف الشيعية في شِقِها الفقهي،حيث يُنسب للخليفة الفاطمي الثالث وهو المنصور تصنيفه لكتاب بعنوان"تثبيت الإمامة لمولانا علي ابن أبي طال"،وإن كان هذا الكتاب ينسب أيضا للقاضي النعمان،ولم يُرَجِّحْ المؤرخون إلى أي منهما يَثبت نَسب هذا الكتاب،أما الخليفة المعز لدين الله فقد ورد في كتب التاريخ التي تناولت الفقه الشيعي،أنه قام بتصنيف كتاب"الروضة"،الذي يحتوي كثيرا من الحالات الفقهية،و يُنسب إيه أيضا كتاب آخر هو"المناجاة" [4]،فهي بدوره يعالج المسائل الفقهية وفق المذهب الشيعي الإسماعيلي.

ج_ المُؤَلفات التعليمية التربوية:

شكل آخر من أشكال التأليف برز فيه فقهاء المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي،واعتباراً للواقع الفكري الذي ميَّز فترة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي القائم على

=الأعلى للشؤون الإسلامية–لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة–مصر،ط: 02، 1996م،ص:61؛ عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**،ج:07،ص:71.

[1]–الداعي عماد الدين إدريس ،**المصدر نفسه**،ص:236.

[2]– بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص :40.

[3]– ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج :01،ص:163.

[4]– يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:115.

الصراع بين مذهبين متباينين عقديا وفقهيا،ثم نظرا للخطر الذي كان يتهدد الناشئة السنّية،بسبب فرط نشاط دعاة الإسماعيلية الهادف إلى ضم أكبر عدد ممكن لمذهبهم،وعلى غرار العمل السري الذي باشره الفقهاء والمؤدبون–المعلمون–السنِّيون،لتحصين أبنائهم من تأثير الفكر الشيعي الوافد على المنطقة،توجهوا نحو تأليف المصنفات التي تنظر للعلوم المختلفة،وتكون بمثابة مناهج تعليمية وأساليب تربوية تُعنى بتنظيم العملية في مستوياتها المختلفة،كآليات مضادة لما اعتمده الفاطميون من طرق ووسائل لفرض مذهبهم الشيعي الإسماعيلي[1].

انطلاقا من مصنف محمد ابن سحنون(ت 256هـ/869م)"كتاب آداب المعلمين" كانت بداية حركة التأليف في هذا المجال،والتي برز فيها الفقيه ابن أبي زيد القيرواني،بغزارة ما أنتجه من مصنفات عدة في هذا المجال،إضافة إلى اهتمامه بمجالات أخرى،منها التنظير للفكر التربوي في مُصنفه"أحكام المعلمين والمتعلمين"،الذي ضَمَّنَهُ قواعد تَوَلِي مهمة التأديب– التدريس– وطُرقه ووسائله،القائمة أساساً على العلاقة الوطيدة التي تربط المِلَقي بالمتلقي،والذي لا يخرج عن إطار ما خاض التأليف فيه أبو الفضل يوسف بن مسرور(ت 325هـ/937م)،في مؤلفه"كتاب فضل العلم والعلماء"،كما اهتم الطبيب والأديب المؤرخ ابن الجزار(ت 369هـ/980م)،بدوره بميدان التربية والتعليم،وهو مجال فاق فيه نظرائه من الفاطميين،ضمن كتابه الموسوم ب"سياسة الصبيان وتدبيرهم"[2]،كانت هذه عيِّنات من مُؤَلفات لفقهاء اعتنوا بمجال التربية والتعليم وخصصوا له مساحة من فضاء تآليفهم،فصاغوا أُطُرَهُ ونظموها وفقا لما يخدم مذهبهم ويضمن لم تنشئة جيل سُنّي متعلم.

د_مؤلفات في التاريخ والتراجم:

برز في هذا المجال على وجه الخصوص دعاة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي،كونهم اهتموا بجمع أخبار أئمتهم والتأريخ لها،مع سعي حثيث للتوثيق لأخبار الدعوة،وهذا لا يَعني عدم اهتمام فقهاء السُّنة بهذا النوع من التأليف وإنما جهودهم الفقهية في الحفاظ على

[1] – موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:239.
[2] – موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص :239.

مذهبهم،كانت من أولى اهتماماتهم،ومع ذلك كانت لهم عدة تآليف في هذا المجال،سنتطرق لبعضها بعد أن نستعرضها عند الطرف الشيعي،فعلى سبيل الذكر نجد القاضي النعمان[1] يتصدر هذا المجال أيضا،حيث نال شهرة واسعة فيه زمن الخليفة المعز لدين الله،رغم أنه بدأ تصنيف الكتب منذ أيام الخليفة عبيد الله المهدي،فكتابه "مختصر الإيضاح"مثلا ،هو عبارة عن أحاديث وأخبار تُروى عن الأئمة من آل البيت [2]،كما يُرَجَّحُ أيضا أن كتابه"الهمة في آداب إتباع الأئمة"الذي وَضعه في آداب التعامل مع الأئمة،قد صَنَّفه في آخر عهد عبيد الله وبداية عهد القائم[3]،كتاب"افتتاح الدعوة" الذي أكمل تأليفه سنة(346ه/950م)[4] في عهد المعز لدين الله،والذي يؤكد الدشراوي على ضرورة الاهتمام به [5]،لأنه يُعَدُ من أهم المصنفات التي تناولت أحداث وتطورات الدعوة الإسماعيلية بالمغرب الإسلامي،كون مؤلفه شاهد عيان عاصر تلك الأحداث،أما كتابه "المجالس والمسايرات"فهو إضافة إلى كونه كتاب سير،يعد صلة وتكملة لكتاب "افتتاح الدعوة" [6]،ولا نستطيع عدم ذكر كتابه التاريخي"شرح الأخبار"الذي أفاد فيه إفادة كبيرة من المكتبات الفاطمية،خاصة مكتبة المعز لدين الله وما كانت تزخر به من مصنفات هامة في شتى العلوم[7]،وقد برز ذلك في ذكره لبعض المصادر التي أخذ عنها.

ومن القاضي النعمان الذي ناب عن غيره من المصنفات التاريخية الشيعية ببلاد المغرب في أن يكون عيِّنة عن تأليفهم في هذا المجال،ننتقل إلى الطرف الثاني وهم فقهاء السُّنة لنحاول

---

[1]-"يعد القاضي النعمان من أوائل المراجع التي تناولت بدء الدعوة الفاطمية في مهدها الأول ببلاد المغرب،فكانت مصنفاته أهم رافد فكري لفاطميّ بلاد المغرب،في مرحلة التأسيس وما بعدها،حتى كان من أهم فلاسفة الإسماعيلية في الطور الإفريقي".ينظر:محمد الناصر صديقي،**المرجع السابق**،ص: 144 .

[2]-الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص :560.

[3]- بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص :41.

[4]- محمد الناصر صديقي،**المرجع نفسه**،ص :145.

[5]-فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب(296ه-365ه/909-975م)التاريخ السياسي والمؤسسات**،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01،1994م، ص :22.

[6]- محمد الناصر صديقي،**المرجع نفسه**،ص :148.

[7]- محمد الناصر صديقي،**المرجع نفسه**،ص:150.

جمع بعض أخبار من ألَّف منهم في التاريخ والتراجم،ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم أو أخبار عنها،حيث عمل مؤرخو أهل السُّنة من جانبهم على منافسة المؤلفين الإسماعيليين في هذا المجال،أمام من برز منهم مثل القاضي النعمان ابن حيون السالف الذكر،بمؤلفاته العديدة في هذا المجال،والتي لا يسمح لنا المقام بإيرادها كلّها لذا ذكرنا فقط بعضها على سبيل الذكر لا الحصر.

عَمَدَ فقهاء السُّنة بِدَوْرِهِمْ إلى وَضع المصنفات المخلدة لتاريخهم ومناقب رجالهم،فتنوعت مواضيعها بين إبراز سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،وقصص الأنبياء،وتاريخ الأمم والمغازي،وتراجم علماء وفقهاء وعُبّاد إفريقية والمغرب،وكل هذه المواضيع إنما وُضعت معظمها منافسة لما أَلَّفَهُ الطرف الشيعي في صراع تأليف مذهبي واسع شَهِدَته منطقة المغرب الإسلامي عهد الحكم الفاطمي لها،ولعلّنا نذكر من بين هؤلاء الفقهاء المؤرخين،الفقيه المؤرخ أبو العرب محمد بن احمد تمام التميمي(ت 333ه/944م)،بمؤلفاته العديدة في هذا المجال مثل:"طبقات علماء إفريقية"،وكتاب"عُبَّاد إفريقية" [1]،وكتابي"فضائل مالك" [2] و"فضائل سحنون"،و"كتاب التاريخ"الذي ذكر القاضي عياض أنه جاء في سبعة عشر جزءً [3] وغيرها [4] وهي كلُّها ذات أبعاد أبعاد مذهبية،لأنها ترجمت لأعلام أهل السُّنة عامة،والمالكية منهم خاصة،بتدوين مناقب أكبر أئمة المدرسة المالكية في المشرق والمغرب على الإطلاق،وهما يَصُبَّانِ في نطاق التأليف المذهبي المضاد للإنتاج الشيعي الرسمي [5] في هذا المجال كما سبق لنا الذكر.

---

[1] - محمد بن محمد مخلوف،**المرجع السابق**،ص :83.

[2] -ويذكر الدباغ كتابا آخر بعنوان"سند حديث مالك"،في ترجمته لأبي العرب تميم التميمي في كتابه معالم الإيمان.ينظر:أبو زيد الدباغ،**معالم الإيمان**،ج:03،ص:38.

[3] - القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:335.

[4] -يعدد الدباغ بعضا من مؤلفات فيقول:"له جزئين في موت العلماء،وكتاب المحن،كتاب فضائل مالك،كتاب فضائل سحنون،كتاب الطهارة والوضوء،كتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر،وكتاب في الصلاة،وغير ذلك،وبلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة كلّها بخط يده،واحتاج الناس إليه وإلى علومه وكتبه".ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:35.

[5] - موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :240.

وألَّف أبو عبد الله الخشني مصنفات غطت نفس الغرض منها كتاب"تاريخ الإفريقيين"[1] وفي التراجم كتاب في"تاريخ علماء الأندلس"و"تاريخ قضاة الأندلس"[2] و"كتاب فقهاء المالكية"[3]،وكتاب"قضاة قرطبة وعلماء إفريقية"،وفي علم الأنساب"كتاب النَّسب"[4]،ويَذكر الدباغ أن ابن الفرضي قال فيه:"بلغني أنّه ألَّف مائة ديوان وكان حكيما..."[5].

كانت هذه بعض الأمثلة عن المؤلفات التاريخية،التي أُلِّفت بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية،والتي نلاحظ أنه غلب عليها الطابع الفقهي في دراسة الأحكام والتاريخ والتراجم،كونها تواكب المرحلة المتميّزة بالتنافس العملي ذي الصبغة المذهبية،وهو ما شكل خلال هذه الفترة ومع مرور الزمن نخبتين متمايزتين لكل آلياته ووسائله،نخبة شيعية إسماعيلية مدعومة بالسلطة الرسمية الفاطمية،وأخرى سُنِّية مدعومة بأكثرية شعبية،تبنَّت أفكارها وتوجهاتها،فكانت من أسباب فشل المشروع الإسماعيلي في المغرب الإسلامي[6]،والهادف إلى تشييع البلاد سُلطة ورعية،وتوحيد الهرم الاجتماعي لكل المغرب الإسلامي في كتلة واحدة مرتبة من الأعلى إلى الأسفل ترتيبا نخبويا أساسه العلم الإلهي والنَّسب لآل البيت.

و_ المؤلَّفات الأدبية:

التأليف الأدبي -إن صح التعبير- هو أحد ألوان التدوين الذي عرفه المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية،واستمر بعد قيامها رغم تغير الظروف السياسية والمذهبية للمنطقة،وهذا ما سنحاول التطرق إليه مقسمين المؤلفات الأدبية عهد هذه الدولة إلى شقين:شق تناولنا فيه ما كان نثري منها،وشق حاولنا فيه إحصاء بعض مؤلفاتها الشعرية.

1/ النثــــــــر:

---

[1]- أبو زيد الدبّاغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص:82.
[2]- أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:82.
[3]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج:02،ص:531.
[4]- القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:531.
[5]- أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:82.
[6]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :240.

كان الملاحظ على هذا النوع من التأليف قِلة الإنتاج،بالمعنى الصريح والدَّقيق لذلك،والسَّبب في ذلك يَعود حتما إلى المناخ المذهبي الذي ساد المنطقة زمن الحكم الفاطمي لها،والذي طُبع بمظهر الصراع السُّني الشيعي،مما حال دون الإبداع في هذا المجال بالذات،وإن برز من الجانب الشيعي القاضي النعمان بمصنّفه"المجالس والمسايرات"،الذي لازم في تدوينه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي،فنقل عنه كل حركة وسَكَنَة،فكان محتواه الأساسي والغالب عليه خطب هذا الخليفة ورسائله،فَعُدَّ لذلك"ديوان إنشاء" متنقل للخليفة الفاطمي الرابع [1]،كذلك كان مؤلف"سيرة الأستاذ جوذر "للجوذري [2]،الذي يُعتبر هو الآخر تغطية نثرية لنشاط الخليفتين المنصور والمعز،وكتابات هذين المؤلِفين-القاضي النعمان والأستاذ جوذر-إن دلَّت على شيء إنمّا تدل على مدى التطور الذي رافق التصانيف الرسمية من حيث الشكل والمضمون في الدولة الفاطمية [3].

كان هذا عن النثر عند الطرف الشيعي الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي،أما عن الطرف السُّني فتميَّز النثر عند فقهاء السُّنة وأدبائها بطابعه الدعائي المضاد للمذهب والسلطة الشيعية الفاطمية،إذ عملوا من خلاله على إبراز مثالب مخالفيهم من الشيعة الفاطميين،ومحاولة إظهار عيوب الخصم،من خلال وسائل القمع التي سلَّطها عليهم وعلى مذهبهم السُّني،لذلك اتَّسَمَ الإنتاج النثري عندهم بطابع الوصايا والمواعظ الموجهة للعامة،بهدف دفعهم للتشبث بالمذهب السني والذود عنه،ما جعل تآليفهم النثرية تتصف بالجزلية في الألفاظ،والإيجاز-الاختصار-مع وضوح العبارات،لتنال وقعها في نفوس المتَلَقِيْن،وتزيد من حماسهم لمدافعة خصمهم الشيعي الإسماعيلي،مُدَعِمِين نصوصهم النثرية باقتباسات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية،وكأنموذج على ذلك نأخذ نصوص المناظرات التي دارت بين الطرفين،خاصة تلك التي

[1] - ينظر فهرس موضوعات:القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص،ص: 608،609.

[2] -ينظر فهرس موضوعات،أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين**،ص،ص:(أ)،(ح).

[3] - موسى هيصام ،**المرجع السابق**،ص:241.

دارت بين سعيد ابن الحداد وبعض دعاة الشيعة الفاطميين وخلفائهم [1]،أو حتى نصوص تلك الخطب التي أسمعها فقهاء المالكية خاصة للعامة من على منبر المسجد الجامع بالقيروان[2]،معلنين فيها عن مشاركتهم في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد [3]،والتي يحثون فيها العامة على ضرورة المشاركة فيها أيضا لجهاد الفاطميين.

كما أسهم نفر آخر من فقهاء المذهب السُّني بالتأليف النثري،بما أضافوه في مجال الدراسات اللغوية وما ألَّفوه من كتب قيِّمة في هذا الشأن،لعلّنا نذكر منهم:أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز القيرواني [4](ت412ه/1029م)،المكنى بالنحوي،لما غلب عليه من اهتمام باللغة والنحو،وله في ذلك تصانيف منها:كتاب"الجامع في اللغة العربية"،وكتاب"التعريض والتصريح"[5]،الذي كان يفضِّله أهل علم العروض على سائر الكتب المؤلفة في هذا المجال،وله أيضا كتاب"شرح رسالة البلاغة"،كما خاض في مجال الأحكام السلطانية فكان كتابه الموسوم بعنوان"كتاب أدب السلطان والتأدب له"،قال ياقوت الحموي أنه جاء في عشر مجلدات [6]،كما جمع المتفرق من الكتب النفيسة لمن سبقوه في هذا المجال[7].

هكذا كانت جهود فقهاء المغرب الإسلامي في المساهمة على مجال التأليف النثري ببلادهم،سواء كانت هذه الجهود في إطار الصراع المذهبي بين الطرفين السنّي والشيعي،أو في

---

[1]-مثال تلك المناظرات ينظر: إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج :02،ص:474.

[2]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص:35.

[3]-ينظر في ذلك :أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:02،ص،ص:309، 310؛أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج:03،ص،ص:33، 34؛ ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:217.

[4]-ينظر ترجمته في :ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ،ج:04،ص:374؛خير الدين الزركلي، **الأعلام**،ج: 05،ص:196.

[5]- ياقوت الحموي،**معجم الأدباء**،ج:18،مطبعة دار المأمون،القاهرة- مصر،ط:1983،ص:109.

[6]- ياقوت الحموي،**المصدر نفسه**،ج:18، ص:109.

[7]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :242.

إطار سعي كل من الطرفين للمحافظة على نشئه وخلق جيل له قاعدة مذهبية معيّنة،متشبع بدينه ولغته الثرية بمجاليها النثري والشعري.

2/ الشعــــــر:

هو المجال الثاني للغة العربية،والذي مثَّل قمة العطاء الأدبي لفقهاء المغرب الإسلامي عهد الدولة الفاطمية،بالنسبة لكل من الطرفين السُّني والشيعي،حيث كانت غزارة التأليف في هذا المجال ترافق التحولات السياسية والمذهبية الطارئة علي بلاد المغرب الإسلامي منذ قيام الدولة الفاطمية،إذ كان الشعراء يُصَوِّرُونَ بأصدق وأفضل الألفاظ والمعاني هذا التَحَوُّل،ويؤرخون لأوضاع البلاد في ظل السلطة الرسمية الجديدة للدولة الفاطمية،ولأن الشعر يُعد أكثر الحقول العلمية الأدبية وقعاً في نفوس العامة،اتخذته السلطة الفاطمية الشيعية أداة للتعريف بكيانها وتمجيد حُكامها وفرض قواعد مذهبها،فشجعت الشعراء وجعل حُكامها بلاطاتهم مجمعاً يقرِّب الشعراء الموالين لمذهبها،والمشيدين بفضائل سلطتهم،مثل الشاعر علي بن محمد الإيادي الذي هجا أبو يزيد مخلد بن كيداد ومدح المنصور[1]،حتى أن بعض الخلفاء الفاطميين تولوا نظم الشعر وقرضه بأنفسهم،مثل الخليفة المنصور بالله(ت 341ه/ 953م)،الذي نَظَمَ قصائد في الفخر والمدح وصلنا منها خمسة عشر بيتا أوردها الجوذري في إطار تأريخه لانتصارات المنصور على أبي يزيد مخلد بن كيداد،بعد محاصرته له بقلعة كنانة بالمغرب الأوسط سنة(336ه/947م)[2]،ومنها قوله:

أَنَا الطَّـــــاهِرُ المَنْصُورُ مِنْ نَسْلِ أَحْمَدَ بِسَيْفِيْ أُقْدِمُ إِلْهَـــــــــــامِ تَحْتَ المغَافِرِ[3]

كذلك نظم الخليفة الرابع المعز لدين الله(ت 365ه/976م) الشعر،وإليه تنسب الأبيات التالية،التي جاءت في شكل آهات عبَّر فيها عن عدم قدرته على إخضاع سكان المغربين الأدنى والأوسط إلى مذهبه وسلطة دولته فقال:

---

[1]-ينظر حول هذا الشاعر وشعره في مدح المنصور وذم أبي يزيد.أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر**،ص،ص:48، 49.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:242.

[3]-أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص :50.

لِلَّهِ مَــــاْ صَنَعَتْ بِنَــــــا تِلْــــــكَ المِحَاجِرِ مِنَ المِعَــاجِرْ
أَمْضَى وَأَقْــــــسَى فِيْ النُّفُوْسِ مِـــــنَ الخَنَاجِرِ فِيْ الحَنَــاجِرْ
وَلَقَدْ تَعِبْـــــتُ بِبَيْنِكُـــــمْ تَعَـــــبَ المِهَاجِرِ فِيْ الهَـوَاجِـرْ[1]

ابن المعز لدين الله،تميم الفاطمي(ت 374ه/984م) صُنِّفَ ضمن كبار فطاحل الشعراء الفاطميين،بديوان شعر احتوى خيرة ما نظمه في جميع الأغراض الشعرية،خاصة المدح والفخر(الذي خص به أجداده وآباءه)[2]،والذم والهجاء الموجه لأهل السّنة خاصة.

استعمل الدعاة والقضاة الفاطميين الشعر كوسيلة لإثبات صدق مذهبهم والترغيب فيه من جهة،ولترهيب مخالفيهم من جهة أخرى،نذكر منهم الداعي أبو عبد الله الشيعي،الذي دعا للمذهب الشيعي وسعى لنشره طوعا أو كرها[3]،والقاضي النعمان منظر الفكر والفقه الإسماعيلي،أيضا كان له شأن كبير في هذا المجال بأرجوزته التي ضَمَّنَهَا قصائد تثبت الإمامة لعلي ابن أبي طالب-رضي الله عنه- دون سواه من الصحابة،وفي المقابل عمل على دحض ما استند إليه أهل السنة من إشارات على أحقية أبي بكر الصديق في الخلافة[4]،أما شعراء البلاط الفاطمي أو من الذين مدحوا حُكامه نذكر سعدون الورجيني(ت 297ه/910م) هذا الذي مدح عبيد الله المهدي،وعظَّم نسبه بعد دخوله المغرب الإسلامي[5].

حَاوَلَتْ نُخبة من الفقهاء الشعراء بالمغرب الإسلامي الرد على خصومهم بنفس سلاحهم،ألاَ وهو القصائد الشعرية هذه المرة،بعد تسخير السلطة الفاطمية ودعاتها كل الوسائل في سبيل

---

[1]-المعز لدين الله الفاطمي، **أدعية الأيام السبعة** ،تح: إسماعيل قربان حسين يوناوالا،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 2006م،ص:09؛عارف تامر، **تميم الفاطمي** ،مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،بيروت – لبنان،ط:1982م،ص:19.

[2]- كأنموذج عن شعره في مدح أجداده ينظر.عارف تامر،**المرجع نفسه**،ص:48.

[3]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :244.

[4]-ينظر شعره في:القاضي النعمان، **الأرجوزة المختارة** ،تق:عارف تامر،شرح وتح:يوسف البقاعي،دار الأضواء،بيروت-لبنان،ط: 1999م،ص:26.

[5]- ينظر أنموذجا من شعره في:موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:244.

تشييع العامة،فظهر ما عُرِفَ بالشعر المذهبي كغرض جديد اتخذه شعراء أهل السُّنة لمناوئة خصومهم من الشيعة وغيرهم،وبرز ذلك في مراثيهم لشيوخ مذهبهم من الفقهاء والعُبّاَد والزُّهاد،على سبيل المثال رثاء الشاعر أبو عبد الله الحسن الداروني (ت 343ه/955م) للفقيه الممسي عند مقتله على يد الفاطميين [1]،لأن أشعارهم في رثاء هؤلاء هي إظهار لمدى أهميتهم ولقيمتهم الفكرية والروحية عند أتباع المذهب السنّي-المالكي خاصة- حسب ما تورد المصادر التاريخية.

وعمل شعراء آخرون من خلال هذا الغرض الأدبي على إبراز مكانة المذهب السُّني خاصة المالكي منه،وإظهار مدى تمسُّك سكان المغرب الإسلامي به،فتجلى ذلك في جملة قصائدهم الممجدة للمذهب ورجاله،منها ما نظمه الفقيه ابن أبي زيد القيرواني في حق الإمام مالك،رداً على فقهاء الشيعة،وكذلك رثيّه للفقيهين أبو الفضل عباس الممسي(ت 333ه/915م) والفقيه أبو بكر اللباد(ت 333ه/915م) [2]،ومن شعراء أهل السنّة نجد:أبو القاسم الفزازي(ت345ه/957م) [3]،الذي هجا السلطة الفاطمية وفضح ممارساتها السياسية والمذهبية،الهادفة إلى تقويض حرية أتباع أهل السنّة [4]،ومن شعره في هجاء بني عبيد،والانتصار لأبي يزيد مخلد بن كيداد ثم الدعاء له،شأنه في ذلك شأن معظم فقهاء القيروان الذين ظنوا أن ثورته بالغة لا محالة هدف تخليصهم من حكم بني عبيد،قصيدته المطولة التي اخترنا منها هذه الأبيات الثلاث:

عَبَدُوْا مُلوُكَهُمْ وَظَنُّـــــــوا أَنَّهُـــــمْ   نَالُوْا بِهِمْ سَبَـــــــــبَ النَّجــَاْةِ عُمُوماَ

---

[1] - موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص :248.

[2] - موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص: 249.

[3] -ينظر ترجمته في :أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، **طبقات النحويين واللغويين** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة-مصر،ط: 02،د س ط،ص: 272؛أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج:02،ص:302؛القاضي عياض، **ترتيب المدارك** ،ج:03،ص:322؛ابن عذارى، **البيان المغرب**،ج:01،ص:205.

[4] - أنموذج من شعره ينظر:أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص:490، 491.

وَتَمَكَّنَ الشَّيْطَــــانُ مِنْ خُطُوَاتِهِمْ　　فَـأَرَاهُمُ عُوْجَ الضَّـــــــلَاْلِ قَوِيْمَـا

رَغِبُوا عَنِ الصِّـــــدِيْقِ وَالفَارُوقِ فِيْ　　أَحْكَـــــــــــامِهِمْ لَأَسْلَمُوْا تَسْلِيْمَـا[1]

الشاعر سهل الوراق[2] هو الآخر نظم قصائد في ذم الشيعة وهجاهم لإدعائهم النبوة فقال:

غَضِــبَ الإِلَهُ عَلَى نَبِيٍّ لَمْ يَــــزَلْ　　حَيْرَانَ مَغْرُوراً أَخَا سَـــــــكَرَاتِ

مُتَهَكِمًا فِيْ خَمْرِهِ وَسَمَاعِـــــــــــهِ　　مُتَرَدِدًا فِيْ الغيِّ وَالشُّبُهَـــــــــاْتِ

يَاْ ابْنَ الأَرَاذِلِ وَالمجُـــــــــوسِ أَيَا ابْنَ　　مَنْ هَتَكَ الفُرُوجِ وَضَيَّعَ الصَـــلَوَاتِ[3]

عدا هؤلاء ممن ذكرنا من الفقهاء والشعراء كثير،لكننا نكتفي بالأسماء السابقة الذكر على سبيل المثال لا الانتقاء،كي نعطي لمحة عن كون الفقهاء السنيّين وحتى الشيعيين لم يدخروا جهدا في سبيل التوطيد كل لمذهبه في أرض واحدة هي بلاد المغرب الإسلامي،وإن كان تَعَصُّبُ الشاعر لمذهبه وصاحبه،لأكبر دليل على طبيعة المرحلة التي كانت تمرُّ بها هذه الأرض،والتي سمحت للطرف السُّني من النزاع بتحقيق مكاسب،أبرزها على الإطلاق عجز الفاطميين عن فرض معتقداتهم المذهبية وتوجهاتهم السياسية المختلفة على سكان المغرب الإسلامي،وكانت النماذج الأدبية المذكورة سواء شعرا أو نثرا قد واكبت متطلبات المرحلة السياسية المذهبية والعلمية الحرجة التي مَرَّتْ بها المنطقة،وبجهودهم الرامية إلى الحفاظ على المذهب السنيّ بكل الوسائل المتاحة،تمكنوا من تخليد أسمائهم في صفحات تاريخ هذا المذهب(المالكي خاصة).

هـ_ مؤلفات العلوم الطبيعية:

للإشارة فإن أصحاب هذه المؤلفات لم يكونوا من الفقهاء إلا في النادر وإنما كانوا علماء اهتموا بالعلوم الطبيعية من طب وصيدلة وكذا فلك ورياضيات،وصنفوا في ذلك عدة مصنفات أفاد الناس منها بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية،قبلها وحتى بعدها.

1 / مؤلفات في الطب والصيدلة:

[1] - إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02،ص:501.

[2] - ينظر ترجمته في:إبراهيم علي التهامي،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:501.

[3] - ينظر القصيدة كاملة في:أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص- ص:496- 498.

إذا مَضِينَا نبحث عن الطب وعلومه في بلاد المغرب الإسلامي عصر الفاطميين- وهو حقل من أهم حقول الدراسات الطبيعية- فإننا نجد حضوراً متميزا بشأنه خلال الفترة موضع الاهتمام،ومما يلاحظ على حركة العلوم الطبيعية أن بزوغها وازدهارها ببلاد المغرب الإسلامي قام على أكتاف فئة من الأطباء المشارقة الذين وفدوا إليه،فنشروا علومهم ومعارفهم الطبية في البلاد من ناحية،ورعت بعض أبناء البلاد وشجعتهم على الانخراط في تعلم علوم الطب والصيدلة من ناحية أخرى،بيد أننا نستدرك فنقول أن نسبة هؤلاء الأطباء والصيادلة من أبناء البلاد كانت ضئيلة[1]،والملاحظة التي اتضحت لنا ونحن نرقب حركة التأليف الطبي ببلاد المغرب الإسلامي نجد أن عددا من أطباء البلاد وقتذاك كانوا من غير المسلمين،وهذا أمر يمكن فهم أبعاده من خلال أوَّلية اليهود والنصارى في هذا المجال.

الحقيقة أنه ليس ثمة ما يميز العلوم الطبية في عصر الفاطميين عن عصر الأغالبة،فأطباء هذا العصر هم أطباء عاشوا ردحا من الزمن في العصر الأغلبي،ثم عاصروا الدولة الفاطمية،وأدركتهم المنيَّة في عهدها،وهم في معظمهم أتباع للمدرسة الطبية التي وضع أساسها الطبيب إسحاق بن عمران[2].

ومن أطباء هذا العصر المشهورين إسحاق بن سليمان الإسرائيلي(ت حوالي سنة 320ه)،وهو طبيب مصري الأصل،قيرواني السُكنى والوفاة،لازم الطبيب إسحاق بن عمران وتتلمذ عليه،وعندما سقطت الدولة الأغلبية وقامت الخلافة الفاطمية التحق بخدمة الخليفة عبيد الله المهدي،أسهم في إثارة حركة علمية قيِّمة في ذاتها بإفريقية،كما يُذكر أنه صنَّف"كتابا في الطب"،تُرجم إلى العربية بأمر من الخليفة عبيد الله المهدي.

---

[1]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02، ص:376.

[2]-**إسحاق بن عمران(ت294ه/907م)**:طبيب بغدادي الولادة،مسلم النحلة، احترف الطب واشتهر به،دُعي إلى إفريقية فجاءها سنة(246ه)،قال ابن جلجل:"وبه ظهر الطب بالمغرب وعُرفت الفلسفة"،وألَّف للأمراء الأغالبة عدة كتب بقي منها كتاب المالنخوليا Melencolia، في أمراض الوسواس،ومنه نسخة في مكتبة ميونيخ(بألمانيا)،قتله زيادة الله بن الأغلب في خبر طويل.ينظر:الزركلي **الأعلام**،ج:01،ص:295.

ومهما يكن من أمر إسحاق بن سليمان الإسرائيلي فقد ترك مجموعة من الكتب الطبية القيِّمة مثل:"كتاب البول"،و"كتاب الحميات"،وكان صاحبه معجبا به كثيرا،وقد تُرجم إلى العربية،و"كتاب في الغذاء والدواء"،و"كتاب في الترياق"،و"كتاب في المدخل إلى صناعة الطب"،و"كتاب الإسقطسات"وإلى غير ذلك،ومن أطباء المغرب الإسلامي الذين عاصروا الدولتين الأغلبية والفاطمية،زياد بن خلفون مولى بني الأغلب(ت 308هـ)،وهو أحد الذين تلقوا علومهم الطبية على يدي إسحاق بن عمران،ولما قامت الخلافة الفاطمية التحق بخدمة الخليفة عبيد الله المهدي[1].

ومما يُذكر أن زياد بن خلفون كان أيام الحكم الأغلبي يضطلع بمعالجة الأمراء والأعيان،كما كان يباشر عمله في دمنة القيروان،ومن الأطباء المعروفين أنذاك،الطبيب أبو الفضل بن الفضل بن علي بن ظفر(ت 323هـ)،الذي تلقى علومه الطبية على يدي إسحاق بن عمران وتلميذه إسحاق بن سليمان وغيرهما،وهو أحد أطباء بيت الحكمة بالقيروان،ومع أن مؤرخي الطبقات المغربية كالخشني وابن عذارى قد أشاروا إلى نبوغه في علم الطب،إلا أنهم لم يوردوا لنا شيئا عن نشاطاته في مجال التصنيف[2].

أبو سهل دونش(ت 360هـ) ويسمى باسم آخر هو أونيم بن تميم الملقب بالشَفْلُجي الإسرائيلي،هو أحد الأطباء الذين تتلمذوا على إسحاق بن عمران،وكان مع إتقانه للعبرية وبراعته فيها يتقن اللغة العربية أيضا،وقد اتصل بالخلفاء الفاطميين وخاصة الخليفة المنصور وابنه المعز لدين الله،وصنَّف لهما العديد من كتبه،ومما يُذكر أنه بقي على ديانته اليهودية،وكان يتبادل الرسائل الطبية وغيرها مع أطباء اليهود في الأندلس كالطبيب حسداي ابن إسحاق[3]،الذي كان طبيبا للخليفة الحكم المستنصر.

---

[1]-حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، القسم 01،منشورات مكتبة المنار،تونس،ط:02، 1973م،ص،ص:241، 242.

[2]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج :02،ص:378.

[3]-إلى الطبيب حسداي بن بشروط يعزى نقل وإعادة ترجمة كتاب"الأدوية المفردة" كاملا لديسقوريديس العين زربي،بقرطبة الأندلس،وهذا بمساعدة الراهب الرومي نقولا وحمد النباتي وعبد الرحمان بن الهيثم وأبي عبد الله الصقلي،وتم ذلك إثر تلقي الخليفة عبد الرحمان الناصر نسخة أصلية من هذا الكتاب كهدية من

وقد صنَّف أبو سهل دونش [1] مجموعة من الكتب الطبية مثل:"كتاب التلخيص في الأدوية المفردة"،وقد احتوى على بيان المكاييل الطبية التي كانت مستعملة أنذاك،ومنها"كتاب المستلحق"،وسلسلة رسائل "كرسالة التسوية"،و"رسالة في التغريب والتسهيل"،و"رسالة التنبيه"،و"رسالة في الأصول" إلى غير ذلك من المؤلفات [2].

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في منتصف القرن الرابع الهجري بزوغ نجم أسرة طبية مشهورة هي أسرة الجزار،التي اشتغلت بالطب مدة مائة عام،عاش في ظل الفاطميين منها اثنان هما:أبو بكر محمد بن أبي خالد بن الجزار،وشقيقه إبراهيم بن أبي خالد [3]،ونبغ الاثنان في الطب لأنهما تلقيا علومهما على يدي إسحاق بن عمران وغيره،وكان للأول منهما شهرة كبيرة ومصنفات في الطب والصيدلة،بينما كان الثاني كحالاً أي طبيب من أطباء العيون [4].

كما عُرف العصر الفاطمي نبوغ أسرة العزار،التي اشتغلت بالطب في عهدهم،وهي أسرة يهودية عاشت في إفريقية،وأول رجال هذه الأسرة الطبية هو موسى بن العزار المكنى بأبي

إمبراطور الروم قسطنطين السابع سنة(337ه/948م).ينظر: أحمد عبد الرازق أحمد، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى(العلوم العقلية)**،دار الفكر العربي،القاهرة- مصر،ط:01، 1991م،ص:209.

[1]-عن أبي سهل دنوش الإسرائيلي ومكانته الطبية وتفاصيل عن حياته ينظر:حسن حسني عبد الوهاب،**المرجع السابق**،القسم الأول،ص،ص:297، 300.

[2]- يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:378.

[3]-**إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار** :واسمه أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار(ت 369ه/980م)،يعرف بأبي جعفر القيرواني،طبيب مؤرخ من أهل القيروان،يرجح انه عاش في العهد الفاطمي،له العديد من المؤلفات منها:"زاد المسافر وقوت الحاضر"في الطب مجلدان،ترجم إلى اللاتينية واليونانية والإيطالية،و"الاعتماد في الأدوية المفردة"،ألَّفه لأحد ملوك الفاطميين بإفريقية،و"البغية في الأدوية المركبة"،و"التعريف بصحيح التاريخ"،و"ذم إخراج الدم"،و"رسالة في النفس"،و"أسباب الوباء بمصر والحيلة في دفعه"،و"سياسة الصبيان وتدريبهم"،و"طب الفقراء"،و"دولة المهدي-العبيدي-وظهوره بالمغرب"في التاريخ وغير ذلك.ينظر: الزركلي،**الأعلام**،ج:01،ص،ص: 85، 86.

[4]-عن أبي بكر محمد بن أبي خالد وأخيه إبراهيم ينظر:حسن حسني عبد الوهاب، **المرجع نفسه**،القسم الأول،ص-ص:239-241؛يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:02،ص: 379 .

إبراهيم (ت بعد 363ه) بمصر،التحق بخدمة الخليفتين المنصور والمعز،ولكن شهرته الطبية في عهد الخليفة المعز،جعلته يصطحبه معه عندما غادر المغرب الإسلامي صوب مصر سنة(361ه)،حيث توفي بها،ويبدو أن موسى بن العزار كان الطبيب الرسمي لبلاط الخليفة الفاطمي،فقد ذُكر بأنه ركَّب له عدة أدوية،ومن الكتب الطبية المحضة التي كتبها موسى بن العزار:"كتاب المعزي"،وقد صنَّفه للخليفة المعز،و"كتاب السعال"،وفي الصيدلة كتب "الأفراباذين" في جزء واحد [1]،وظل أبنائه الأطباء في خدمة الخليفة الفاطمي المعز حتى بعد انتقاله إلى مصر.

من أطباء العصر الفاطمي أيضا الطبيب أعين بن أعين(ت بمصر سنة 385ه)،وكان مشهورا ببراعته في طب العيون،وهو الحقل الذي تخصص فيه،اصطحبه الخليفة المعز إلى مصر في جملة من اصطحب معه من الأطباء–منهم أفراد الأسرة المعزية السالفة الذكر الأطباء– ومما ينسب إليه من مصنفات:"كتاب أمراض العين ومداواتها"،و"كتاب في الطب"[2].

2/ مؤلفات في الفلك والحساب:

لم تكن هذه العلوم تحضا بأهمية بالغة في عهد الدولة الفاطمية،لأن النُّخبة من العلماء والفقهاء والدُعاة اهتموا أكثر بالتأليف في المسائل الفقهية والعقدية المذهبية،تماشيا مع ما تطلبته المرحلة من ضرورة الخوض أكثر في هذا المجال،لكننا لا نعدم وجود بعض الاهتمام بالفلك

---

[1]–عن حياة هذا الطبيب وأفراد أسرته الأطباء الذين خدموا البلاط الفاطمي سواء ببلاد المغرب الإسلامي أو في مصر ينظر:حسن حسني عبد الوهاب، **المرجع نفسه**،القسم:01،ص،ص:301، 304؛يوسف بن احمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:380.

[2]–عن براعته في الكحالة أو طب العيون ينظر:أبو زيد الدباغ، **معالم الإيمان** ،ج:03،ص،ص: 154،155؛أما عن حياته فينظر:حسن حسني عبد الوهاب، **المرجع نفسه** ،القسم : 01،ص:305؛ يوسف بن احمد حوالة،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:381.

والحساب في ظل هذه الدولة،لأن الخلفاء الفاطميين كانوا مولعين بالفلك والتنجيم [1]،لذا شجعوا على التصنيف فيه إلى جانب الرياضيات،ومن مصنفات عهدهم في هذين المجالين يمكن أن نذكر على سبيل المثال،الطبيب أبو سهل دونش الشفلجي الإسرائيلي،الذي يذكر أنه صنَّف كتبا في الفلك والحساب، ككتاب في" الحساب الهندي" المعروف بحساب الغبار،و"كتاب في الفلك وحركة الكواكب"،الذي كتبه لصديقه الطبيب الأندلسي اليهودي أبو يوسف حسداي،و"كتاب كبير في علم الفلك"،قدَّمه إلى الخليفة المنصور ابن القائم [2].

كانت هذه بعض المصنفات التي أمكن لنا رصدها وإحصاؤها لفقهاء وعلماء وحتى خلفاء عاصروا الطور الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي،وللتعرف أكثر على دور الفقهاء السُّنيين في الحفاظ على مورثهم المادي من مصنفات دينية خاصة،حاولنا فيما يلي ذكر بعض السبل والمجهودات التي بذلها هؤلاء في سبيل الحفاظ على كل تلك المصنفات من الضياع على يد خصومهم من الشيعة الفاطميين،على اعتبار الحساسية المذهبية التي كانت قائمة بين الطرفين،والتي أخذت في بعض الأوقات منحى آخر قادهما إلى المواجهات العسكرية.

ن_جهود بعض علماء المالكية في الحفاظ على مؤلفاتهم في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي:

حاول فقهاء السنّة خاصة المالكية منهم بذل أقصى جهودهم في الحفاظ على مؤلفاتهم ،من الضياع تحت طائلة العنف الفكري والمذهبي،الذي مورس عليهم من قِبَل الدولة الفاطمية

---

[1]–للإطلاع حول اهتمام الخلفاء الفاطميين بالفلك والتنجيم ينظر:بوبه مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:44.

[2]–حسن حسني عبد الوهاب، **المرجع السابق**، القسم الأول،ص،ص: 299،300؛يوسف بن أحمد حوالة،**المرجع السابق**،ج:02،ص:392.

الشيعية،فحاولوا إيجاد طرق شرعية تؤمن لهم مبتغاهم في حماية مؤلفاتهم من المصادرة في حالة سجنهم من طرف السلطة الحاكمة أو موتهم،وتضمن انتقال علومهم إلى من طلبها من العامة،فكان الحل الأول:

1/ وقف الكتب:

من المعروف أن المال الموقوف لا يمكن توريثه أو بيعه،حيث يعتبر صدقة جارية [1]،لذا سعى بعض الفقهاء إلى وقف كتبه لدى فقهاء آخرين ربطته بهم صِلات معيّنة،مثلما فعل أبو قحطان قائد ابن سعدون(عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)،الذي أوقف كتبه التي كتبها عن يحي بن عمر [2] بسوسة [3].

عبد الله بن هاشم بن مسرور(ت 346ه/957م) هو الآخر كان ممن تصدوا للفاطميين،ما جعل العلاقة بينهما سيئة،وعندما مرض هذا الفقيه خشي أصحابه أن يموت في مرضه ذاك ويصادر الفاطميون كتبه،وكان لديه سبع قناطر من الكتب بخط يده،وقد حرص على مقابلتها وتقييدها وضبطها،لهذا عُدَّت من أصح الكتب،فطلب أصحابه منه أن يوقفها،وقسموها ثلاثة أقسام كل قسم أوقف عند أحد الفقهاء،منهم أبو محمد بن أبي زيد،وفعلا تم ذلك،لكن في اليوم التالي تراجع ابن مسرور عن قراره،لشدة تعلقه بكتبه،فأُعيد إليه قسمان منها،وبقي القسم الذي كان عند ابن أبي زيد في داره،ومات ابن مسرور في ذلك اليوم،وحصل الذي توقعه

---

[1]- ابن منظور،**لسان العرب**،مادة وقف،ج:03،ص:155.

[2]-لهذا الفقيه كتاب هام في الحسبة وأحكام السوق يعد من أهم كتب العصر الوسيط في هذا المجال.ينظر :الحاج عيفة ونوار نسيم، **الحسبة المذهبية بالمغرب الإسلامي من خلال كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ليحي بن عمر الكناني** ،مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 18،جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله،ماي 2015،ص:58.

[3]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :05،ص:327.

أصحابه،حيث سارع الفاطميون إلى مصادرة كتبه [1]،وسَلِمَ من المصادرة فقط الثلث الذي كان مع أبي محمد بن أبي زيد [2].

2/ إيداع الكتب: وهو الحل الثاني.

اتخذ الفقهاء موقفا آخر للمحافظة على كتبهم خوفا من مصادرتها من قِبل الدولة الفاطمية،حيث قام عدد منهم بإيداع كتبه عند غيره من الفقهاء،ممن تربطه بهم علاقات وطيدة،بحيث برزت المساندة التي قدَّمها الفقهاء لبعضهم في الأوقات الحرجة،نذكر من أمثلة ذلك: تعرض الفقيه يحي بن عمر للسجن من طرف القاضي أبو العباس بن عبدون الذي طلبه،فهرب يحي بن عمر منه [3]،وأودع كتبه عند أبي جعفر أحمد بن سعدون الأربسي(ت 323ه/934م)،المقيم بسوسة،فانتهز هذا الأخير الفرصة ونسخها كلّها،كما نسخها أخوه قائد أيضا،حيث كان مقيما معه في نفس المنزل،ويبدو أنها هي نفسها الكتب السابقة الذكر التي أوقفها عند قائد [4].

وخلاصة القول أن نخبة من الفقهاء ببلاد المغرب الإسلامي كان لها دَور فعَّال في الحفاظ على موروثها العلمي والمذهبي،حيث آثر بعضهم الموت والمحن والتنكيل على الرحيل إلى وجهة أخرى كما فعل غيرهم،لكنهم صمدوا في وجه كل الزوابع المذهبية التي أثارتها ووجهتها ضدهم الدولة الفاطمية الشيعية،ولأنهم كانوا على درجة عالية من الوعي بمدى خطورة ما كان يعترضهم من اجتياح مذهبي فكري،تجندوا لمحاربته بمختلف الوسائل العلمية السلمية:

---

[1] -أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:02،ص،ص:23، 24؛ القاضي عياض، **المصدر نفسه** ، ج:05،ص:331.

[2] -علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي** ،رسالة دكتوراه في الفلسفة، تخصص تاريخ إسلامي،كلية التربية،جامعة الموصل—العراق،مارس 2003م،ص،ص: 88،89.

[3] - القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج:04،ص:363.

[4] - علياء هاشم ذنون المشهداني،**المرجع نفسه**،ص :91.

ـــمن تشجيع للعلم وتعاطي التدريس في المؤسسات التعليمية المختلفة،والتي كانت معظمها من استحداثهم وقائمة على دعمهم المادي والمعنوي لها.

ــــإلى إعلان مواقفهم الرافضة لمسائل عقدية وأخرى فقهية يقوم عليها المذهب الشيعي في مجالس المناظرات،التي وإن تعددت أشكالها وأماكنها بين مجالس خاصة ومجالس العامة،في قصر الخلافة أو في المسجد الجامع بالقيروان مثلا،إلا أن المواقف كانت ذاتها رفض ودحض لكل ما هو شيعي فاطمي.

ــــوإن كنا لا نغفل ما لدعاة وحكام هذا الطرف الشيعي من براعة في عدة علوم نبغ فيها منهم على سبيل المثال الخليفة المعز لدين الله،وكذا القاضي النعمان بن حيون،هذا الأخير الذي أغنى المكتبة الإسلامية عامة والشيعية الفاطمية خاصة بمؤلفات هائلة في عدة مجالات،لينوب عن الجانب الشيعي في مجال حركة التأليف،التي لم يغفلها فقهاء أهل السنة وحتى فقهاء الإباضية،وأعطوها مساحة واسعة من اهتمامهم جعلتهم يخلفون العديد من المؤلفات الهامة،التي وصلنا بعضها وفُقِدَ البعض الآخر.

ولا يسعنا في الأخير إلا الإشادة بما كان لفقهاء المغرب الإسلامي على عهد الدولة الفاطمية من دَور في الحياة العلمية والمذهبية،لأن ما حملته لنا المصادر التاريخية من دلائل كافي للاعتراف بدورهم المهم في دفع عجلة النشاط علمي،رغم ما شهدته المنطقة من تذبذب سياسي واختلاف مذهبي استمر طيلة فترة الوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي والذي انتهى مبدئيا سنة(361هـ/972م)،وانتهي نهائيا فيما بعد بإعلان المذهب السُّني المالكي مذهبا رسميا للسلطة المركزية على معظم أقاليم المغرب الإسلامي،وبعد أن تبيّن لنا ما كان للفقهاء من دور في الحياة العلمية والمذهبية بالمغرب الإسلامي في عهد الدولة الفاطمية،نتساءل في استفهام عن ما إذا كان لهم أيضا دور في الحياة السياسية لهذه الدولة في الإطار الزماني والمكاني ذاته المذكور سابقا،وما كان موقف هذه النخبة من المجتمع من تلك التطورات السياسية والمذهبية التي كانت تحدث ببلادهم،والتي لم يكونوا في معزل عنها بحكم تواجدهم في ذات النطاق الجغرافي؟ هل كانت لهم مشاركة (سلبية أم إيجابية) في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ثم ما موقف هذه الأخيرة من ذلك؟ وقبل كل ذلك يجب أن

نتساءل كيف كانت الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي؟ هذا ما سنحاول التطرق له في الفصل الموالي.

الفصل الثالث

الحياة السياسية للدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي(297هـ–361هـ/910–972م):

1/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي(297هـ–321هـ/910–934م):

أ_ العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي:

1/العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع المشرق في عهد عبيد الله المهدي.

2 /العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع بيزنطة والأندلس في عهد عبيد الله المهدي.

2/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد القائم بأمر الله(322هـ–334هـ/934م–945م):

أ_الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد القائم بأمر الله

ب_العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عهد القائم بأمر الله

3/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله(334هـ–345هـ/945م–956م):

أ_الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله الفاطمي.

ب_العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله الفاطمي.

4/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد المعز لدين الله الفاطمي(345هـ–361هـ/956م–972م):

أ_الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد المعز لدين الله الفاطمي.

ب_ العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي في عهد المعز لدين الله الفاطمي.

5/السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

أ_السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد عبيد الله المهدي(297هـ-321هـ/910-934م):

1/مظاهر التضييق والمحنة في السياسة المذهبية لعبيد الله المهدي على فقهاء أهل السُّنة (المالكية)

2/مظاهر التضييق والمحنة في السياسة المذهبية لعبيد الله المهدي على فقهاء الخوارج.

ب_السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد القائم بأمر الله الفاطمي(322هـ-334هـ/934-945م).

ج_السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد المنصور بنصر الله(334هـ-345هـ/945م-956م).

د_السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد المعز لدين الله الفاطمي(345هـ-361هـ/956-972م).

هـ_جوانب انحراف سياسة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي:

1/الجانب المذهبي.

2/الجانب الاقتصادي.

تأسست الدولة الفاطمية بعد عملية مخاض عسيرة،عانى من جرائها سكان المغرب الإسلامي،التفرق والتشرد في أرضهم،بعد زوال دولهم على يد الداعي أبو عبد الله الشيعي وجيشه،ثم تنصيب عبيد الله المهدي حاكما عليهم،يمسك بكل مقاليد السلطة،فكيف كانت الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي على عهده،ثم على عهد خُلفائه،مُجَسَدَةً في العلاقات السياسية الداخلية والخارجية لهذه الدولة،ثم في سياستها المذهبية تجاه رعاياها،المتميزين باختلافهم المذهبي والعقائدي؟

1/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي(297هـ– 321هـ/ 910م–934م):

نحى عبيد الله المهدي [1] –بعد وصوله إلى الزعامة السياسية والروحية للشيعة ببلاد المغرب الإسلامي–منحاً خاصاً في سياسته على جميع الأصعدة،انتهجها بغية التوطيد أكثر للمذهب الشيعي بالمنطقة وتحت لوائه وزعامته،لكننا قبل التطرق إلى هذه السياسة التي اتبعها في حُكمه،وجب علينا التطرق أولا إلى تعريفه وذكر نسبه،ذلك أن العرب قديما كانت بأنسابها تتعارف–إن صح التعبير–ونَسب المهدي أحدث من الجدل في مؤلفات المؤرخين الكثير،وأُسِيل كثير من الحبر حول هذه النقطة من تاريخ الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي،إذ ذهب كل مصدر مذهبا خاصا في تحديد اسم ونسب عبيد الله المهدي قبل أن يكون إماماً للشيعة الإسماعيلية،وبعد أن صار كذلك،فبعض المصادر تنفي عنه النسب العلوي [2] وتعزوه إلى الفرس أو

[1] –**عبيد الله المهدي**: يسمى عبيد الله أبا محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح،ويسميه بعضهم سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل،فيعتبره أصحاب التسمية الثانية من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق.ينظر:حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب** ،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ط: 1947م،ص: 77.

[2] –ومن القائلين بصحة نسبهم عبد الرحمان ابن خلدون الذي اعتبر التشكيك في نسبهم بعض مظاهر التوهم في التاريخ،فكاد بالتالي أن يصادر الآراء الأخرى،لو لا أن منهج النقد التاريخي قد اتضحت معالمه وأصبح قادرا على أن يرشدنا إلى آراء أخرى،ويدعمه في ذلك ابن الأثير في" الكامل في التاريخ"والمقريزي في" الخطط المقريزية"،وأبو عبد الله محمد ابن علي بن حماد في كتابه" أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"،إذ

المجوس،وتَصِفه بأنه ابن يهودي،وتُرجع نسبه إلى ميمون القداح[1] الفارسي الأصل،وعلى هذا الأساس أطلقت بعض المصادر التاريخية على الدولة الفاطمية اسم"الدولة العُبيدية"،وفي المقابل تؤكد مصادر أخرى،معظمها شيعية،صحة نسب عبيد الله المهدي،وترجعه إلى محمد بن

=يقول:"...والذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما،والذي ادَّعَاهُ الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه"،أما المحدثين ممن ذهبوا إلى صحة نسبهم فهم كثيرون نذكر منهم:كارل بروكلمان،وأحمد شلبي(ينظر الجزء الرابع من موسوعة التاريخ الإسلامي)،وإبراهيم شعوط في كتابه(أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ)،وحسن إبراهيم حسن،ومحمد جمال الدين سرور،ومال إليه بشيء من التردد المستشرق كترمير،أما القائلين بعدم صحة نسبه وأن "عبيد الله المهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديمان الشنوي الأهوازي،وأصله من المجوس،وإنما هو ابن حداد يهودي مجهول،تزوجت أرملته بالحسين بن أحمد ابن عبد الله بن ميمون القداح،فتبنَّاه سعيد هذا وأدَّبه وعلَّمه أسرار مذاهب الإسماعيلية،لأن الحسين لم يعقب من زوجته امرأة اليهودي"،والداعمين لهذا الرأي منهم:أبي بكر الباقلاني،وابن واصل،والذهبي،وابن خلكان في"وفيات الأعيان"،والثعالبي في"يتيمة الدهر"،ومن المؤرخين المستشرقين(ديغويه)و(مستنفلد)و(الدوزي)،ولهم حججهم في ذلك،للمزيد ينظر:أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، **المصدر السابق**،ص–ص: 08-16؛شمس الدين الذهبي،**سير أعلام النبلاء**،ج:15،ص: 151.

[1] –**ميمون القداح**:يسمى ميمونا القداح المكي مولى محمد الباقر وابنه جعفر الصادق،تقول المصادر السُّنية بأنه كان ثنويا ديصاني المذهب،شعوبيا خطرا يعمل على هدم الإسلام،ويؤلف الكتب في ذلك،وأنه كان خرميا يدين بعقائد مزدك،وتقرن هذه المصادر اسمه باسم أبي الخطاب المتشيع الغالي أما المراجع الإسماعيلية وخصوصا الظاهرية منها فلم تكن تذكر عنه شيئا،غير أن كتب الحقائق الإسماعيلية تناولت ميمونا وابنه في شيء من الإيضاح،فأكدت ارتباطه بجعفر الصادق حتى أنه جعله حاجبا على حفيده وحجة له،وأرجعت نسبه إلى سلمان الفارسي،وتحديد مولد ووفات ميمون القداح من المسائل التي يكتنفها الغموض والإبهام،إذ أنه على الرغم من أنه عاصر جعفر الصادق المتوفى سنة(148هـ)، كما عاصر حفيده محمد ابن إسماعيل،إلَّا أننا لا نستطيع تحديد الزمن الذي توفي فيه،على أن النصوص التي بين أيدينا توضح في جلاء أنه عاش في عهد الرشيد،ومات بعد وفاة موسى الكاظم سنة(183هـ)،ويتضح ذلك من فرار ميمون من مكة إلى الأهواز التي اتخذها وطنا ثانيا له،ومنه نستطيع القول أن ميمون القداح مات في أواخر القرن الثاني للهجرة،لا في أوائله كما ذهب Bernard Lewis، Ivanow برنارد لويس وإيفانو.ينظر:حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف،**المرجع السابق**،ص،ص: 48،49.

إسماعيل بن جعفر الصادق،ويواجه المؤرخ المعاصر صعوبات جمة لإدراك الحقيقة من خلال مصادر غزيرة بقدر ما هي متناقضة"[1].

وتتفق في مجملها على أنه حسب"مفتي الديار الليبية رحمه الله الشيخ طاهر الزاوي،فقد قال في ترجمة عبيد الله المهدي:"هو مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها،وهو عراقي الأصل،ولد في الكوفة سنة(260هـ)،واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الإسماعيلية الباطنية،في شمال الشام،ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سلمية كان يعرف باسم سعيد ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح"[2]،والذي ما فتئ سلطانه يزداد ويتمهَّد ببلاد المغرب الإسلامي"إلى أن توفي منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة،فكانت ولايته منذ وصل إلى رقادة وبويع بها،إلى يوم وفاته أربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما وقيل:كانت من يوم ظهوره بسجلماسة في أول ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين،وفيها سُلِّم عليه(بالخلافة)،إلى يوم وفاته بالمهدية خمسا وعشرين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام،وهو ابن اثنتين وستين سنة"[3].

أحاطت المصادر الشيعية خاصة شخص عبيد الله بكثير من الاهتمام،لكنها أهملت جانب الوصف فيما يخص صفاته الجسمية إلا ما ندر منها،والسبب في ذلك يبقى علمه عندهم،ونعتقد أنه من مخلفات عقيدة التقية لديهم،فهذا المبدأ يعزب عن ذكر الصفات الجسمية للأئمة،وعلى رأسهم عبيد الله المهدي بصفته أول الأئمة الظاهرين[4]،إذ لم يكن له في

1- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص:53، 54.

2-محمد علي الصلابي، **الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**،مكتبة الصحابة،الإمارات– الشارقة،ط: 01 ،2007م،ص:47.

3- ابن الأبار،**الحلة السيراء**،ج: 01،ص،ص:193،192.

4- يقول أحمد أمين:"هم يعتقدون أن الأئمة بعد إسماعيل بن جعفر استتروا لأن الإمام يجوز له أن يستتر،إذ لم تكن له شوكة وقوة يظهر بها على أعدائه،وإنما يظهر دعاته"،والقاضي النعمان يفسر قضية الستر والظهور بالتأويل مثلها مثل ما ذكر في القرآن من أن ظاهر العلم ومعجزاته عند رسوله،وباطنه عند الأئمة من أهل بيته ولا يوجد إلا عندهم،أما نوار نسيم فيفسر ذلك قائلا:"...تتميز كثير من نظريات الشيعة حول مسألة الإمامة بأنها وليدة الحاجة،فكلما ضاقت بهم السبل في دعواهم اخترعوا عقيدة تَلُمُّ شملهم وتجمع شتاتهم،وتُؤمن البقاء والاستمرار لمذهبهم،حيث حاول الإسماعيليون تغطية الفترة الغامضة

معتقداتهم السابقة لظهوره صفات جسمية له،وإنما هي بعض الصفات الروحية والكرامات وكذا الأفعال والتصرفات،"التي اختلفت الآراء حولها لتقييم شخصيته،كما هو الحال بالنسبة لبعض الشخصيات التاريخية،ممن كان لهم ذكر في أمور السياسة والدين والإصلاح الاجتماعي بشكل عام"[1].

وتعرضت بعض الروايات التاريخية لعبيد الله،بأنه كان شابا يافعا،عندما كان والده يضم أبا عبد الله إلى جماعة دعاته الاثني عشر،لكنها لا تعرف بشيء عن شخصه أو عن صفاته وهو ولي عهد الإمامة[2]،ومما اشتهر به تستره بزي التجار،على طول الطريق من برقة إلى توزر وورجلان،وفي سجلماسة ظهر في صورة وَلِي صالح،صاحب آيات وكرامات،أو في صورة رجل

=وإغلاق الثغرة المخلة في تسلسل أئمتهم فقالوا بنظرية الستر والظهور،ويرتبط استتار الأئمة الإسماعيلية بالظلم والجور الذي لحق هؤلاء من أعدائهم،خاصة بعد إمامة جعفر الصادق،فأول من استتر من الأئمة محمد ابن إسماعيل،كما أن أول من ظهر منهم عبيد الله المهدي"،ويضيف عارف تامر:"عندما تسلم الإمام عبيد الله المهدي شؤون الدعوة تحت صيغة الاستيداع،وكان أتباعه أو دعوته قد أصبح لها مكانا مرموقا... لم يشأ البقاء في مركز الدعوة فأعلن عن إمامته على الملأ"،أما الداعي عماد الدين القرشي(ت872هـ/1467م)فيقول في ذلك:"وكان المهدي بالله أول من أظهر العدل بعد الجور...وظهر الجور بعد استتار الأئمة،وسيظهر العدل،ولا يزال تعاقب الستر والظهور كتعاقب الظلمة والنور...فإن الظلمة قد عمت والبلاء قد اشتد على الشيعة...وسيعقب الظلمة النور ويكون بعد الستر الظهور،ويظهر أولياء الله بعد غيبتهم،ويخرجون من كهف سترهم وتقيتهم".ينظر:أحمد أمين،**ضحى الإسلام**،ج:03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة–مصر،ط: 07،د.س ط،ص: 213؛القاضي النعمان، **كتاب أسباب التأويل** ،تح: عارف تامر،منشورات دار الثقافة،بيروت–لبنان،د.س ن،ص،ص: 31،28؛نوار نسيم، **المرجع السابق** ، ص–ص:54–56–67؛الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص–ص:38- 40.

[1]–سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي الفاطميين وبني زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين**،ج:03،منشأة المعارف،الإسكندرية– مصر،د.ط،ص:57.

[2]– مؤلف مجهول،**الاستبصار في عجائب الأمصار**،ص: 203.

دولة يجمع التفقه في العلم إلى جانب الخبرة في السياسة والإدارة،وعند الخروج من سجلماسة نحو القيروان،وفي دخوله رقادة[1]كانت علامات النعمة بادية على هيئته[2].

أما القاضي النعمان فيعدد خصاله ويعرضها قائلا:"...منها الكرم والجود بالمال في حدود الاعتدال"[3]،إذ كان يزن الأمور بحكم المنطق،وعُرف بالجد في العمل،والحنكة في تسيير شؤون الحكم والإدارة،كما كان يتابع الأعمال التنفيذية بنفسه [4]،ونَسبت بعض الروايات إليه معرفة علم الحدثان[5]مما يتعلق بمستقبل الأئمة[6].

باشر عبيد الله المهدي السَّعي لتحقيق مَطامحه السياسية والمذهبية،منذ وطأ المغرب الأدنى كأول إمام شيعي حاكم لها،ففي الوقت الذي تقلَّد فيه السلطة برقادة عاصمة الأغالبة،أخرج

---

[1] – **رقادة**:بلدة أكثرها بساتين من أعمال إفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام، لم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيما منها،ذكر في سبب بنائها أن الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي(261هـ-289هـ/875م-902م)،أرق وشَرَدَ عنه النوم،فخرج حتى بلغ موضع المدينة فنام فسميت رقادة،انتقل إليها الأمير إبراهيم الثاني سنة(264هـ/878م)،وجعلها عاصمة دولته،ومازالت كذلك إلى أن هرب منها آخر الأغالبة زيادة الله الثالث،ودخلها أبو عبد الله الشيعي ومولاه المهدي.ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،ج:03،ص،ص:55،56.

[2] –ينظر: ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 158.

[3] – القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص: 304.

[4] – تذكره المصادر والمراجع الشيعية بكل الصفات الحسنة والحميدة،في حين أنه كان يتصف بصفات ذميمة أيضا،لعل أبرزها التعصب المذهبي وإمعانه في قتل خصومه المذهبيين خاصة من أهل السُّنة.

[5] –**علم الحدثان**: يُعَرِّفُهُ ابن خلدون قائلا:"هو استشراف أحداث الدول والأمم المستقبلية كلُّها مفصلةً، واحدة بعد أخرى،ومُعيَّنا فيه أسماء ملوكهم،وهو ما يشمله كتاب الجفر عند الشيعة"،ولعلَّه حسب اعتقادنا–وانطلاقا من بعض القرائن الدالة على ذلك–ضرب من ضروب الكهانة والاستشراف،وهو علم اشتهر به الشيعة حسب ابن خلدون،فوقع من ذكره الكثير في كتبهم.ينظر:القاضي النعمان، **المصدر نفسه**،ص:45وما بعدها؛عبد الرحمان ابن خلدون،**المقدمة**،ص:51.

[6] – سعد زغلول عبد الحميد،**المرجع السابق**،ج:03،ص: 60.

توقيعا أمر بقراءته يوم الجمعة على المنابر في الأمصار،وأن تقام الخطبة باسمه [1]،وأنفذ به الخطباء برقادة والقيروان،واتخذ لنفسه لقبا خلافيا هو المهدي بالله أمير المؤمنين،وختم هذا التوقيع بالدعاء التالي:"اللهم صل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك،عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين...اللهم،كما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا،وخلقك موئلا وملاذا،فانصره على أعدائه المارقين واشف به صدور المؤمنين،وافتح له مشارق الأرض ومغاربها،كما وعدته وأيِّده على العُصَاةِ الظالمين"[2].

بدأ بعد هذا التوقيع عبيد الله المهدي في الممارسة الفعلية لسلطته القيادية على المغرب الإسلامي وسكانه،وكان لابد له من استخدام قِواه المذهبية وحنكته السياسية في التسيير،وإظهار بوادر النظام السياسي الجديد الذي ستسري قوانينه على الأتباع قبل الأعداء،فنظم دخول الرعية من خاصة وعامة عليه،"فإذا جلس في مجلسه أذن لخاصة أوليائه فدخلوا إليه،فإذا قضى حوائجهم أذن لمن هو دونهم،وربما أذن للعامة فيدخلون إليه ويسلِّمون عليه،وقال الشعراء فيه ومدحوه"[3] .

---

[1]-أحمد مختار العبادي،**في التاريخ العباسي والفاطمي**،ص:230.

[2]- القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص،ص: 293،294.

[3]-"وكان أول من مدحه منهم وأنشده من شعراء إفريقية سعدون الورجيني،وكان شاعرا يمدح بني الأغلب ويلي أعمالهم،وكان قد أسر ببلد الروم وفدي،واستؤذن له في الدخول عليه وإنشاده،فدخل وانشده **قائلا:**

قــف بالمـــطِّي عــلى مــرابع دور	**لبـــست معـــالمهن ثـــوب دثـــور**
لعـــبت بها حــتى محت آثارها	**ريحان: ريـــح صبا و ريح دبـــور**

حتى انتهى إلى قوله:

هذا أمـــير المؤمنـــين تضعضعت	**لقـــدومه أركـــان كل أمــير**
هذا الإمـــام الفاطـــمي و من به	**أمـــنت مغـــاربها مـــن المـــحذور**
والشـــرق ليس لشـــامه و عراقه	**مـــن مهـــرب من جـــيشه المنـــصور**
حـــتى يفـــوز من الخـــلافة بالمنى	**ويفـــاز منه بعدلـــه المنـــشور**

فقال أمير المؤمنين:ما شاء الله".ينظر:القاضي النعمان،**المصدر نفسه**،ص،ص: 182، 183.

ومن حيث التنظيمات الإدارية،فقد اجتهد عبيد الله المهدي في إعادة تنظيم المصالح الإدارية،فبدأ بتشكيل الهيئة الحاكمة،وجماعة الحاشية ورجال القصر،فاختارهم كلهم من بطانته التي جاءت معه من بلاد الشام،وخصّهم بتولي الأعمال الإدارية،فعلى سبيل المثال نذكر من ضمن تلك الوظائف الإدارية الحجابة وكان أولهم جعفر ابن علي،وجعل لنفسه كاتبا هو إبراهيم بن محمد البغدادي الشيباني،كما وَلَّى على بيت المال عاملا وعلى ديوان الخراج وغيرها من الشؤون والوظائف التي من شأنها أن ترقى بالدولة الجديدة[1]،كما استعان بنفر من الأغالبة الذين مالوا للعهد الجديد،وبجماعة من العرب الذين خدموا النظام السابق،ذلك أنه كان عليه أن يتخذ موقفا متسامحا تجاه من بقي من بني الأغلب،ومواليهم ورجالهم وأتباعهم،فأعاد بعضهم إلى مناصبهم المدنية والعسكرية[2].

كان عبيد الله على قدر من الذكاء يخوّله لتوجيه عصبية كتامة وغيرها لمصلحة دولته الناشئة،وضرب أعدائه بقوتها،"ذلك أن الدولة الفاطمية قامت عقب صراع عنيف شنَّه الكتاميون بزعامة الداعي أبي عبد الله الشيعي،وأن هؤلاء الذين تعوَدوا شن الحروب والغزو حوالي خمس عشرة سنة لا يستطيعون الهدوء أو البقاء دون حروب،لذلك كان من الحنكة السياسية أن يعمل عبيد الله المهدي على استغلال هذه الروح الحربية لمصلحة دعوته ومذهبه،وفي سبيل إقامة دولة شاسعة الأرجاء"[3]،وهي السياسة التوسعية التي عمد إليها عبيد الله المهدي لضرب أعدائه،من العباسيين بالمشرق الإسلامي والأمويين بالأندلس والراغبين في قتل هذا الوليد الجديد قبل زكاته،لذا كان عليه أن يؤسس لتهيئة الوضع السياسي الداخلي لدولته،أعقبه بمحاولة فرض السيادة الفاطمية عن طريق سياسة خارجية،أسسها العمل الحربي

---

[1]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص،ص: 158، 159.

[2]- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص: 79، 80.

[3]-عبد الله محمد جمال الدين، **المرجع السابق** ،ص–ص:85– 90؛حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**،ص،ص:172،171؛نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص،ص: 111، 112.

التوسعي[1]،لذا لم يقتصر اهتمامه على تعزيز سلطته التي استولى عليها الداعي باسمه[2]،وكان لابد له من استردادها، فكان أول ما قام به عبيد الله المهدي في سبيل ذلك هو اغتيال أبي عبد الله الشيعي سنة(298هـ)[3].

1–"...كان الفاطميون يمثلون القوة الفتية الطموحة،الآخذة في النماء والتي تريد مدَّ نفوذها وسيطرتها بدلا من الخلافة العباسية المنهكة المتداعية على كل الأراضي الإسلامية،وأخذوا هم في إفريقية يتحينون الفرص للعودة إلى المشرق،لتحقيق حلمهم في استرداد حكم العالم الإسلامي من منافسيهم السُّنيين" ينظر:أيمن فؤاد سيد،**الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد** ،مكتبة الأسرة،القاهرة–مصر،د.ط: 2007م،ص،ص: 122، 123.

2–"بالنسبة لنطاق هذه الدولة الجديدة فإنها كانت في البداية تمتد من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا،ومن صقلية شمالا إلى سجلماسة جنوبا،والملاحظ أن هذا النطاق الواسع لم يكن دائما خاضعا للدولة،خاصة الجزء الغربي منه،حيث كان يتقلص أحيانا عند مدينة تاهرت في المغرب الأوسط،عندما تزداد قوة قبيلة زناتة المعارضة للسلطة".ينظر:بوبة مجاني، **النظم الإدارية في الدولة الفاطمية** ،رسالة دكتوراه،معهد العلوم الاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة،الجزائر:1995م،ص: 192.

3–وللعلم فإن أبو عبد الله الشيعي كان حريصا على إقامة نظام سياسي جديد،وإضفاء الصبغة الشيعية على مؤسسات الدولة الجديدة،وتركيز السلطة في يده،بِغَضِّ النظر عما يخالج نفوس أهل إفريقية السُّنة من خشية،فاتخذ عدة تدابير سياسية وإدارية مناسبة منها:"أمَّن كافة المدن والقرى،وأقر عدة إجراءات لتهدئة وتأمين كل خائف كان يتولى منصبا في الدولة الأغلبية،بالإضافة إلى من بقي من أهل بيت زيادة الله الثالث وعبيده ومواليه وموالي أبيه،ومن كان يتصل بأسبابهم،فاطمأن هؤلاء وظهروا،واتصلوا برجاله ودخلوا في خدمته،ولكنه أعدم بعض عبيد الأمير الأغلبي،ووَجَّهَ غزوية إلى سوسة لتأمين أهلها واسترداد المال المخزون في قصر الرباط،وأوصى دعاته الكتاميين باستعمال الإقناع مع أهل السنة،وعارض اللجوء إلى الإكراه الذي كان ينادي به أخوه أبو العباس،عاش حياة متواضعة،متقشفة،بعيدة عن أبهة الملك،ولم يكترث بما تركه بنو الأغلب من ثروات طائلة،فأمر بجمع ما ظهر من أموال زيادة الله الثالث وعبيده وسلاحه ودوابه وما بقي له من الجواري،ووضعهم تحت وصاية امرأة كانت عند الأمير الأغلبي إلى أن يأتي المهدي صاحب الحق،استعمل عاملا شيعيا من وجوه أهل ميلة على القيروان،اسند منصب قاضي القضاة إلى فقيه قيرواني من جند خراسان له تشيع قديم هو محمد بن عمر المروروذي،عين خطباء على جامعي رقادة والقيروان،وأمرهم أن تتضمن الخطبة الصلاة على محمد وآله وعلى أمير المؤمنين علي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء،وأن يزاد في الأذان عبارة حي على خير العمل،وضرب السكة،وولى عليها الفيلسوف

ولعل السبب الرئيس في قتل أبو عبد الله [1]،يرجع إلى رغبة عبيد الله المهدي الجامحة في" الاستئثار بالسلطان الذي تأسس باسمه،بينما كان الداعي يحاول الاستمرار في إدارة شؤون الدولة[2]،بما ناله من نفوذ واسع،وما أظهره من رغبة مباشرة في إدارة شؤون الدولة[3].

أبدى عبيد الله المهدي تجاهلا لما كان يبلغه من أقوال أبي العباس،واستمر في سياسة جمع السلطات في يده،ورد على ما بلغه ردا لطيفا،وأَسَرَّ ذلك في نفسه،ولكن هذا الأخير تمادى في أقاويله[4]،فأثَّر ذلك في قلوب كثير من الناس ،حتى إن شخصا يقال له شيخ المشايخ [5]،واجه المهدي بذلك وقال له:"إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك"،فأمر المهدي بضرب عنقه[6]،وقرَّرَ استئصال شأفة الفتنة بقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس [1]،الذين كانا يخططان لقتله مع جماعة من كتامة[2].

=المعروف بابن القمودي،وهو موظف أغبي سابق،ونقش العلامات الشيعية على شعارات السيادة،كما تضمنت الأفكار الواردة في إعلانات الأمان،العلامات المتشبعة بعقيدة الشيعية".ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص:73، 74.

[1]–سنحاول معالجة الأسباب الدافعة لقتل أبي عبد الله وأبي العباس من طرف عبيد الله المهدي،ونتائج ذلك في الفصل الأخير من هذا البحث،لذا يرجى مراجعته.

[2]–أحمد مختار العبادي،**في التاريخ العباسي والفاطمي**،ص: 230.

[3]–نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص: 112.

[4]–أخذ أبو العباس يُسِرُّ إلى المقدمين بما في نفسه ويقول:"ما جازاكم على ما فعلتم بل أخذ هو الأموال من إيكجان،ولم يقسمها فيكم".ينظر:تقي الدين أحمد بن علي المقريزي،**اتعاظ الحنفا**، ج:01،ص:67.

[5]–اسم شيخ المشايخ هو أبو موسى هارون بن يونس المستالي.يذكره القاضي النعمان في موضعين قائلا:"فاستخلف هارون بن يونس الذي يقال له شيخ المشايخ"و"قال المهدي لهارون في قوله:"إنا شككنا فيك"ويحك إنكم أيقنتم واليقين لا يزيله الشك".ينظر: القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**،ص، ص:189، 190؛نوار نسيم،**المرجع نفسه**،ص: 113.

[6]– القاضي النعمان، **المصدر نفسه**،ص،ص: 310، 311؛تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، **المصدر نفسه**،ج:01، ص: 67.

قامت إثر مقتل الداعي موجة من الرفض لسياسة عبيد الله المهدي،صنعها أتباعه ومؤيديه من القبائل التي استترت بوشاح المذهب الشيعي،مما أشعره بأن سياسته العدوانية بعد مقتل الداعي أضعفت الدولة وعرضتها للانتقاض،ذلك أنه سرعان ما انتفضت عليه بلاد المغرب،حيث ثار الناس بطرابلس عليه،وهَبَّ أهالي القيروان في وجهه،وخالفه أهل صقلية[3]وأهالي بعض مدن إفريقية[4]،وكان أشدها تلك الثورة التي أشعل نارها أتباع أبي عبيد الله الشيعي المخلصين له من الكتاميين [5]،الذين زعموا أن أبا عبد الله لم يَمُتْ،وأقاموا طفلا وقالوا هذا هو المهدي،فخرج إليهم عبيد الله المهدي وحاربهم وقتل الصَّبِي،وخضعت كتامة من جديد[6]،وبذلك يكون المهدي قد تمكن من إخماد تلك الثورات جميعا،كما عمل على أن يشغل السكان بشن الحروب على العباسيين والأمويين [7]،رغم أن الدولة الفاطمية في ذلك الوقت كانت لا تزال مضطربة ناشئة،وفي حاجة ماسة إلى الاستقرار السياسي والدعم المادي[8].

---

[1]-للإطلاع على حيثيات مقتل أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس المخطوم ثم التخلص ممن التف حولهم من رجال كتامة.ينظر:تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص:68؛ القاضي النعمان،**المصدر نفسه**،ص: 193؛أحمد مختار العبادي،**المرجع السابق**،ص: 213

[2]-تقي الدين أحمد بن علي المقريزي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص: 68.

[3]- للمزيد حول ثورة أهالي صقلية ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص:86،87.

[4]- حسن إبراهيم حسن،**المرجع السابق**،ص،ص: 268، 269.

[5]-ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:06،ص–ص:461-463؛نوار نسيم،**المرجع السابق**،ص: 113.

[6]- أحمد مختار العبادي،**المرجع نفسه**،ص: 231.

[7]-اتخذ عبيد الله المهدي في سبيل تحقيق طموحاته كل الطرق الممكنة،فحالف لمحاربة القبائل الثائرة ضده،القبائل التي تناصبها العداء،واستغل المال المنهوب–وهو ما تميزت به الدولة الفاطمية على عهده سياسة النهب والسلب–لشراء الذمم،واستخدامها في قتال أعدائه،للمزيد حول ذلك ينظر:عبد الكريم غلاب،**المرجع السابق**،ص،ص:347،348.

[8]-"قام عبيد الله المهدي بعدة إجراءات جذرية تكفل له الإمساك بجميع السلطات الدينية و الدنيوية في يديه، و تضمن له تدفق الموارد المالية على دولته.ينظر:موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**،ص– ص: 326– 329.

تَنُمُّ هذه الحركات السياسية عن براعة في ممارسة الحكم[1]،تَدَرَّجَ عبرها عبيد الله المهدي للوصول إلى طموحه في تركيز سلطته المطلقة في البلاد،ولم تكن هذه القرارات الوحيدة التي تميزت بها سياسة عبيد الله المهدي في حكم بلاد المغرب الإسلامي،وإنما أتبع ما سَبَق بقرار آخر رمى به إلى تدعيم استقرار دولته الناشئة،إذ أمر ببناء مدينة المهدية[2]،وهي من أهم الأعمال التي قام بها عبيد الله المهدي وتركت أثرها في مستقبل الدولة الفاطمية في الدور الإفريقي[3]،فقد أرادها المهدي عاصمة جديدة تكون تعبيرا عن سيادة أسرته،فاختار مكانا على على طرف الساحل الشرقي لإفريقية على بعد ستين ميلا جنوب القيروان،وقد اجتمعت لديه من الدوافع السياسية والعسكرية والدينية والنفسية ما جعله يُقْدِمُ على هذه الخطوة[4].

---

[1]- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 79.

[2]-**المهدية**:بالفتح ثم السكون،مدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي،بينها وبين القيروان مرحلتان،القيروان في جنوبها،وقال بعض أهل المعرفة بأخبارهم،في سنة(300هـ)خرج المهدي بنفسه إلى تونس،يرتاد لنفسه موضعا يبني فيه مدينة خوفا من خارج يخرج عليه،وأراد موضعا حصينا،حتى ظفر بموضع المهدية،وهي جزيرة متصلة بالبَّر كهيئة كف متصلة بزند،فتأملها فوجد فيها راهبا في مغارة،فقال له:"بما يعرف هذا الموضع؟فقال:هذا يسمى جزيرة الخلفاء،فأعجبه هذا الاسم فبناها وجعلها دار مملكته،وحصَّنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت،وكان شروعه في اختطاطها (لخمس خلون من ذي القعدة 303هـ)، وقال عبيد البكري:"كان شروعه فيها سنة(300هـ) وكمَّل سورها في سنة خمس،وانتقل إليها سنة ثمان في شوال."ينظر:ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،ج:05،ص،ص: 229، 231.

[3]- محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 90.

[4]-كان سبب بناء عبيد الله للمهدية راجع إلى:"شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون فيه،إذا ما تغيرت عليهم نفوس رعاياهم خصوصا،وأن مدينة رقادة كانت تقع في وسط سهل فسيح،لا يفي بالأغراض الدفاعية اللازمة،لذا بَنَا المهدي عاصمته الجديدة على شاطئ البحر مباشرة بالقرب من تونس،وذلك لأنه رأى أن نفوذ الفاطميين في داخل البلاد لا يزال ضعيفا،وانه لابد من أن يعتمد على أسطوله القوي لحماية العاصمة وتموينها من جهة البحر إبان الأزمات"ويضيف محمد سهيل طقوش على ما سبق ذكره من أسباب قائلا:"من حيث الأسباب السياسية،تعذر على الفاطميين اتخاذ رقادة أو القيروان عاصمة لهم لولاء أهلها لبني الأغلب،وجاء بناء المهدية كمؤسسة جديدة خالصة للفاطميين،وفي بنائها ابتعاد عن المناوئين من أهل السُّنة،والانتقال إلى مرحلة الحكم الفاطمي الصرف، أما الدوافع العسكرية

أ_العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي:

كانت هذه الأعمال السياسية التي قام بها عبيد الله المهدي شاهدة على سَعْيِّهِ الدَؤُوب في سبيل تثبيت أركان الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،وإضافة إلى ما سبق لا يمكن إغفال حنكته السياسية في تسيير العلاقات الخارجية لدولته،بعد أن سَخَّرَ كل الجهود لتثبيت دعائمها الداخلية،إذ يمكن لنا أن نقسم العلاقات الخارجية على عهده إلى قسمين،العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع المشرق الإسلامي في عهد عبيد الله المهدي، والعلاقات الخارجية لها مع المغرب الإسلامي.

1/العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية مع المشرق الإسلامي في عهد عبيد الله المهدي:

نستطيع تلخيص العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي مع المشرق الإسلامي،في ذكر علاقاتها مع القرامطة [1] في البحرين،والتي وإن ظهرت مستقرة ومتوافقة في

=فتمثلت في:الحاجة إلى مدينة ساحلية لمواجهة البيزنطيين،وبسط السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،ومدِّ النفوذ الفاطمي على كامل جزيرة صقلية،وتحييد دور الأمويين في الأندلس في صراعهم مع البيزنطيين،دون إغفال الدور العسكري للموقع الطبيعي الحصين للمهدية،في حين كانت الأسباب الدينية والنفسية تتجسد تقريبا في الابتعاد عن أهل إفريقية الرافضين المساس بسُّنتهم المالكية وبالتالي الابتعاد عن مركز المقاومة السنية،أما العامل النفسي فكان ارتياح عبيد الله المهدي للتسمية السابقة للمنطقة وهي"جزيرة الخلفاء"،وخوفه من انقلاب الزعماء الكتاميين الذين قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية،وقوله يوم انتقل إليها:"الآن أمنت على الفاطميات".ينظر:أحمد مختار العبادي، **المرجع السابق**،ص:231؛محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص،ص: 91، 92.

[1]–**القرامطة**:"طائفة سياسية–دينية عُرفت بذلك نسبة إلى أحد دعاتها حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط،ظهرت الحركة القرمطية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري،وهي استمرار للدعوة الإسماعيلية على الرغم من الأطوار العصبية التي مرت بها العلاقة بين الحركة الأم (الإسماعيلية)والحركة الناشئة(القرمطية)".ينظر:محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه** ،ص،ص:92،93؛فرهارد دفتري، **الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم** ،تر:سيف الدين القصير،دار المدى،القاهرة–مصر،ط:01، 1999م،ص: 37.

ظاهرها إلا أن باطنها كان يخالف ظاهرها،ذلك أن زعيم القرامطة لم يكن راضيا عن زعامة عبيد الله المهدي للحركة الإسماعيلية،وإن كان قد اعترف بسلطته بوصفه الرئيس الأعلى للطائفة الإسماعيلية،خاصة وأن عبيد الله المهدي منذ أن اعتلى الحكم بوصفه الإمام الفاطمي،تولى الإشراف على الدعوة الإسماعيلية،بتعيين الدعاة وتوجيههم إلى كافة مناطق العالم الإسلامي،توجيها جديدا يتناسب مع التطور السياسي للحركة الإسماعيلية،واستخدام الدعوة لصالح الدولة الفاطمية،بمعنى أن عبيد الله المهدي أخذ بممارسة سلطته الدينية والدنيوية على أتباعه،ما نتج عنه حصول نفور بين فروع الدعوة بالمشرق وبين القيادة بالمغرب.

تكرَّر نفس الوضع بالنسبة لعلاقة الدولة الفاطمية باليمن في عهد عبيد الله المهدي،ذلك أنه وبممارسته لسلطته السياسية وزعامته الروحية للمذهب الشيعي،عين لخلافة ابن حوشب داعي اليمن عبد الله بن عباس الشاوري،لرؤيته أنه أكفء وأفضل خيار لمصلحة الدعوة،رافضا تولي الحسن بن حوشب رغم وصاية أبيه له بالولاية من بعده [1]،ما غيَّر مجرى الأمور وجعل هذا القرار بمثابة توقيع على نهاية المذهب الشيعي الإسماعيلي باليمن،وتحوُّل أهله إلى المذهب السُّني،بعد تفرقهم وتشتتهم.

تميزت العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع الخلافة العباسية بالعداء الواضح،لأن الدولة الفاطمية القائمة على المذهب الشيعي الإسماعيلي،تتعارض مذهبيا والمذهب السُّني بزعامة الخلافة العباسية،خاصة وأن الفاطميين بعد أن ركزوا دعائم دولتهم في أفريقية،بدؤوا يتطلعون لتمدد نحو الشرق للقضاء على الخلافة العباسية،إذ كانوا يعتقدون أن العباسيين مُغْتَصِبِينَ ولا يحق لهم بالزعامة الروحية والسياسية،بل أضحوا في نظرهم من الخارجين عن الدين،وبالتالي يجب إزالتهم عن سيادة العالم الإسلامي [2].

[1]–عن الأوضاع السياسية والمذهبية لليمن،وموقف عبيد الله المهدي مما كان يحدث بها ينظر:فرحات الدشراوي،**الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ص،ص:232،234؛محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه** ،ص-ص:101- 103.

[2]–وقد صرَّح عبيد الله المهدي بذلك قائلا:"لَنَمْلِكَنَّ أنا وولدي ولد العباس،ولَتَدُوسَنَّ خيولي بطونهم"ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:104.

وبغية القضاء على الخلافة العباسية بالمشرق كان لابد لعبيد الله المهدي من الاستيلاء على مصر،باعتبارها المنفذ الرئيسي بين بلاد المغرب والمشرق،لذا قام بإرسال حملات عسكرية لإخضاعها،انطلاقا من السيطرة على برقة[1] أولا،فقام عبيد الله المهدي بإرسال الحملة العسكرية الأولى على مصر عام(301هـ/914م) موكلا قيادة جيشه فيها لولي عهده أبي القاسم القائم[2]،والذي رغم توغله في الأراضي المصرية إلا أن قوات المدد العباسي كانت له بالمرصاد،حيث اضطر للعودة إلى إفريقية معلنا فشل الحملة الأولى على مصر.

الحملة الثانية على مصر(306-309هـ/919م-921م)أرسلها عبيد الله المهدي،بعد استرداد برقة،بقيادة ولي عهده القائم،الذي زوّده بقوة بحرية مساندة،لكنها لم تستطع الصمود أمام القوة العسكرية للخلافة العباسية،وحنكة قادتها العسكريين،إضافة إلى تفشي الوباء والرُّكود الذي طال الجيش الفاطمي بسبب طول مدة القتال،وبقاء السيطرة على مصر بين مدٍّ وجزر حسب المعارك التي قامت بين الطرفين،إلى أن حُسمت نتيجتها النهائية لصالح الخلافة العباسية،واضطرار القائم بأمر الله الفاطمي إلى الانسحاب إلى برقة،والعودة منها إلى إفريقية إذ دخل المهدية في(أوائل رجب309هـ/تشرين الثاني921م)[3].

2/ العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية مع بيزنطة وأمويي الأندلس في عهد عبيد الله عبيد الله المهدي:

ولم تكن العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي،منحصرة على بلاد المشرق الإسلامي،وإنما تعدته حتى إلى دول ساحل البحر الأبيض المتوسط،وتحديدا مع بيزنطة والدولة الأموية بالأندلس،إذ كانت العلاقات الفاطمية البيزنطية لا تقل عداءً عن العلاقات الفاطمية العباسية،بل كانت أكثر توترا وحدة،حيث تميزت بصورة القتال الذي دار في

[1]-**برقة**:اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية.ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق**،ج:01،ص: 388.

[2]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:171.

[3]- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص-ص: 107- 109.

صقلية،وسردينية[1]،وجنوب إيطاليا[2]،في حين اتسمت العلاقة بين الفاطميين والأمويين في الأندلس بالعدائية،وهي استمرار للنزاع القديم الذي قام في المشرق بين العلويين بعامة والأمويين،وأخذ عبيد الله المهدي منذ أن استقر حكمه في إفريقية يبعث بدعاته إلى الأندلس،لنشر الدعوة الفاطمية وليُمهِّد الطريق أمام الاجتياح الفاطمي،بالدعاية والوقوف على أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والدينية،والتركيز على مواطن الضعف والقوة فيها،ولا شك أن قيام دولتين متجاورتين على أسس مذهبية مختلفة كان كافيا بأن يسبب صداما بينهما[3]،لكن رغم الجهود الفاطمية المبذولة للسيطرة على الخط الفاصل بين الطرفين،وساحة النزاع التي جمعتهما ألا وهي المغرب الأقصى،إلا أن الفشل كان من نصيبهم،نظرا لما تميزت به القوة الأموية من شدة.

العلاقات الفاطمية مع سكان المغرب الإسلامي هي الأخرى عرفت تذبذبا،خاصة مع المغرب الأقصى الذي ظل كما ذكرنا مسرح نزاع بين الفاطميين وأمويي الأندلس من جهة،وبين الفاطميين وقبيلة زناتة بفروعها من جهة أخرى،لكن نتائج المجهودات الفاطمية المبذولة في المنطقة كانت هزيلة،وبالتالي إلى غاية وفاة عبيد الله المهدي كان المغرب الأقصى لا يزال يحوي التمركز الأموي على أرضه،وحتى المغرب الأوسط انقلب على السياسة الفاطمية وأعلن محمد بن خزر[4] استقلاله به،ورفض زناتة للحكم الفاطمي[5].

---

[1]–**سردينية**:يذكرها ياقوت الحموي بسردانية،"...وهي جزيرة في بحر المغرب(البحر الأبيض المتوسط)، كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها،وقد غزاها المسلمون وملكوها في سنة(92هـ)في عسكر موسى بن نصير،وهي الآن بيد الإفرنج،ووجدت لبعضهم أن سردانية مدينة بصقلية،والله أعلم "ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج:03،ص: 209.

[2]–للمزيد حول العلاقات الفاطمية البيزنطية ينظر:محمد سهيل طقوش ،**المرجع السابق**،ص،ص: 116، 117.

[3]– محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص،ص: 114، 116.

[4]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص:221،محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:112.

[5]– للمزيد حول ثورة زناتة ينظر:موسى لقبال،**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**،ص: 349.

توفي عبيد الله المهدي ليلة الثلاثاء(15ربيع الأول 322هـ/3مارس934م)،بعد علة أصابته فتزايدت عليه،وكتم ولي عهده أبو القاسم خبر وفاته مائة يوم ثم أظهره،فنيح عليه في جميع أمصار المغرب ورُثي بِمَرَاثٍ كثيرة،منها رثاء عثمان ابن سعيد الصقيل[1] له،ويمكن مما سلف ذِكره القول أن عهد عبيد الله المهدي كان غنيًّا بالأحداث السياسية،إذ يعتبر القاعدة السياسية التي على أسُسِها قامت ثم توسَّعت الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،إذ أنه اهتم بتدعيم أركان دولته داخليا بمواجهة كل النعرات والثورات التي قامت ضد حكمه،وإقرار كل هياكلها القاعدية من بناء عاصمة جديدة لدولته عُرفت بالمهدية،إلى تقرير وتسيير كل مؤسساتها الإدارية والعسكرية،ثم التوجه نحو ربط العلاقات الخارجية لدولته،وتسييرها وفق ما تقتضيه مصلحة دولته.

2/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد أبي القاسم القائم بأمر الله(322هـ–334هـ/934هـ– 945م):

لم يفارق عبيد الله المهدي الحياة،حتى أقام القائم بأمر الله لولاية عهده،ونَصَّ عليه بالخلافة[2]،بُويع القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبد الله،بعد وفاة المهدي عبيد الله،وكان وُلد في سلمية سنة ثمان وسبعين ومائتين[3]،فقام مقامه،واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه،وقد رأى القائم من الصالح إخفاء خبر وفاة والده حتى يتمكن من تركيز سلطته،ولم يظهر نَعْيَهُ للعموم[4] إلا بعد ذلك بمائة يوم[5]،وقام القائم بأمر الله مقام المهدي،واقتفى آثاره وأحكامه،وعمره

[1]–**عثمان بن سعيد بن الصقيل**: شاعر من موالي الأغالبة،استقدمه الحكم الثاني إلى قرطبة،ويبدو أنه مثل أترابه من شعراء السنة تأرجح بين الولاء للفاطمين والعداوة لهم–يظهر التوجه الشيعي للمترجم بارز من خلال تحامله على شعراء السنة–ينظر: الداعي عماد الدين إدريس ،**المصدر السابق**،ص: 239.

[2]– الداعي عماد الدين إدريس ،**المصدر نفسه**،ص: 241.

[3]– محمد علي الصلابي،**نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**،ص: 64.

[4]–**العامة**:في اصطلاح الإسماعيلية هم غير الشيعة من السُّنة خاصة.ينظر:الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر نفسه**،ص: 246.

[5]– القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:297.

وأحكامه،وعمره يومئذ سبع وأربعون سنة[1]،والحال أن القائم لم يكن دون مستوى المهام الملقاة على عاتقه،ولم ينقصه الحزم في مباشرته للحكم،حسبما يبدو فقبل اعتلاء العرش[2] .

كانت شخصية القائم بأمر الله قليلة التألق في سلسلة الحكام الفاطميين بإفريقية،ولم يرتبط ذِكْرُهُ بِأَيِّ عَمَلٍ باهر،بل يشير إلى سلسلة من الهزائم تعرضت لها الدولة على عهده[3]،رغم اكتسابه منذ عهد بعيد خبرة طويلة في إدارة شؤون البلاد الإدارية بعد تعيينه وَلِيًّا للعهد في عام(299هـ/911م)،واشترك مع عبيد الله المهدي منذ عهد الشباب في السهر على حظوظ الطائفة الإسماعيلية وممارسة الحكم في إفريقية،من خلال توليه للمهام العسكرية،بقيادته للحملات العسكرية التي قام بها في مصر والمغرب[4].

وقد رأينا كيف تعرَّض إلى جانب عبيد الله،وهو لم يزل صغيرا لمحنة هجرة طويلة ومحفوفة بالمخاطرة،ثم شهد قيام الدولة الفاطمية في سجلماسة ورقادة،وهو يقود الجيوش الفاطمية في المغرب الأوسط،ثم في طرابلس ومصر،وبناءً على ذلك فقد اقتصر القائم لما تسلم مقاليد السلطة،على حكم البلاد وفقا للقواعد التي أرساها المهدي عبيد الله[5]،ومواصلة سياسة الهيمنة ذاتها[1]سواء تجاه العباسيين،أو إزاء الأمويين في الأندلس[2] .

---

[1]–يذكر فرحات الدشراوي أنه وُلي العهد وعمره عشرون سنة،ينظر:فرحات الدشراوي، **المرجع السابق**، ص:243؛إحسان إلهي ظهير ،**الإسماعيلية تاريخ وعقائد** ،إدارة ترجمان السنة،لاهور–باكستان،د.ط: ص:121.

[2]– فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 239.

[3]– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 119.

[4]– محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 119.

[5]–قال القاضي عبد الجبار الهمذاني واصفا القائم بأمر الله الفاطمي:"ولما قام القائم،رجع عنه خاصته وقالوا:هذا أَكْفَرُ من أبيه...وزاد شره على شَرِ أبيه أضعافا مضاعفة،وجاهر بشتم الأنبياء،وقتل العلماء القتل الذريع،واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه...وأظهر الباطن كله وبعث الدُّعاة يَدْعُونَ إلى سعيد(المهدي) على أنه إله خالق رازق...ومَنْ تكلم عُذب وقُتل واشتد الأمر على المسلمين"،"وكان مُهابا شُجاعا قليل الخير،فاسد العقيدة...".ينظر:ابن عذارى المراكشي، **المصدر**

حرص الحاكم الفاطمي الثاني منذ اعتلائه العرش على تدعيم قوته العسكرية،وتعزيز سلطته في إفريقية على وجه الخصوص،فأصدر التعليمات إلى عماله بكافة الأقاليم لصنع الأسلحة وجميع أنواع العتاد،وأبقى عونه المخلص أبو جعفر البغدادي على رأس عدة دواوين مثل البريد،والإنشاء،وذلك لا محالة لإجراء مراقبة مشددة على جميع المصالح[3].

فقد تواصل إعلان الرفض للسياسة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،واستمرت مقاومة الوجود الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى في عهد القائم،ومحاولة الدعاة الفاطميين فرض المذهب الإسماعيلي على السكان،مما أكسب سياسته نوعا من الشدة واتَّسَمَتْ بالتَّصَلُّبْ،حيث تَعَرَضَ أهل المغربين الأوسط والأقصى لمزيد من الاضطهاد الديني والتعسف

=**السابق**،ج:01،ص:216؛إحسان الهي ظهير، **المرجع السابق**، ص،ص:123،122،محمد علي الصلابي،**المرجع السابق**،ص: 64.

[1]–حول سياسة القائم بأمر الله أبو القاسم،هناك تناقض بين المراجع الشيعية والسُّنية ،ربما لعامل الذاتية والتعصب المذهبي،وربما لأسباب أخرى،إذ يذكر الدشراوي مثلا أن"سياسة المهدي تميزت بالهيمنة تجاه العباسيين والأمويين،وأن إفريقية ستعيش خلال أطول فترة من عهده في كنف الهدوء"في حين يذكر محمد سهيل طقوش وإحسان إلهي ظهير نقيض ذلك،إذ يورد الأول قائلا:"وستصبح الدولة خلال بضعة أشهر على قاب قوسين أو أدنى من الزوال،وستعاني بلاد المغرب الإسلامي في عهده من ثورات البربر ومن ويلات الحروب الداخلية"،وقال الثاني:"وذكر أن شرح ظلم هذا القائم وقسوته وفُجوره يطول،وهو أكثر مما أتى أبوه"،والراجح عندنا هو أن القائم وبناءً على تربيته وطبيعة شخصيته وتكوينها العسكري،اتخذ تلك الصلابة والقسوة في التعامل مع الرعية وتسيير شؤون الدولة على جميع الأصعدة،لكن بعض الباحثين والمؤرخين قد غالوا في وصف سياسته بالكفر.ينظر:شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج:15،ص:152؛فرحات الدشراوي، **المرجع السابق** ،ص:240؛محمد سهيل طقوش ،**المرجع نفسه**،ص:119؛إحسان إلهي ظهير،**المرجع نفسه**، ص:122.

[2]– فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص:240.

[3]–ابن عذارى المراكشي ،**المصدر السابق**،ج:01،ص:209؛سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السابق** ج:03،ص،ص: 164، 165.

والجباية[1]،حتى أهل إفريقية [2] لم يكونوا في مَنْءً عن ذلك،إذ تعرضوا أيضا لمزيد من الإفراط والاضطهاد.

نستطيع القول ربما،بأن وصف الحالة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي في عهد القائم بأمر الله تكمن في الأوضاع الداخلية لدولته مع الأقاليم المغربية الإسلامية،بداية بإفريقية إلى المغرب الأقصى فالأوسط،ثم علاقات دولته الخارجية بكل من صقلية وبيزنطة بجنوب إيطاليا،وبداية مع الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية،وجب ذكر بعض القلاقل التي تَعَدَّتْ نِطَاقَ الرفض لتتحول إلى ثورات.

أ_الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد أبي القاسم القائم بأمر الله:

بداية بثورة موسى ابن أبي عافية،الذي أشعل نار الثورة بالمغرب الأقصى،حينما قتل أحد قادة الفاطميين وعاملهم على فاس،مما اضطر القائم بالله الفاطمي إلى إرسال جيش كبير لمحاربته،ورَدِّهِ إلى طاعة الفاطميين،وذلك سنة(323هـ/935م)[3]،وبسبب الحنكة السياسية لقادة الجيش الفاطمي،تمكنوا من القضاء على ثورة ابن عافية،بعد أن انتهى به الأمر فارا إلى منطقة تازة الجبلية،وأَسْرِ ابنه وإرساله إلى المهدية،وانضمام بنو محمد الأدارسة إلى الفاطميين في هذا الصراع،حيث دَعُوا للقائم على منابرهم،لضمان كسر التحالف الذي كان بين موسى ابن أبي عافية وعبد الرحمان الناصر الأموي في الأندلس،إذ كان ابن عافية يدعوا له على منابر بلاده[4]،كما قضى الفاطميون وقتها على ثورة أبي القاسم ابن مصالة بتيهرت،وعادت جيوشهم إلى القيروان سنة(324هـ/936م) .

تمكن الفاطميون من القضاء على ثورة ابن أبي عافية،بعد اضطرار القائم بأمر الله إلى اتخاذ جملة تدابير،لمواجهة هذه التطورات السياسية والعسكرية،فكان أهمها عقد صلح مع

---

[1] – محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 130.بتصرف.
[2] – فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 245.
[3] – ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص:209.
[4] – محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:131.

سكان فاس،على أن يدفعوا عشرة آلاف دينار،ويدعوا له على منابرهم،ويضربوا السكة باسمه[1]،وسعى الحاكم الفاطمي القائم بأمر الله لبسط المزيد من السيطرة على القبائل البربرية،المناهضة للدولة الفاطمية على حدودها،فقام بتعزيز سلطة صاحب المسيلة[2] علي ابن حمدون[3].

وتحالف مع قبيلة تلكاتة[4] زيري بن مناد[5]،ضد أعدائه مغراوة الزناتيين[1]،وساعد زعيم تلكاتة زيري بن مناد على تأسيس مدينة أشير[2] سنة(324هـ/936م)[3]،وتعاونا في حرب ابن

1- عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:6،ص:135.

2- **المسيلة**:"مدينة بالمغرب تسمى المحمدية ، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة(315هـ)، وهو يومئذ ولي عهد أبيه".ينظر: ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج: 05،ص: 130.

3-**علي بن حمدون**: دخل جده الأكبر عبد الحميد إلى الأندلس من الشام،ونزل بكورة ألبيرة،ثم انتقل حفيده حمدون إلى بجاية في الجزائر،وهناك انضم هو وولده علي إلى حركة أبي عبد الله الشيعي الداعي،ودخلا في مذهبه،لما تغلب الشيعي على المغرب ظهر علي بن حمدون ثم ازداد ظهوره أيام المهدي وابنه القائم.ينظر:ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق** ،ج:01،ص،ص:242،243؛ابن الأبار، **الحلة السيراء**،ج:01،ص:305، ج:02،ص:50؛ولسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** ،ص:42؛محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس** ،ج:02،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر،ط: 04، 1997م،ص،ص: 449، 450.

4-**تلكاتة**:يقول ابن خلدون:"أكبر بطون صنهاجة،من ولد تلكات بن كرت،وكانت لهم الزعامة على سائر بطون صنهاجة الشمال"،ولعل أعظم فروع تلكاتة بنو مناد بم منقوش،ويذكر النويري:" أنهم وفدوا على المنطقة بعد أن هزم حمير أمام الأحباش،وبتحفيز من كاهن أخبرهم بأنه سوف يدرك لهم ملكا عظيما فاختاروا المغرب الأوسط وإفريقية مستقرا لهم"،وإلى تلكاتة آل ملك الفاطميين ببلاد المغرب الأوسط بعد رحيلهم إلى مصر سنة(361هـ/973م–974م).ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر نفسه** ،ج: 06،ص:159؛شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ،ج: 02،تح:مفيد قميحة وحسن نور الدين،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط: 01، 2004م،ص– ص: 300 – 310.

5-**زيري بن مناد الصنهاجي**:" كان أول من عَمَّرَ أشير،وكان سيد هذه القبيلة في أيامه،وهو جَدُّ المعز بن باديس وملوك إفريقية بعد خروج الملقب بالمعز منها،وكان زيري هذا في بدء أمره يسكن الجبال،ولما نشأ

خزر[4]،الذي اشتعلت ثورته في وقت ثورة موسى ابن أبي عافية،وكانت في تيهرت ووهران بزعامة محمد ابن خزر الزناتي،ما أعاق عودة قائد الجيش الفاطمي[5] بفاس إلى المغرب الأوسط لمجابهة ثورة ابن خزر،مخافة عودة ابن أبي عافية إلى فاس.

أسرع كذلك القائم بأمر الله إلى قمع الثورة التي أعلنها الهواريون[6]،في ناحية طرابلس بإيعاز من رجل ينتمي إلى قريش،ويُعرف بابن طالوت وكان قد زَعَمَ أنه المهدي،ووريثه الشرعي،ثم تبيَّن

=ظهرت منه شجاعة أوجبت له أن اجتمع إليه طائفة من عشيرته،فأغار بهم على من حوله من زناتة والبربر،وبعدها شرع في بناء أشير سنة(324هـ)،وتملكها بعده بنو حماد،وهم بنو عم باديس"،"وهو من أعظم ملوك البربر،وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة،المجاورين له من جهة المغرب الأوسط حروب وفتن طويلة،وتحيز لملك الشيعة بإفريقية،وكان من أعظم أوليائهم،واستطال بهم على عدوة من مغراوة فكانوا ظهرا له عليهم،وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة سائر أيامهم،وتحيزوا عن المروانيين ملوك العدوة بالأندلس فأقاموا دعوتهم بالمغرب الأوسط والأقصى".ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق** ،ج: 01،ص،ص: 202، 203؛عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر نفسه**،ج:06،ص: 203.

[1]– للمزيد حول ثورة ابن أبي عافية ومغراوة ينظر:محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**،دار الكتاب،الدار البيضاء–المغرب،د ط،د س ط،ص،ص: 92،90.

[2]–**أشير**:"مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي،مقابل بجاية من البر،كان أول من عَمَّرَهَا زيري بن مناد الصنهاجي"وتذكر بوبة مجاني:"...أنها–أي أشير–أُسِّسَتْ كقاعدة فاطمية بأرض صنهاجة سنة(324هـ/935–936م)وهذا ميلا من القائم للنسب العربي في مواجهة البربر من زناتة". ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر نفسه** ،ج:01،ص:202؛بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي** ،ص: 181.

[3]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص:246.

[4]– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص:131.

[5]– هو ميسور الفتى.ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:131.

[6]–**الهواريون**:نسبة إلى قبيلة هوارة البربرية،قال عنهم ابن خلدون:"هؤلاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب ولد هوار بن أوريغ بن برنس".ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون ،**المصدر نفسه**،ج:06، ص: 182.

للبربر بعد ذلك إفكه وبهتانه الذي افتراه،وتحقق بُطلان ما ادعاه فقتلوه[1]،وتمكن القائم من بسط سُلطانه على طرابلس من جديد.

أما بقلب المغرب الأوسط،فبعد سقوط الدولة الرستمية بتيهرت،اضطر الإباضية من القبائل الزناتية إلى اللجوء إلى جبل أوراس وقسطيلية[2] وصحراء ورجلان وسدراته،وفي عهد عبيد الله المهدي تمكنت السلطة الفاطمية في الزاب وقسطيلية من مراقبة النواحي التي يقيم بها الإباضيون،إلا أن وفاة الحاكم الفاطمي الأول قد أتاحت الفرصة للعناصر المناهضة للدولة،للثورة على الفاطميين،فلم تمض سوى بضعة أشهر على تسلم القائم مقاليد الحكم حتى ثار الخوارج في ناحية قسطيلية سنة(323هـ/935م)[3]،ذلك أن رجلا بربريا من قبيلة بني يفرن الزناتية،ويُكنى بأبي يزيد[4]،ويعتنق المذهب الخارجي،شرع يَبُثُّ دعوته علانية ضد النظام الفاطمي،ودَعَا إلى الخروج على طاعة الفاطميين،وعاونه شيخ نكاري من الإباضيين في

---

[1]–الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق** ،ص:264؛القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،ص: 298؛رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ،ص:119؛فرحات الدشراوي، **المرجع السابق**، ص: 246.

[2]–**قسطيلية**:يُعَرِّفُهَا ياقوت الحموي نقلا عن ابن حوقل والبكري قائلا:"هي في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبير،وأهلها شراة وهابية وإباضية،ومن مدنها توزر والحمة ونفطة،وتوزر هي أمها"ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج:04،ص:348.

[3]– فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص:246.

[4]–**أبو يزيد صاحب الحمار**:هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن المغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن تقرانس بن يفرن،وكنيته أبو يزيد،ولقد اختلفت المصادر في قبيلته فمنهم من قبيلة سماطه،وإلى بني جعفر،ومنهم من يقول إلى قبيلة زناتة أو نفوسه،مع بداية التشيع في بلاد المغرب،وخالط النكارية وأصبح من المجادلين فيها.ينظر:أبي القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض** ،ص:94؛عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:07،ص:12؛ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**،ج:01،ص:217؛أبو القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ،دار المسيرة،بيروت–لبنان،ط:06 ،1993،ص،ص: 54، 55.

توزر[1] يقال له أبو عمار الأعمى[2]،والتف حوله سائر الخوارج،وبايعوه على قتال الشيعة واتفقوا معه على أن يصير الأمر شورى بينهم،إن هُم تمكَّنوا من الاستيلاء على المهدية والقيروان[3].

جرت بينه وبين القائم ملاحم وحروب كثيرة[4]،بداية من اعتقاله في قسطيلية،ثم فراره بمساعدة أبي عمار ورجاله من السجن،وهُروبه معه إلى صحراء سماطة،فأقاما بها مدة سنة ثم توجها إلى جبل أوراس،حيث نزلا عند بني كملان من قبيلة هوارة[5]،أدى لجوؤهما إلى جبل أوراس إلى هدوء الوضع الداخلي في قسطيلية،والواقع أن نواحي سماطة وأوراس لم تكن خاضعة للسلطة المركزية،وأن الحاميات الفاطمية المتمركزة في حصون المسيلة،كانت مكلفة بمراقبة القبائل الأوراسية،ومنعها من الخروج من معاقلها[6]،لكن هذه القبائل تمكنت من الإفلات من رقابة السلطة المركزية بالمهدية،وحشدت الكثير من الأتباع لدعوة أبي يزيد،الذي حرضهم على الثورة ضد الفاطميين.

تمكن أبو يزيد من إقناع أتباعه بنهب مدن إفريقية الثريَّة[7]،فخرج معه الفقهاء والعُبَّاد لحرب القائم،ونهضوا إلى القيروان فدخلوها في صفر(334هـ/945م)[8]،فلم يزل قاهرا لهم،غالبا لهم،غالبا عليهم،قاتلا لجنودهم،حتى لم يبق لهم من بلاد إفريقية إلا اليسير[9]،ولكن القائم بأمر

1–**توزر**:"مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير،من أعمال الجريد،معمورة بينها وبين نفطة عشرة فراسخ".ينظر: ياقوت الحموي،**المصدر السابق**،ج:02،ص: 57.

2–سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص:120؛فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**، ص: 247.

3– عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:07،ص:28.

4– محمد علي الصلابي،**نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**،ص:64.

5–الداعي عماد الدين ادريس ،**المصدر السابق**،ص،ص:172،173؛فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**، ص،ص: 246، 247.

6– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 120.

7–مصطفى غالب،**تاريخ الدعوة الإسماعيلية**،دار الأندلس،بيروت–لبنان،ط:1،د س ط،ص:181

8– للمزيد حول ثورة أبي يزيد صاحب الحمار ينظر:إحسان إلهي ظهير،**المرجع السابق**،ص:124.

9– ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص،ص: 217، 218.

اللهِ وَجَّهَ لهم جيشا أجبرهم على الانسحاب فاكتفى أبو يزيد بالحصول على الغنائم،لأنها تسهل له أمر الهجوم،وضمان الأتباع الذين وعدهم بإقامة نظام إسلامي،أساسه إجماع الجماعة البربرية وطبقا للمذهب الخارجي،واتخذ لقب شيخ المؤمنين،وكان عمره لا يقل عن ستين عاما،يركب حمارا أشهب أَهْدَاهُ إيّاه أحد أتباعه في مرماجنة،فسمَّاه النَّاس صاحب الحمار[1]،كاد أبو يزيد مخلد بن كيداد أن يقضي على دولة الإسماعيلية حيث هُزموا في أغلب مدن البلاد،وأخرجوا منها،بما فيها رقادة والقيروان وغيرها من بلاد المغرب وإفريقيا،إلى أن انحصر القائم ومن معه بالمهدية وظهر مخلد على أكثر المغرب،ولم يَبْقَ لبَنِي عُبيد سوى المهدية[2]،إذ حاصرها أبو يزيد وكادت تسقط في يده،لولا العَوْن الذِّي أتاها من قبل زيري بن مناد،زعيم قبيلة صنهاجة[3].

نستنتج من الإشارات العابرة السالفة الذكر أن الإمام القائم لقي صعوبات في سياسة دولته–خاصة الداخلية–ولم يستطع التَّغلب على المعارضين،وبالخصوص ثورة أبي يزيد[4]،التي كادت أن تودي بالدولة الفاطمية الشيعية[5]،نتيجة ما استنفذته هذه الحرب من موارد

[1]–الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق** ،ص:180؛شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ج:15،ص:153.

[2]–ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،ج:01،ص:135؛شمس الدين الذهبي، **المصدر نفسه**،ج:15،ص:156.

[3]–عُبادة كُحيلة، **العقد الثمين في تاريخ المسلمين** ،دار الكتاب الحديث،الكويت،ط: 01، 1996م، ص:322.

[4]–"أكد المنصور ابن القائم بأمر الله للأبي يزيد صاحب الحمار أن سبب عداء الرعية للسلطة،هو موظفيه الإداريين فأعزى سبب الثورة إلى جور عمال الضرائب وتعديهم في الجباية دون علم الخليفة القائم بأمر الله".ينظر:القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:126؛بوبة مجاني،**المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب**،دار منشورات الزمن،الدار البيضاء–المغرب،د ط،د س ط،ص:09.

[5]–القاضي النعمان، **كتاب المجالس والمسايرات**،ص:22.

مادية[1] وبشرية،وظروفها التي ساعدت على نجاح صاحبها،ذلك أنها تزامنت مع موجة من الغضب والرفض الغالب من طرف الرعية،في مختلف مناطق المغرب الإسلامي التي كانت تابعة للدولة الفاطمية.

ب_العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في عهد القائم بأمر الله:

في شق آخر من الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد القائم،يتوجب علينا الحديث عن العلاقات السياسية الخارجية لهذه الدولة في ظل حكم القائم بأمر الله،فهي الأخرى على قدر من الأهمية،وبتكاملهما يمكننا رسم إطار عام للمشهد السياسي للدولة الفاطمية،بالمغرب الإسلامي في عهد حاكمها هذا.

ارتأينا بدايةً الحديث عن العلاقات السياسية للدولة الفاطمية مع مصر،فكما حاربت جيوش القائم بقيادة ميسور الفتى،ثوار المغرب وأخضعت–معظمهم–أَرْسَلَ القائم بأمر الله جيشا إلى الإسكندرية،فحاربته الجيوش الإخشيدية[2]،التابعة لحاكم مصر في ذلك الوقت وهزمته،رغم محاولة القائم أن يقنع محمد الإخشيدي[3] بمشايعة الفاطميين،وكانت هذه وسيلة من وسائل بعث التشيع في مصر[4]،إلَّا أنه فَشِلَ،بعد تَوَقُّفْ مشروع المصاهرة بينهما حسب ما ذَكَرَهُ

---

[1]–للمزيد حول ما أنفقه القائم بأمر الله في حرب أبي يزيد ينظر:القاضي النعمان ،**المصدر نفسه**،ص: 551.

[2]–انفرد ابن سعيد برواية عن رغبة الإخشيد في الخروج عن الخلافة العباسية،والدعوة للفاطميين.ينظر: ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب** ،ج:01،تح:شوقي ضيف،دار المعارف،القاهرة–مصر،د ط،1955م،ص:177؛حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ج:03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة–مصر،ط:14، 1996م،ص:138.

[3]–**الإخشيدية**:نسبة إلى محمد بن طغج بن جف الفرغاني،أمير مصر الذي دخلها بولاية من الخليفة العباسي سنة(323هـ)،والإخشيد معناها ملك الملوك.ينظر:تقي الدين المقريزي، **كتاب المقفى الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية**،ص– ص: 111 -130 -137.

[4]–جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن التغري بردي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ج:03،تقد وتع:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط: 01 ، 1992م،ص: 322.

ابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب"،وبقي حُلُمُ السيطرة على مصر قائما لكن لم يتحقق في عهده[1] .

العلاقات الفاطمية مع أمويي الأندلس كانت عدائية منذ البداية،وظلَّت كذلك في عهد القائم بأمر الله،لأسباب أبرزها الاختلاف المذهبي،والطُّموح السياسي في زعامة العالم الإسلامي بسلطة دينية ودنيوية واحدة،وزاد الاختلاف حِدَّةً بإعلان معارضي الحكم الفاطمي لبلاد المغرب،من قيادات ثورية كابن أبي عافية الولاء للأمير عبد الرحمان الناصر بالأندلس،والدعاء له على منابر بلاده [2]،مما أثار مخاوف الفاطميين،وسَعُوا بكل جهودهم السياسية والعسكرية للقضاء على مثل هذه الثورات.

كما استمرت العلاقات العدائية أيضا بين الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي والدولة البيزنطية فقد أرسلت بيزنطة في عام(323هـ/935م)،أسطولا بحريا إلى غرب المتوسط للتصدي لغارات الفاطميين على جنوب إيطاليا،مما أثار الفاطميين،فأرسلوا في شهر رجب أسطولا ضخما بقيادة أمير البحر يعقوب ابن إسحاق في اتجاه الشمال الغربي،فاستولى في طريقه على بعض السفن التجارية المعادية،ووصل إلى جنوة،فحاصرها ودخلها عنوة،وقتل من فيها من محاربين وسَبَى النساء والأطفال،وأشعل الحرائق في عدة سفن بيزنطية،وأغار على عدة مدن أخرى قبل أن يعود إلى المهدية،حيث استقبله القائم بحفاوة بالغة[3]سنة(328هـ/935م)[4] .

عانى أهل صقلية من عامل الفاطميين عليهم،إذ أُخْضِعُوا لنظام رهيب،تميز بالتعسف طوال الأربع سنوات(325-329هـ/937-941م)،حتى أجبرت العناصر العربية المقيمة في

---

[1]–للمزيد حول العلاقات الفاطمية المصرية في عهد القائم بأمر الله ينظر:محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**،ص،ص:130،127.

[2]–أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى** ،تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج:01،دار الكتاب،الدار البيضاء–المغرب، 1954م،ص:82؛محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه**،ص: 131.

[3]–ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07،ص:43؛ محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 132.

[4]–الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق** ،ص:262؛فرحات الدشراوي، **المرجع السابق** ،ص: 242.

صقلية منذ العهد الأغلبي على التخلي عن أراضيها،والفرار إلى بلاد النصارى،واضطر عدد منهم إلى اعتناق المسيحية،كما انتزعت أراضي بعض السكان من ذوي الأصل الصقلي،وأُرْغِمُوا على التجمع في الحصون الواقعة على حدود الأقاليم المسيحية[1].

هذا التباين والاختلاف في تسيير شؤون الدولة الفاطمية سياسيًا من قبل القائم بأمر الله،جعل كثيرا من المؤلفات تصف عهده بقِلة التألق والتذبذب في تسيير الدولة،فلا يمكن التغافل عن كل ما قام به في سبيل إخماد الثورات الداخلية،التي ذكرناها سالفا،كما شَنَّ حملات عسكرية خارجية،مثل حملته على بيزنطة[2]،توفي القائم بأمر الله في ريعان الفتنة محصورا لثلاثة عشر خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة[3]،بعدما وُسْوِسَ واختلط وزال عقله،مما نزل به من الذُّل وقتل الرجال،وزوال الملك وجوع من بقي معه بالمهدية في الحصار،سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة[4]،وكتم ابنه المنصور بالله خبر وفاته،عن القريب والبعيد والعَدُوِّ والمبَايِنِ والوَدُودِ،ودَفَنَهُ سِرًّا[5] خوفا من أعدائه[6]،ولِكَي يكمل المسيرة بعد أبيه فكيف ستكون يا ترى؟.

---

[1]- فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص:245.

[2]-يذكر محمد الصالح مرمول أنَّ:"هذه الحملة على-الروم كما يسميهم- تم فيها أَسْرَ حوالي ألف امرأة مما يدل على مدى نجاحها".ينظر:محمد الصالح مرمول ،**السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**،ص:89.

[3]-لسان الدين ابن الخطيب ،**تاريخ المغرب في العصر الوسيط القسم الثالث من أعمال الأعلام** ، ص:48.

[4]- إحسان إلهي ظهير،**المرجع السابق**،ص،ص: 127، 128.

[5]- إحسان إلهي ظهير،**المرجع نفسه**،ص: 128.

[6]- ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص: 218.

3/ الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله (334هـ- 345هـ/945-956م):

كان إسماعيل بن القائم،الملقب بالمنصور،قد تجاوز الثلاثين من عمره[1] عندما آلت إليه مقاليد الحكم،وهو أمير عربي-إفريقي،أمه أم ولد تدعى كريمة،كانت من بين النساء الإفريقيات الست اللاتي التحقن بحاشية عبيد الله المهدي،وكُنَّ قبل ذلك من جواري الأسرة الأغلبية،فاصطفى عبيد الله المهدي بعضهن عندما دخل رقادة[2] سنة(297هـ/910م)[3].

اتَّسَمَ إسماعيل المنصور بخصال حميدة عددها القاضي النعمان[4]،إذ عاش خلال حكم والده في قصر الخلافة[5] بالمهدية،وكَرَّسَ حياته للعبادة والدراسة،لم يمارس أيَّة سُلطة،كما لم يضطلع بأيَّة مُهمة مدنية أو عسكرية،ولم تُتِح له الظروف للتدرب على مسؤوليات الحكم،فَظَلَّ بعيدا عن الأجواء السياسية،وتولى مقاليد الأمور رسميا في(07رمضان 334هـ/12أفريل946م) من والده الذي أحس بقرب أجله،وكَتَمَ خَبَرَ وفاته خشية من حدوث اضطرابات،وحتى لا

---

[1]-يرجح الدشراوي أنه وُلد بالقيروان،حسب الاحتمال في العشر الأوائل من شهر رمضان سنة(301هـ/أفريل 914م).ينظر:فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 273.

[2]- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 133.

[3]-هذه السنة التي يجمع عليها جل المؤرخين في مؤلفاتهم لدخول عبيد الله المهدي لرقادة،في حين يذكر سهيل طقوش تاريخ آخر هو سنة(310هـ/922م)،وتاريخ بعيد كل البعد عن تاريخ تأسيس الدولة الفاطمية بالقيروان،وللمزيد ينظر:محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه** ،ص:133؛فرحات الدشراوي، **المرجع نفسه**،ص:273.

[4]-قال القاضي النعمان:"...كان حليما رؤوفا،رزينا،ثاقب الفكر،فصيحا يؤثر في نفوس سامعيه بفصاحته وبلاغته،وقُدرته على ارتجال الخطب،يقود الجيش بنفسه"ينظر:القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،ص،ص: 306،307 .

[5]-"الخلافة والإمامة العظمى،وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد،وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدِّين والدُّنيا..."ينظر:صلاح الدين محمد نوار، **نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني**،منشأة المعارف،الإسكندرية- مصر،ط:01، 1996م،ص:11.

يستفيد أعداؤه من ذلك، لم يَتَلَقَّبْ بلقب الإمام [1]،ولم يُغَيِّرْ السِّكة،ولا البنود وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة،فأظهر موت أبيه،بعد أن ظفر بأبي يزيد[2].

أ–الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله الفاطمي:

ويمكننا أن نستهل رصدنا للحياة السياسية بالدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور،بالحديث عن الأوضاع السياسية الداخلية لهذه الدولة،قبل الحديث عن سياستها الخارجية،بدايةً مع إفريقية التي كانت معظم مناطقها تحت نفوذ أبي يزيد،فانحصر بذلك النفوذ الفاطمي إلى العاصمة المهدية ومناطق أخرى قليلة،إذا ما قُورنت بما تَمَّ لأبي يزيد وأتباعه السيطرة عليه،إذ لم تتمكن سوى مدينة سوسة من التصدي لأبي يزيد ومن معه،فاتخذها إسماعيل المنصور قاعدة للمواجهة ومُنطلقا لإعادة السلام إلى باقي أنحاء الدولة الفاطمية،فعَمِلَ على تقوية جبهته الداخلية،بتوثيق الصِّلة بصنهاجة في المغرب الأوسط،بزعامة بلكين بن زيري بن مناد،وأَمَدَّهُ بالأموال والسلاح،واستقطب علي ابن حمدون الملقب بالأندلسي عن طريق بذل المال،وتحوَّل المغرب الأوسط وبلاد الزاب وإفريقية على إِثْرِ ذلك،إلى ميدان صراع رهيب بين الفاطميين من جهة،وأبي يزيد والساخطين على الحكم الفاطمي من جهة أخرى[3].

جرت بين هذه الأطراف المتنازعة–خاصة بين الفاطميين بزعامة إسماعيل المنصور،وأبي يزيد صاحب الحمار–سِلسلة معارك كان أهمها معركة سوسة [4] ومعركة القيروان [5]،التي كان

[1]– محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**،ص:134.

[2]– تقي الدين المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص: 89.

[3]– محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص،ص:134، 135.

[4]–**سوسة**:مدينة صغيرة بنواحي إفريقية.ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق**،ج:03،ص،ص: 281، 283.

[5]–كانت بداية هذه المعارك من سوسة حيث كانت منطقة صراع بين إسماعيل المنصور وأبي يزيد،وكانت الغلبة فيها لإسماعيل المنصور،ذلك أنه أرسل إلى عدوه حملتين الأولى بحرية رست سفنها بساحل سوسة، والثانية برِّية،وبهما تمت له غلبة أبي يزيد الذي انسحب إلى القيروان،فلاحقه إسماعيل المنصور وجنوده بعدما

لإسماعيل المنصور فيها الغلبة،وتمَّ له القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد،وتخليدا لذكرى انتصاره بَنَا إسماعيل المنصور في موقعه المحاط بخندق مدينة أسماها المنصورية [1]،ثم استغرق بعدها المنصور سنة كاملة[2]،وهو يلاحق أبي يزيد في جبال أوراس والزاب وإقليم الجريد [3] فأصبح وضع أبي يزيد صعبا بعد انضمام مغراوة وصنهاجة للمنصور الفاطمي،وكانت معركة (محرم 336هـ/أوت947م)فصل النهاية لحياة أبي يزيد،حيث عُثر عليه في صباح اليوم التالي من المعركة جريحا في إحدى الوهاد،فَجِيءَ به إلى إسماعيل المنصور الذي أمر بوضعه تحت الحراسة

=عَلِمَ بطلب أبي يزيد لدعم أمويي الأندلس،والذي تم بالفعل،إذ أَرْسَلَ إليه الأمير عبد الرحمان الناصر أسطولا بحريا،توقف بشاطئ بونة–وهي مدينة إفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مرغناي وهي على البحر،حسب ما يذكر الحموي،وهي مدينة عنابة الحالية–لكن الأسطول عاد أدراجه بعد علمه بهزيمة أبي يزيد،لكن هذا الأخير لم ييأس واستمرت بينه وبين جيوش الفاطميين سلسة من المعارك دامت شهرين ونصف،انتهت بمعركة ضارية يوم الجمعة(6 محرم335هـ/7أوت946م)،وسُميت المعركة بموقعة المشاعل،ذلك أنها دامت طول النهار إلى أطراف الليل فاستمرت على ضوء المشاعل،وفيها انتصر إسماعيل المنصور نجاحا باهرا،وفَرَّ أبو يزيد من المعركة،وأضفى هذا الانتصار على إسماعيل لقب المنصور بالله.ينظر:الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق**،ص،ص:232،249؛ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**،ج:01،ص:219؛ياقوت الحموي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص:512؛فرحات الدشراوي، **المرجع السابق**،ص،ص:280،302.

[1]–**المنصورية**:"مدينة بقرب القيروان من نواحي إفريقية،استحدثها المنصور ابن القائم بن المهدي الخارج من المغرب،سنة(337هـ)،وعَمَّرَ أسواقها واستوطنها،ثم صارت منزلا لملوك إفريقية من بني باديس،حتى خربتها العرب لما دخلت إفريقية بُعيد سنة(442هـ)"،يَذكر بوزياني الدراجي:"أن المكان كان يُعرف بصبرة أو بصلب الجمل،وقد أطلق المنصور اسم المنصورية على صبرة وأمر ببنائها سنة(336هـ/947م) –ملاحظه هناك اختلاف في التاريخ بفرق سنة بين الحموي والدراجي والراجح عندنا ما ذكره الحموي– وانتقل إليها تاركا المهدية،التي بناها جده".ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر نفسه**،ج:05،ص،ص: 211،212؛بوزياني الدراجي،**دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**،ص:408.عُبادة كُحيلة،**المرجع السابق**، ص: 322.

[2]–عن السُبل الجغرافية التي سلكها المنصور في مطاردة أبي يزيد ينظر: **الملحق رقم:02**.

[3]– عُبادة كُحيلة،**المرجع نفسه**،ص: 322.

المشددة[1]،ومعالجة جروحه،لكنه توفي(ليلة الخميس 28محرم336هـ/19أوت947م)متأثرا بجراحه[2].

بوفاة أبي يزيد لم تنتهه ثورته بل استمرت بعض بذورها في التنامي،فقد واصلها بعده ابنه الفضل،الذي أخذ يجمع إليه الناس من جبال أوراس،وبسط نفوذه على بلاد قسطيلية وغيرها،لكن المنصور لم يتردد في مطاردة المتمردين،واشتبك معهم في عدة معارك وهزمهم،ثم عاد إلى المهدية،فوصلها في(14رمضان 336هـ/28 مارس948م)[3]،ومنها انتقل إلى صبرة التي عُرفت بالمنصورية بقرب القيروان،ووصلها(يوم الخميس 27جمادي الثانية 337هـ /13جانفي948م)[4]،فجعلها عاصمة لدولته،وعكف على تهدئة البلاد،وتدعيم سُلطة الدولة متَّبعاً سياسة الملاينة مع رعاياه حتى يأمنوا إليه[5]،ومن سياسته الداخلية نجاحه خاصة في إعادة الثقة بين الدولة وبين أتباعها الأوائل من الكتاميين،الأمر الذي يعني تقوية "الجبهة الداخلية "كما يقال[6].

---

[1]–يورد إحسان إلهي ظهير رواية مخالفة مفادها أن:"أبا يزيد مات جريحا بعد المعركة،ولم يضفر به الفاطميون حيا ولا ميتا بالوادي المالح قرب المهدية"،في حين يذكر ابن عذارى:"أنه قُتل وحُمل في قفص إلى المنصور الذي أمر بسلخ جلده وحشوه قطنا حتى يبقى عبرة لغيره"والراجح عندنا رواية ابن عذارى لأنه جاءت على لسان العديد من المؤرخين فضلا عن كونه مصدر مقارب للحدث زمنيا أكثر من إحسان إلهي ظهير.ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:220؛إحسان إلهي ظهير، **المرجع السابق** ،ص: 125.

[2]–الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق** ،ص–ص:280- 306؛محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**،ص: 139.

[3]– الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر نفسه**،ص– ص: 319- 323.

[4]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص:310.

[5]– عُبادة كُحيلة،**المرجع السابق**،ص:323.

[6]– سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السابق**،ج:03،ص: 206.

وكان إسماعيل المنصور قد قضى في طريق عودته على اضطراب سياسي آخر،تزعمه القائد المكناسي حميد بن مصال [1]،بالمغرب الأوسط وتحديدا بتيهرت،ما يجسد صورة لحالة الفوضى التي كانت بأقاليم المغرب الإسلامي،ولعل شعار الرفض الذي رفعوه ضد الدولة الفاطمية،ثم سَعْيِهَا الدؤوب لإخضاع المتمردين على سلطتها،يُصَوِّرُ لنا بشكل أوضح السياسة الداخلية للدولة الفاطمية تجاه أقاليمها المختلفة في عهد إسماعيل المنصور،بداية من المغرب الأدنى وثورة أبي يزيد به،فالمغرب الأوسط وثورة ابن مصال [2]،ثم المغرب الأقصى،الذي لم تسمح أوضاع دولة المنصور بالتوغل في عمقه،لبسط نفوذ الفاطميين في تلك الربوع،وبالتالي فتح مجال آخر لتوسيع رقعة النزاع هي في غناً عنه،تخوفا من تأثيرات ذلك على السياسة الداخلية للدولة الفاطمية على جميع الأصعدة [3].

كرَّسَ المنصور أول سنتين من عهده لقمع الثورات الداخلية–كما أسلفنا الذكر–دون أن يتمكن من إرجاع الهيبة التي اكتسبتها الدولة الفاطمية في عهد جدِّه عبيد الله المهدي،لكنه حرص على إعادة تنظيم السياسة الخارجية لدولته،فبدأ بأعدائه في العالم الإسلامي(الخلافة العباسية والإمارة الأموية في الأندلس)،ثم العدّو المسيحي صاحب بيزنطة [4].

---

[1] –حميد بن مصال–هناك اختلاف في ذكر اسمه حيث يورده الدشراوي حميد بن يصل–وهو حاكم تيهرت السابق الذي تحالف مع أمويي الأندلس،واستغلّ فرصة الفوضى التي سادت المنطقة نتيجة ثورة أبي يزيد فهاجمها وضرب عليها حصارا،لكن المنصور خرج إليه من المسيلة في(17صفر336هـ/ سبتمبر947م)،ووصل تيهرت في(20سبتمبر،الأول من ربيع الأول من ذات السنة)،ولما علم القائد المكناسي بوصوله فك الحصار عن تيهرت،وغادر المنطقة باتجاه المغرب الأقصى،ومنه أبحر إلى الأندلس. ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 141.

[2] –بعد قضائه على ثورة ابن مصال الفار توجه إسماعيل المنصور من تاهرت جنوبا،بعدما ظل بها مدة عشرين يوما ألزمه المرض فيها الفراش،وخرج يوم(الأحد 8 ربيع الثاني 337هـ/27أكتوبر947م) لقمع لواتة الذين خرجوا عن طاعته،فوجدهم قد هربوا بين يديه إلى الرمال والبراري المتصلة بأرض السودان. ينظر:فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 308.

[3] – محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 141.

[4] – فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 314.

ب_العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في عهد إسماعيل المنصور بنصر الله الفاطمي:

لعلنا قبل الحديث عن العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية مع أعدائها في الضفة الأخرى للمتوسط،وجب علينا التطرق لعلاقاتها مع دول المشرق الإسلامي،وذلك في عهد إسماعيل المنصور الفاطمي طبعا،هذا الذي بعد تسلُّمه مقاليد الحكم،بذل كل ما بوسعه لقمع التمردات الداخلية في دولته [1]،وبعد قمع تلك الثورات لم يَقُمْ خليفة القائم بأي عمل عسكري ضد مصر،التي انتقل حكمها زمنه إلى أحد أبناء الإخشيد [2]،بل واصل مراقبته من بعيد،وكذلك لم يُهْمِلْ المنصور أمر انتشار الدعوة في باقي دول المشرق الإسلامي،بالرغم مما كانت تشهده دولته من أزمة حادة،فلا شك أنه كان يتابع بكل اهتمام من موقع دولته النائية،الوضع السائد في ممتلكات خصمه العباسي [3].

أما فيما يخص العلاقات مع اليمن والحجاز،فقد واصل المنصور إرسال الدعاة إلى اليمن ومراقبة تحركات القرامطة وأتباع المذهب الإسماعيلي في هذه المناطق،وقد حرص بدهاء على تجنب تشتت الحركة،والسَّهر على فرض سلطته الروحية على هذه البقاع إذ أوعز إلى زعيم القرامطة بإرجاع الحجر الأسود إلى مكة(سنة340هـ/951م) [4]،والذي كان القرامطة قد خلعوه سنة(317هـ/929م)،أي أعادوه بعد غيبته اثنين وعشرين سنة،الأمر الذي يعتبر نوعا من التوفيق العام بين المغرب الفاطمي والمشرق العباسي،وبين السُّنة والشيعة [5]،ما نال رضا السُّنة في بقاع العالم الإسلامي.

[1]–عارف تامر، **تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق**،ج: **02**،رياض الريس للكتاب،بيروت–لبنان،د ط،د س ط،ص: 39.

[2]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 317.

[3]– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 143.

[4]–وقد نَسب ابن عذارى إلى المنصور إعادة الحجر الأسود إلى مكة،أثناء الرحلة التي قام بها في المشرق الإسلامي.ينظر: ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01، ص: 220.

[5]– سعد زغلول عبد الحميد،**المرجع السابق**،ج:03،ص: 208.

العلاقات السياسية الفاطمية مع الأندلس في عهد المنصور،يمكن القول أنها تميزت بالتوتر المعلن،وذلك بتحرش الأمير الناصر بممتلكات الدولة الفاطمية،إذ نجد أن الثورات الداخلية للدولة الفاطمية قد أتاحت له الفرصة،ليستأنف بأكثر حرية تطبيق سياسته التوسعية،والتدخل حتى في شؤون المغرب الإسلامي الداخلية،بإمداد المساعدة لأبي يزيد،ومنحه"رعايته المعنوية"[1]،إلاّ أن رُدود فعل المنصور الحازمة،وانتصاراته الأولى أمامه في سوسة والقيروان،قد منعت صاحب قرطبة من التدخل عسكريا،وأحبطت مساعي القائد المكناسي الموالي له حميد بن مصال بتيهرت[2].

بعد قيام إسماعيل المنصور بعملية إصلاح سياسي للوضع بأقاليم الدولة الفاطمية،تخلى الأمير الناصر الأموي عن مطامعه في إفريقية،واقتصر على ترسيخ سياسته التوسعية في المغرب الأقصى،حيث سعى لفرض سلطته على بني محمد الأدارسة،وحماية أتباعه الزناتيين والمكناسيين،وتعاظم نفوذه في تلك البلاد حتى انتهى به الأمر إلى احتلال طنجة[3] سنة (339هـ/951م)،فتمكن بذلك من الاستيلاء على قاعدة بحرية ثانية في السواحل المغربية، بعدما ملك قبلها سبتة[4]،ورَدُّ الفعل الذي كان ينتظره قد تأخر عن الظهور،ولم يتم إلاّ في عهد المعز لدين الله،ذلك أن المنصور قد أدركته المنية بعد تلك الأحداث بأقل من سنتين[5].

لم تكن العلاقات السياسية الفاطمية مع صقلية في عهد إسماعيل المنصور أقل توترا من باقي أقاليم الدولة،فعندما تولى الحكم،كانت صقلية في حالة فوضى عارمة،وكثيرا ما كانت تقع

[1]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 321.

[2]– الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص: 463.

[3]–**طنجة**:بلد على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء.ينظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق** ،ج: 04،ص:43.

[4]–**سبتة**:هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب،وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس،وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية.ينظر:ياقوت الحموي،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:182.

[5]– فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 315.

النزاعات بين سكانها من المسلمين،فيعزلون وُلاتهم ويعيّنون من يشاؤون[1]،وكان الفاطميون يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الجزيرة،لأسباب سياسية واقتصادية،بهدف إنشاء دولة كبرى على ساحل البحر المتوسط الجنوبي،واتخاذ صقلية قاعدة لأساطيلها في البحر المذكور،لصد الحملات التي يوجهها البيزنطيون نحو المغرب الإسلامي،ووَجد الفاطميون في صقلية أرضا مثمرة تمدهم بالفواكه والخضار والمعادن،لذلك استمروا في إرسال وُلّاتهم لها،حتى قامت ثورة أبي يزيد[2]،التي كانت شبحا جاثما على صدر الدولة الفاطمية[3].

وبذلك تحولت صقلية إلى ميدان صراع جمع بين التحالف البيزنطي الأندلسي من جهة، والدولة الفاطمية من جهة أخرى،ذلك أن المصالح المشتركة لقيصر الروم البيزنطي قسطنطين والأمير الأموي الناصر قد دفعت بهما لتبادل المراسلات والسِفارات للاتفاق،فأطماع قيصر الروم كانت في صقلية،وأطماع صاحب قرطبة في المغرب الأوسط والأقصى،حيث استولى هذا الأخير على طنجة،وعهد قسطنطين إلى أحد بطارقته بمهمة القيام بحملة على الممتلكات الفاطمية في صقلية،لكن تعيين الحسن ابن علي بن أبي الحسن الكلبي[4] عاملا على صقلية كان

---

[1]–ربما كان جور عمال الفاطميين على صقلية سببا في عزلهم،مثلما حدث مع خليل بن إسحاق الذي نكل بأهل صقلية وقتل أعدادا هائلة منهم،ونَكَّلَ بثوارها،وفَرَّ عدد كبير منهم إلى بلاد الروم،ولهذا طلب الخليفة الفاطمي من قائده سرعة العودة إلى المغرب.ينظر:ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج:06،ص: 262؛عمر يحي محمد، **السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، قسم التاريخ،جامعة الملك عبد العزيز،السعودية،د ط،د س ط،ص،ص:24، 26.

[2]– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 144.

[3]– ابن أبي الدينار،**المصدر السابق**،ص:59؛محمد الصالح مرمول،**المرجع السابق**،ص: 90.

[4]–**الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي**: (ت 353هـ)،تولى صقلية سنة(329هـ)،خدمت أسرة الكلبيين الدولة الفاطمية إلى ما بعد انتقالها إلى مصر،النسبة ترجِّح أنهم من أصل عربي،لكن المقريزي في ترجمته لأحد أحفادهم يقول عن أبي الحسن،أنه أحد شيوخ كتامة،ويربطه الداعي إدريس عماد الدين بقبيلة كتامة،هفي حديثه عن ثورة أبي يزيد في موضع واحد لا غير،على أن بلاء هذا القائد في الحرب كان عظيما،فلعل عبارة "أحد شيوخ كتامة" تعني أحد القواد الذين تأمروا على كتامة،إذ كان أحد كبار قادة الجند الفاطمي،تمكن من توطيد سلطته بصقلية واستأنف الغارات على نصارى الجزيرة،الذين لجأوا إلى

اختيارا موفقا،بحيث اقترنت انتصاراته بانتصارات المنصور على المتمردين،ما أفسح المجال أمام الدولة الفاطمية لاستعادة سمعتها ومكانتها في عهد المنصور بالله [1]،إذ تمكن من رد هجمات البيزنطيين وهزيمتهم،وأبرم الصلح بين مبعوث قيصر الروم وإسماعيل المنصور في المنصورية(محرم 341هـ/جوان 952م)[2].

كانت صقلية نقطة النزاع الأولى والبارزة،التي جسدت العلاقات المتوترة والعدائية بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية،ذلك أن أطماع الفاطميين في التوسع بجنوب إيطاليا على حساب البيزنطيين،وأطماع البيزنطيين في الحصول على جزيرة كريت [3]،وهي نقطة الصراع الثانية،بعدما باءت جهودهم بالفشل في الحصول على صقلية،أدى إلى المواجهة العسكرية بينهما مجددا،ففي عام(338هـ/949م) أعد الحاكم البيزنطي قسطنطين السابع أسطولا بحريا ضخما وجهه لجزيرة كريت،وأرسل قوات أخرى إلى سواحل إفريقية والأندلس ليمنع وصول النجدات إلى الجزيرة،لكن حملته تعرضت بعد نزولها على البر لهجمات المسلمين،وكاد قسطنطين أن يقع في الأسر،وتعرضت الإمبراطورية البيزنطية بعد هزيمتها لغارات الكريتيين على سواحلها [4]،وبذلك

=الإمبراطور قسطنطين السابع(332هـ–348هـ/944–959م)لنجدتهم،لكنهم اضطروا للخضوع لإرادة الوالي ابن الكلبي واستأنفوا دفع الجزية.ينظر:ابن الأثير،ا **لمصدر السابق**،ج:07،ص،ص:176،178؛ الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص: 384؛تقي الدين المقريزي،**كتاب المقفى الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية**،ص:184؛عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:04 ص: 94.

[1]–عارف تامر،**تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق**،ج:02،ص: 41.

[2]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 321.

[3]–"كانت جزيرة كريت تابعة للحكم العباسي لقربها من مصر،سكنها منذ أوائل القرن الثالث الهجري جماعة من مهاجري الأندلس يعرفون بالربض،وظلوا بها زهاء قرن ونصف حتى طمع البيزنطيون في استرجاعها،وبدؤوا منذ القرن الرابع الهجري سلسلة من الهجمات العسكرية عليها،وذلك لموقعها الجيد وقربها خاصة من مصر،وبفضلها جرى التقارب بين طرسوس وطرابلس الشام،ومصر وصقلية وإفريقية،ولم يعد للبيزنطيين من نفوذ حولها،والحوض الشرقي للبحر المتوسط..."للمزيد ينظر: محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**،ص،ص:148،147.

[4]– محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:147.

يكون النصر حليف الفاطميين مجددا في مواجهة بدأت غير مباشرة ولكن نتيجتها كانت مباشرة على البيزنطيين.

بعد كل هذه الإنجازات السياسية،برهن إسماعيل المنصور عن مدى شجاعته وحنكته السياسية والعسكرية،في تسيير أمور الدولة والسيطرة على الأوضاع في وقت عصيب،لكنه توفي بعد مرض أصابه في طريق عودته من جالولاء [1]،فبوصوله المنصورية نزلت حرارته جدا [2]،فأخذ طبيبه إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي [3] يعالجه،واشْتَدَّ عليه المرض،فأصيب بقلة النوم [4]،وقال لبعض خواصه:"أما في القيروان طبيب غير إسحاق؟" فأُحضر له شاب يقال له أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم ابن أبي خالد بن الجزار،فجمع له أشياء مخذرة،فنام ومات [5]،وأراد الناس بعده قتل ابن الجزار إلاَّ أن إسحاق ابن سليمان منعهم عنه،وقال بأنه لا ذنب له،فقد عالجه بما ذكره الأطباء،غير أنه جهل أصل المرض [6] فتوفي المنصور(يوم الجمعة سلخ شوال سنة إحدى وأربعين

---

[1]–**جالولاء**:مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا.ينظر:تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص:90.

[2]–يذكر المقريزي أن سبب خروجه إلى جالولاء كان تلبية لرغبة إحدى محضياته – وتدعى قضيب– في رؤية الأترج في أشجاره،ويورد ابن خلكان في وفاياته ترجمة لهذه الجارية.ينظر:تقي الدين المقريزي، **المصدر نفسه**، ج:01،ص: 90؛ابن خلكان،**المصدر السابق**،ج:01،ص:135.

[3]–**إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي**:مصري يسكن القيروان،تتلمذ لإسحاق بن عمران،وخدم المهدي عبيد الله،وتوفي بعد سنة(341هـ)،وأنه كان استقدم من زيادة الله الثالث سنة (293هـ)،وابن الجزار تتلمذ عليه.ينظر:تقي الدين المقريزي، **كتاب المقفي الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية**، ص: 188.

[4]– ابن أبي الدينار،**المصدر السابق**،ص: 60.

[5]–يذكر القاضي النعمان نعي المنصور لنفسه،ووصيته لابنه وخليفته المعز.ينظر:القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**،ص،ص: 102، 103.

[6]– تقي الدين المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص،ص: 90، 91.

وثلاثمائة أو سنة تسع وثلاثين)وكانت ولايته سبع سنين وسبعة عشر يوما [1]،ودفن بقصره بالمنصورية.

4/الحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهد المعز لدين الله الفاطمي(345هـ–361هـ/956م–972م) :

تولى أبو تميم معد،الملقب بالمعز السلطة في(29شوال341هـ/19مارس 953م) وعمره اثنان وعشرون عاما[2]،وكان قد ولد في(11رمضان319هـ/26سبتمبر931م)،وامتاز بالذكاء[3] وسعة ثقافته[4]،وكان حظي في قصر جده القائم برعاية خاصة ووَلاَّهُ العرش [5] في حياته[6]،وأقرَّه المنصور خلفا له[7]،وذلك عندما توعكت صحته إثر حملته على صاحب الحمار بتيهرت[8]،فأورثه بتيهرت[8]،فأورثه بذلك وضعا سياسيا متداعيا،إذ لا شك أن أباه أعاد سلطة الدولة إلى سالف

---

[1]– أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد،**المصدر السابق**،ص،ص:81، 82.

[2]– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 149.

[3]–"...وقد بدت عليه أمارات النجابة والذكاء منذ نعومة أظافره،واشتهر بالذكاء وهو بعد في سن الطفولة..."ينظر:عارف تامر،**المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى** ،ص:67؛ فرحات الدشراوي، **المرجع السابق**،ص: 327.

[4]–"كان ذا ولع بالعلوم ودراية بالأدب،فضلا عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور"ذلك أنه "...تلقى ثقافته على أيدي علماء من صقلية ومنهم المظفر الصقلي،وثبت أنه كان يتكلم ويجيد عشرة لغات دارجة في عصره ومنها:الرومية واللاتينية،والصقلبية والسودانية،وحتى لغة البربر ولهجاتها"ينظر: محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه** ص: 149؛عارف تامر،**المرجع نفسه**،ص: 68.

[5]–عن تولية المعز لدين الله الحكم وتعيينه حجة لأبيه من طرف جده،ثم حاكما من طرف أبيه.ينظر: القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:299؛الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص: 10.

[6]–القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص،ص:468،469؛فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**، ص: 327.

[7]–كان للمنصور خمسة أولاد وهم:المعد(المعز لدين الله)،حيدرة،هاشم،أبو عبد الله،الحسن.ينظر:تقي الدين المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص: 133.

[8]– الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر نفسه**،ص،ص: 464، 465.

وضعها،لكنه لم يتمكن من إخماد ثورات البربر نهائيا في جبل أوراس [1]،وتوجب عليه حينئذ إعادة جو الثقة والأمن في البلاد.

تميزت الحياة السياسية بالمغرب الإسلامي في عهده بتطورات مهمة،على الصعيدين الداخلي والخارجي لدولته،فقد بلغ نفوذ الدولة الفاطمية في عهده أقصى مداه،إذ ساهم في إنعاش الدولة في بلاد المغرب ومصر،واستولى على جميع المغرب الإسلامي باستثناء طنجة وسبتة،توغلت جيوشه في بلاد الشام،وهدَّد بغداد،ونظم هذا الملك الواسع بما سَنَّهُ من نُظم إدارية حازمة[2].

أ_الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الفاطمية في عهد المعز لدين الله الفاطمي:

نستهل رصدنا للحياة السياسية للدولة الفاطمية في عهده،بذكر الأوضاع السياسية الداخلية للمغرب الإسلامي،قبل الانتقال إلى السياسة الخارجية لدولته،وتوجيهه لعلاقاتها السياسية الخارجية مع مختلف الأطراف،حيث كان أول عمل قام به في سبيل إرساء الأمن وإعادة الثقة في نفوس السكان،هو إعادة بسط سلطة الدولة في جبل أوراس [3]معقل الهواريين،الذين ساندو ثورة أبي يزيد،إذ خرجت لهم الجيوش الفاطمية في أواخر سنة (341هـ/أوائل سنة953م)بقيادة المعز لدين الله،وتمكنوا من إخضاع القبائل الثائرة،وابتهج المعز بهذا الانتصار الأول،ورفعت تلك الحملة الناجحة من شأنه سواء في أعين أهل افريقية،أو في أعين بربر المغرب [4]،إذ يذكر الداعي عماد الدين إدريس:"...أنه سار فيهم بالصفح والعدل

1– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص:329.

2– محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 149.

3–للمزيد عن حملة المعز لدين الله الفاطمي على جبل أوراس ينظر:تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا** ، ج:01،ص: 134.

4–فرحات الدشراوي، **المرجع نفسه** ،ص،ص:332،333؛محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه** ،ص: 151.

وأجرى فيهم من حسن السياسة،فاعترفوا جميعهم له بالفضل،ودانوا له خاضعين،وأقبلوا إليه متواضعين،...وقطعت به أسباب الفساد،فلم يعرض له عارض،ولم يبق له معارض"[1].

كذلك عني المعز بالعمل على توطيد نفوذ الدولة الفاطمية في المغربين الأوسط والأقصى،الذين عرفا نوعا من الاضطراب السياسي،بسبب بعض الأمراء الثائرين على الحكم الفاطمي،فعهد إلى جوهر الصقلي[2] مهمة إخضاعهم سنة(347هـ)،وكان في جيشه عدد كبير من رجالات المغاربة منهم زيري بن مناد الصنهاجي[3]،حيث قصد تيهرت واستولى عليها،وقضى على واليها يعلي بن محمد الزناتي،الذي عُرف بانحرافه عن الفاطميين،وولائه لعبد الرحمان الناصر الأموي[4]،ثم استأنف جوهر السير إلى فاس،ولما استعصت عليه اتجه إلى سجلماسة،وكان قد

---

[1]– الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص: 549.

[2]–**جوهر الصقلي**: يذكره محمد سهيل طقوش بأنه"مولى يوناني الأصل"،والمقريزي:"مملوك رومي رباه المعز لدين الله"،ولد بجزيرة صقلية،ذلك ما يثبته علي إبراهيم حسن:"...وهو على اعتبار مولده رومي الأصل،ليس لدينا من المصادر ما يسمح لنا بالوقوف على السنة التي ولد فيها جوهر بالضبط،لكن بالاعتماد على روايتين الأولى لابن زولاق والثانية للمقريزي يرجح بينهما أنه ولد بين سنتي (298هـ و300هـ)،وتوفي سنة(381هـ)،وكان شَبَّ في حجر الدولة الفاطمية ببلاد المغرب بين موالي المعز،ظل يتدرج في سلك المناصب ببلاد المغرب حتى اتخذه المعز كاتبا سنة(341هـ)،ثم وزيرا سنة(347هـ)،و لما عظم شأنه لدى المعز اختاره ليكون على رأس حملة مصر ولقبه بالقائد..."ينظر:تقي الدين المقريزي،**الخطط المقريزية** ،ج:01،تح:محمد زينهم ومديحة الشرقاوي،مكتبة مدبولي،القاهرة–مصر، ط:1998م،ص–ص:377– 380؛علي إبراهيم حسن، **تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي**،مطبعة السعادة،القاهرة–مصر،ط:02،ص،ص: 12، 15.

[3]–ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،ج:02،ص:102؛محمد جمال الدين سرور ،**تاريخ الدولة الفاطمية**،ص،ص: 32.

[4]–أحمد بن خالد الناصري السلاوي،**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،ج:01،ص: 86.

استبد بحكمها رجل تلقب بالشاكر لله [1]،فطارده جوهر حتى قبض عليه وأخذه أسيرا،واستعاد الفاطميون بذلك سلطانهم على سجلماسه،وضرب بها المعز عملة نُقِشَ عليها اسمه [2].

أخذ جوهر يتابع السير في بلاد المغرب الأقصى،ومازال يدخل مدنه مدينة بعد مدينة،حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي [3]،ولم تمتنع عليه سوى سبتة وطنجة كما ذكرنا سابقا،وعاد إلى المهدية بعد أن أقام الدعوة الفاطمية على كل منابر المغرب،وساعده في توطيد سلطة الفاطميين بها القائد الصنهاجي زيري بن مناد،لكن سرعان ما ثار بعد ذلك أحد زعماء زناتة على المعز سنة(359هـ)،مما اضطره للخروج إليه بنفسه،ولما وصل إلى باغاية،وَلّىَّ هذا الثائر هاربا،فبَعَثَ المعز قائده زيري بن مناد في إثره،فقبض عليه،وانتهت ثورته بدخوله في طاعة المعز [4]،على أن ذلك لم يُنه الاضطراب الذي ساد المغرب [5]،فلم يكد ينتقل المعز إلى مصر حتى ثار أهالي باغاية وتيهرت،وزناتة في تلمسان،فتصدى لهم يوسف بن زيري بن مناد،وتمكن من إخماد ثوراتهم [6].

ب_العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي في عهد المعز لدين الله الفاطمي:

قبل الانتقال للحديث عن العلاقات السياسية الفاطمية مع مصر،ومع دول المشرق الإسلامي،سنحاول التطرق للعلاقات السياسية الأموية،حيث كانت هذه الحملة السالفة الذكر،من علامات الصراع بين الطرفين،ودليل على احتدام التنافس التوسعي بينهما،ولا شك بأن المعز أعد تلك الحملة الكبيرة لإعادة سلطة دولته وهيبتها في المغرب الأقصى،وانتزاعها من

---

[1]–**الشاكر لله**:هو الأمير محمد بن الفتح بن واسول صاحب سجلماسة من بني مدرار.ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص:153،152.

[2]– القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص—ص: 317 – 328.

[3]– تقي الدين المقريزي،**الخطط المقريزية**،ج:01،ص: 352.

[4]– ابن الأثير،**الكامل في التاريخ**،ج:08،ص– ص: 177 – 198.

[5]– محمد جمال الدين سرور،**المرجع السابق**،ص: 33.

[6]– ابن الأثير،**المصدر نفسه**،ج:08،ص: 205.

يد النفوذ الأموي،وقد فكر إما في غزو الأندلس أو تهديد عبد الرحمان الناصر[1]،لكنَّه كان ينوي الاستفادة إلى أقصى حد من تلك الحملة،بالسعي إلى انتهاج سياسة توسعية غربي مملكته على حساب خصمه الأموي[2]،فكانت نهاية يعلي بن محمد والي تيهرت،بمثابة ضربة قاضية أنهت النفوذ الذي كان يسعى إلى إقراره الخليفة الأموي منذ عهد بعيد،في النواحي القريبة من بلاد المغرب الأقصى[3].

كما كان استيلاء المعز على سجلماسة ثم فاس في(20 رمضان 348هـ/21نوفمبر 959م)بعد حصار دام أربعة عشر شهرا،وأَسر عدد كبير من أمراء الأدارسة[4]،خاتمة جيدة لحملة كُلِّلت بالنجاح على يدي قائد جيشه جوهر الصقلي،واضعا بها حدا للأطماع الأموية بالمغربين الأقصى والأوسط،ولولا تلك الثورة الزناتية التي أعقبت الحملة واضطرت المعز للخروج لها شخصيا،لكان غادر إلى مصر،حيث كان يستعد لذلك،فعند تفرق فلول الثائرين واعتصامهم بجبل أوراس[5]،عاد المعز إلى عاصمته،مستخدما حنكته السياسية في ضرب القبائل البربرية بعضها ببعض،مستغلا العداء التقليدي بين صنهاجة وزناتة،فسلَّط على الزناتيين جيشا بقيادة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي[6]،وتكبَّد الزناتيون خسائر فادحة،إذ لقي سبعة عشر عشر أميرا من أمرائهم مصرعهم،وانتحر محمد بن الخير في غمرة الهزيمة[1].

---

[1]- فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص،ص: 342، 343.

[2]- محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 153.

[3]- فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 344.

[4]-القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص:422؛عبد الرحمان ابن خلدون،**العبر**،ج:04،ص: 46.

[5]-للمزيد حول قضاء المعز على ثورة زناتة ينظر:ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج:07،ص:300؛الداعي عماد الدين إدريس،**تاريخ الخلفاء الفاطميين**،ص،ص:195، 196.

[6]- "ومنذئذ صار لصنهاجة نفوذ كبير في السياسة الفاطمية،لاسيما أن الفضل يعود إليها في بسط نفوذها نفوذها على مناطق واسعة بالمغربين الأوسط والأقصى،وردع التحركات المروانية- الزناتية بالمنطقة"ينظر: رضا بن النية، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80هـ-**

يمكن القول أن النزاع الفاطمي الأموي في الأندلس،اتخذ في عهد المعز مظهرا مغايرا اصطبغ بصبغتين متكاملتين:الأولى عسكرية،والثانية دعائية سياسية مذهبية،أمَّا ما يتعلق بالصبغة العسكرية،فقد اتصفت بالصدام المباشر بعد أن كان صراعا مسلحا بين المغاربة الموالين لكلا الدولتين المتنازعتين،وتضمنت العمليات العسكرية التي جرت منذ عام(344هـ/955م) نوعين من المواجهات بحرية وبرية[2].

ما تعلق بالمقاومة السياسية من طرف الناصر الأموي،تمثل في سَعْيِهِ لتكوين حلف مناهض للمعز،يجمعه مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع،الذي سبق أن ربطته به علاقة ودية،بحكم المعاهدة التي عقدت بين الطرفين عام(338هـ/949م)،وكان الإمبراطور البيزنطي يطمع في استرداد صقلية من أيدي الفاطميين،بدليل أن البيزنطيين لبوا نداء عبد الرحمان الناصر،ونَسَّقُوا معه لفرض حصار على الفاطميين من الشرق والغرب[3].

مما سبق يتجلى لنا توتر العلاقات السياسية بين أطراف النزاع،حيث تميزت بالعدائية بين كل من الدولة الفاطمية والدولة الأموية بالأندلس من جهة،وبين الدولة الفاطمية والإمبراطورية البيزنطية[4] من جهة أخرى،في عهد المعز لدين الله الفاطمي،كل هذه الأحداث وأخرى سرَّعت من انتقال المعز بدولته إلى المشرق الإسلامي[5] وتحديدا إلى مصر،وهي الهدف المنشود للأئمة الفاطميين منذ عهد الإمام الأول لهذه الدولة.

362هـ/699م–973م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ،قسم التاريخ–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية–جامعة منتوري،قسنطينة،سنة2005–2006م،ص:89.

[1]–محمد بن الخير هو زعيم هذه الحركة الثورية الزناتية، يذكره ابن الأثير باسم محمد بن الحسن بن خزر الزناتي.ينظر:ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07،ص:300.

[2]– محمدسهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص:158، 159.

[3]– ابن عذارى المراكشي،**المصدر السابق**،ج:01،ص،ص:213،215.

[4]–للمزيد حول العلاقات الفاطمية البيزنطية في عهد المعز لدين الله الفاطمي،ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص،ص: 163، 172.

[5]– فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص،ص: 149، 150.

يتراءى لنا مما ذُكر ما آلت إليه العلاقات السياسية الخارجية للدولة الفاطمية،في عهد المعز لدين الله والتي حولت سياسته الخارجية في اتجاه معاكس،حيث كان هدفه الأول خلافا لأسلافه،مقصورا على المغربين الأوسط والأقصى،ولم تتجه أنظاره نحو مصر والمشرق الإسلامي إلا في السنوات الأخيرة من عهده في بلاد المغرب الإسلامي [1] وكانت الأهداف المرجوة من سياسته الخارجية،هي أولاً السيطرة الكاملة على الحوض الغربي للبحر المتوسط،ووراثة الأمويين في الأندلس وثانياً السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط،عن طريق الاستيلاء على مصر،ثم التدخل المباشر في التجارة الشرقية عن طريق البحر الأحمر واليمن،بالإضافة إلى القضاء على الدولة العباسية ووَرَثَتِهَا،وشجَّعته الأوضاع المتردية بالمشرق الإسلامي بعامة،ووضع مصر بخاصة على الالتفات شرقا[2]،ذلك أن حالة الضعف السياسي التي كانت تعرفها مصر،مع جملة ظروف أخرى طالت جميع الأصعدة،حملت أولي الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز يطلبون منه القدوم إلى مصر[3]لإنقاذها من الفوضى التي دَبَّتْ فيها،فاستجاب المعز لهذا الطلب[4].

وتَمَّ تنظيم الحملة العسكرية على مصر بكل عناية،إذ سهر المعز على استعدادات الحرب بدقة،فمنذ سنة(355هـ/965م إلى سنة 358هـ/968م) وجوهر الصقلي يتصل بالكتاميين لحشد الجنود وجَبِّي الضرائب من البربر،ويعود مصحوبا بالرجال والأموال [5]،كما أمر المعز عامل برقة بحفر الآبار في طريق مصر،وأن يَبْنِي له في كل منزلة (مرحلة) قصرا،ففعل ذلك[6]،ومن ناحية ناحية أخرى شهد ميناء المهدية نشاطا حثيثا لصنع السفن الحربية وتجهيزها [7]،وانطلق جيش

---

[1] – فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 374.

[2] – محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 176.

[3] – ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07،ص- ص: 31– 68.

[4] – محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص:187.

[5] – الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ج:01،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت– لبنان،ط:01، 1992م،ص:61.

[6] – تقي الدين المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص:97.

[7] – فرحات الدشراوي،**المرجع السابق**،ص: 378؛محمد سهيل طقوش،**المرجع السابق**،ص: 188.

جوهر الصقلي نحو مصر في(14ربيع الأول 358هـ/06فيفري969م)[1]،ولما وصلت جيوشه الفسطاط وقع معاهدة أمان مع وفد من أهلها في (18رجب358هـ/06 جوان969م)[2]،ورغم معارضة الإخشيديين لهم إلا أن مقاومتهم لم تفلح[3].

وصل جوهر الصقلي إلى الجيزة في(11شعبان/01 جويلية)،ومرَّ على النيل بين الجيزة والفسطاط يوم(17شعبان/07جويلية) وعسكر بجنوده شمال القطائع،ووَضَعَ أُسُسَ مدينة المنصورية التي سميت فيما بعد القاهرة[4]،وأخذ جوهر يُهيء الأجواء لاستقبال المعز لدين الله الفاطمي[5]،وما يحمل معه من معالم دولته المنقولة إلى مصر[6]،وكان من ذلك أن وجه جوهر جوهر حملة عسكرية إلى الشام في مطلع سنة(359هـ/ 970م)،فاستولى على دمشق لكن سرعان ما سلبها القرامطة منه،واضطروه للانسحاب إلى السواحل المصرية،وفي وقت الذي

[1] – الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص: 667.

[2] –تقي الدين المقريزي، **المصدر نفسه**،ج:01،ص: 103؛محمد جمال الدين سرور، **المرجع السابق**،ص: 64.

[3] – فرحات الدشراوي،**المرجع نفسه**،ص: 381.

[4] –الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر نفسه** ،ص،ص:150،151؛محمد سهيل طقوش، **المرجع نفسه**،ص:193.

[5] –"كانت السنوات الأربع التي حكم فيها جوهر الصقلي مصر نيابة عن المعز(358–362هـ/ 969م–973م)،من أهم مراحل التاريخ الفاطمي في هذا البلد،فقد هيأ الأرضية الصالحة لمولاه من خلال التغييرات المذهبية والإدارية والسياسية،التي تمَّتْ ومهدت لقدومه وانتقاله إلى المشرق،ليعلن مصر دار للخلافة الفاطمية،ويقود دولته المنتظرة في المشرق،حيث تمثلت هذه الخطوات بسلسلة من الإجراءات في النواحي الدينية المذهبية والإدارية التنظيمية والاقتصادية"ينظر:محمد سهيل طقوش،**المرجع نفسه**،ص: 195.

[6] – فرحات الدشراوي، **المرجع السابق**،ص،ص: 386، 387.

كان جوهر يواجه القرامطة[1] في منطقة الدلتا[2]،كان المعز لدين الله يمحص ويدقِّق في من يعهد إليه ولاية المغرب الإسلامي بعد رحيله،وكان التنافس على أشده بين أمير صنهاجة بلكين بن زيري بن مناد،وصاحب المسيلة جعفر بن علي[3]،ووقع اختياره في الأخير على بلكين[4] بما تفوق به على صاحبه،من رجاحة عقل وقوة وشجاعة،وصحب بلكين المعز في رحلته إلى أن وصل قابس،وودَّعه يوم(الخميس 11ربيع الأول 361هـ/20 ديسمبر972م)[5] وقفل راجعا إلى المنصورية[6]،حاملا معه وصايا المعز لدين الله له[7]،في حين

---

[1]– للمزيد حول الصراع الفاطمي القرمطي في عهد المعز لدين الله ينظر:عارف تامر، **المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى**، ص: 127؛ل.أ. سيمينوفا، **تاريخ مصر الفاطمية**، تر وتح:حسن بيومي،المجلس الأعلى للثقافة،مصر،2001م،ص– ص:40 – 45.

[2]–تقي الدين المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج:02،ص،ص:180،179؛فرحات الدشراوي، **المرجع نفسه**،ص،ص: 389، 396.

[3]–**جعفر بن علي**: هو أبو علي جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي صاحب المسيلة،وأمير الزاب من أعمال إفريقية،كان أبوه قد بَنَا المسيلة،وكانت بينه وبين زيري بن مناد ضغائن ومنازعات،أفضت إلى معركة قتل فيها زيري بن مناد الصنهاجي.ينظر:ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج:01،ص:305؛ابن خلكان،**المصدر السابق**،ج:01،ص:360؛ أحمد حسن خضيري، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب(362هـ–567هـ/973م–1171م)**،مكتبة مدبولي،القاهرة–مصر،ط:01،د س ن،ص: 29.

[4]– تقي الدين المقريزي،**المصدر نفسه**،ج:02،ص: 189.

[5]– للمزيد حول انتقال المعز إلى مصر ينظر:عبد المنعم ماجد، **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،ط:04، 1994م،ص: 104.

[6]– الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق**،ص–ص:184–185؛تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا**،ج:01،ص: 134.

[7]–ينظر وصايا المعز لدين الله الفاطمي لبلكين بن زيري في:ابن خلكان، **المصدر السابق**،ج:01،ص: 286.

حين تبدأ مرحلة جديدة في حياة الدولة الفاطمية في طورها المشرقي[1]،بداية بحكم المعز لدين الله[2].

كان ذلك الشِق الأول من الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،مُمَثلا في علاقاتها السياسية داخليا وخارجيا،عبر كل مراحل حكمها،وفي في شِقٍ ثانٍ من معا لم الحياة السياسية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب،نجد السياسة المذهبية التي انتهجها خلفاؤها تجاه رعاياهم،ذَوُوا المذاهب الإسلامية المختلفة،فكيف كانت سياستها المذهبية وما تأثيرها على سكان المغرب الإسلامي؟

5/السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ–361هـ/910م– 972م):

سنحاول التطرق إلى السياسة المذهبية التي طبقها كل خليفة أو حاكم فاطمي ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة تواجدها به وقبل انتقالها إلى مصر.

أ–السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد عبيد الله المهدي(297هـ– 321هـ/910– 934م):

كانت السياسة المذهبية التي جاء بها عبيد الله المهدي تهدف بالدرجة الأولى إلى إقامة صرح شيعي إسماعيلي تكون جذوره بمنطقة المغرب الإسلامي،في حين تمتد فروعه إلى المشرق والأندلس،أو على الأقل تكوين قاعدة متينة لهذا المذهب،تخوِّله فيما بعد للانتقال إلى المشرق الإسلامي وهو شجرة وارفة الظلال،مادام لم يتحقق لبذرتها النُّمو إلاَّ في بلاد المغرب الإسلامي،لظروف نترك ذكرها لعدم تهيئ مقامها،فعَمِدَ هذا الخليفة إلى محاولة فرض مذهبه

[1]–"...يمثل عصر المعز لدين الله دورين مختلفين،هما: الدور المغربي الذي دانت فيه لسلطانه بلاد المغرب وجزيرة صقلية،والدور المصري الذي تم فيه دخول مصر والشام،وامتداد النفوذ الفاطمي إلى العراق وجزيرة العرب"ينظر:**المعز لدين الله الفاطمي،أدعية الأيام السبعة**،ص:07.

[2]–"...بقي المعز في مصر سنتين ونصف،وتوفي بالقاهرة في السابع من ربيع الأول سنة(365هـ) ودامت ولايته بإفريقية ومصر ثلاثا وعشرين سنة"ينظر:محمد علي الصلابي، **الصراع بين السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية في تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**،ص: 68.

قصرا على سكان المغرب الإسلامي،ولم يتخذ فيهم سُبَلًا لملاينتهم وكسبهم،فكثيرا ما قتل الناس بالشبهة،وتحدى مشاعر أهل السُّنة،فأمر بسبِّ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه،بدعوى أنهم ارتدُّوا بعده،باستثناء بعضهم كعلي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري[1].

ونعتقد أن المصادر الشيعية الإسماعيلية قد تغاضت عكس المصادر السُّنية،عن كثير من السلبيات التي ترتبت عن تلك السياسة،والتي لم يكن عبيد الله المهدي من موقعه كخليفة،المسؤول الوحيد عنها،وإنما يَقع قسم كبير من مسؤوليتها على عاتق دعاته،لمبالغتهم في تمثيل عقائد المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى حد الضرر به وتشويه عقائده،من ذلك ظهور ما عُرف بالتشريق[2]،فَبُثَّتْ بعض العادات الغريبة عن الإسلام عامة،وعن أهل المغرب الإسلامي خاصة،حيث يذكر ابن عذارى في هذا الشأن أن الإسماعيلية عمدوا أحيانا إلى إطلاق دعوات إباحية داخل المجتمع المغربي[3]،إذ ظهر شخص يقال له منيب بن سليمان

---

[1]–القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج:03،ص:318؛ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج:01،ص: 159.

[2]–وعلى احتمال أن تكون دعوى التشريق–تحليل المحرمات وعند ابن عذارى هي إتباع رجل من المشرق هو عبيد الله الشيعي–تهمة حاول خصوم عبيد الله المهدي إلصاقها به لهدم مساعيه في بث مذهبه ببلاد المغرب الإسلامي،نقول أن هناك من القرائن التاريخية التي أوردها المؤرخون ما يثبت صحة ذلك،منها أن من أظهر التشريق بالقيروان وباجة وتونس،فجاهروا بتحليل المحرمات،وأكلوا الخنزير،وشربوا الخمر في رمضان جهارا،كانوا من معتنقي المذهب الاسماعيلي،ويعتقدون بإمامة عبيد الله ومهدويته،لذا يرجح أن عبيد الله المهدي جعلها وسيلة للتمكين لمذهبه داخل المغرب الإسلامي،وعندما عادت عليه بنتائج عكسية كفَّ عنها،وبعث بالكتب إلى عماله في الأقاليم طالبا منهم أن يرفعوا إليه مرتكبي تلك الأفعال،فتمَّ حبسهم وكانوا نحو مائتي رجل.ينظر:ابن عذارى، **المصدر نفسه**، ج:01،ص،ص: 156،186.

[3]–ينفي ابن حوقل عن الفاطميين هذا الفعل،بدعوى أن هذه العادة القبيحة كانت موجودة بين سكان المغرب الإسلامي من قبل،وأن أبا عبد الله الشيعي قد حاربها،ولكن أهل المغرب لم يكفُّوا

المكناسي بجبال الونشريس بالقرب من تيهرت المغرب الأوسط [1]،أحدث أمورا تخالف الإسلام [2] من جملتها أنَّ الرجل يدخل على حليلة جاره فيطأُها،وزوجها حاضر ينظر إليه،ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ويقول:"تصبَّر" فإن صَبِرْ عُدَّ كامل الإيمان وسُمِّي من الصابرة على زعمهم [3]،وأضاف ابن عذارى نماذج أخرى يبيِّنُ فيها سوء سيرة بعض دعاة الشيعة،واستغلالهم الدعوة لتحقيق غايتهم في إفساد عقيدة أهل المغرب الإسلامي،وكانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل بشيء يسألون عنه،فخلطوا العقيدة الإسماعيلية بالخرافات والأساطير [4]،وهو أمر كادت تجمع عليه المصادر السُّنية والشيعية [5] سواء.

عنها،وأن هذه التهمة قد ألصقها أهل السُّنة بالفاطميين قذفا فيهم.ينظر:ابن حوقل، **صورة الأرض**،ص:91.

[1] –فاطمة بلهواري، **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي** ،دار المسك للطباعة والنشر،الجزائر،د ط، د س ن،ص:30.

[2] –يذكر ابن عذارى:"...عبيد الله المهدي وجهه وغَيْره إلى الأطراف،وأمرهم بإظهار التشريق،فإن وجد الناس محتملين له ومُغِضِّين عليه،نشروه عند العامة وأظهروه...فقام عليهم الناس وقتلوا بعضهم فكفُّوا" ينظر:ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:185.

[3] – ابن عذارى،**المصدر نفسه**، ج :01،ص:185.

[4] – القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص :361.

[5] –حيث يورد القاضي النعمان أيضا بعض الأدلة التي يكشف فيها تجاوزات بعض الدعاة، وإحداثهم في المذهب الشيعي الإسماعيلي ما ليس فيه،ما يثبت ما ذهب إليه مؤرخوا أهل السُّنة من أخبار عن تمادي هؤلاء سواءً بعلم أو بدون علم إمامهم في الجهر بالفسق وإضافة الخرافات والأساطير إلى الدين،ثم فرضها على أهل المغرب الإسلامي قصرا،حيث يذكر ردة فعل المعز وغضبه من أفعال دعاته قائلا:"وسايرت الإمام المعز لدين الله في بعض ما خرج إليه،فذكر ما ينسبه إلى الأئمة مَنْ تَسَمى بولايتهم،ويَدَّعي الدعوة إليهم فيما بعد ونأى عنهم من الباطل الذي برأهم الله منه...فلعن من فعل ذلك وقالبه،ونسبه إلى أئمة الهدى،ثم قال:" وأعجب مما ينتحله هؤلاء الفسقة ويعتقدونه من تبديل دين الله والخروج عنه،وإضافة ما يذهبون إليه من ذلك إلينا،وأن بعضهم ربما تجرأ علينا بإظهار ذلك إلينا...حتى أن بعضهم كتب إلينا يذكر انه أقام شريعة وأكدها بحيل تقبلها العقول،ولا يدفعها من

من بين هؤلاء الغلاة أيضا رجل يدعى محمد البلوي النخاس المعروف بالرقيق،كان يصلِّي إلى رقادة لما كان عبيد الله المهدي مقيما بها،وهي إلى الغرب منه،فلما رحل عبيد الله إلى المهدية غيَّر هذا الرجل قِبلته ووَلاَّهَا نحو المهدية وهي إلى الشرق،باعتبار أنها مثل مكة المكرمة شرفاً،وكان هذا الاعتقاد سائدا عند كثير من الناس وقتها[1]،وكان يقول للناس: "لست ممن يَعْبُدُ من لا يُرى"،وقال لبعضهم عن عبيد الله المهدي:"إنه يعلم سرَّكم ونجواكم"[2]،وغيره كثير ممن أدخلوا على المذهب الشيعي الإسماعيلي ما ليس فيه،وما لم يأتِ به أئمتهم على حد ما أوردته المصادر التاريخية،حتى أن كتامة عند دخولهم للقيروان بالغوا في تأليه إمامهم فكان قَسَمُهُم :"وحَقِّ عالِمِ الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة"[3]-يقصد عبيد الله المهدي-لكننا ومن باب الموضوعية لا يمكننا أن نعمِّم هذا الفعل على كل الإسماعيلية ،وإنما نعتبر هذه العيِّنات ممن ذكر ابن عذارى،حالات شاذة لا يمكن أن نقيس على أساسها عقائد كل الشيعة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي،وسيرهم على هذا النهج في تأليه إمامهم.

غالى دعاة عبيد الله المهدي في سياسة البطش والفتك تجاه من يخالفهم في المذهب،فكانوا بغية ردع وترهيب خصومهم،يعمدون إلى أبشع طرق التعذيب والقتل والتنكيل ممن كانت لهم سلطة عليهم خاصة أعيان المذاهب المخالفة من الفقهاء،فتفننوا في أساليب التشنيع والتنكيل فسملوا الأعين،وبقروا البطون،وخلعوا الأسنان[4]...الخ

سمعها،ولا ينفك عنها،وألَّف لها كتابا كالقرآن لشريعة الإسلام،وأن الناموس يغشاه لذلك،بأن يقيمه لنا ويصلي علينا في كتابه"ينظر:القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات** ص،ص : 548،549 .

[1]-وقد ذُكر ذلك في أشعار ابن هانئ عن المعز لدين الله الفاطمي حتى بعد رحيله إلى مصر.ينظر:شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ،ج:16،ص،ص:131،132؛إبراهيم علي التهامي،**أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية** ،ج:02،ص: 443.

[2]- ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:186.

[3]- ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج :01،ص:160.

[4]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:32.

حيث يُذكر أن المروذي[1] قاضي القيروان كان يَستغل منصبه وسُلطته ليتطاول ويتجبر على العلماء،فكان سفاح عصره،لما اتسم به من بُغض لأهل السُّنة[2]،فاشتهر بمحاولاته للإيقاع بعلماء أهل السُّنة عامة،والمالكية خاصة،وأمعن في التنكيل بهم وتلفيق التُّهم ضدهم[3]،فسلَّط عليهم صنوف وألوان العذاب لمجرد الشبهة[4]،ومما جادت به المصادر التاريخية عن أعمال هذا الرجل،أنه أصدر أمراً إلى فقهاء القيروان بمنع الفتوى بمذهب مالك وغيره،وأن لا يُفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر الصادق،ومن خالف تعليماته سلَّط عليه جامَّ غضبه،كما سعى إلى قتل عدد كبير من علماء المالكية،ومن ذلك وشايته بالفقيه أبي جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي،حتى قتله سنة(301هـ/915م)[5]،وكان أطلق يده أبو

---

[1]–أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، **طبقات علماء تونس** ،دار الكتاب اللبناني،بيروت – لبنان،د ط،د س ن،ص:232؛ أبو بكر المالكي،**رياض النفوس**،ج:02،ص:31.

[2]–وقد وشى بكثير من علماء السنة عند أبي العباس المخطوم فأخذهم وضربهم،ومنهم:قاضي طرابلس وقتها وكان من فقهاء أهل السنة،وأبو القاسم الطوزي قاضي صقلية،والمحتسب بمدينة القيروان،وقتل ابن هذيل وإبراهيم بن البرذون،وزاد في الأذان"حي على خير العمل"،وترك الناس يصلُّون رمضان سنة واحدة ثم منعهم عنها.ينظر:أبو زيد الدباغ،**معالم الإيمان في شيوخ القيروان**، ج:02،ص:292.

[3]–من كتاب المحن لأبي العرب التميمي في باب:" الذين حُبسوا من أهل زماننا،وضُرب بعضهم ممن أدركنا من أشراف الناس والقضاة والحكام وغيرهم،ذكر من حَبسه محمد بن عمر المروذي وضربه: قال =أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم:"الذين حبسهم المروذي،موسى بن عبد الرحمان الفقيه القطان،ومحمد بن خالد الطيوري،وضربه بالدِّرَّة بطحاً وحبسه،وضرب إسحاق بن إبراهيم بن طريفة بالدِّرَّة وحبسه"،ويذكر أيضا من حبسه إسحاق بن أبي منهال أو ضربه قائلا:"وأما الذين حبسهم إسحاق بن أبي المنهال منهم:أحمد بن نصر الفقيه،حبسه وحدده،وحبس أيضا أبو بكر بن اللبانة،ومحمد بن محمد،وحبس أحمد بن زياد"ينظر:أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، **كتاب المحن**،تح:يحي وهيب الجبوري،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان،ط:01، 2006م،ص:363.

[4]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص،ص:32، 33.

[5]–للإطلاع أكثر على حيثيات قتل هذا الفقيه ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**، ج:02، ص،ص:289، 290.

العباس المخطوم شقيق أبو عبد الله الشيعي عندما استخلفه هذا الأخير على القيروان في غيابه،وأقرّه عبيد الله المهدي في منصبه بعد توليه الخلافة،فتصلَّب وتكبَّر،وكانت أيامه صعبة جدا على العامة من أتباع المذاهب المخالفة للمذهب الشيعي،وخاصة المالكية منهم[1]،فأخاف أهل السُّنة وترك أكثرهم الصلاة في المساجد[2]،وأخذ أموال الأحباس وأسلحة الحصون التي على البحر،وأمر الفقهاء أن لا يفتوا[3] ولا يكتبوا[1] وثيقة إلا من تشرَّق

[1]–استند الرفض السُّني للوجود الشيعي الإسماعيلي في المنطقة على التراث العقدي والفقهي الذي يملكه أهل السُّنة،باعتباره مخالفا تماما لطبيعة المنظومة الاسماعيلية ولممارسات السلطة الفاطمية الناطقة باسمه،والتي اعتبرها فقهاء المغربين الأدنى والأوسط مسّاً بالدين وجب التصدي له،وهم على رأي الإمام مالك في بغضهم من غاضه الصحابة،ومن أنكر ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو ما لمسه أهل السُّنة من ممارسات الفاطميين،بالطعن في خصوصياتهم والتمثيل بهم،وطمس معالمهم،ما ترتب عنه الكثير من ردود الفعل السُّنية التي أخذت شكلا عنيفا أحيانا،بناءً على ما توصلت إليه نُخبهم من معرفة دقيقة لأصول مذهبهم،وإيجاد الأساليب الكفيلة بالتعامل معهم ومع معتقداتهم.ينظر:موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص،ص:146، 147.

[2]–ترك أهل السُّنة الصلاة في المساجد من باب الاختلاف المذهبي وعدم الصلاة خلف إمام ليس من أهل القبلة بل كافر مجوسي حسب نظرتهم لأتباع المذهب الشيعي أولا،ومن باب المقاومة السلمية لهؤلاء بمقاطعة الصلاة خلفهم انصياعا لرأي الفقيه السُّني أبو يوسف جبلة بن حمود الصدفي الذي كان أول من قاطعها"وعندما حضر أول خطبة لهم في جامع القيروان ،جلس عند المنبر وسمع ما لا يجوز سماعه،فكشف عن رأسه حتى رآه الناس،ومشى من المنبر إلى آخر باب في الجامع والناس ينظرون إليه وهو يقول:"قطعوها قطعهم الله"،فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعهم،وهو أول من نبَّه على ذلك"،للمزيد حول ذلك ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:02،ص:273؛أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:43؛القاضي عياض،**ترتيب المدارك**،ج:03،ص: 247.

[3]–أبو العباس بن الوليد المعروف بالهذلي ضُرب عرياناً حتى سال الدم من رأسه،ثم أُركب على حمار عريانا وطيف به في أسواق القيروان،ثم حُبس وتُرك بعد ذلك،وحدث له ذلك بعد وشاية مفادها أنه يفتي بمذهب مالك،ويطعن في خلافة عبيد الله المهدي.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر نفسه**،ج:02،ص:265؛طارق بن زاوي، **موقف علماء المالكية من الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية**،مجلة كان،العدد:29، سبتمبر 2015م،ص:20

منهم،وأن يُزال من الحصون والمساجد أسماء من بناها من الفقهاء أو من أمر ببنائها من السلاطين ويكتب اسم عبيد الله المهدي عليها[2].

كثيرا ما تَظلَّم الناس إلى عبيد الله المهدي من استبداد المروذي،ولكنه لم يول أيَّ اهتمام بهم،بل أحيانا كانت الدائرة تدور على الشاكين[3]،بيد أن الأمر يختلف عندما تَمُسُّ الشكوى بمصلحة الدولة،فحين حملت جماعة من الناس– منهم عامل القيروان ابن أبي خنزير–إلى عبيد الله المهدي أن القاضي المروذي يَطعن في الدولة حبسه على التو وعذَّبه حتى هلك[4]،ورغم موت هذا الأخير إلا أن سياسة التعسف والقمع في وسط هؤلاء العلماء والفقهاء ظلت متواصلة،من طرف من توالى على منصب المروذي من بعده،ولم يَكُنْ المروذي إلا أنموذجا عن جملة من قضاة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وفي العهد الأول خاصة–منهم القاضي النفطي،وإسحاق ابن أبي المنهال [5]–حيث أَمعنوا في استعمال مختلف الوسائل لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي على الرعية،نزولا عند رغبة وأوامر عبيد الله المهدي بذلك.

ما نتج عنه رد فعل عنيف واضطرابات وقلاقل وإن لم يكتب لها النجاح،إلاَّ أنها هدَّدت أمن هذه الدولة الفتية في بداية عهدها،فظهر التصدع حتى بين مُدَعِي التبعية للمذهب الاسماعيلي والولاء لعبيد الله المهدي،وهو نتيجة حتمية لتلك السياسة المذهبية العنيفة التي اتبعها بالمنطقة،ما فرض عليه العدول عنها وأمر دعاته بالكَفِّ عن إرغام الرعية

---

[1]–قَتل عبيد الله المهدي الفقيه أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي سنة(319هـ/931م)،لأنه لم يمتثل لأوامره وكتب عقد زواج على شروط مذهب مالك.ينظر: القاضي عياض، **المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص:335، 337؛فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:273.

[2]– أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:55.

[3]–أمثلة ممن دارت الدائرة عليهم فعُذِبوا بسبب شكواهم ومنهم من قُتل أيضا.ينظر:أبو العرب التميمي،**طبقات علماء تونس** ،ص:230.

[4]– أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص:292.

[5]– ينظر : فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:35.

على التشيع عمدا [1]،وذهب إلى تنظيم دِعاية سلمية لمذهبه،فأَسَّسَ ما عُرِف "بمدارس الدعوة"[2]،وهذه الخطوة تُعتبر نقطة تحول في أسلوب سياسة عبيد الله المهدي المذهبية،إلا أن المصادر التاريخية والمراجع الحديثة لا تمدنا إلاَّ بالنذر اليسير عن الأهداف الحقيقية لهذه المدارس،والأبعد من هذا أنها لم تحدد لنا تاريخ قيامها،بل اكتفت بذكر أنها تأسست زمن عبيد الله المهدي،وعند انتقاله إلى حاضرته المهدية [3]،ومنها نبغ مجموعة من العلماء الإسماعيليين خاصة الدُّعاة منهم[4].

استخلصت بعض الدراسات الحديثة–على حد قول الباحثة بلهواري فاطمة– الغاية التي وُضعت من أجلها هذه المدارس،وذلك لتدارك العجز الذي أبداه أهل المغرب الإسلامي في استيعاب عقائد المذهب الشيعي بتأويلاته الملغَّزة [5]،وهذا ما دفع المهدي إلى خلق هذه الدعوة السلمية [6]،للتمكين لمذهبه ببلاد المغرب الإسلامي،وقد أحسن الصنيع لأن هذا الأسلوب جَنَّبَهُ الكثير من المتاعب التي كان من الممكن أن تثيرها زيادة الضغط العنيف على الرعية،وبالتالي تحولت هذه المدارس لوسيلة اتصال بين الحاكم وأتباعه من الرعية،ودرع جديد يستخدمه في مواجهة المقاومة السنيَّة السلمية،التي كانت لجأت إلى التعليم كسلاح للدفاع عن عقائدها،وتمرير مواقفها المذهبية والسياسية من خلاله،فكان هذا الأسلوب السِلمي من عبيد الله المهدي للرد بالنِّد،فالجزاء من صنف العمل كما يقال،لكن الفارق بين التعليم

---

[1]–ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج :06،ص:461.

[2]–لعلها مجالس الدعوة،إذ لم يصادفنا فيما أمكننا الإطلاع عليه من مصادر إنشاء عبيد الله المهدي لمدارس نظامية مذهبية،كتلك التي وجدت بالمشرق فيما بعد.

[3]– فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص،ص :35، 36.

[4]–أبو على منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر** ،ص–ص:03–95؛القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**،ص:303.

[5]–حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية ببلاد المغرب**،ص:285.

[6]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :36.

ومدى فعاليته كسلاح مذهبي سياسي،عند كل من أهل السُّنة المالكية والشيعة الإسماعيلية في الإطار الزمكاني المذكور آنفا،يكمن في قوة وتعدد قنوات نشره،بالإضافة إلى تباين القاعدة الشعبية لكل من المذهبين،وهو ما شكَّل فارق كبير بين الطرفين في صراعهما.

يمكننا ذكر بعض أشكال التضييق والشدَّة في السياسة المذهبية،التي تبنَّاها عبيد الله المهدي تجاه أهل السُّنة عامة،وتجاه فقهاء المذهب المالكي خاصة،ثم ذكر ما ماثلها بالنسبة لفقهاء الخوارج،لنعلم مبررات وأسباب تلك المقاومة التي ظهرت ضد مذهبه،والتي تطوَّرت وتنوعت أشكالها بمرور الزمن وتوالي عهود خلفائه،دون أن تحيد عن هدفها الموحد وهو القضاء على الوجود الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة،والحصول على الحرية المذهبية الكاملة،وغير المقيَّدة بسلطات معينة إن صح التعبير.

1/مظاهر التضييق والمحنة على فقهاء أهل السنة(المالكية) في سياسة عبيد الله المهدي المذهبية:

_قتل الفقهاء وضربهم والتنكيل بهم:كان العلماء من أوائل ضحايا الانتصار الشيعي الإسماعيلي في إفريقية وبلاد المغرب الإسلامي،إذ قتل ابن أبي خنزير عامل عبيد الله المهدي على القيروان،عالمين فاضلين من أهل السُّنة المالكية هما ابن البرذون وابن هذيل سنة(299هـ/912م)،وقد ضرب رقابهما وطيف بهما مسحوبين على وجهيهما،مربوطين إلى سند بغل،فجرَّهما من باب تونس إلى باب أبي الربيع،فصُلبا هناك [1]،وضُرب أبو محمد بن العباس بن الوليد الهذلي حتى سال دم رأسه،وطيف به عريانا بالأسواق،ثم سجن وتُرك،كما سلف لنا الذكر،ولقي عروس المؤذن حتفه مقتولا بالرماح بعد أن قُطع لسانه وعُلق بين عينيه وطيف به في القيروان سنة(307هـ/919م)،ذنبه في ذلك أنه لم يَقل في آذانه"حي على

---

[1]–أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج :02،ص:265؛أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج: 02،ص:48.

خير العمل"[1]،وقُتل عبد الله محمد بن عبد الله السدري المجاهر بعداوته للشيعة المبايع على جهادهم سنة(309 هـ/921م)[2].

_ الانحراف العقدي والمساس بمقدسات وعقائد المذهب السُّني المالكي:كإبطال بعض السُّنن المتواترة والمشهورة والزيادة في بعضها،كما فعلوا في الأذان بزيادة"حي على خير العمل"فيه،وإسقاط صلاة التراويح،بعد أن تُرك الناس على صلاتها عاما واحدا،وإجبار أئمة المساجد على الدعاء لعبيد الله المهدي من على منابرهم في خطبة الجمعة[3]،ما حمل أكثر النَّاس على ترك الصلاة في المساجد،حيث نشر عبيد الله المهدي دُعاته داخلها لإرغام الناس وترهيبهم،مع محاولة ترغيبهم في المذهب الشيعي،يذكر ابن الأثير رجلا يدعى الشريف[4]كأحد هؤلاء الدعاة الذين كانوا يجلسون في المساجد لدعوة الناس،كما قام بعض رجاله بإدخال خيولهم إلى المسجد،فنقم القائم بأمر هذا المسجد فِعلتهم،فأجابوه أن ما يخرج من هذه الخيول من أوراث وأبوال طاهرة كونها خيول عبيد الله المهدي،فردَّ عليهم:بأن ما يخرج من عبيد الله المهدي نجس،فكيف بالذي يخرج من خيوله؟ فاتهموه بالطعن في

---

[1]– أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:152.

[2]–"...أرسل عبيد الله المهدي من يأتي به إليه،ولما أوقف بين يديه قال له عبيد الله:أنت الشاتم لنا،الذاكر عنا أننا أحدثنا في الإسلام الحوادث،فقال له:نعم أنا القائل بذلك ،فقال له عبيد الله: وما الذي رأيته منا؟،فأخبره بكل ما يعتقده في دين الإسلام وكلّ ما أحدث فيه،فقال حينئذ عبيد الله لأوليائه: اضربوا عنقه،فقُتل رحمه الله سنة(309هـ/921م)".ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر نفسه**،ج:02،ص:17؛طارق بن زاوي،**المرجع السابق**،ص:21.

[3]–فرض عبيد الله المهدي على الخطباء أن يدعو له على المنابر بدعاء معين سبق لنا ذكره،ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام القسم الثالث**،ص:51؛ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج:06،ص:18؛القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة** ،ص،ص:293،294؛تقي الدين المقريزي **اتعاظ الحنفا**،ج:02،ص:92؛إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02،ص:446.

[4]– ابن الأثير،**المصدر نفسه**،ج:06،ص:133.

الدولة،وأخبروا عبيد الله بذلك فقتله في الحين [1]،ونصَّب حسين السَبَّابْ في الأسواق للسَّب بأسجاع لُقِّن إيَّاها يصل بها إلى سبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم،كقوله:"العنوا الغار وما وعى والكساء وما حوى" وغير ذلك[2].

تعدى الشيعة الإسماعيلية على التراث العقدي السُّني المادي والمعنوي،فحاولوا طمس معالمهم المادية بتغيير أسماء القصور والمساجد والقناطر السُّنية إلى أسماء شيعية بحتة، واستولى على قصر زياد الأغلبي وجعله مخزنا للسلاح [3]،في محاولة فرض التشيع على العامة والعلماء خاصة بالتعسف والعنف،قال القاضي المروذي:"اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول"[4]،وسبّوُا الصحابة واتهموهم بالردة،وعُلقت رؤوس الكباش والحمير على الحوانيت عليها قراطيس مُعلَّقة فيها أسماء الصحابة رضي الله عنهم[5].

_التضييق على أهل السُّنة فكريا ومذهبيا لتحويلهم عن مذهبهم:كان أول استفزاز لأهل السُّنة من طرف عبيد الله المهدي تلقبه بالخليفة أمير المؤمنين،في وقت كان هذا اللقب حكرا على الخلفاء العباسيين،فرأى أتباع المذاهب السنيَّة أن ذلك تأسيا لتعدد الخلائف،والمباشرة في التجزئة السياسية والمذهبية بين المغرب والمشرق الإسلاميين،وهو ما أَسَّسَ عندهم لمشروعية الوقوف في وجه السُلطة الجديدة بهدف إرجاع الأمور إلى نصابها،خاصة بعد

1–ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:284؛فاطمة بلهواري، **المرجع السابق** ،ص:278؛ طارق بن زاوي،**المرجع السابق**،ص:21.

2– طارق بن زاوي،**المرجع نفسه**،ص:21.

3– أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:56.

4–الداعي عماد الدين إدريس، **المصدر السابق** ،ص:20؛ابن عذارى، **المصدر نفسه**، ج:01، ص،ص:151، 152.

5–القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج:03،ص:318؛محمد علي الصلابي، **نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**،ص71.

لمسهم لمظاهر التعدي على التراث السُّني المعنوي والمادي [1]،التي كان منها إتلاف مصنفات أهل السُّنة ومصادرتها،ومنع الناس من تداولها،حيث رُفع كثير منها إلى الخليفة الفاطمي– خاصة في عهد المعز لدين الله– كيدا للإسلام وبغضا فيه [2]،وحرَّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك،واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانا،ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي،حيث يُطاف بالمقتول في أسواق القيروان وينادى عليه:"هذا جزاء من يذهب مذهب مالك"،ولم يُبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم،ومنعوا علماء السُّنة من التدريس في المساجد،ونشر العلم والاجتماع بالطلاب فكانت كتب فقهاء السنَّة لا تُقرأ إلا في البيوت [3] خوفا من بني عبيد [4]،لأنهم وحرصا منهم– أي الفاطميين–على أمن دولتهم وخوفا من الثورة والخروج عليهم،جعلوا بوقا يضربونه في أول الليل،فمن وُجد بعد ذلك خارج داره ضُرِبَ عنقه،كما كانوا يُفرِّقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من مات من العلماء [5].

حاولوا إجبار الناس على الدخول في دعوتهم،فمن أجاب تركوه وربما وَلُّوه بعض المناصب ومن رفض قُتِل،كما فعلوا عقبة أول جمعة خطبها عبيد الله المهدي بالقيروان،حيث وقعت مقتلة عظيمة بين أهل القيروان والدولة العبيدية،فأمر عبيد الله بالكفِّ عن العوام وافتعل مناظرات صورية،لإجبار العلماء على الدخول في مذهبه بالحِجاج،ودارت من جرائها على علماء السُّنة محن عظيمة،وقُتل منهم عدة آلاف بسبب تمسكهم بالإسلام،ودفاعهم المستميت عن السُّنة،حيث قال القابسي في ذلك:"إن الذين ماتوا بدار البحر–سجن العبيديين– بالمهدية من حين دخل عبيد الله إليها أربعة آلاف رجل في العذاب،ما بين عا لم

[1]–موسى لقبال،**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**،ص،ص:328، 329؛ موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:148.

[2]– محمد علي الصلابي،**المرجع السابق**،ص:72.

[3]– شمس الدين الذهبي،**سير أعلام النبلاء**،ج :14،ص:216.

[4]– ينظر أمثلة ذلك في:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص:26.

[5]– أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:56.

وعابد ورجل صالح"،هذا عدا من كانوا يُقتلون دون سجن،ويُنكَّل بهم في شوارع القيروان،ما أثر على سير الحياة العلمية،ومع ذلك لم تزد هذه المحنة أهل المغرب الإسلامي إلا عزيمة وصبرا واحتسابا وتمسكا بأصول أهل السُّنة والجماعة[1].

_تعطيل الشرائع وإسقاط الفرائض وإلصاق الخرافات والجهل بالدين:قام عبيد الله المهدي لإثبات مهدويته باختراق العقائد الدينية ومحاولة تعطيل عقول العامة من أتباعه خاصة،بأفعال وأقوال وطقوس خرافية،مثلما كان يفعل معهم في طقس إسقاط الفرائض حيث يتم إدخالهم في مجموعة،ويدخل عليهم لابسا فرواً مقلوباً،داباً على يديه ورجليه فيقول لهم:"بَخْ"،ثم يخرجهم ويفسر لهم هذا العمل بقوله:"فأما دخولي على يدي ورجلي فإنما أردت بذلك أن أعلمكم أنكم مثل البهائم،لا شيء،ولا وضوء،ولا صلاة،ولا زكاة،ولا أي فرض من الفرائض،سقط جميع ذلك عنكم،وأما لباس الفرو بالمقلوب،فإنما أردت أن أعلمكم أنكم قلبتم الدين،وأما قولي لكم "بَخْ"،فإنما أردت أن أعلمكم أن الأشياء كلها مباحة لكم من زنا وشرب خمر...إلخ[2]،وأدخل تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها،حتى انحازت عن تعاليم الإسلام،كإسقاط الرجم عن المحصنين في الزنا،وإسقاط المسح على الخفين،والصوم بالعلامة والفطر بها لا برؤية الهلال [3]كما سلف لنا الذكر،وتحليل المطلقة ثلاثا،إلى غير ذلك من المستحدثات [4]،وما زاد من سخط أهل المغرب على سياسته المذهبية،هو المبالغة في إظهار الطقوس الدينية التي لا تَمُتُّ للإسلام بصلة،كالجهر بأنه رسول

[1]– محمد علي الصلابي،**المرجع السابق**،ص :73.

[2]– أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:504.

[3]– حيث قَتل من أفتى بأن لا فطر إلا مع رؤية الهلال،كما فعل مع الفقيه محمد بن الجبلي قاضي مدينة برقة.ينظر: شمس الدين الذهبي،**سير أعلام النبلاء**،ج :15،ص:374؛محمد علي الصلابي،**المرجع نفسه**،ص،ص:74، 75.

[4]–بعد مثل هذه المستحدثات في الدين عبّر رجل مُحْمَقٌ(خليع بمعنى مجنون) من رجال السنة عن استيائه للقاضي المروذي في المسجد والناس يحيطون به قائلا:"لقد احتللت لنا في ترك قيام رمضان،فلو احتللت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤونته"ينظر: أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**،ص:27؛ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص،ص:159، 160.

ونبيّ،هذا إلى جانب اتصافه بصفات الخالق،حيث يرى بعض المؤرخين المحدثين أن المذهب الشيعي في ذلك تأثر بالفلسفة الإغريقية،فأخذوا بالرجعة والتناسخ والحلول،الأمر الذي جعل منه مزيجا من الدين والفلسفة [1]،وهو ما أنكر تقبُّله فقهاء المغرب الإسلامي،واعتبروا الإسماعيلية لذلك فرقة ضالة من الكفار تجب حربهم لما يمكن أن يحدثوه من فساد في عقائد المسلمين.

وقد غالى بعض دعاته حتى أنزله منزلة الإله،وأنه يعلم الغيب،وأنه نبي مرسل،كما يقول المؤرخ بدر الدين بن قاضي شبهة [2]:" وكان له(أي عيد الله المهدي) دعاة بالمغرب يدعون الناس إليه وإلى طاعته،ويأخذون عليهم العهود،ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم،فمنهم من يلقون إليه أنه المهدي بن رسول الله وحجة الله على خلقه،ومنهم من يلقون إليه أنه الله الخالق الرازق" [3].

كانت تلك لمحات من بعض ما طبَّقه عبيد الله المهدي ودعاته،من تضييق وامتحان لأهل السُّنة عامة والمالكية خاصة ببلاد المغرب الإسلامي،ولم يَسلم فقهاء الخوارج أيضا من العنصرية المذهبية لهؤلاء،لأنهم كانوا يسعون إلى إفناء كل المذاهب المخالف للمذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي،ليخلو لهم المجال بوسعه لنشر مذهبهم وتصديره إلى كل ربوع المنطقة وأقاليمها ولما لا خارجها أيضا.

2/مظاهر التضييق والمحنة على فقهاء الخوارج في سياسة عبيد الله المهدي المذهبية:

[1] – فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :28.

[2] –هو أبو الفضل بدر الدين محمد بن أحمد الأسدي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شبهة،فقيه مؤرخ،من آثاره:الكواكب الدرية في السيرة النورية،كفاية المحتاج إلى توجيه المنهاج،توفي(سنة 874هـ).ينظر:علي إبراهيم التهامي،**المرجع السابق**،ج:02،ص:442.

[3] –بدر الدين بن قاضي شبهة، **الكواكب الدرية في السيرة النورية** ،تح:محمد زايد،دار الكتاب الجديد،بيروت–لبنان،1971م،ص،ص:204،205،نقلا عن إبراهيم علي التهامي، **المرجع السابق** ج:02،ص:442.

عمل الفاطميون على فرض وجودهم السياسي المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي بشتى الطرق والوسائل التي أتيحت لهم،وطبقوها على أتباع كل المذاهب المخالفة لهم دون تمييز بينها،وهو ما يُبرر تجاوزاتهم في حق الصفرية والإباضية بعد إزاحتهم لدولهم،ويبرز جليا موقفهم من نخبة علماء وفقهاء هذه المذاهب،كوجه ثاني لعملة الاضطهاد والتنكيل،التي كان فقهاء السُّنة عامة والمالكية خاصة وجهها الأول،وقد كان القصد من هذا الأسلوب التعسفي في المعاملة،إلغاء وجود أي مذهب مناوئ لهم،والقضاء على كينونته السياسية لأنه شكَّل في أحد الأزمان المرجعية الدينية لدولة ما،أزاحها الفاطميون وتتبعوا أثر مذهبها غير الشرعي في نظر الدولة الفاطمية- لأن الحكم لا يكون إلا لآل البيت والمذهب الشيعي الإسماعيلي-وكل ما عدا ذلك باطل غير شرعي وجبت إزالته،وبالتالي فإن القضاء على الدولة الرستمية الإباضية بتيهرت المغرب الأوسط،والدولة المدرارية الصفرية بسجلماسة كان أمرا لابد منه،لذا لم يسلم من القتل والتعذيب من أتباع هذين المذهبين،إلاَّ من لاَذَ بالهرب إلى مراكز خارجية أخرى،مثل واحة ورجلان وسدراته،وبلاد الجريد وقسطيلية،وضواحي تيهرت وما بين جبل نفوسة وأوراس وجزيرتي جربة وصقلية[1]،ويبدو أن ما لحق بعلماء الخوارج من تشريد وتعذيب وقتل،كان أقل مما لحق بعلماء السنَّة المالكية[2]،لأن هؤلاء تفرقوا في ربوع المغرب الإسلامي وتداروا عن الفاطميين بعد سقوط دولهم،أمّا فقهاء السُّنة المالكية فأغلبهم كانوا من ساكنة القيروان ولم يفارقوها إلا قلة منهم،حتى في أشد أيام المحنة،وبرزوا إلى خصومهم مقاومين فنالهم الأذى أكثر من غيرهم.

لم يكن ما نال أتباع المذهب الصفري والإباضي- فقهاؤهم خاصة- من أذى،بأقل مما نال أهل السُّنة المالكية وإن تباينت حدة وشدة ذلك،رغم ندرة المصادر التاريخية التي تتحدث عن الموضوع–مما توافر لنا–إلا إشارةً،حيث يذكر الدرجيني على سبيل المثال،قتل أبو عبد الله الشيعي لأئمة الدولة الرستمية،وهم كما نعلم من أهم فقهاء المذهب الإباضي

---

[1]–أبو العباس الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب** ،ج :01،ص:42؛علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**،ص:147- 148.

[2]–فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص–ص: 41- 42.

في المنطقة،كما يذكر لنا كذلك حصار عبيد الله المهدي لوارجلان بعد قيام دولته سنة(297هـ/910م)[1]،أما فعله بالدولة المدرارية بسجلماسة وأئمتها،فكتب التاريخ قد أجزلت في ذكره،مما يجسد عَلَناً أهداف عبيد الله السياسية من سياسته المذهبية تلك.

إن السياسة المذهبية التي اتبعها عبيد الله المهدي ودُعاته وسعوا إلى تطبيقها على أهل المغرب الإسلامي،عدا كونها تميزت بالشدة والعنف والعنصرية،فإنها تميزت كذلك بالترفع والغطرسة ذلك أن أئمة الإسماعيلية عندما كانوا يتحدثون إلى الرعية من أهل السُّنة أو من الخوارج،يخاطبونهم وكأنهم من طينة غير طينة البشر،فعندهم أسرار الغيب وعلم ما سيكون،ولديهم كتب يقولون أن فيها كل ما يحدث مَسْطُورٌ برموز لايفهمها غيرهم،والتي نظر إليها فقهاء السُّنة على أنها كفر وزندقة،وخروج عن ملة الإسلام،وهي أمور لم يعتدها أهل المغرب إلى ذلك الحين[2]،لذا فإن نتائجها كانت عكسية على الدولة الفاطمية،فاندلعت الثورات الرافضة لهذه السياسة المذهبية،والتي هدَّدت هذه الدولة وهي لا تزال في مهدها تكاد تزكى على أشلائهم لتثبت وجودها وبقاءها بكل السبل.

ب–السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد القائم بأمر الله الفاطمي(322هـ– 334هـ/934– 945م):

---

[1]–"...ثم إن يعقوب ابن الإمام وابنة أخيه دوس–وتذكرها بعض المصادر التاريخية بدوسر– خرجا في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلاها،وإنما خافا من أبي عبد الله الشيعي...ودخل المدينة فانتهبها،وانتهك حرمتها،وأجلى كثيرا من أهلها،وجعل أعزة أهلها أذلة،وكان دخوله المدينة بأمان،فلما دخلها غدر وقتل أهل بيت الإمامة من الرستميين،وأهلك الحرث والنسل،فانقطعت الإمامة بموت الإمام يوسف،ومن قتل معه،ومن قتل من بعد دخول المدينة– وفي ذلك إشارة إلى أن الفاطميين هم سبب موت الكثير من فقهاء وأئمة المذهب الإباضي– ولما دخل إفريقية وذلك عام (297هـ/910م) وقد تمكنت دولته–يقصد عبيد الله المهدي–وجه عسكرا عظيما إلى وارجلان، فلما سمع أهله بإقبال العسكر تحصنوا بالكدية المعروفة بكدية كريمة،وهي كدية حصينة شاهقة بينها وبين وارجلان قدر ستة أميال(وهو حصار كان يدبر منه عبيد الله المهدي إفناء المذهب الإباضي وأتباعه بالقضاء على مَنْ بقي منهم بالمغرب الإسلامي).ينظر:أبو العباس الدرجيني،**المصدر نفسه**،ج:01،ص،ص:94، 95.

[2]- ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة**،ج:04،ص:76؛ فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:29.

لم تكن السياسة المذهبية لهذا الخليفة بأحسن من سابقه،إن لم نقل أسوء،حيث أن ما سبق لنا ذكره من محن وتضييق عانى منه أهل السُّنة والخوارج على رأسهم فقهاؤهم،زادت حدةً وشدةً في عهد خليفته القائم بأمر الله الفاطمي،ذلك أن هذا الأخير وبعد اعتلائه كرسي العرش لم يتردد في معاقبة مخالفيه في المذهب [1]،على جرم انتسابهم لغير معتقده،فرأى القضاء عليهم جهاد،والخروج عليه خطيئة لا تغتفر،ظنّاً منه أن هذا الأسلوب سيكفل له سلطانه السياسي،مستخدما كل وسائل التعذيب والإكراه،وكانت نتيجة ذلك وخيمة وعكسية الآثار،إذ انتشرت الحركات الثورية المقاومة لسياسته،وأضحى عهده عهد معارك ومطاردة للمخالفين [2]،فشقَّت بعض الفرق المخالفة للمذهب الإسماعيلي عصا الطاعة،فارين من مراكزهم ومعتصمين بخارجها(كالإباضية) كما ظهر موقف أهل السنَّة واضحا،وبخاصة المالكية من سياسة القائم،معلنين عنها بمساندة أبي يزيد مخلد بن كيداد والمشاركة في حركته– كما سيأتي الحديث عنه في موضعه–معبرين بذلك عن سخطهم ونفورهم [3] من المد السياسي الجغرافي والمذهبي الشيعي الإسماعيلي على أرض المغرب الإسلامي.

سيكون من المبالغة لو اعتبرنا أن تلك الحركات الثورية التي عجَّ بها عهد القائم بأمر الله،مَرَدُّهَا كلُّها إلى عامل وحيد هو تشدد القائم بأمر الله في سياسته المذهبية،وجِدُّهُ في فرض مذهبه على رعيته،وإنما يعود ذلك إلى تكالب عدة مسببات وعوامل،لعل من أهمها سياسته الاقتصادية– المالية–التعسفية [4] التي كان لها جزء كبير في ظهور الشغب ضده، وزيادة الهُوَّة والخلاف بينه وبين رعيَّته.

وقد أسهبت المصادر التاريخية السُّنية في وصف اضطهاد الفقهاء على عهد القائم بأمر الله الفاطمي،ما يحملنا على الأخذ بها على وجه من الحذر والترجيح،فهي ذات المصادر التي

---

[1] –مجهول،**الاستبصار في عجائب الأمصار**،ص:205؛ ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01، ص–ص:216- 218.

[2] – القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:331؛ فاطمة بلهواري، **المرجع نفسه**،ص:42.

[3] – أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص:38.

[4] – محمود إسماعيل،**الخوارج في بلاد المغرب**،ص،ص:283،284.

ذكرت تعديلات عبيد الله المهدي في سياسته المذهبية،كما ذكرتها قبل التعديل النسبي لها–أي السياسة المذهبية –وتوجيهها مجددا لمعارضيه[1]،حيث تذكر أنه وبمجرد وصول أبي القاسم القائم بأمر الله إلى الخلافة،وإحكامه لأمر الملك،ظهرت سياسته المذهبية بصورة عامة كنسخة لسياسة عبيد الله المهدي،وإن استكثرت حدتها عن سابقها بعض المصادر التاريخية،فكان هذا الخليفة أكثر شرا من عبيد الله المهدي.

حيث قيل أنه أَمَرَ بتكذيب كتاب الله،وحثَّ المسلمين على حرق المصاحف والمساجد[2]،وهذا لا ينفي احتمال أن تكون هذه الرواية محض تلفيق من إخباريي أهل السُّنة،نظرا للعداوة المذهبية بينهما،لذا فإن التثريب فيه من هذه الزاوية وارد جدا،كما أن فئة أخرى من المؤرخين تذكر عكس ذلك تماما،من أن القائم اهتم ببناء المساجد مثل مسجد أجدابية وطرابلس وكان آية في الجمال[3]،وكان يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يحرق كتاب الله،ولا سَبَّ الصحابة،وإنما ذكرهم بكل خير عكس ما ذكر بعض المؤرخين السُّنين[4]كما أسلفنا،وخلاصة القول في ذلك –كرأي توفيقي بين ما اختفت حوله المصادر التاريخي– أن شدة سياسة القائم بأمر الله تعزى إلى طبيعته العسكرية أولا،وإلى سياسته الاقتصادية التي فرضها على الرعية،فكانت عاملا آخر يعزز أسباب الخروج عليه دون الطعن في إسلامه،كما لا يفوتنا التنويه بما قام به دعاته من استغلال لمراكزهم الهامة في دولته،للاستخفاف بالشريعة،ومن يدري لعل ما نُسب إليه من خُرُوقَاتْ في الدين،كانت من فعل دعاته وبالتالي حُمل هو وزرها أمام رعيته؟.

---

[1]–ذكرنا سالفا سياسة عبيد الله المذهبية وكيف أنه أجبر على تعديلها خوفا من زيادة حدة الصراع بينه وبين المخالفين من رعيته والذين اتخذوا من الثورات أسلوبا للتعبير عن رفضهم.

[2]– ابن عذارى ،**المصدر السابق**،ج:01،ص:193.

[3]– أبو عبيدة البكري،**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**،ص:15.

[4]–أورد كل من القاضي عياض وابن عذارى أن هذا الخليفة أمر بتكذيب وحرق كتاب الله وسبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم،وصحابته رضي الله عنهم.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع السابق** ، ص،ص:44، 45.

ج-السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد المنصور بنصر الله الفاطمي(334هـ- 345هـ/945- 956م):

تُعد فترة حكم عبيد الله المهدي والقائم بأمر الله الفاطمي للمغرب الإسلامي،المرحلة الأولى من الوجود الفاطمي بالمنطقة،وكانت أصعب مرحلة عانى خلالها أتباع المذاهب المخالفة لمذهب الدولة الرسمي من الاضطهاد والتضييق،والمرحلة الثانية والتي تعد أحسن من سابقتها نوعا ما،هي فترة حكم الخليفتين المنصور والمعز لدين الله،حيث سلكت السياسة المذهبية الفاطمية منعرجا جديدا،بعدما توصَّل هذين الخليفتين إلى عقم سياسة التعصب المذهبي،وعدم نجاعتها،فجنحوا إلى أسلوب الملاينة والتودد [1]،فأظهر كل من المنصور والمعز النوايا الحسنة في التعايش سلميا مع المذاهب الأخرى،وهذا ما تُقِرُّه بعض المصادر التاريخية السُّنية،خاصة عهد المنصور بالله،وتبيِّن حسن نواياه نحو الفقهاء والعلماء،إذ ضمن لهم تغيير سيرة من سبقه،وأقسم أمامهم على أن لا يتعرض لمذاهبهم [2]

وعن ذلك تحدث"القاضي عبد الجبار" [3]،قائلا أن المنصور أوفى لأهل السُّنة بما وعد،فعدل فيهم وتركهم على مذاهبهم،وأخذ غُلاة دعاته فحلق لحاهم ونفاهم،وقال لأهل

---

[1]-"...إن إسماعيل المنصور الخليفة الفاطمي الثالث،قد تظاهر بعد هزيمة أبي يزيد بالعودة إلى الإسلام،فقتل الدعاة ونفى بعضهم إلى إسبانيا وإلى أقطار أخرى،وقال للعامة:"من سمع منكم أحداً يسُبُّ النبي فليقتله وأنا من ورائه"،وقرَّب إليه الفقهاء والمحدثين واستمع إليهم،وخدع العامة وادعى أن كل من كان في الدعوة ودعا إلى الإباحية ،فإنما فعل ذلك دون علم أبي أو جدي،وخفف الضرائب وأظهر ولهاً بالفقه"ينظر:برنارد لويس،**أصول الإسماعيلية**،ص،ص :143، 144.

[2]-يقول محقق كتاب أبو زيد الدباغ في سيرة المنصور بالله:"...وأن المنصور بالله إسماعيل بن أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي،كان محسنا لرعيته،فصيح اللسان خطيبا منصفاً،ولم يزل على الحالة الحسنة من العدل والعفو والحلم،وأسقط الخراج عن الرعية حتى صلحت أحوالهم،وكان قاضيه محمد بن أبي المنصور في غاية الدين والورع والصلابة في الحق إلى أن مات،فولَّى بعده عبد الله بن هاشم،فكان من أفضل الناس،ولم يزل المنصور هذا شأنه من حفظ المسلمين وتولية أهل الورع والدين،ومحبة الفقهاء والصالحين"ينظر:أبو زيد الدباغ،**معالم الإيمان في مشايخ القيروان**،ج: 01،ص:26.

[3]-القاضي عبد الجبار،**تثبيت النبوة**،ص:392 نقلا عن فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص: 47.

القيروان:"من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،فاقتلوه فإني معكم،ومن ورائكم،وترك الناس على حرية في مذاهبهم" [1]،وهذا النوع من التنكيل ببعض غلاة الشيعة كان الهدف منه كسب ودّ أهل السُّنة وفقهاؤهم،كما أطلق المحدثين في الحديث،والناس في إقامة التراويح،وأظهر تعظيما للشريعة [2]،وعفا وصفح عن من أشهر الحرب ضد الحكم الفاطمي،وكل ذلك بتحفظ شديد،كما وعيَّن جملة من علماء أهل السُّنة في مناصب مهمة من الجهاز الإداري لدولته [3]،على الرغم من أنهم كانوا يأتون أحيانا بما يخالف الدولة ومذهبها في حل المسائل الفقهية،"وحتى يسكن الناس ويأمن جانب الثائرين عمد إلى إلغاء كل الضرائب غير الشرعية،كما أسقط عليهم ما في السنة الآتية،وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة من العشر والصدقات وجميع اللوازم" [4].

لكن المؤرخ ابن النديم في كتابه "الفهرست" أتى بخلاف ما أوردناه سابقاً من تحول في السياسة المذهبية للفاطميين على يد الخليفة المنصور،وملاينته لأهل السُّنة،فقال:"إن المنصور ابتعد عن مُمَالَاةِ أهل السُّنة،ففي(سنة 340هـ/951م)،عمَّ الاستخفاف بالشريعة،ونكلَّ ببعض علماء المالكية بتهمة عدم الالتزام بالعقيدة الإسماعيلية" [5]،ويدعم رأيه هذا ابن عذارى بإيراده أخباراً فريدة لم يذكرها غيره من المؤرخين،وذلك أن المنصور حين أخمد ثورة أبي يزيد دخل القيروان وذلك في (سنة 336هـ/957م)،قتل من أهلها خلقاً كثيراً وعذب آخرين"ولم

[1] – برنارد لويس،**المرجع السابق**،ص،ص :143، 144.

[2] –القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص،ص:334،335؛فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:47.

[3] –يذكر الدباغ عدة فقهاء عرض عليهم المنصور خطة القضاء وحاول إرغام بعضهم على توليها،ممن كان يثق في عدالته وفي مكانته عند الرعية،ومنهم من قبلها(كمحمد بن أبي المنصور ومحمد بن إسحاق الجبلي) وغيره رفضها(كأبي القاسم زياد بن يونس اليحصبي السدري).ينظر أمثلة ذلك من الفقهاء:أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص،ص: 45، 46،49،79.

[4] – الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص،ص:379، 380.

[5] –محمد بن إسحاق بن النديم، **كتاب الفهرست(في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم)**، ج:01،تح:رضا تجدّد،د د ن،د ب ن،د ط،ص: 239؛فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:295.

يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك" [1]،ويبرز ذلك بأن المنصور فعل ذلك من باب الانتقام ظناً منه أنهم على مذهب أبي يزيد وأعوانا له في ثورة.

كما أنه لم يقتصر في العقاب على فئة دون أخرى،بل إنها الحرب والحساب فيها شامل دون أن تحدد النوايا[2]،ودائما كان لرجال الخليفة دور في إذكاء نار التوتر بين السلطة الشيعية الإسماعيلية والرعية من أهل السنة أو الخوارج،فقد رفع بعض رجال الدولة إلى المنصور أن ابن أبي المهزول،وهو من شيوخ أبي إسحاق السبائي،لا يقرأ البسملة في صلاته ولا يقول المؤذن عند الأذان "حي على خير العمل"،فكتب إلى عامل القيروان ليأمرهما بالرجوع عن ذلك فلم يفعلا،وراجعهما غير مرة فلم يرجعا،فبعث إليهما من يشهد فعلهما،فأتى كتاب المنصور إلى عامله بقتلهما،ولكن الموت كان أسبق إليهما منه ودفن أحدهما بعد الآخر[3].

تركت هذه الواقعة عند المالكية أثرا مريراً،حيث أدركوا شدة المنصور اتجاههم،حتى تمنّع الحسن بن نصر من أن يلي له قضاء سوسة حين عرضه عليه(سنة 341هـ/ 952م) فمال المنصور إلى تعيين الشافعية في هذا المنصب،وازدادت الجفوة في العلاقات بين المالكية والإسماعيلية[4]،وهو دليل على توتر العلاقات بين القاعدة والقمة في ترتيب الهرم السياسي للمغرب الإسلامي إذ ذاك،ما أحدث نوعا من الشرخ بينهما كان إصلاحه على قدر من الصعوبة،وتطلب من الخلافة الفاطمية قوة مادية وحنكة سياسية،ومدة زمنية تكون كافية لذلك وهي ما لم يكن في جدول برنامج خلفائها،الذين ظل هدفهم دائما الانتقال إلى المشرق الإسلامي وتأسيس دولة به،ولعل تعيين الشافعية بدل المالكية في المناصب المهمة وعلى رأسها خطة القضاء،كان من أبرز سمات التذبذب والتوتر في العلاقة بين الطرفين بعدما كفلت الخلافة كل سبل تهدئتها،وإبقاء المهادنة معهم أطول مدة ممكنة.

---

[1] – ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج :01،ص:220.

[2] – فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص :49.

[3] – أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص:179.

[4] – فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص :296.

وقد تشدد الفاطميون في سياستهم من جديد بين الفترة والأخرى زمن المنصور بالله،فعذب وقتل كل مخالف لأوامره المذهبية،من ذلك صلبه لقاضي برقة المالكي أبو عبد الله محمد بن إسحاق الجبلي،لأنه لم يفطر بالإفطار الإسماعيلي[1]،مع العلم أن الشيعة الإسماعيلية كانوا لا يعتمدون على رؤية الهلال للصوم أو الفطر،وإنما كانوا يعتمدون الحسابات الفلكية لخلفائهم في ذلك،كنوع من العلم الرباني الذي كانوا يتميزون به ...؟ وهكذا فقد رَوَّعَتْ سطوة المنصور بالجبلي الرعية السُّنية،وأدت إلى انفصام ما اتصل من ودٍّ مصطنع كان بين المالكية والفاطميين،وخلد أغلب فقهاء المالكية من جديد إلى بيوتهم،وتواروا عن السلطة فكانوا لا يبارحون بيوتهم إلا للضرورة،تجنبا لأي صدامات مع عمال الخليفة المنصور.

وخلاصة القول أن فترة حكم الخليفة المنصور بالله التزم فيها أهل السُّنة عامة،والفقهاء المالكية خاصة الحذر الشديد[2]،مخافة أن ينقلب المنصور عليهم فيعيد فيهم تاريخ أسلافه،لذا لم يُسلِّموا بالأمان والثقة التامة في سياسته ومواقفه تجاههم،ذلك أنه كان متذبذب القرارات المذهبية تجاههم حسب ما اقتضته الظروف السياسية،فبين أن يترك لهم حرية التمذهب والعقيدة وممارستها على نحو ما كانوا عليه قبل تأسس الدولة الفاطمية،وبين أن يقهرهم ويفرض عليهم مذهب دولته،تأرجحت سياسته المذهبية،فكان يؤثر في نفسه فرض مذهبه ليوسع انتشاره ويضمن طائلة تلك القوة البشرية الهائلة،التي كان يمثلها هؤلاء مع الخوارج،ولكنه كان يميل إلى زاوية الاستقرار والتفرغ لتحيق أمور أخرى هي من أولويات الدولة،وسدّ أي باب للتمرد قد يفتحه هؤلاء،ويكون في جعبته ربما بذور فناء هذه الدولة،خاصة بعدما خَبِرَ ما يمكن للعامل المذهبي أن يحرك فيهم،وما هم قادرون على فعله بما لهم من مكانة عند قاعدة شعبية لم يتكّون لدولته مثلها،قوةً عدداً ،وولاءً مذهبيا.

[1]–ذكر أبو زيد الدباغ والمالكي رواية مقتل القاضي الجبلي.ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج:03، ص:49؛أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص:192.

[2]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص: 297.

د–السياسة المذهبية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي في عهد المعز لدين الله الفاطمي(345هـ – 361هـ/956– 972م):

حين تولى المعز لدين الله الفاطمي الخلافة سلك سياسة التودد والتقرب إلى المذاهب المختلفة عامة والمالكية خاصة،حيث صرَّف أمور الدعوة في أول عهده تصريفا ليِّناً،لحرصه الشديد على عدم إثارة حفيظة أهل السُّنة عامة والمالكية خاصة وحتى الخوارج،حيث أتاح لهم نوعا من الحرية في الاعتقاد والتمذهب،في حدود معينة شرط أن لا تمس أو تخدش مصالح الدولة،فسمح لهم بالاجتماع والفتوى والتعليم وكتابة الوثائق على مذاهبهم[1] ،وتساهل معهم كثيرا[2] في المجال الفكري حتى انتعشوا في عهده انتعاشا كبيرا،ورغم هذه الحرية المذهبية– إن صح التعبير–التي تمتع بها السنيُّون عامة في عهد المعز لدين الله،إلاَّ أن فقهاء المالكية وعامتهم قابلوا ذلك بتثاقل،فواصلوا إتباع الحذر من تلك السياسة المذهبية المقنعة،والتي تعودوا الخذلان فيها منذ نشأة الدولة الفاطمية،وكانت أخبارهم تصل إلى المعز على غير ما يشتهي،فيُمْهِلُهُمْ ولا يُهْمِلُهُمْ،ويصلهم ولا يقطعهم،ويَتَلَطَفُهُمْ ولا يَتَجَهَمُهُمْ[3].

وما كان حذر المالكية ذاك إلا تعبيراً عن عدم ثقتهم في الخلفاء الفاطميين،نظراً لما لحقهم منهم،وبقي البعض من فقهائهم مشهرا لعدائه للفاطميين وخلفائهم،رغم حسن سيرة

[1]–لا يمكن التسليم المطلق بذلك وإنما حسب وجهة نظرنا فإن هذا الرأي بحاجة إلى تمحيص،ذلك أنه لو تأكد هذا القول فكيف للخليفة المعز لدين الله الفاطمي أن يصادر كتب أحد الفقهاء المالكية بعد موته لتوضع في مكتبة قصره ويمنع الناس والمالكية خاصة من الانتفاع بها وهذا أبسط مثال ناهيك عن =باقي المجالات التي طالتها سياسته،وإن كان نوعا ما متساهلا فيها فإنه لم يكن بذلك التساهل الذي وصفته فاطمة بلهواري في رأيها المذكور أعلاه.ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:297.

[2]–يورد ابن عذارى عكس ما يثبت ذلك قائلا :"وفي سنة 349هـ وجَّهَ أبو تميم المعز لدين الله القاضي إلى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم أن لا يؤذنوا إلا ويقولون فيه:"حي على خير العمل"وأن يقرؤوا "باسم الله الرحمان الرحيم"في أول كل سورة،ويسلموا تسليمتين،ويكبروا على الجنائز خمسا،ولا يؤخروا العصر،ولايبكروا بالعشاء الأخيرة،ولا تصيح امرأة على جنازة،ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن"ينظر:ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:223.

[3]– القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص–ص: 292– 297.

المعز فيهم،ودعوته لهم باللين–والدبلوماسية بمصطلح حديث–إلا أنهم بقوا على ذات الموقف المعادي لهم،مثلهم في ذلك الفقيه أبو إسحاق السبائي السابق الذكر،الذي ظل مشهرا لعدائه المطلق للفاطميين،رغم كل الجهود التي بذلها المعز لدين الله لتقريبه وائتمان جانبه،إلا أن هذا الفقيه المالكي ظل على عهده بأن لا يلقى الفاطميين إلا وآلة الحرب عليه،ولا يفتأ يمل في التشهير بهم والقدح والذم فيهم علناً،وعندما توفي هذا الأخير تمت مراسم جنازته بتدبير شديد،مخافة ردود فعل المالكية،إذ أمر المعز والي القيروان [1] بحفظ الأمن وتهدين الأهالي أثناء سير الجنازة[2].

هكذا صمد المالكية للبلاء،وتحصنوا بمالكيتهم وجعلوا من مذهبهم قوام أمرهم وعنوان قوتهم،وذكرت بعض المراجع التاريخية أنه كان يُؤَذن بأذان أهل السُّنة [3]،ولا تذكر عبارة الشيعة الإسماعيلية"حي على خير العمل" في عهد المعز لدين الله الفاطمي [4]،نظراً لطبيعة العلاقات المذهبية الحسنة بين أهل السنَّة والإسماعيلية على أيامه،ومن خلال ما تقدم ذكره،يبدو لنا جلياً أن المعز لدين الله الفاطمي تأكد أن أسلوب القهر الذي نهجه سابقيه لم يجد نفعا مع السنين،فانتهج فيهم سياسة المداجنة والتلطف،غير أن سياسته هذه ظلت موضع ريبة وحذر،وبالتالي عجزت أمام صمود موقف فقهاء المالكية وأتباعهم،الذي كان يشكل خطرا حقيقيا على حكمه في بلاد المغرب،الأمر الذي دفع بعض الدراسات الحديثة[5] إلى القول بأن نجاح المالكية وتصلُّبهم كان سببا في دفع المعز لدين الله الفاطمي إلى الانتقال بدولته إلى الديار المصرية[6]،نظرا لهشاشة قاعدته المذهبية بالمغرب الإسلامي،وعجزها

---

[1] –وكان والي القيروان إذ ذاك أبو علي عسلوج بن الحسن الديهاجي من كتامة.ينظر:القاضي عياض،**ترتيب المدارك**،ج:02،ص: 83.

[2] –القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:83؛فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:299.

[3] – ينظر: فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:299.

[4] – ويذكر ابن عذارى عكس ذلك كما سلف لنا الذكر.

[5] – فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص : 300.

[6] – ينظر مقدمة كتاب **رياض النفوس** للمالكي،تحقيق حسين مؤنس،ج:01،ص،ص: 17، 18.

عن الاستمرار في مقاومة رعية تأبى الانصياع لغير مذاهبها،وتستميت في الدفاع عنه وتتشبث بزعاماتها مهما قلّت المحن أو كثرت.

هـ- جوانب انحراف سياسة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي:

ويمكننا أن نورد في عنصرين أهم الجوانب التي وقع فيها انحراف سياسة الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ولعلهما أهم عنصرين اعتمد عليهما حكامها بغية تثبيت وجودهم بالمنطقة،على أساس أنهما عاملي القوة لدولتهم،فركزوا خاصة على الجانب الاقتصادي والجانب المذهبي،وهو ما سنحاول معرفته في ما يلي:

1/الجانب المذهبي:

كان الاختلاف المذهبي بالمغرب الإسلامي منذ عهد الدولة الأغلبية سببا في صراع أهل السُّنة من مالكية وحنفية،حيث دعمت السلطة الأغلبية المذهب الحنفي ورجاله مجاملة للخلافة العباسية،في حين تميز المالكية بالتشدد والتمسك بمذهبهم،وما ورثوه عن الإمام مالك من علم،فزهدوا عن المناصب وعن موالاة الحكام،فكان ذلك سببا في تعرضهم للاضطهاد والتعذيب والملاحقة [1]،في كلٍّ من عصري الأغالبة والشيعة بعدهم- وإن كان اضطهادهم زمن الأغالبة أقل ضررا وعنصرية من زمن الشيعة-بينما كان الأحناف عكس المالكية،أكثر مرونة وطواعية ورغبة في النفوذ والسعي إليه بشتى الطرق [2].

هذا إلى جانب أن الأحناف كانوا يميلون إلى تفضيل علي-رضي الله عنه- على باقي الصحابة،وقد تفطَّن القاضي عياض إلى ذلك عند قوله بأنها كانت الفيصل في علو شأنهم- أي صفة المفاضلة بين الصحابة-إبان الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ونالوا حظوة عند الخلفاء،فاحتكروا المناصب الإدارية والسياسية لأن كثيرا منهم أخذ بمذهب الدولة-أي تشيع

[1]-اضطهدوا خاصة فقهاء المالكية ممن وقف لهم بالمرصاد في عدة مسائل فقهية وقع فيها الخلاف مثل مسألة خلق القرآن،ينظر أمثلة ذلك في :أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج:02،ص،ص: 94، 95؛ أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج:02،ص- ص: 17- 35.

[2]-فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :262.

بعض الأحناف–خدمة لأغراضهم الخاصة[1]،ولعل ذلك يبيِّن وبشدة سبب عدم بروز مواقف الفقهاء الأحناف في مقاومة الشيعة الإسماعيلية إلا قليل منهم،وكذلك يبيِّن أحد أهم أسباب امتحان المالكية واضطهادهم من طرف السلطة الزمنية،أولا من طرف الأحناف ثم ثانيا من طرف الشيعة،والذي–إن صح التعبير–يمثل الأنفة والعزة المذهبية التي تميَّز بها أتباع المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي،واستماتتهم في الدفاع عنه،إضافة إلى طبيعة الذهنية البربرية[2]المتعصبة كما يصفها ابن خلدون في مقدمته،وهي ما تمازجت والمذهب المالكي وخدمته وحافظت عليه كجزء من الهوية الإسلامية المالكية البربرية المغاربية.

واصل الأحناف في العهد الفاطمي ما كانوا قد عهدوه في زمن الأغالبة تجاه المالكية،خاصة إذا ما بلغ أحدهم مكانة مهمة في السلطة،فكانوا سوط عذاب وعيونا للنظام الفاطمي على المالكية ورجالهم[3]،وتذكر المصادر التاريخية نماذج لفقهاء مالكيين قُتلوا زمن الفاطميين بوشاية أو بيد حنفية تشيَّعت–إن صح التعبير–ثم تعصَّبت لتشيُّعها، فاشتهر بعض غلاتهم منذ بداية العهد الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي،بالإيقاع بعلماء أهل السُّنة عامة والمالكية خاصة،والإمعان في التنكيل بهم وتلفيق التهم لهم [4]،إذ وشى القاضي المروذي إلى أبي العباس المخطوم–عند استخلاف هذا الأخير على القيروان من طرف أبو عبد الله الشيعي(سنة 299هـ/912م)– بالفقيهين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي المعروف بابن البرذون [5]،وأبي بكر بن هذين [6]،وكل منهما كان من أعلام زمانه فقهاً

---

[1]–للإطلاع أكثر على نماذج ممن تشيع من الأحناف للوصول إلى المناصب الإدارية في الدولة الفاطمية ينظر:بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب الإسلامي**،ص،ص:41، 49.

[2]– فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص ،ص:262، 263.

[3]– فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص :265.

[4]– فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص : 268.

[5]–أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق** ،ج:02،ص،ص:261، 265؛أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج:02،ص:47.

[6]–أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه** ،ج:02،ص،ص:266، 269؛أبو بكر المالكي، **المصدر نفسه** ج:02،ص:47.

وعلما،فقتلهما ومثَّل بجثتيهما في أسواق القيروان[1]،واعتبر المالكية هذين العالمين شهيدين،وأُطلق على قبريهما اسم قبور الشهداء،وارتاع أهل المغرب الإسلامي لمثل هذه الإجراءات في حق فقهاء المذهب المالكي،لما لها من تأثير في حياتهم المذهبية والفكرية بشكل عام،وعليه عقدوا العزم على مقاومتها بشتى الطرق والوسائل للحفاظ على مذهبهم والاستماتة من أجله،فتنوعت أساليبهم في ذلك تنوع أشكال تعنيف الشيعة الفاطميين لهم.

2/ الجانب الاقتصادي:

يبدو أن الفاطميين لم يكتفوا بمحاولة القضاء على نفوذ مخالفيهم في المذهب فحسب،بل وعلى مركزهم الاقتصادي على حد سواء،إذ كان عبيد الله المهدي يأمر قضاته بمصادرة أموال الأحباس،وتجريد الرباطات والحصون الساحلية من المال والسلاح[2]،نظرا لخطورتها من الناحية الإستراتيجية على دولته،لذا كان للعامل الاقتصادي دور في تفسير موقف أهل السُّنة من الفاطميين،إذ اتخذت دعوتهم المذهبية ذريعة لإنشاء سلطان قوي ببلاد المغرب الإسلامي،كما يبّين هذا العامل حيثيات ذلك الصراع المذهبي غير المتناهي بين الشيعة الإسماعيلية والمالكية من أهل السُّنة،إذ كان موقف هؤلاء–أي فقهاء أهل السُّنة المالكيين–مرتبطا بأسلوب الجباية التي تمسَّكَ بها الفاطميين،وكان لها أثر على الوضع الاجتماعي[3]بشكل عام ومباشر.

لم يفلت من أذى عمال الدواوين حتى رجال الدولة الفاطمية أنفسهم،حين كانوا يشكلون خطرا على الدولة،إذ وضعوا نظام مراقبة صارم عليهم،يباشر مهامه عند عزلهم من

---

[1]– تشترك بعض المصادر السنيَّة في أن محمد الكلاعي والفضل بن ظفر هما من وشيا بابن البرذون وابن هذين عند القاضي المروذي الذي بدوره زاد في الوشاية بهما عند أبي العباس المخطوم فأمر بقتلهما.ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص: 155؛القاضي عياض، **المصدر السابق** ، ج:02،ص:212.

[2]–أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص:292.

[3]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:160.

أعمالهم،حيث تتم مصادرة الاقطاعات والأموال التي جمعوها أثناء خدمتهم،ومما لا شك فيه أن الطليعة الأولى من الدعاة وبُناة الدولة،حين سببوا الشغب ضد الحكم الفاطمي في المنطقة،في عهد عبيد الله المهدي،قام هذا الأخير بمصادرة أموالهم،ومن جملة هؤلاء أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس المخطوم،وأبو القاسم صاحب الخراج [1]،كما تمَّ تكشيف القاضي المروذي على إثر عزله من منصبه برقادة في سنة(301هـ/913م) لمدة عامين حتى يقدِّم لعبيد الله المهدي جردا بأسماء من أودع عندهم تركاته،إلا أنه امتنع فقتله [2]،وفي سنة(314هـ/927م)عَزل عبيد الله المهدي عن عمالة القيروان نسيم الفتى،وضمَّه إلى المهدية،وحُبس عند جوذر الفتى،وقُبض على أمواله،وكان نسيم سريع الغضب والضرب بالسياط [3].

وكان لنُظَّار المواريث دور في هذه السياسة الجبائية،حيث تَعَدُّوا حدود الإرث الشرعي لمن توفي بلا وارث يرثه،إذ تذهب تركته للخليفة [4]،فمثلا حين مات أحد رجال المالكية عبد العزيز بن شيبة سنة(313هـ/926م)،ولم يخلِّف هذا المتوفى وارثاً،ورثه عبيد الله،وكان له مسجد يجاور داره وفندقه،فأغلق الناظر في المواريث لعبيد الله باب المسجد،ووصله بالدار والفندق [5]،على الرغم من أن المساجد لله،فإن عبيد الله المهدي ضمَّها إلى أسلابه [6]،حتى أصبح موت أحد من ذوي السعة في الرزق نكبة لأهله ولكل من يتصل به،مما جعلهم

---

[1] –القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:315؛ابن الأثير،**الكامل في التاريخ**،ج:06،ص:296.

[2] –أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:292؛فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص: 161

[3] – ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج :01،ص:191.

[4] –محمد أحمد عبد المولى، **القوى السنيَّة في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية(296–361هـ/909م– 972م)**ج:01،ص:318؛فاطمة بلهواري، **المرجع السابق** ،ص: 161.

[5] – ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج :01،ص:190.

[6] – فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:161.

أحيانا يلجؤون إلى التستر والتمنع عن تسليم الوصية للسلطة الحاكمة حتى لا يُهتدى على مجموع تركاته.

لم تكن هذه السياسة الاقتصادية القاسية حكرا على الخلفاء فقط،وإنما كان لعمالهم دور كبير فيها،فمثلا وُلِّي قضاء مدينة القيروان محمد بن عمران النفطي،وكان من قبل على قضاء طرابلس،فجمع بها أموالا كثيرة من الرّشى والأحباس،ورفعها إلى عبيد الله المهدي فكانت له وسيلة إليه [1]،ولم يكترث هذا الخليفة عن مصدر تلك الأموال بقدر ما اهتم بعدتها وقيمتها،لأن همَّه الأعظم حينها كان تنمية موارده المالية بشتى الطرق بغض النظر عن الوسيلة،وهذه السياسة كانت قد طبعت الدعاة والولاة ،وبعض القضاة وحتى الجند،وليس فقط الخلفاء،مما جعلهم مصدر قلق عند الرعية [2]،فالقاضي المروذي على سبيل المثال وفضلا عن سياسته المذهبية وأسلوبه العنيف، لم تكن سياسته الاقتصادية (المالية)لتختلف عن ذلك،إذ كان يقابل رفض الرعية لأساليبه التعسفية بالحجز على أموالهم،حتى أنه تطاول ليَمس أموال الأوقاف والأحباس،وما جعله المسلمون من أهل المغرب الإسلامي في سبيل الله وخدمة لضعافهم.

وكان من ضمن التركات المصادرة حتى الكتب والمؤلفات، كما حدث لتركة الفقيه المالكي أبي محمد عبد الله بن القاسم بم مسرور التجيبي المعروف بابن الحجَّام(سنة 346هـ/957م)،التي كانت عبارة عن سبعة قناطير من المؤلفات،صادرها المعز لدين الله الفاطمي،ولم يسلم منها إلا الثلث الذي حبسه عند أبي محمد بن أبي يزيد [3]،والباقي نُقل إلى مكتبة القصر الخاصة بالخليفة المعز لدين الله.

يُرجع أحد الباحثين المحدثين السياسة المالية للسلطة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،كأحد أهم أسباب ثورات سكان المنطقة ضدهم [4]،ومشاركة مختلف العناصر

---

[1] – ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج :01،ص:188.

[2] – فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص : 161.

[3] – أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص:59.

[4] – موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :184.

المذهبية فيها،من أهل سنَّة وخوارج،حيث قام الفاطميون بتطبيق سياستهم المالية على ساكني المنطقة،عقب إرساء قواعد دولتهم،والقائمة على فرض الضرائب والمكوس المختلفة والمستحدثة،التي لم تكن معهودة بالنسبة لأهل المغرب الإسلامي،على غرار نظام الخمس المستحق للإمام في الفقه الإسماعيلي،والغرامة المفروضة على الحجاج،التي أقرَّها أول خلفائهم سنة(309هـ/923م)،حيث يقول ابن عذارى في هذا الشأن:"...وفيها أمر عبيد الله بأن يكون طريق الحاج على المهدية،لأداء ما وُظف عليهم من مغارم...وأن لا يتعدى هذا الطريق أحد"[1].

هذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى اهتمام الفاطميين بتنويع مصادرهم الجبائية،وما لحق بها من مصادرة الأموال والأملاك بشتى الذرائع،مما أرهق السكان خاصة في البوادي[2]،فكان اشتداد وطأته عليهم سلاحا فعالاً،عرف أبو يزيد مخلد بن كيداد-كما سيأتي ذكره في موضعه- كيف يستخدمه في مناهضته للحكم الفاطمي[3]،خاصة منه التعدي المفرط للجند واستيلائهم على كل ما كان يصادفهم،في طريق قمعهم للثورات المعادية،وقد أقر الخليفة القائم بأمر الله بذلك لجوذر قائلا:"يا جوذر لا تأكل من هذا اللحم إلا ما أطعمناك إيَّاه من مطبخنا حلالا،فإن كل ما يُباع بأسواق العسكر قد خبث،لارتكابهم النهي واحتيالهم على النهب"[4].

وخلاصة القول أن السياسة المذهبية وما لحقها من تجاوزات اقتصادية،فرضها الخلفاء الفاطميون على سكان المغرب الإسلامي بصفة عامة،جعلت نجاح الدعوة الإسماعيلية وتقوية السلطان الفاطمي هو الهدف الأول والأخير،مما سبب ضغطا مضاعفا على الرعية،وأكسب

---

[1]-ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج :01،ص،ص:186،187؛موسى هيصام، **المرجع نفسه**، ص:184.

[2]- موسى هيصام ،**المرجع نفسه**،ص : 185.

[3]-الحبيب الجنحاني، **السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب**، مجلة الأصالة،العدد: 50/49 السنة السادسة،سبتمبر-أكتوبر 1977م،مطبعة البعث،قسنطينة–الجزائر،ص،ص:56، 57.

[4]-أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**سيرة الأستاذ جوذر**،ص:43.

هذه السياسة صفة الاستبدادية،حيث اتخذوا أسلوب القهر والعنف سلاحا لمحاربة وطمس المذاهب الإسلامية المختلفة التي كان يعج بها المغرب الإسلامي،وعلى رأسها المذهب المالكي من أهل السُّنة،وحتى مذاهب الخوارج،لإحلال المذهب الشيعي الإسماعيلي محلها،ما ترتب عنه وضع داخلي متردٍ[1]،وردود فعل متباينة ضدهم،أثرت بشكل أو بآخر على المسار السياسي الداخلي للدولة الفاطمية ببلاد المغرب،وحتى على علاقاتها الخارجية وما كانت تواجهه هذه الدولة من تحديات،للإبقاء على سلطتها السياسية والمذهبية بالمنطقة،غير آبهة بانعكاس ممارسات رجالها السياسية والمذهبية على رعيتها،ما جعلها تصطدم بردود فعل سكان المنطقة على اختلاف مذاهبهم،تتصدرهم زعاماتهم الشرعية الممثلة في نخبة الفقهاء،وعليه نتساءل كيف كانت ردود فعل هؤلاء،وما كان دورهم في الحياة السياسية للدولة الفاطمية،إذا ما أخذنا من دورهم العلمي والمذهبي في حياة الرعية،سببا لاستشراف دورهم السياسي أيضا في عهد هذه الدولة؟

[1]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :53.

الفصل الرابع

دور الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

1/موقف فقهاء المغرب الإسلامي من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية به(297هـ-361هـ/910-972م):

أ_موقف بعض فقهاء الشيعة الإسماعيلية من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م).

ب_موقف بعض فقهاء الخوارج من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م).

ج_موقف بعض فقهاء أهل السُّنة من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م).

2/أشكال المقاومة السُّنية للسياسة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي (297هـ-361هـ/910-972م):

أ_المقاومة السياسية السلمية:

1/المقاومة السلمية الإيجابية

2/المقاومة السلمية السلبية

ب_المقاومة السياسية المسلحة.

3/مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية بتقلُّد بعض المناصب الهامة في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297-361هـ/910-972م):

أ_مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي من خلال تقلد بعض المناصب الحكومية:

1/الوزارة.

2/داعي الدعاة.

3/قاضي القضاة.

ب_مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية بتقلُّد بعض المناصب الإدارية في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي:

1/صاحب المظالم.

2/القضاء.

3/الحسبة.

4/الوُلاة.

5/الشُرطة.

إن المكانة التي حَظيَّ بها الفقهاء في نفوس العامة من سكان المغرب الإسلامي بما تميَّزوا به من علم ديني ودنيوي،جعلت لهم سُلطة روحية غير متناهية في التأثير على هؤلاء. كونهم مَثَّلُوا طريق الرشاد والحق للوصول إلى رضا الخالق بالنسبة للرعية،كُلٌّ حسب مذهبه ومعتقداته،ما جعل لهذه النخبة عند العامة والسلطة الزمنية لأيّما دولة إسلامية في العصر الوسيط–ومنها الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي–الحق والأولوية في المشاركة في الحياة السياسية للدولة،في حدود ما تسمح به قوانين السلطة الزمنية لهذه الدولة،وبما أن الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي ومن خلال تبنيِّها لمبدأ الشرعية الدينية والأحقيَّة الإلهية في الحكم بدعوى النسب الشريف لآل البيت النبوي –رضوان الله عليهم–ركزت كل السلطات الدينية والدنيوية في شخص الخليفة الفاطمي،لذا فإن منصب الحاكم –إن صح التعبير– ظل حكرا على هؤلاء.

لكن ما دونه من وظائف ممن وُجِدَتْ لدعمه وتسهيل تنفيذ قرارات الحكم الداخلية والخارجية للدولة،ركَزَّ الفاطميون على أن يكون للفقهاء الأفضلية في تَقَلُّدِها،خاصة ما كان مُهِمًا من خُططها،وعلى اعتبار أن المغرب الإسلامي في هذه الفترة قد جمع العديد من المذاهب الفقهية والطوائف العرقية والقبلية المتباينة،التي كان لكل منها نخبة فقهاء تتزعمها وتوجه رأي عامتها،ما أوجب على السلطة التعامل مع هاته النُخَبْ من الفقهاء كممثل شرعي لرأي العامة من كل مذهب بعدما تمازجت وتلاحمت معظم الطوائف العرقية والقبلية تحت مسمى العصبية المذهبية،فكان المذهب الواحد ما يجمع شتات أطرافها المختلفة، وفقهاء كل مذهب هم لسان حال أتباعه وأنصاره،وعليه نتساءل كيف تعاملت السلطة الحاكمة للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي مع تلك النخب من الفقهاء باعتبار أنهم مثلوا الزعامة،والموَجه الشرعي لآراء الرعية،ثم ما موقف هؤلاء–أي الفقهاء– من السياسة الفاطمية عامة والمذهبية خاصة،وما مدى تأثيرهم وتَأَثُّرِهِمْ بالحياة السياسية لهذه الدولة،وإن كانت السلطة الحاكمة قد سمحت للفقيه بتَقَلُّد بعض المناصب الهامة في الدولة،والمشاركة من خلالها في الحياة السياسية،فما هي هذه المناصب وهل تقلَّد خُططها الفقهاء من كل المذاهب أم أنها ظلت حكرا على فقهاء المذهب الشيعي باعتباره المذهب الرسمي للدولة الفاطمية؟

أسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها فيما سيأتي:

1/موقف فقهاء المغرب الإسلامي من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية به(297هـ-361هـ/910م- 972م):

إن تلك السياسة المذهبية القاسية التي طبقها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي-كما ذكرنا مسبقا-ونظرا لما ولَّدته من ضغط وضيق على العامة،كان من البديهي ظهور ردود فعل مختلفة حيالها،فنتائجها التي انعكست على سكان المنطقة من مختلف المذاهب،كانت تنبئ بمواقف أصحابها التي ما فتأت تنبثق في شكل حركات عصيان وثورة،من حين إلى آخر وإن اختلفت زعاماتها وأشكالها،إلا أنها ضمَّت-إن صح التعبير-أهم الطوائف والمذاهب الإسلامية الموجودة بالمغرب الإسلامي،من أهل سُنَّة وخوارج وحتى من شيعة إسماعيلية،ورغم اختلاف طرق ووسائل التعبير عن موقف الرفض لتلك السياسة عند كل منها،إلا أن أسبابها وأهدافها كانت على اختلافها الطفيف،وانحرافها عن مبادئها أحيانا،مشتركة الجوهر،والتي تمثلت في إزاحة السلطة الزمكانية للفاطميين من المنطقة،وكسر القيود المذهبية القاسية التي كبَّلت حريتهم في المعتقد والتمذهب،إذ كانت السلطة الفاطمية الإسماعيلية قد فرضتها عليهم،وطبقت بطشها على نخبهم التي كان الفقهاء في طليعتها،كونهم المشرع والموجِّه الديني والدنيوي لمواقف الرعية،وعليه فإننا نتساءل عن موقف هذه النخب على اختلافها المذهبي،من تلك السياسة المذهبية الفاطمية،ثم ما وسائلها في التعبير عن ذلك،على أساس أنها لسان حال رعيتها،والمسؤول الرئيس عن توجيه الرأي العام فيها؟

لم يكن أهل السنَّة وحدهم من تضرر من السياسة المذهبية الفاطمية،بل إن ضررها مسَّ كلًّا من الخوارج وحتى بعض الشيعة من أتباع الدولة ورجالها،فجاءت مواقفهم على ألسنة فقهائهم،مجسدةً في شكل حركات مقاومة تزعمها هؤلاء،كونهم أكثر فئة تعرضت لها سياسة الفاطميين ووُجهت إليها،لما لهم من مكانة ريادية هامة عند الرعية،وعليه سنحاول فيما سيأتي استعراض مواقف بعض فقهاء أهل السُّنة والخوارج وحتى الشيعة،واستبيان مدى عمق تلك المواقف المدعومة من الرعية،وتأثيرها على السلطة الفاطمية بالمغرب الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر،والبداية مع فقهاء المذهب الشيعي الإسماعيلي كونه المذهب الرسمي للدولة،ويعبِّر عن موقف فقهاء ودُعاة خرجوا من تحت عباءة الرعاية الرسمية لسلطتها.

أ_ موقف بعض فقهاء الشيعة الإسماعيلية من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقضي على إمارة بني الأغلب،ويُعلن عن قيام الخلافة الفاطمية،إذ رفع شعاراتها،وطبّق مذهبها ووضع الأُسُس الأولى لإدارتها في مختلف المجالات،فضرب العملة ونظم القضاء،ودوّن الدواوين،وعيَّن الولاة،ورسم الخطوط العريضة لسياستها الداخلية في مختلف المجالات،من إدارية وسياسية وقضائية وغيرها،وحين أقرَّ الأمن والنظام ووطَّد أمور الخلافة،توجه نحو سجلماسة ليطلق سراح مولاه عبيد الله المهدي،وقضى في طريقه على الدولة الرستمية ثم الدولة المدرارية بسجلماسة حتى لا تشكل أي عائق في طريق إقامة الدولة الجديدة،ولما تمَّ له ذلك سلَّم لعبيد الله الملك،ويبدو أن عبيد الله المهدي لم يُقِمْ لجهود أبي عبد الله الشيعي وزناً،رغم أنه هو من أوجد له عرشاً من العدم،على كثرة الأعداء وتنوعهم،وتَجَاهَلَ عبيد الله كل تلك الاعتبارات وعصف به في أول فرصة لذلك،لمجرد أنه شعر بخطورة مركزه وقوته على سلطانه[1].

وقد تضاربت آراء المؤرخين بشأن الأسباب الحقيقية لإقدام عبيد الله المهدي على قتل أبي عبد الله الشيعي،يحث يرى بعضهم أن أسباب ذلك تكمن في محاولة أبي عبد الله الشيعي الثورة على عبيد الله المهدي ،وإعلان موقفه الرافض للسياسة المذهبية لعبيد الله،لما رآه انحرف عن المبادئ العامة والأساسية للمذهب الشيعي الإسماعيلي،ولعلَّ من أخذ بهذا الرأي هم فئة المؤرخين الذين يُنكرون نسب عبيد الله المهدي إلى آل البيت،ما حملهم على رَدِّ مقتل أبو عبد الله الشيعي إلى أسباب دينية وأخلاقية محضة،ذلك أن أبو عبد الله الشيعي كان يهدف بجهوده إلى القضاء على الفساد[2]،الذي أخذ عبيد الله المهدي في ممارسته علناً

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:189.

[2]- يذكر ابن عذارى أن أبو عبد الله الشيعي كان يحارب الفساد في المنطقة عكس عبيد الله الذي كان يروّج له،ذلك أن أبو عبد الله لمَّاَ وَلَى على القيروان ابن أبي خنزير،"أمره بقتل من خرج ليلا أو شرب مسكرا،أو حمله أو وجد عنده"،ما يثبت نهيه عن المنكر وأمره بالمعروف،ولعلها النقطة التي تعارض فيها مع خليفته عبيد الله المهدي.ينظر:ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:151.

بالقيروان،حيث أباح المحرمات،كشرب المسكر،ورخص الغناء،ما أنكره عليه أبو عبد الله الشيعي،مُذَكِراً إيَّاه بالأهداف السامية التي يسعون إليها قائلا:"ما على هذا خرجنا"[1].

بعد ما برز لأبي عبد الله عيوب وسوءات خليفته،وفي سنة(297هـ/910م)خرج أبو عبد الله الشيعي يبتغي أرض المغرب بأمر من عبيد الله،لما ظهر فيها من الإلتياث وفساد في الطرق،وقيام القبائل على عمالهم بها[2]،فأوقع بمن فيها وصلحت أحوال تلك البلاد،وحين همَّ راجعا نزل بمدينة تنس بموضع يعرف بالثور[3]،وجمع إليه وجوهاً من قبيلة كتامة وشككهم في أمر عبيد الله،وطعن لهم في إمامته ومهدويته[4]،وذلك انطلاقا من سوء أعماله التي لا تشبه أفعال المهدي المنتظر في شيء[5]،وأخذ يدبِّر معهم أمر خلعه،وذلك بناءً على أسباب دينية مذهبية محضة،شَكَّلَهَا قُبْحُ أفعال عبيد الله وسوء سيرته في رعيته،ما يتعارض والسِّمات التي يختص بها المهدي المذكور بظهوره في كتب الشيعة،والذي توسَّمه أبو عبد الله في شخص عبيد الله،وكَرَدِّ فِعل لتلك التجاوزات التي أحدثها،وللفصل في هويته اتفقوا على امتحانه عند وصولهم إلى القيروان،وبهذا فإن أبو عبد الله الشيعي كان يُهيئ الظروف المناسبة للانقلاب والإيقاع بحكم عبيد الله المهدي،مُؤَلِّبًا وجوه كتامة عليه،إلا أن عيون عبيد الله كانت أسرع

---

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:190.

[2]- ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:160.

[3]- لم نجد لهذا الموضع تعريفا فيما تيسر لنا الإطلاع عليه من كتب الجغرافيا.

[4]- تقول الباحثة فاطمة بلهواري في ذلك،أن أبو عبد الله الشيعي لم يكن يعرف عبيد الله لأنه لم يره قبلا،بينما أخوه أبو العباس يعرفه جيدا لأنه كان شريكه في الرحلة من المشرق،وأن عبيد الله إمام مستودع لا مستقر،وأن أبا عبد الله لما علم خطأه أراد أن يصححه بالثورة عليه،لكن في هذا الرأي ما يستنقص صحته ويبعدنا عن التسليم به،وهو كيف لأبي عبد الله أن يُسلِّم السلطة للرجل الخطأ ويَسكت عن ذلك مدة جاوزت السبعة أشهر،ليس من المنطقي ذلك.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع نفسه**،ص:197.

[5]-أي بدأ يشكك في أمر وليِّه،وحمَّل نفسه مسؤولية ذلك قائلا لهم:"إن أفعاله قبيحة،ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه،وأخشى أن أكون قد غَلِطْتُ فيه...ويجب عليَّ وعليكم امتحانه، وكشفه عن العلامات الموجودة في الإمام،المعروفة عند النقباء".ينظر:ابن عذارى، **المصدر نفسه** ،ج:01،ص:161.

في نقل هذه النيَّة المبيتة له،ما يُظهر قوة جهاز الكشف [1] -الجوسسة- الذي كان عبيد الله قد كوَّنه،منذ تأسيسه لدولته،نظرا لتخوفه من الثورة ضده والإيقاع بسلطته من طرف سكان المغرب الإسلامي في أيَّة لحظة،وهو في ذلك يضع كل التفاصيل العرقية والمذهبية والسياسية وحتى الاجتماعية والاقتصادية بعين الاعتبار.

كان ذلك الرأي الأول لمن ذهب من المؤرخين في تفسير محاولة أبي عبد الله الشيعي الانقلاب على عبيد الله إلى أسباب دينية مذهبية محضة،في حين ذهب غيرهم في رأي ثانٍ،إلى تفسير ذلك بكونه نابع عن أسباب شخصية [2]،ولطموح سياسي في السلطة اختلج نفس أبو عبد الله الشيعي،ذلك أن عبيد الله المهدي حين استقر به قرار الملك،استحوذ بين يديه على السلطتين الروحية والزمنية،فهو الحاكم والسلطان،والقائد الأعلى للجيش،وبيده النفوذ الفعلي في تصريف كل أمور دولته [3]،لذا فهو الذي يُوَلِي ويَعزل لا يُعزل،وبقيام عبيد الله المهدي بالحد من نفوذ أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس،وكفِّه أيديهما عن الأمر والنهي [4]،أراد أبو عبد الله الشيعي من مقامه كداعي دعاة،وزعيم للدعوة الشيعية بالمغرب الإسلامي،والواضع لقواعدها قبل ظهور عبيد الله المهدي،أن يسترد نفوذه الذي سُلب منه بظهور زعامة جديدة،كان هو من أوجدها،والمتمثلة في شخص عبيد الله المهدي،واستشهد

---

[1] - كان عروبة بن يوسف(أو غزوية بن يوسف كما يسميه القاضي النعمان) هو عين عبيد الله المهدي في صفوف المعارضة التي تزعمها أبو عبد الله الشيعي،وفي سنة(298هـ/911م) ولَّى عبيد الله المهدي أبو جعفر البغدادي ديوان الكشف،مشتركا مع عمران بن أبي خالد بن أبي سلام.ينظر:ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:162؛القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:312.

[2] - ممن أيَّد هذا الرأي ابن الأثير وأحمد مختار العبادي،في حين أيَّد ابن عذارى الرأي الأول القائل بأن الدافع لحركة أبي عبد الله الشيعي هو ديني مذهبي محض.ينظر:ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ،ج:06 ص،ص:461؛أحمد مختار العبادي،**في التاريخ العباسي والفاطمي**،ص:230.

[3] - فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص،ص :193، 194.

[4] -ابن الأثير،**المصدر نفسه**،ج :06،ص،ص:461، 462.

أصحاب هذا الرأي بقول أبي العباس المخطوم لأخيه معاتبا:"مَلَكْتَ أَمْراً فجِئْتَ بمن أزالك عنه"[1].

وكرأي توفيقي بين الرأيين يمكننا القول أن مقتل أبو عبد الله الشيعي أوجدته حتمية الظروف،التي تضاربت فيها سياسة عبيد الله المهدي الاستبدادية على جميع الأصعدة- خاصة المذهبية منها- مع مطامح الداعي السياسية في السلطة والحكم[2]،مما عجّل في ظهور الخلاف بين الطرفين،كون بقاء زعامتين لكل منهما سطوة"خاصة"هي أزمة في حد ذاتها[3]،ومهما كانت أسباب الداعي وأخيه في حركتهما المغتالة في مهدها،فإن ما برز منها إلى الواجهة وبَرَّرَ مقتلهما عند العامة،هو تبييتهما لنيَّة الانقلاب على عبيد الله المهدي،الذي كان يَتَسِمُ بالسياسة المذهبية القاسية،والتي طبَّقها على سكان المغرب الإسلامي،إضافة إلى ما جاء به من مُدْخَلات في الشريعة الإسلامية،وحتى في العقائد الشيعية الإسماعيلية،ولم تكن تَمُتُّ للإسلام بصِلَة،خاصة بعد أن أباح المحرمات،وأطلق يد دعاته وجند في الأرض فعاثوا فيها فساداً باسم الخلافة الفاطمية.

اجتمعت كتامة إلا قليل منها إلى أبي عبد الله الشيعي[4]،وزادت عِدَّتهم متخذين من دار أبي زاكي تمام بن المعارك[5] مقاما يترددون عليه لاجتماعهم،وعقدوا العزم على الفتك بعبيد

---

[1]- ابن الأثير،**المصدر نفسه**،ج:06،ص:461.

[2]-رغم أننا نميل إلى ترجيح عامل السياسة المذهبية الجائرة لعبيد الله كسبب في محاولة انقلاب الداعي عليه،وذلك لما تثبته القرائن التاريخية،إذا ما جعلنا سياسته المذهبية على أهل السنة والخوارج،وسوء سيرته فيهم صورة منصور انحرافه عمَّا دعا إليه أبو عبد الله الشيعي،دون أن نغفل عن احتمال تداخل واختلاط موقف هذا الداعي الشيعي بأطماعه في السلطة،وما حزَّ في نفسه من ذلك بعد إبعاده عن كل السلطات المهمة،التي كانت مقاليدها بيده،لتتحول إلى يد عبيد الله المهدي،وهو الخليفة الذي صنع مُلْكَهُ ثمَّ مَلَّكَهُ إيَّاه،فكيف لا يستغيض من ذلك..؟

[3]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :195.

[4]- القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص :312.

[5]-ينتمي أبو زاكي تمام بن المعارك إلى قبيلة أجانة وهي فرع من كتامة،عرفت بوزنها الاجتماعي والاقتصادي،بين قبائل البربر،وقد تم لقاء أبي زاكي بأبي عبد الله الشيعي حين عرَّج هذا الأخير إلى ديار

الله المهدي[1]،إلا أن هذا الأخير وبفضل دهائه وجهاز الكشف في إدارته،استطاع أن يُفرِّق أنصار المعارضة التي تزعمها داعيته ويضعفها،إذ كشف لأبي عبد الله الشيعي عندما حضر مجلسه ما بيَّته من أمر،وأرسل أبو زاكي على رأس جيش إلى طرابلس لنجدة واليه عليها،بعد أن قامت بها ثورة ضده،يقودها جمع من قبائل الإباضية،وأرسل إلى واليه ماقون بن ضبارة بقتله بعد أن نجح في تفريق شمل المتمردين [2]،وبذلك أبعد أبو زاكي وقتله وتخلص من أهم داعم لحركة أبي عبد الله التي أُجهضت قبل ميلادها،ذلك أنه وبعد قتله لأبي زاكي وتفريق من اجتمع لهم من كتامة بترهيبهم [3]،حضَّر مأدبة غداء في قصره،كانت كمينا قُتل فيه أبو عبد الله الشيعي وأخيه[4]،وظهرت بعد مقتلهما عدة حركات ثورية تردى بها الوضع الأمني في المنطقة،ما حمل عبيد الله المهدي على الاحتجاب عن رعيته مدة من الزمن،إلى أن أمر دعاته بالكفِّ عن طلب التشيع خوفا من زيادة الغضب والنقمة على نظامه السياسي.

وخلاصة القول أن أبا عبد الله الشيعي وبحركته تلك التي لم يُكتب لها النجاح،قد عبَّر عن موقفه كفقيه وداعي،وموقف جمع غفير من الشيعة الإسماعيلية،من السياسة المذهبية المنحرفة التي اتخذها عبيد الله المهدي في أهل المغرب الإسلامي،ومهما كانت أسباب وذرائع أبو عبد الله الشيعي في محاولته القيام بحركة انقلابية–إن صح التعبير– ضد عبيد الله المهدي

=كتامة أول أمره،ولما اشتد صيت أبي عبد الله في المغرب قرَّب إليه أبو زاكي،لما كان يتصف به من مكارم الأخلاق وشجاعة في تحمل المسؤولية.ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:202.

[1]–ابن الأثير، **المصدر السابق** ،ج:06،ص:462؛عبد الرحمان بن خلدون، **العبر**،ج:04،ص،ص: 47،48؛ القاضي النعمان،**المصدر السابق**،ص :312.

[2]–ابن عذارى،**المصدر السابق**، ج :01،ص،ص: 163، 164.ابن الاثير،**المصدر نفسه**،ص،ص: 462، 463.

[3]– عمد إلى تفريقهم على الأعمال وعهد إلى من يقتل أكثرهم وتوارى عن الأنظار من هرب منهم مخافة بطشه،بعد أن كان أمنهم بدخولهم عليه.ينظر:القاضي النعمان، **المصدر نفسه**،ص،ص:315، 316.

[4]– للاطلاع أكثر على حادثة قتل عبيد الله المهدي لأبي عبد الله وأخيه ينظر:ابن عذارى، **المصدر نفسه**،ج:01،ص:164؛القاضي النعمان، **المصدر نفسه** ،ص:316؛عبد الرحمان بن خلدون، **المصدر نسفه**،ج:04،ص:48.

ونظامه السياسي والمذهبي،الذي طال جوره حتى رعيته وخاصته من الشيعة،فإن هذا الأخير تميَّز بالدهاء والحنكة السياسية،اللذين مكناه من معالجة كل محاولة للثورة ضدَّه،سواء في مهدها أو بعد بروزها للملأ،لكن لا يمكننا مع ذلك التغافل عن ما قام به عند تخلصه من طلائع خاصته الأولى-أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس- إذ عَصف بفعله بكل جهود تثبيت هذه الدولة ومذهبها ببلاد المغرب الإسلامي.

واعتُبِرَ بإقدامه على هذا العمل أول من سعى في خراب الدعوة الإسماعيلية به،وجالب السخط عليها،وهي لا تزال في عنفوان انتشارها،ما ألَّبَ عليه أتباع أبو عبد الله الشيعي من كتامة وغيرها،فشقُّوا عصا الطاعة وقامت لهم ثورات في كل من القيروان[1] وطرابلس[2]،وفي الأخير نخلص إلى أن مقتل أبو عبد الله الشيعي كان دافعا لعناصر مختلفة،طالتها غائلة سياسة عبيد الله المهدي على كل الأصعدة،وعلى رأسها سياسته المذهبية والاقتصادية،فثارت على اختلاف مذاهبها،وسائلها،أهدافها وحتى طُرقها في الثورة ضدّ حُكم واحد لا يتغير رغم تغير خلفائه.

ب_موقف بعض فقهاء الخوارج من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

عمل الفاطميون كما سلف لنا الذكر منذ بداية تواجدهم بالمغرب الإسلامي،في مرحلة الدعوة ثم بناء الدولة الجديدة،على فرض سلطتهم السياسية والمذهبية ببلاد المغرب الإسلامي عنوةً،فأزاحوا الدولة الأغلبية في أدناه،ودولتي الإباضية والصفرية في أوسطه وأقصاه،لكن طلائع هذه المذاهب وإن سَلَّمَتْ مُجبرةً للواقع المفروض،ورَضت بالسلطة الزمنية الجديدة،إلا أنَّها بعد ما لمست جور سياسة هذه الدولة على جميع الأصعدة خاصة الجانب المذهبي منها،ثارت وأعلنت عدم الولاء والرفض المطلق للسلطة الروحية-إن صح التعبير- التي حاول أعيان وخلفاء هذه الدولة الجديدة فرضها عليهم،فظهرت من طلائع الخوارج الصفرية الشاكر لله بسجلماسة[3]،في حركة عبَّر فيها عن رفض الصفرية من بني مدرار الولاء

[1] - للإطلاع أكثر على ثورة القيروان ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص-ص:210- 216.

[2] -ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج :01،ص:167.

[3] - سبق لنا الحديث عن حركة الشاكر لله في ما سبق من هذا البحث،يرجى مراجعته.

السياسي والمذهبي للفاطميين،خاصة وأنهم أَلِفوا الاستقلالية في الحكم والتمذهب في إقليمهم بالمغرب الأقصى.

وبعد أحداث سياسية مختلفة شهدها صفرية سجلماسة،أثناء حكم الأسرة المدرارية وحتى بعد قيام الدولة الفاطمية وانهيار دولة بني مدرار،التي من رحمها خرجت حركة ثورية صفرية،عبَّر زعيمها عن رفض أتباعه من الصفرية،للأوضاع السياسية والمذهبية وحتى الاقتصادية والاجتماعية،في ظل التبعية للدولة الفاطمية،وإن تنوعت وتعددت أسباب وأهداف هذه الحركة الثورية،إلا أن زعيمها عرف كيف يستغل الظروف السياسية الداخلية[1] والخارجية[2] لسجلماسة،ليعلن عن ثورته سنة(332هـ/943م)،ويواكب ركب الحركات الثورية التي عجَّ بها المغرب الإسلامي في تلك الفترة.

في بداية ظهور محمد بن الفتح(أي الشاكر لله)، لم يكن يمثل أي خطر على النفوذ الفاطمي بالمنطقة،لأن الفاطميين اعتبروا ما قام به في سجلماسة مجرد تعديل في الأوضاع الداخلية للإمارة[3]،ولا يكاد يتعدى ذلك،لذا ظل ينعم باستقلالية لم تعرفها فرقة صفرية من قبل،لكن بعد اعتلاء المعز لدين الله الفاطمي للسلطة،جعل من أولوياته تثبيت سلطته على سجلماسة،لأنه ومع بداية سنة(342هـ/953م) أخذت إصلاحات محمد بن الفتح تأخذ بُعدا عميقا وخطيراً في سياسة المنطقة،ذلك أنه أمَّن الناس بسجلماسة فالتفت رعيته حوله بغية جعل المنطقة مركزا للإمامة الصفرية،رافضاً المذهب الشيعي ومُلْغٍ إياه من حكم مدينته،كما تلقَّب"بالشاكر لله"،جرياً على عادة الخلفاء العباسيين والأمويين وحتى الفاطميين،وضرب السكة التي عُرفت بالشاكرية نسبة إليه،وأصبح يُعرف بأمير المؤمنين[4]،وأقرَّ

---

[1]–حالة الضعف السياسي لحاكم سجلماسة وهو سليل الأسرة المدرارية،صبيٌّ في الثالثة عشر من عمره تحت رعاية جدته يدعى المنتصر سمكو،حملت ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون إلى الثورة عليه والاستئثار بالسلطة متلقبا بالشاكر لله،وملغيا التبعية السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الأدنى.للمزيد حول الموضوع ينظر:لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**،ج:03،ص:147؛أبو عبيدة البكري، **المصدر السابق**،ص:151.

[2]–انشغال القائم بأمر الله الفاطمي بثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

[3]– موسى لقبال،**دور كتامة**،ص:366.

[4]–لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر نفسه**،ج :03،ص:148.

المذهب الصفري الخارجي مذهبا رسميا للدولة،ملغياً التبعية للدولة الفاطمية بكل شكل من الأشكال،كل هذه العلامات كانت تنبئ بالاستقلالية السياسية لمحمد بن الفتح عن الدولة الفاطمية،وذهب بعض المؤرخين إلى حد القول بأنه أعلن الولاء لبني العباس[1].

غير أننا نرجح عدم صحة ذلك لأن حالة الضعف التي كانت تمر بها الخلافة العباسية وهي تتداعى، لم تكن لتطمئن هذا الأمير الجديد بأمان كقوة سياسية ضاربة،كما أن الاختلاف المذهبي بين المذهب السُّني للخلافة العباسية والمذهب الصفري الخارجي بسجلماسة كفيل برفض فكرة الولاء هذه،إضافة إلى البعد الجغرافي بين الطرفين ما يجعل من الإمارة الأموية بالأندلس أولى بهذا الولاء من الخلافة العباسية،كلُّها عوامل سياسية جعلتنا نستبعد ذلك،أما من الناحية المذهبية فقد ذهب البعض إلى أن إعلان الشاكر لله ولائه لبني العباس،كان تمويها منه لاستقطاب مساندة أهل السُّنة لحركته[2] –سيراً على خطى أبي يزيد مخلد بن كيداد–لكن لو صح ذلك حقا لكان هو تمذهب بالمذهب السُّني[3]،لا أن يعلن عن إمارة صفرية خارجية،ويعلن الولاء لخلافة سُنِّية المذهب،ليس من المنطقي ذلك خاصة أن ظروف انضمام أهل السنة لثورة أبي يزيد –التي سنتناولها في موضعها– تختلف عن ظروف قيام حركته،بكل المقاييس خاصة سياسيا ومذهبيا وحتى جغرافيا واقتصاديا،فسجلماسة التي غالبية ساكنتها على المذهب الصفري منذ قيام الدولة المدرارية بها،عكس المغرب الأدنى الذي كان سنِّياً بامتياز منذ عهد الدولة الأغلبية.

قاوم المعز لدين الله الفاطمي هذه الحركة،ليس لما اتسمت به من علامات الاستقلالية فحسب،وإنما أيضا لإعلان صاحبها لإمامة صفرية في وجود سلطة شيعية إسماعيلية فاطمية

[1]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،ج:01 ص،ص:198، 199.

[2]– القلقشندي،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،ج:03،ص:167.

[3]– رغم أن أبو عبيدة البكري يذكر أنه كان على مذهب أهل السنة المالكية،لكننا نستبعد ذلك،إذ كيف لسنيٍّ مالكي أن يعلن عن إمارة صفرية،وكيف للصفريين أن يقدموه عليهم أصلا وهو ليس على مذهبهم،إضافة إلى أن تقديس الإمامة للحكم من سمات الخوارج وليست من سمات أهل السنَّة خاصة المالكية منهم حسب اعتقادنا.

بالمنطقة،من عقائدها أن لا إمامة إلا لآل البيت من الشيعة الإسماعيلية [1]،وهو دافع مذهبي محض يبيِّن مدى تصلُّب الموقف الفاطمي عندما يتعلق الأمر بالمساس بعقائد المذهب الشيعي الإسماعيلي،وكذلك يُبرز مدى قوة المعارضة المذهبية التي لقيَّها هذا المذهب من طرف المذاهب الخارجية والسُّنية التي كانت منتشرة في ربوع المغرب الإسلامي،وأن سياسة الفاطميين المذهبية قد أفسدت عليهم إمكانية السلطة السياسية الزمنية المطلقة على البلاد.

لم تكن حركة محمد بن الفتح الشاكر لله الفقيه الصفري- لما تميز به من علم بمذهبه ذكرته المصادر التاريخية-إلا عيِّنة عن حالة رفض صفرية خارجية لسلطة سياسية ومذهبية شيعية إسماعيلية،ولسياسة قصريَّة طالت مذهب الخوارج الصفرية فلاقت إحدى أشكال المعارضة ثم المقاومة،التي برزت في شخص الشاكر لله كفقيه وزعيم صفري،لفرقة من أنصار مذهبه دعمته،لكن رغم ثباتها انتهى بها الأمر متلاشية على يد القائد الشيعي جوهر الصقلي،الذي ضرب حصاره على مدينة سجلماسة مدة ثلاثة أشهر [2]،فرَّ خلالها الشاكر لله بأهله وماله إلى تاسجدالت [3]،لكن وُشِي به من قوم مطغرة فوقع أسيرا في يد جوهر الصقلي [4]،الذي دخل المدينة وأمَّن أهلها وأصدر عفوا عاماً عنهم لعدم مقاومتهم إياه،واقتاد الشاكر لله أسيراً إلى القيروان في (سبتمبر سنة 349هـ/960م) [5]،وهكذا انتهت هذه الحركة الصفرية ذات الأبعاد المذهبية الظاهرة والسياسية المضمرة،وتحوَّلَ أهل سجلماسة إلى الولاء الفاطمي المتذبذب،بقيادات أو بحُكَّام يتم تنصيبها وإقرارها من عدمه من طرف الخلافة الفاطمية.

[1] - فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :253 بتصرف.

[2] - لسان الدين ابن الخطيب،**المصدر السابق**،ج:03،ص:148.

[3] -**تاسجدالت** :حصن منيع على بعد اثني عشر ميلا من سجلماسة.ينظر:أبو عبيدة البكري، **المصدر السابق**،ص:151.

[4] -فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:254.

[5] -ويذكر أبو عبيدة البكري أن ذلك كان سنة (347هـ) وليس سنة(349هـ).ينظر:أبو عبيدة البكري،**المصدر نفسه**،ص:151.

كان ذلك موقف فقهاء الخوارج الصفرية،الذي عبَّرت عنه حركة الشاكر لله كعيِّنة عن موقف أتباع المذهب الصفري من السياسة المذهبية الفاطمية،أما عن موقف الإباضية فقد تجسَّد خاصة في حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد،السابقة زمنياً لحركة الشاكر لله،لكننا أرجأنا الحديث عنها إلى هذا الموضع في تسلسل تراتبي للأحداث خدمة لعناصر البحث.

ارتبطت تسمية أهم وأكبر ثورة للإباضية بالمغرب الإسلامي بزعيمها أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفريني،أحد زعماء الإباضية النكارية،الذي تحرك ابتداءً من سنة(316هـ/928م) يدعو إلى تكفير الشيعة واستباحة دمائهم وأموالهم،داعيا إلى الخروج على الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي،متحملا مسؤولية الاحتساب على الناس بقسطيلية،مما دفع بواليها الفاطمي إلى إهدار دمه بأمر من أبي القاسم القائم بأمر الله[1]،وَلي عهد الخلافة الفاطمية،وبعد فراره ثم إدراكه وسجنه،ثم فراره بمساعدة أتباعه انتقلت حركته من نطاق السر إلى العلن،حيث بدأت ثورته رسميا سنة(332هـ/943م)[2]،وامتدت على مساحة جغرافية كبيرة،حيث امتدت تقريبا من برقة إلى المحيط الأطلسي غربا[3].

خاض الكثير من المؤرخين على اختلاف انتماءاتهم السياسية والمذهبية في الحديث عن ثورة أبي يزيد،لذا وجب الحذر وتمحيص ما نستقيه حول هذا الموضوع من أخبار،وهذا ما سنحاول توخيه،فدَور أبي يزيد كفقيه إباضي وممثل لموقف أتباع مذهبه،وحتى من أتباع بعض المذاهب السُّنية التي آزرته مهم، خاصة وأنه يعبِّر عن مواقفهم تجاه السياسة الفاطمية التي طبقتها على عامة الرعية وعلى فقهائهم خاصة.

مَثَّلت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري[4]،إحدى حلقات سلسلة ثورات الخوارج ضد الوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي،وكانت ظروف قيامها إحدى أهم أسباب قوتها

---

[1]- ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:193.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص- ص :181- 182.

[3]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :344.

[4]- نشأ أبو يزيد مخلد بن كيداد نشأة إباضية نكارية بمدينة توزر،اشتغل كمعلم للصبية،وكان قد عايش أحداث الولوج الشيعي الإسماعيلي لبلاد المغرب الإسلامي،بجيش قاده أبو عبد الله الشيعي،وكان دخوله إلى تيهرت سنة(296هـ/909م) وعاث فيها فسادا،وأبي يزيد حينها صبي،عايش ما تعرَّض له الإباضية

وشموليتها تقريبا،إذ دخلت تحت لوائه فلول الإباضية الوهابية،الذين كانوا منتشرين في صحراء المغرب الأوسط(منطقة مزاب خاصة)،ومنطقة طرابلس وجزء من جنوب المغرب الأدنى فجمع شملهم ودعم بهم جيشه،وانضم إليه نخبة من فقهاء المذهب المالكي بالقيروان،بحجة أنه من أهل القبلة وتجوز مساندته في سبيل إسقاط الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،ومواجهة السياسة المذهبية التي فرضها حُكامهم على كل مخالف لمذهبهم لم يدخل تحت عباءة مُوالاتهم.

لاشك أن تضافر جهود كل هذه العناصر في حركة أبي يزيد،كانت بمثابة ائتلاف وتحالف ضد عدو مشترك [1]،بهدف القضاء عليه-رغم تَشَعُّبْ غاية كل فئة من هذه الثورة إلا أنها تشترك في الهدف الرئيس وهو القضاء على الحكم الفاطمي لبلاد المغرب- وعَرف أبو يزيد كيف يضرب على الوتر الحساس لينال رضا هذه الفرق،وتُلبي دعوته للخروج على الفاطميين،وتحريض الرعية على جهادهم،لما في ذلك من ثواب عند الله،فروى بعضهم أحاديث تحثُّ على القتال،وأجمعوا على الانضمام لثورته،فأهل السُّنة ممن انضموا إليه رأوا أنّ الشيعة كَفرة مجوس زال عنهم اسم المسلمين لا تجوز موالاتهم،بينما الخوارج من أهل القبلة ولا يزول عنهم الإسلام ويرثُونَ ويُوَرَّثون [2]،مستدلين بقوله تعالى: **"لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَىَ القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيمًا"** [3].

=من تنكيل وتعذيب وتقتيل،ولا شك أن ما خلَّفته هذه الأحداث من وقع سيء في نفسه،هو ما دفعه للسير بحركته للانتقام لما طال أسلافه على يد الفلول الأولى للشيعة الإسماعيلية.ينظر:ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:166.

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :347.

[2]-وهو رأي أهل السنَّة من فقهاء المالكية خاصة الذين أفتوا بجواز الإنضمام إلى جيش أبي يزيد وضرورة قتال الشيعة الإسماعيلية.ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص:30.

[3]- **سورة النساء،الآية:95**.

اتهم هؤلاء الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بالكفر ولعنوه على المنابر،والجدير بالذكر والتنويه أن أبا يزيد كان يُكِنُّ العداء لأصحاب الفرق المذهبية التي انضمت إليه،من غير الإباضية النكارية،غير أن اتفاق الهدف في إزالة بطش السياسة الفاطمية،كان السبب الرئيس في دفعه لأن يُخفي مراميه الحقيقية،حتى أنه لم يُعلن في بادئ الأمر عن نحلته النكارية،فأذاع أنه "خرج غضباً لله يدعو إلى الحق" بزعمه،ولم يعلم الناس مذهبه ونحلته فرجوا فيه الخير والقيام بالسُّنة[1].

لكن يبدو أنَّ كُلاًّ من فرقة الإباضية الوهابية وأهل السُّنة لم تَخْفَ عليهم حقيقة معتقد أبي يزيد،إنما آزروه نكاية في الفاطميين وسياستهم المذهبية،إضافة إلى ذلك شدة الحصار والخناق الاقتصادي الذي سببته سياستهم الجبائية المجحفة،التي اعتمدوها لتوفير أموال تُهيئ لانتقالهم وإقامة دولة جديدة لهم بالمشرق الإسلامي،لعلّها من بعض العوامل التي دفعت بالإباضية الوهابية والسُّنة المالكية خاصة،لاحتضان حركة أبي يزيد كما سلف لنا الذكر،وتُبيِّن من جهة أخرى الظروف العامة لبلاد المغرب الإسلامي،المذهبية والسياسية والاقتصادية خاصة،والتي كانت لصالح أبي يزيد وتدعم ثورته،خاصة بعد أخذه في الاحتساب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم،وذلك على أيام عبيد الله المهدي(سنة 316هـ)[2]،وأنكر على الفاطميين سياستهم المذهبية والجبائية[3].

اختلف المؤرخون حول سنة قيام ثورة أبي يزيد بالتدقيق[4]،وفحوى القول أن ثورته لم تظهر بمظهرها القوي والعنيف في سنة(332هـ/945م)،إلا بعد ما مَرَّت بفترة الإعداد والتحضير التي استغرقت عدة سنوات،وقد عُرِفَ الخوارج بالتفاني والدقة في التنظيم العسكري والاستماتة في سبيل المذهب،وحينما انفجر بركان ثورته تطايرت شضاياها على مناطق

---

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :348.

[2]-ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07،ص:189.

[3]- فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:349.

[4]-حيث يذكر ابن عذارى أن بداية أمر أبي يزيد كانت سنة(316هـ)أما ابن خلدون فيذكر أن ذلك كان سنة(310هـ).ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01،ص: 193؛عبد الرحمان بن خلدون، **المصدر السابق**،ج:07،ص:19.

واسعة من الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،وكادت أن تُقوِّضَ وجودها به نهائيا،وهذا راجع لاعتماد أبي يزيد على أسلوب الكر والفر كي يُفرِّقَ عنه قوات الفاطميين [1]،فضلا عن ضربه الحصار على عدة مدن في وقت واحد،والمتتبع لتطورات حركته يلاحظ أنه أحرز في السنوات الأولى لثورته انتصارات هامة،إذ لمع نجمه بعد أن الْتَفَّ حوله لفيف من بني نحلته من بطون زناته [2]،وانضمت إليه الإباضية الوهابية ضاربة بالخلافات عرض الحائط،من أجل غاية واحدة هي التخلص من الحكم الفاطمي،وفي ذلك صورة جلية لموقف الإباضية من الوجود الفاطمي،جسَّدته أفعال فقهائهم وزعاماتهم،فحقق في البداية عدة انتصارات واستولى على عدة مدن،منها الأربس التي تُعَدُّ البوابة الإستراتيجية لإفريقية،ثم تونس التي عاث فيها فساداً سنة(334هـ) [3]،ثم القيروان [4]،وبذلك سقطت أهم معاقل الفاطميين في المنطقة،فبلغ بذلك قمة نصره [5]،ما أثَّر في نفوس الفاطميين وجعلهم أكثر حزما وشدة في مواجهته.

طيَّر أبو يزيد أخبار انتصاراته إلى أمويي الأندلس،ما يَدُلُّ على العلاقات الودِّية التي ظلت تربط إباضية تيهرت بأمراء قرطبة [6] منذ عهد الدولة الرستمية،وزيادة على ذلك فإن أبا يزيد قد أعطى لثورته صبغة سياسية وعسكرية أكثر شمولية،بربطه لعلاقات مع أمير قرطبة،وتظاهره بالطاعة والولاء له،وذلك بإرسال الوفود وإطلاعه على مختلف أعماله ونشاطاته،كي يجعل لها سمة"الشرعية"من جهة،ويَكسب عون ومساندة قوة عظمى كأمويي الأندلس لثورته [7].

---

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :351.

[2]- انضمت إليه قبائل جبال أوراس،وبني برزال،وبني زنداك من مغراوة،وبني كملان.ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:07،ص:13؛أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**،ص:54، 55؛أبو عبد الله بن أبي دينار،**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**،ص:58.

[3]- أبو عبد الله بن أبي دينار،**المصدر نفسه**،ص:58.

[4]- فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:357.

[5]- محمود إسماعيل،**الخوارج في بلاد المغرب**،ص:245.

[6]- عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر نفسه**،ج :07،ص:20.

[7]- فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص :359.

ومما لا شك فيه أن المصلحة السياسية هي ما أملى على الطرفين هذا التعاون،بالنسبة لأبي يزيد فإنه سعى لربط هذه العلاقات لإكساب سمة الشرعية لثورته كما أسلفنا الذكر،ذلك أن مركز الفاطميين الديني عند العامة كان أقوى من مركزه،لإدعائهم النسب الشريف لآل البيت النبوي،لذا فإنه عمل على مُوالاة الناصر الأموي الذي يضاهيهم مكانة وتشريفا،إضافة إلى القوة العسكرية الهامة لإمارته بالأندلس،وكذا مذهبه السُّني الذي استخدمه كشعار لجذب فقهاء ورعية المغرب الإسلامي من أهل السُّنة لثورته [1]،ولعل ذلك بالفعل ما حدث وكان من جملة أسباب انضمام بعض أهل السُّنة إليه،أما بالنسبة للأمير الناصر الأموي فقد رأى في أبي يزيد خير حليف ضد الفاطميين،ليستمر امتداد نفوذه في المنطقة،بعدما كانت قبائل زناتة تضطلع بذلك [2].

وبحمل القول في ذلك أن تلك العلاقة التي قامت بين أبي يزيد وأمويي الأندلس،ما هي إلا علاقة تعاون مؤقتة أملتها المصلحة المشتركة للطرفين،ولعلَّها من جمل النقاط التي ميَّزت ثورة أبي يزيد الإباضية،عن حركة الشاكر لله الصفرية،فالداعم والسند السياسي القوي،وكذا العلاقات –الدبلوماسية- المذهبية إن صح التعبير،تعتبر من أهم عوامل نجاح ثورته وقوتها أكثر خاصة بعد نجاحه في استقطاب بعض فقهاء أهل السُّنة المالكية إلى ثورته،ومن كان على نهجهم من الرعية،خاصة وأنهم كانوا يُشكلون حينها أكبر قوة بشرية ضاربة في المنطقة على اختلاف فئاتهم وأعراقهم(من عرب وبربر أمازيغ وحتى من الأعاجم).

حقق أبو يزيد في المرحلة الأولى من ثورته عدة انتصارات والتي تبدأ من إعلانه الثورة رسميا سنة(332هـ)إلى حصاره للمهدية وخروج إسماعيل المنصور لقتاله سنة(334هـ) [3]،ضيَّق بها

[1] – يؤيد ذلك قول ابن خلدون:"...وبعث رسله في وفد من أهل القيروان إلى الناصر الأموي صاحب قرطبة،ملتزما له بالطاعة والقيام بدعوته،طالبا لمدده،فرجعوا إليه بالقبول والوعد ".ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:07،ص:20.

[2] – فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:360.

[3] –للإطلاع أكثر على مراحل ثورة أبي يزيد بالتفصيل ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01،ص ص:216،219؛ابن أبي دينار، **المصدر السابق** ،ص،ص:58،59؛عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر نفسه**،ج:07، ص،ص:20، 21.

الخناق على الدولة الفاطمية وكاد يأتي عليها،بفضل شدة حماسه وقوة عزيمته في التخلص من الفاطميين،إضافة إلى إتباعه لأسلوب الحرب الخاطفة والكمائن في الإيقاع بعدوِّه[1]،وما حظي به من دعم إباضي وهابي ومالكي سُنيّ،تحركه الحَمِيَّةُ عن الدين والعصبية المذهبية،هدفه الخلاص من الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي.

المرحلة الثانية من ثورة أبي يزيد،تبدأ من خروج المنصور لقتاله،وفَكِّ الحصار عن المهدية،إلى غاية قتل أبي يزيد،أي(من سنة 334هـ إلى336هـ)[2]،كان مُستهلُّ هذه المرحلة لصالح أبي يزيد بحصاره للمهدية وإيقاع أهلها في ضائقة اقتصادية كبيرة[3]،لكن الضعف كان قد بدأ ينخر جسد جيشه منذ معركة الوادي المالح بالقرب من المهدية سنة(333هـ)[4]. حيث دبَّ الشقاق في مُعسكره،وفارقه الإباضية الوهابية لإفناء جيشه لما بإفريقية من نهب وسلب،ولعله السبب وراء انضمام الوهابية إليه بُغية تحقيق مكاسب مادية من جراء عمليات السلب والنهب والغنائم التي تحققها الحروب عادة،وكذا لتنافس الفرقتين من الإباضية

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :365.

[2]-في حين يذكر ابن حماد أن موت أبي يزيد كان سنة(334هـ)،ما يجعل نهاية هذه المرحلة عنده في هذه السنة،ويذكر ابن خلدون أن ذلك كان سنة(335هـ)،لا كما يذكر ابن عذارى أن موته كان سنة(336هـ) يسانده في ذلك ابن أبي دينار،وهو ما رجحناه.ينظر:أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد،**المصدر السابق** ،ص:57؛عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق** ،ج:07،ص:23؛ابن عذارى **المصدر السابق**،ج:01، ص:220؛ابن أبي دينار،**المصدر السابق**،ص:59.

[3]-"...فجرى قتال كبير،وكثر خروج الناس من الجوع والغلاء،ففتح عند ذلك القائم الأهراء التي عملها المهدي،وملأها طعاما وفرَّق ما فيها على رجاله،وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة".ينظر:ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07،ص:192

[4]-هي المعركة التي خذل فيها أبو يزيد فقهاء المالكية،وأوحى إلى جنده من بني نحلته بالانكشاف على أهل السنة إذا ما التقى الجمعان في قتال الشيعة الفاطميين،وكان ذلك في رجب من سنة(333هـ) بالوادي المالح بالقرب من المهدية،حيث قُتل عدد كبير من علماء أهل السنة،منهم ربيع القطان،وأبو الفضل الممسي وغيرهم كثير،ما حمل الخيبة إلى باقي أهل السنة وجعلهم يتخلون عن مساندتهم ودعمهم لثورة أبي يزيد.للمزيد ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص،ص:30، 34.

النكارية والوهابية على الزعامة والسلطة[1]،وانصرف عنه فقهاء المالكية بعدما تبيَّن لهم خداعه وتحيُّزه لبني نحلته عندما تأكد من قوة مركزه [2]،ابتغاء إفناء المالكية بالشيعة والشيعة بالمالكية في المعارك،وبذلك يخلو له المجال مع أتباعه من الإباضية،لكنهم تفطنوا لذلك بعد معركة الوادي المالح التي قتل فيها عدد كبير من فقهائهم،فانسحب من بقي منهم من جيشه وفارقوه.

بتولي إسماعيل المنصور للحكم سنة(334هـ/945م)،بدأت كفة النصر ترجح لصالح الفاطميين،فحرر المدن من يد أبي يزيد،وأمنَّ أهلها[3] وبدأ في تعقبه وملاحقته[4]،بعد أن دعاه إلى الدخول في طاعته وتأمينه فلم يستجيب له وواصل نفوره وثورته[5]،وبعد الهزائم التي توالت

---

[1]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،370.

[2]- يقول ابن عذارى:"لما رأى أبو يزيد أنه قد استولى على الأمر،أو كاد،وأن الشيعي،وأن الشيعي كاد يبيد أو باد،قال لجنوده: إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان،حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم،فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن،فنستريح منهم".ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01، ص:218.

[3]- دخل المنصور مدينة سوسة وأمَّن أهلها وأيدهم في الدفاع عنها،وهزم أبو يزيد فيها،ثم القيروان ثم باقي المدن الهامة في المنطقة.ينظر:ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج:07، ص،ص:197، 198.

[4]- بعد هزيمته في القيروان سنة(335هـ/946م) وقتل عدد كبير من جيشه،بدأ أبو يزيد رحلة الفرار من قبيلة إلى قبيلة طالبا للعون والنصرة،إلى أن انتهى به الحال إلى قلعة كيانة التي قتل فيها،بعد أن أثخن بالجراح،ووقع أسيرا في يد المنصور الذي سلخ جلده وحشى جثته بالتبن وشهَّر به في الأسواق وبها كانت نهايته.ينظر:ابن عذارى، **المصدر نفسه**،ج:01،220؛الجوذري،**سيرة الأستاذ جوذر**،ص:48؛ تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج:01،ص:85؛ ابن أبي دينار، **المصدر السابق**،ص:59؛عبد الرحمان ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج:07،ص:23؛ابن الأثير،**المصدر نفسه**،ج:07،ص:201.

[5]-يذكر المؤرخون أن المنصور قد أسر زوج أبي يزيد وأولاده،ثم أطلقهم إلى أبي يزيد بشرط أن يدخل في طاعته،لكن هذا الأخير نكث الاتفاق.ينظر:ابن الأثير، **المصدر نفسه**،ج:07،ص:193؛تقي الدين المقريزي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:82؛فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:370.

على جيش أبي يزيد خلعت عدة قبائل ولاءها له،وطالب المنصور بالأمان فأمَّنها،وانتهى الأمر بأبي يزيد مثخن الجراح ثم أسيراً فقتيلا في يد المنصور سنة(336هـ)[1].

لم تكن ثورة أبي يزيد خاتمة لموقف الإباضية من الفاطميين،وإنما كانت فاتحة للتعبير عن شدة رفضهم لهم بأعنف الطرق،فظهرت بعدها عدة حركات ثورية لعل أشهرها تلك التي ظهرت مباشرة بعد القضاء على أبي يزيد من طرف ابنه الفضل بن أبي يزيد،الذي جمع جيشا يقارب الثلاثين ألف رجل،لكن هذه الحركة فشلت كغيرها من الثورات،بسبب شدة حزم الدولة الفاطمية في مجابهتهم أولاً،ثم لعدم كونها بقوة ولا بتنظيم ولا بشمولية ثورة أبي يزيد،لذا فإن المنصور استطاع أن يبدِّد شملهم ويطاردهم،إلى أن قضى على الفضل ورجاله بعدما تعرض للخيانة فقُتل وحُمل رأسه إلى المنصور[2]،كما قضى على غيرها من الثورات[3]،التي ظهرت شبه علاماتها حتى في عهد المعز لكنه تمكن من القضاء عليها هو الآخر.

وخلاصة القول فإن موقف الخوارج من الصفرية والإباضية من الشيعة الإسماعيلية وسياسة الدولة الراعية لهم-الفاطمية-كان واضحا وضوح الشمس،وكفى بثورة أبي يزيد وقوتها دليلا على ذلك الرفض المعلن والمضمر،الذي نطق به هؤلاء على ألسنة وأيدي فقهائهم فعلا لا قولاً،وسلاحا لا سلماً،ليَضربوا هذه الدولة في الصميم،بُغية الذهاب بها وبمذهبها مذهب الزوال،ورغم فشلها في ذلك إلا أن ما حققته هذه الثورات من نتائج،كان كافٍ ليُعيد خلفاء هذه الدولة النظر في سياسة دولتهم،على جميع الأصعدة —خاصة المذهبية والاقتصادية منها—وبدءوا في التأهب للانتقال إلى بلاد المشرق الإسلامي،بعد سعيهم لتهدئة الأوضاع،ومُهادنة كل الأطراف على الأقل إلى حين انتهاء توافر كل الظروف للانتقال بسَلاَسَةٍ سنة(361هـ/972م).

---

[1] - فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:380.

[2] - ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج :07،ص:201.

[3] - كانت ثورة الفضل بن أبي يزيد وثورة أبي القاسم بن يزيد وثورة أبو خزر الزناتي التي كان أغلب جندها من طلبة العلم، أهم الثورات التي ظهرت بالمغرب الإسلامي بعد ثورة أبي يزيد،للمزيد حول هذه الثورات ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص- ص: 322-331.

ج_موقف بعض فقهاء أهل السنة من السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910-972م):

اتخذ فقهاء وعلماء المذهب السُّني من المالكية والأحناف وغيرهما،مواقف سياسية مبكرة معادية للوجود الإسماعيلي الشيعي،منذ ظهور النشاط الأول لداعيتهم أبو عبد الله الشيعي،فالتجانس والتوافق بين فقهاء وأتباع المذهبين يكاد يكون مفقودا تماما طيلة فترة التواجد الفاطمي بالمنطقة،إذ بدأ استعداد السُّنيين للتصدي للوضع الجديد،من أواخر أيام الدولة الأغلبية،عندما أبان الشيعي عن مذهبه،وتوالى استيلاؤه على قلاع ومدن المنطقة،فقد جمع حينها زيادة الله الثالث (الأمير الأغلبي) الفقهاء،ليستعين بهم عليه،مستشهدا بتصرفات الشيعي وممارساته في حق رموز أهل السُّنة،بلعنه للصحابة أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- وقوله بِرِدَّةِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده،ونَعَتَ من خالفوا مذهبه بالكافرين،وأباح دمائهم،فأعلن الفقهاء بذلك موقفهم البراءة منه [1]،وهنا يبرز تَفَطُّنْ السُّلطة الأغلبية المنهارة لأهمية هذه النخبة في قيادة العامة وتعبئتها،لمواجهة النظام الجديد،الذي بدأ سياسته العنيفة اتجاههم،في محاولة لطمس مقومات مذهبهم السُّني،والتي تجلت عمليا بمحاولة أبي العباس المخطوم،إرغام سكان المغرب الأدنى ومشايخه على إتباع مذهبه، مستخدما في ذلك كل ما أتيح له من وسائل الدعوة ترغيبا وترهيبا [2].

فَأَبَانُوا عن نواياهم منذ الأيام الأولى لإعلان دولتهم،مستبعدين أسلوب الحوار مع باقي المذاهب الأخرى،جاهدين في استقطاب الناس عامة،والعلماء والفقهاء بوجه خاص معتمدين على السطوة والبطش لتحقيق أهدافهم،حيث خضع لسياستهم واتبع مذهبهم بعض الأحناف،مما شجع السلطة الفاطمية ودعاتها على التمادي في الضغط على أتباع المذاهب الأخرى،خاصة فقهاء المذهب المالكي للدخول في دعوتهم،واعتناق مذهبهم،فكان رد الفعل السُّني بأشكال مختلفة من المقاومة،تباينت بين المقاومة السياسية السلمية والمسلحة [3].

---

[1]- ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:137.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :144.

[3]- إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج :02،ص:308.

لم يختلف بذلك موقف فقهاء أهل السُّنة-خاصة المالكية منهم[1]-عن مواقف باقي فقهاء أهل المغرب الإسلامي من صفرية وإباضية،رغم اختلاف وتعدد طرق ووسائل التعبير عن الرفض عند أهل السُّنة خاصة،إذ كانوا كُلَّما أَوجد الفاطميون أسلوب ضغط معين،إلاَّ وأوجد المالكية له أسلوبا جديدا لمقاومته ورَدْعِه،وبذلك تنوعت أشكال المقاومة عندهم،فكانت منها السلمية(الإيجابية والسلبية)،والمقاومة المسلحة،والسؤال المطروح هنا هو كيف كانت هذه المقاومات،وما مدى فاعليتها في التأثير على السلطة الفاطمية،أو ما هي انعكاسات هذه المقاومة المختلفة الأشكال على السلطة الفاطمية الإسماعيلية؟

2/أشكال المقاومة السُّنية للسياسة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي (297هـ-361هـ/910م- 972م):

لا شك أنه خلال العهد الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي الذي استمر إلى غاية سنة(361هـ/972م)،حصلت عدة مواجهات عنيفة بين الفاطميين الذين كانوا يقومون بنشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي،والمالكية الذين وَسَّعُوا من انتشار مذهبهم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي،وكانوا يرغبون في إبقاء سيطرته على غالبية سكان المغرب الإسلامي،ذلك أن الفاطميين شجعوا العلوم العقلية المختلفة من جدل وفلسفة وتأويل وشعر،على أساس أن الاتجاه الإسماعيلي يعتمد على تأويل القرآن والحديث،وبالتالي كانوا متفقين في ذلك مع المعتزلة في عدة مسائل،مثل خلق القرآن والصفات وعدم رؤية الله تعالى يوم القيامة[2]،لذا فإن المعتزلة لن يقاوموا وجودهم في المنطقة

[1]-خصصنا فقهاء المالكية بالذكر لأنهم أكثر من ذكرت المصادر التاريخية مواقفهم،إضافة إلى ذكرها لكثير من فقهاء الأحناف ممن تشيع بغية الوصول إلى المناصب الإدارية والمكانة السياسية الهامة عند السلطة الفاطمية،وبذلك فإن موقفهم لم يكن معادي للفاطميين خاصة وأنهما-أي المذهب الحنفي والشيعي الإسماعيلي-يشتركان في عقيدة التفضيل(أي تفضيل علي رضي الله عنه عن باقي الصحابة رضوان الله عليهم)،ما جعل موقفهم مميع،ومن ثبت منهم على موقف الرفض للشيعة لم نجد له ذكرا في المصادر التاريخية التي أمكننا الإطلاع عليها،شأنه في ذلك شأن فقهاء باقي المذاهب الإسلامية من شافعية وحنبلية وحتى من باقي الفرق الكلامية عدا المعتزلة.

[2]-راضي دغفوس، **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط** ،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 2005م،ص:270.

لاتفاقهما في بعض العقائد،أما الحنفية فإنهم اتفقوا معهم أيضا في مسألة التفضيل،فكلاهما يفضِّل علياًّ رضي الله على باقي الصحابة رضوان الله عليهم،لذا فإنهم أيضا لم يقاوموهم بل سعى عدد منهم إلى التقرب من السلطة،لتحقيق مطامحه في تولي مناصب هامة بالجهاز الإداري للدولة الفاطمية،حتى أن منهم من غيَّر مذهبه الحنفي وتشيَّع،هذا بالنسبة لأسباب عدم مقاومة المعتزلة كفرقة كلامية،والأحناف كأحد مذاهب أهل السنَّة للشيعة الفاطميين حسب ما تذكر المصادر التاريخية،أما باقي مذاهب أهل السنَّة من شافعية وحنبلية،فإننا مع الأسف لم نجد لمواقف فقهائهم ذكرا فيما أمكننا الإطلاع عليه من مصادر تاريخية حول الموضوع.

كما سبق لنا الذكر فإن المحْدَثَاتْ الشرعية التي أضافها الفاطميون إلى الشريعة الإسلامية،تعارضت تماما وعقائد المذهب السُّني المالكي جملة وتفصيلا،لذا فإنهم لم يجدوا بُدًّا من مواجهتهم ومحاولة ردعهم عن التغيير في ملة الإسلام،حفاظا على المسلمين من الافتتان بهم،هذا بالنسبة للجانب العقائدي،أما في الميدان الاقتصادي والاجتماعي ،فقد انتهج الفاطميون سياسة جبائية مرهقة كما سبق وأن ذكرنا،اعتمد فيها جُبَاةُ الدولة على شتى الوسائل لابتزاز الأموال من الرعية،لاسيما في عهد الخلفية عبيد الله المهدي،وتذكر المصادر التغريم والمصادر وفرض التقسيط،إلى جانب تنويع الضرائب المباشرة كالقبالات[1] والمكوس المفروضة على المبادلات التجارية[2]،كأنواع ومصادر للأموال المسلوبة من الرعية بصفة قانونية دون وجه شرعيَّة،وهي وإن اختلفت مُسَمَّيَاتُهَا فمصدرها واحد(الرعية).

كل هذه الأسباب مجتمعة كيف لا تحمل المالكية وعلى رأسهم فقهائهم،متخذين في ذلك كافة الطرق والوسائل،التي من شأنها أن تبطل هذه التشريعات الشيعية الدينية والدنيوية،وعليه أخذت المقاومة السُّنية للفاطميين شكلين متباينين،مقاومة سياسية سلمية وأخرى مسلحة.

---

[1]–لعلها نوع من الضرائب الفاطمية،لكننا لم نجد لها تعريفا فيما أمكننا الاطلاع عليه من مؤلفات تاريخية

[2]– راضي دغفوس،**المرجع نفسه**،ص:271.

أ_ المقاومة السياسية السلمية: هي ما استخدم فيه المالكية بزعامة فقهائهم كل الوسائل السلمية المتاحة عدا السلاح،و انقسمت بدورها إلى قسمين:مقاومة سلمية إيجابية وأخرى سلمية سلبية.

1/ المقاومة السلمية الإيجابية:

تعددت وتنوعت وسائل وقنوات هذا النوع من المقاومة،التي تجسَّدت خاصة في سلاح التعليم بكافة منابره ووسائله المتاحة،حيث لم يترك فقهاء المالكية مؤسسة التعليمية إلا واستغلّوها لذلك،فوسَّعوا دائرة إنشاء المساجد والجوامع،الكتاتيب،الرباطات،المكتبات،وحتى بيوتهم ودورهم وفضاءات عامة أخرى،ليتوسع نشاطهم حسبها،ونوَّعوا مناهجهم العلمية التي كانت تُلقَّن للطلبة والدارسين في هذه المؤسسات،مرَكزين من خلالها على ترسيخ عقائد المذهب المالكي في نفوس النشء،ومقاومة ما كان يَنشره دُعاة الشيعة الإسماعيلية في أوساط العامة،بُغية جذب واستمالة الرعية إلى مذهبهم،وحتى عَمدوا إلى فرضه عليهم حين لم يجدوا منهم استجابة.

كان لكل مؤسسة تعليمية مما ذكرنا سابقا- في الفصل الثاني من هذا البحث- دور فعال في المقاومة السلمية الإيجابية برز خلالها عدة فقهاء تزعموا ذلك،حيث نجد في المناظرة التي كانت من أولى وسائل المقاومة السلمية الإيجابية ظهورا،وعرفت بالمقاومة الجدلية[1]،الفقيه سعيد بن الحداد،الذي تزعم هذه الحركة التجديدية في الفكر السُّني المالكي،بمناظرته للخلفاء الفاطميين ودعاتهم،فتعرَّض هو وغيره من الفقهاء ممن شاركه في النقد والتشهير بالدعوة الإسماعيلية،لكثير من مظاهر الاضطهاد الفردية والجماعية[2]،بسبب مواقفهم الراسخة وقوة حُجتهم واستماتتهم في الذود عن المذهب المالكي.

كانت المقاومة عبر التأليف بمختلف ألوانه[3]،من أهم الوسائل المجدية والنافعة في مقاومة الشيعة الإسماعيلية[1]،وتبصير العامة ببطلان عقائد هؤلاء،وكذا إرساء دعائم المذهب الُّسنيِ

---

[1]- إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02،ص،ص:465، 470.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص،ص:150، 151.

[3]-حتى الخطابة والدعوة كانت تعتبر من ألوان التأليف لأن الكثير منها تمَّ تدوينه.ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص،ص:279، 280.

المالكي،ولعلَّه ما يفسر ذلك النشاط الذي عرفته حركة التأليف خلال فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،وحتى الفقهاء والعُبَّاد المرابطين بالقصور والرباطات كان لهم دور فعاَّل في هذا النوع من القاومة-أي المقاومة السلمية الإيجابية- بحكم ما حضوا به من مكانة واحترام بين الرعية،ولنا في الفقيه الزاهد جبلة بن حمود الصدفي أعظم مثال على ذلك،كونه ترك المرابطة بقصر الطوب،والتحق بالقيروان ليحرس عورات المسلمين من عدوِّهم الأقرب[2]،وهو الفاطميين،ما جعل الفاطميين يجندون الجواسيس والعيون لترصد نشاطات الفقهاء والزهاد[3]،نظرا لما يشكلونه من خطر على مستقبل تواجدهم ببلاد المغرب.

التدريس في المؤسسات التعليمية بمختلف أطواره،كان إحدى القنوات المهمة جدا في مقاومة الوجود الفاطمي الشيعي بالمنطقة،إذ كثف فقهاء ورموز المدرسة المالكية نشاطاتهم في هذه المؤسسات،لإيصال أهدافهم في حماية المذهب المالكي والدفاع عنه للرعية،عبر منابرها المتعددة،فبرز من بين هؤلاء الفقهاء عدة أسماء سبق لنا ذكر معظمها في الفصل الثاني من هذا البحث،وتَعرَّض نفر كبير منهم للأذى بكل أشكاله على يد خلفاء الفاطميين ودعاتهم وحتى عمالهم،لعلَّنا ذكرنا معظمهم سابقا،وما زادت تلك التجاوزات الإنسانية التي قام بها الشيعة الفاطميين في حق بعض أعلام المذهب المالكي،نظراءهم ومعاصريهم إلا تشددا واستماتة في سبيل مذهبهم،وبالمقابل زادت من التفاف الرعية حولهم،رافضين بذلك أي شكل من أشكال التعاون مع الفاطميين[4]،وعلى أتم الاستعداد للانخراط في أي عمل من شأنه أن يخلِّصهم مما سُلِّط عليهم من اضطهاد وتضييق على يد الفاطميين،وثأراً لضحاياهم الذين قضوا نحبهم نتيجة غلو وتطرف دعاة الإسماعيلية وحُكامهم[5].

---

[1]- تعرضنا لهذا النوع من المقاومة بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا البحث لذا يرجى مراجعته.

[2]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص،ص:271، 280.

[3]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص:152.

[4]- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص :155.

[5]- موسى لقبال،**دور كتامة**،ص :422.

ومن الأساليب الأخرى للمقاومة السلمية الإيجابية نذكر:

_الإفتاء بضرورة تحريم التعامل مع الشيعة الفاطميين والصبر على أذاهم،كأسلوب من أساليب محاصرتهم والتضييق على من يتّبع مذهبهم من العامة،لضمان ثباتهم على مبادئ مذهبهم السُّني.

_ مقاطعة كل من يتعامل مع الفاطميين وهجرانه،فعملوا على دعوة العامة والخاصة إلى عزل ومقاطعة كل من يتعامل معهم،كما حدث مع كثير ممن لم يأخذوا بتوجيهات النخبة السنيِّة،التي قادت الحراك السياسي والفقهي في المنطقة[1].

_ مجاراتهم وتركيزهم على العمل السري،فقد نصَّب الفاطميون عبر جهاز الكشف عيونا تلاحق المخالفين لتوجههم من فقهاء المذهب السنّي،فكانوا يتدارسون مذهبهم سَراًّ،كما سبق لنا الإشارة إلى ذلك في الحديث عن دور وبيوت الفقهاء كمؤسسة تعليمية غير رسمية،استغلها فقهاء المالكية لبث مذهبهم والحفاظ عليه،لشدة التضييق الذي طُبِّقَ عليهم ومنعهم ممارسة ذلك علنا.

_الطعن في نسب الشيعة الفاطميين وفضح ادعاءاتهم بمعرفة علم الغيب ونحوه،وهي ثغرة ركَّز عليها أهل السنَّة كثيرا،بالنظر إلى الاهتمام المفرط لخلفاء الفاطميين بإبراز نسبهم لفاطمة الزهراء رضي الله عنها.

_ تنشيط الحياة العلمية وعقد حلقات العلم كوسيلة للحيلولة بين العامة ودعاة الفاطميين،مستفيدين من تأثر الناس بمواقفهم الجريئة في وجه الاضطهاد الشيعي،فالتفوا من حولهم،وقصدهم القاصي والداني من كل حدب وصوب طلبا للعلم،وهذا الالتفاف حول نخبة الفقهاء كان له دور بارز في تكوين طبقة من الطلبة الذين تحوَّلوا إلى فقهاء يذودون عن المذهب السُّني،عن طريق منابر العلم المختلفة من حلق درس بالجامع،أو بدور الفقهاء،أو

[1]–من أمثلة ذلك الفقيه أبو القاسم خلف البرادعي،الذي تعامل إيجابيا مع الفاطميين،فقبل أعطياتهم،وألَّف مصنفا خاصا لإثبات نسبهم،ونفي ذلك لمن يطعن فيه،فما كان من فقهاء المالكية إلا أن عزلوه،ومنعوا تدارس مؤلفاته،حيث تطرق الفقيه ابن أبي زيد القيرواني إلى التعامل مع إنتاج البرادعي العلمي،إذ أمر بإحراق كتبه ومحوها.ينظر:القاضي عياض، **ترتيب المدارك** ،ج:02،ص:708؛ابن فرحون،**الديباج المذهب**،ص– ص:182- 183.

حتى عند المقابر وفي الحوانيت،وهي وسائط تبرز حجم التضييق الذي عانى منه أهل السُّنة،مما كلَّف القائمين على النشاط التعليمي من الفقهاء السجن والتعذيب وحتى القتل والنفي،إذ ناهز عدد ضحاياهم الأربعة آلاف بين عالم وعابد[1].

_تآزرهم في الشدائد،حيث كان اجتماعهم الكثيف لحضور جنائز فقهاء أهل السنَّة، والتفاف العامة والفقهاء حول جثامين الفقهاء المتوفين[2]،مما يهدف إلى إثارة الرهبة والخوف في نفوس عمال الفاطميين ومن تخوَّل له نفسه المساس بأحد رموز هذا المذهب،وتعبيرا آخر من جانبهم على وحدتهم وتماسكهم،ومن ثمَّ إشارة إلى مدى قُدرة النخبة من الفقهاء والزهاد على تحريك العامة أنىَّ شاؤوا[3].

_ إبداء السرور والفرح في أيام حزن الشيعة،ومثال ذلك الاحتفاء بيوم عاشوراء[4]،كونه يوم حزن أحدث فيه الشيعة اللطم والبكاء والصراخ وإنشاد المراثي،وما يفضي إلى ذلك من سبِّ السلف الصالح من الصحابة ولعنتهم،أماَّ عند أهل السنَّة فهو يوم صامه النبي صلى الله عليه وسلم وندَبَ المسلمين لصيامه،فجعل فقهاء وعلماء المغرب الإسلامي يتحينون قدوم هذا اليوم لإبداء الفرح والسرور فيه نكاية في الشيعة وتنغيصا عليهم[5].

_ حضور المجالس العامة التي تغيظ الشيعة وكانوا قد منعوها،مثل مجلس مسجد السبت،الذي كان يحضره الصوفية،يقيمون فيه حلق القرآن والذكر وإنشاء الرقائق،وكان هذا

---

[1]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص،ص :167، 168.

[2]- مثال ذلك ما حدث سنة(330هـ/942م)،في جنازة الفقيه أبي القاسم عبد الوهاب اللباد،عندما حضرته الموت،والتف حوله ما يربو عن الخمسة والعشرين شخصا بين عالم وعابد وزاهد وفقيه،وقاضٍ،ناهيك عن من حضر الجنازة من العامة.ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج:03، ص:26.

[3]- موسى هيصام، **المرجع نفسه**،ص :165.

[4]- كونه اليوم الذي رزئت فيه الأمة الإسلامية بمقتل الحسين بن علي -رضي الله عنهما- أحد سبطي الرسول صلى الله عليه وسلم وسيد شباب الجنة،وهذا اليوم عند الشيعة على اختلاف طوائفهم يوم حزن وحداد.ينظر:إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02، ص:494.

[5]- إبراهيم علي التهامي،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:497.

الاجتماع يخيف الفاطميين ويؤرقهم،لذلك كان كثير من العلماء يحضره نكاية فيهم،ومنهم الفقيه أبو بكر بن اللباد [1] ،رغم أن هذا الاجتماع كان يعتبر من البدع المنكرة التي أنكرها الكثير من الفقهاء [2].

كان هذا موجز ما أمكننا زيادة قوله فضلا عن ما تطرقنا لتفصيله في سبق من هذا البحث،مما يخص المقاومة السلمية الإيجابية لفقهاء السنَّة المالكية –خاصة– للوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي،كان هناك نوع آخر من المقاومة السلمية،هي المقاومة السلمية السلبية التي سنحاول التطرق لها فيما سيأتي.

2/ المقاومة السلمية السلبية:

كان موقف بعض فقهاء أهل السُّنة سلبياً إلى أبعد الحدود،ويأتي على نقيض تلك الممارسات السياسية والعلمية التي تبنَّاها غالبية فقهاء أهل السُّنة،اتجاه السياسة المذهبية والاقتصادية القاسية،التي روَّعت الكثير منهم ودفعتهم إلى الهجرة نحو مناطق أكثر أمنا،يستطيعون فيها ممارسة حريتهم المذهبية دون قيود،إذ لزم بعضهم الرُّبُطْ رغم معارضتهم لسياسة الفاطميين تلك،وفضلوا عدم الاحتكاك بهم ولا بأي شكل من الأشكال،حالهم في ذلك حال الفقيه أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري(ت 344هـ/956م) [3]،الذي على فرط صيته علماً وفقهاً،إلا أنه آثر ملازمة الرباط على مقارعة الفاطميين،وسانده في ذلك وذهب مذهبه الكثير من النُّساك والمرابطين،وجانبا من علماء أهل السنَّة الذين آثروا الانعزال

---

[1]– كان يجيب من لامه في حضور هذا المجلس رغم علمه بأنه من البدع المنكرة،قائلا بأنه يفعل ذلك لأنه يغيظ بني عبيد ولو وجدت شيئا أغيظ لهم لفعلته.ينظر :أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج: 03،ص:24.

[2]– إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج :02، ص،ص:498، 499.

[3]–من الفقهاء البارزين والأئمة المشاهير،تلقى العلم على يد محمد بن بسيل صاحب الإمام سحنون،كانت له رحلة إلى المشرق لطلب العلم،ثم عاد إلى القيروان،أخذ عنه الناس الفقه لبراعته فيه،وتصدَّر حلق الدرس بجامع القيروان،واعتبر كثيرون أن أسلوب الهجرة والانعزال الذي اعتمده وغيره،يرمز إلى نوع من المقاومة،عُرف بالمقاومة الصامتة،التي تقف في وجه الفاطميين،مدافعة عن قيم ومبادئ أهل السنة،وكان لزم قصر بن الجعد.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج: 02،ص،ص: 414، 418؛موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص،ص: 168، 169.

والمرابطة،أمام اشتداد فتك الخلفاء الفاطميين بالرعية،وإلجامهم لصوت العلماء والفقهاء والأدباء،إذ عملوا على تعطيل الدروس في الجوامع،وأغلقوا الكثير منها،فارضين مراقبة شديدة على النخبة منهم،فكانت النتيجة جنوح الكثير منهم إلى الهجرة والمرابطة للتخلص من التضييق الذي مورس عليهم وعلى نشاطاتهم[1].

أنموذج آخر عن المقاومة السلمية السلبية هو الفقيه أبو محمد يونس بن محمد الورداني[2]،الذي فضَّل الانقطاع عن الناس ورعي البقر عن الدخول في مواجهة مع عبيد الله المهدي ورجاله،ذلك أن عبيد الله المهدي لما دخل إفريقية واستولى عليها،طلب أهل الفضل والدين،فخاف أبو محمد على نفسه منه،وقال لأهله أُخَيِّرُكُمْ بين وجهين،إماَّ تتركوني أهرب من إفريقية لا تروني أبداً،وإماَّ تتركوني أرعى البقر[3]،فاختاروا بقاءه بينهم ورعي البقر،فكان يحمل مصحفه معه ويبتعد عن العمران،ويقبل على القراءة،وإذا جنَّ الليل أقبل بالبقر إلى منزله[4]،وبهذا انعزلت هذه الشخصية عن الميدان العلمي،وانطوت على نفسها خوفا من أذى وبطش الفاطميين .

لم يكن أبو محمد الورداني وحده من اختار سبيل العزلة والفرار بالدين سلاحا للمقاومة على سلبيته،حيث تحجج أبو عبد الله بن أبي المنظور[5] بالتزامه يمينا غليظا،أن لا يدخل في مناوشات مع الشيعة الإسماعيلية،فأغلق عليه باب العلم والسماع،واعتذر بأن لا يُدَرِّسَ أو يُسمع أحداً من أهل القيروان[6]،ولجأ الإمام عمر بن عبد الله بن يزيد(ت 350هـ/961م)

1- موسى هيصام،**المرجع نفسه**،ص:169.

2-ينسب إلى وردان،وهي قرية بين المنستير وسوسة.ينظر:القاضي عياض، **المصدر السابق**،ج: 02 ص:15.

3- أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص:46.

4-فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:278..

5- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص،ص: 46، 47.

6- الخشني،**المصدر السابق**،ص :22.

للتخفي وتغيير ملامح شخصه حتى لا يحرجه أحد من طارقي بابه ابتغاء طلب العلم سماعًا منه[1].

كان هؤلاء ممن اختاروا العزلة بين ظهري أهلهم،والتوقف عن تعاطي كل أشكال نشر العلم سواء عن طريق التدريس أو الفتوى،في حين اختار غيرهم الهجرة والفرار بدينه لأبعد من فيافي وقفار بعض بلاد المغرب الإسلامي،ناهيك عن من تنقَّل من مدينة إلى أخرى ولم يبارح ربوع بلاد المغرب،فثلما فعل الفقيهين محمد بن احمد بن يونس القيرواني وأبو عبد الله محمد بن بسطام الضبي(ت 313هـ/926م)،إذ هاجر الأول من القيروان إلى تونس،وهاجر الثاني من القيروان إلى سوسة[2]،وهاجر غيرهما إلى الأندلس[3] أو صقلية[4] أو إلى بلاد المشرق الإسلامي[5]،ولكن ما يهمُّنا من ذلك أن هؤلاء الفقهاء آثروا التخلي عن أوطانهم وعائلاتهم،دون التخلي عن مذهبهم،وهذا يبيِّن شدة تمسك وتعلق فقهاء المالكية بمذهبهم،واستماتتهم في الدفاع عنه،كما قال الدباغ:"جازى الله مشيخة القيروان خيراً،هذا

---

[1]- القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص:374.

[2]- موسى هيصام،**المرجع السابق**،ص :171.

[3]-من الذين هاجروا إلى الأندلس الفقيه ابن الجزار المليلي(ت 330هـ)،وكان قاضيا بمليلة،ثم هرب إلى قرطبة سنة(325هـ) خشية من جنود الشيعة الفاطميين،وكان فقيها شاعرا أجاره عبد الرحمان الناصر أمير قرطبة،وسجَّل له على قضاء ناحيته،وكذلك فعل الفقيه الحكم بن هشام القرشي،الذي سُجن لصلابته في السنَّة،وإنكاره على أهل البدع،ثم هجر إفريقية إلى الأندلس.ينظر:ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**،ج:01،ص-ص:61-222؛إبراهيم علي التهامي، **المرجع السابق** ،ج:02،ص:450؛ طارق بن زاوي،**المرجع السابق**،ص:21.

[4]-كان ممن هجر إلى صقلية الفقيه خلف بن أبي القاسم البرادعي،حيث اضطر إلى الهجرة إليها بعدما لقيَّه من نفور من أهل القيروان بعد مواقفه الموالية للشيعة الإسماعيلية،وقد حصلت له حظوة كبيرة عند أميرها.ينظر:إبراهيم علي التهامي،**المرجع نفسه**،ج:02،ص:463.

[5]-أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز الفقيه(ت 355هـ)،كان من الفقهاء البارعين والأئمة المعدودين،اشتهر بالحفظ والفهم والفقه،خرج إلى المشرق لما ظهر سبُّ السلف بالمغرب عند اشتداد أمر بني عبيد.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج:02،ص-ص:467-468؛القاضي عياض، **المصدر نفسه**،ج:02،ص-ص:484- 485.

يموت،وهذا يضرب،وهذا يسجن،وهم صابرون لا يفرون،ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة..."[1]،وفي قوله هذا أيضا سِمَات لمدى تعلق أتباع هذا المذهب من أهل إفريقية،والمغرب الإسلامي عامة بفقهاء المالكية.

وخلاصة القول أن الفاطميين ورغم إتباعهم لسياسة العنف والتضييق لفرض مذهبهم على بلاد المغرب الإسلامي،إلا أن وجودهم وأهدافهم اصطدمت بموقف فقهاء أهل السنة،الذين بذلوا ما أمكنهم من أساليب لمقاومة دعاة وحُكَّام المذهب الشيعي الإسماعيلي،ولعل ذلك العنف من الفاطميين كان السبب في إحداث شرخ بين السلطة وفقهاء السُّنة–خاصة المالكية–وحتى العامة،ما دفعهم إلى التوجه للعمل المسلح كأحد أساليب المقاومة،إضافة لما كانوا قد انتهجوه من أساليب سلمية في المقاومة،بغية التخلص النهائي من التواجد الفاطمي الشيعي بالمنطقة،وعليه جاء النوع الثاني من المقاومة،في مرحلتها الثانية،وتمثل في المقاومة السياسية المسلحة.

ب_ المقاومة السياسية المسلحة:

لم يكتف فقهاء المغرب الإسلامي بالمقاومة السلمية للفاطميين،ورأوا أنها لابد أن تُدَعَّمَ بمقاومة مسلحة يتجسد لهم فيها فضل الجهاد في سبيل الله،فأخذ بعضهم سلاحه لقتالهم[2]،ولأن محاولاتهم كانت فردية وغير مؤطَّرة بخطة أو أعوان يدعمونها فإن مصيرهم كان القتل على يد الشيعة الإسماعيلية وخلفائهم[3]،ناهيك عن من قُتِل منهم بسبب مواقفه

---

[1]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص:292؛فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:278.

[2]–كان من أوائل من تهيئ لقتالهم بالسلاح الفقيه جبلة بن حمود الصدفي،الذي ترك الرباط بقصر الطوب ونزل القيروان،عليه ترسه ومعه سلاحه،يحرس أعراض المسلمين ومتهيئ لقتال الفاطميين إذا أرادوا الهجوم على القيروان.ينظر:أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:273.

[3]–كان ممن قتلهم عبيد الله المهدي بسبب مواقفهم العنيفة تجاه دولته،وإعلانهم الاستعداد لقتال رجالها،الفقيهين أبو القاسم الحسن بن مفرج–أو أبو القاسم حسين بن مفرج مولى مهرية بنت الاغلب حسب ما تتفق بعض المصادر على تسميته–(ت 309هـ)،الذي كان من أوائل من خرج على الشيعة،وصُلب هو والفقيه أبو عبد الله السدري،الذي كان قد بايع على جهاد عبيد الله،وأخذ يحض الناس على جهاده،فوُشي به إلى عبيد الله المهدي فأمر بقتله.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر**

السلمية المتشددة–لقد سبق لنا ذكر أمثلة عنهم– وأمام هذه السياسة الجائرة،وخوفا من خسارة من بقي من أعيان المذهب السُّني المالكي من الفقهاء،دون أي مقاومة مسلحة،يحتسبونها جهادا في سبيل الله،اتفق عدد كبير منهم على وجوب الخروج المسلح على الشيعة الفاطميين،وأفتوا بضرورة قتالهم،كان هذا القرار قد أجمع عليه عدد كبير منهم[1]،لكن بقي بعضهم مترددا في ذلك،خاصة وأن أبا يزيد مخلد بن كيداد[2] هو من سيقودهم في ذلك،كونه أعلن ثورته وقتها وبدأ في التقدم،مسيطرا على معظم البلاد،مستنفرا الناس لقتال الفاطميين،وكان قد ادعى التمذهب بمذهب أهل السنة والجماعة مبطنا مذهبه الخارجي[3]،حتى يستطيع استقطاب أهل السنَّة إلى جيشه،خاصة بعد ما أظهره من زهد ونُسُكٍ عظيم[4]،وقد أوردت بعض المصادر التاريخية السُّنية أحداث هذا

=**السابق**،ج:02،ص،ص:165،175؛ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص:187؛أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص،ص:353، 354.

[1]–كان قد ترأس اجتماعهم ذاك الفقيه أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس الممسي(ت333هـ)،وهو يعتبر مرجعيتهم الفكرية كونه من أعيان المذهب المالكي،وانضم إلى الاجتماع عدد مهم من الفقهاء لعلنا نذكر منهم:الفقيه ربيع القطان(ت 333هـ)،والفقيه أبو العرب تميم(ت333هـ)،والفقيه أحمد السبائي المتعبد(ت 356هـ)،والفقيه أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري (ت344هـ)،والزاهد أبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط(ت 340هـ)،والمؤدب أبو عبد الله محمد بن الفتح(ت334هـ)،والفقيه أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال(ت 343هـ)...وغيرهم كثير. ينظر:إبراهيم علي التهامي،**المرجع السابق**،ج:02،ص:485.

[2]–تذكر بعض المصادر التاريخية أنه كان يبطن رأي الصفرية ويتمذهب بمذهب الخوارج.ينظر:القاضي عياض،**المصدر السابق** ،ج:02،ص:318؛موسى رحماني، **الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر(27هـ–362هـ/637م–972م)دراسة اجتماعية**،مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري،قسنطينة – الجزائر،2006–2007م،ص:88.

[3]– القاضي عياض،**المصدر نفسه**،ج :02،ص:318.

[4]– كان يقول للناس بأنه خرج غضبا لله.ينظر:ابن خلكان، **المصدر السابق**،ج:01،ص:235؛تقي الدين المقريزي،**كتاب المقفى الكبير**،ص:170؛موسى رحماني،**المرجع نفسه**،ص:89.

الاجتماع[1]،ومناقشات الفقهاء حول شرعية الخروج مع أبي يزيد،إلى أن فَصَلَ الفقيه أبو العرب تميم خلافهم بروايته لحديثٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب قتال الرافضة[2].

بعد سماع الفقهاء لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب قتال الرافضة،اقتنع من كان على تردد منهم،وهمُّوا بالخروج لقتال الشيعة،محرضين العامة على الخروج معهم أيضا،وعُدَّت العُدَّة لذلك،وعُقدت الألوية،ونُكزت البنود عند باب الجامع،وفي عباراتها عداء واضح وشديد للشيعة الفاطميين،كما أنَّ بعضها جاء بشعارات الخوارج مجاملة لأبي يزيد[3]،ولعلَّنا نَعْزُوا خروجهم معه لجملة أسباب نذكر منها،أنه خدعهم بلسانه،وسحرهم بحسن خطابه الحماسي،ثم بما أظهره من تسنن وترضٍّ على الصحابة رضوان الله عليهم،وبالمقابل ما أظهره من كره وعداء للفاطميين الشيعة،ولعنه لعبيد الله المهدي وابنه من على منبر الجامع بالقيروان[4]،دون أن نغفل فتوى الفقهاء المالكيين[5] وما كان لها من داعم نفسي،حفَّزهم ورعيتهم على المشاركة في هذه الثورة،بعدما وجدوا لهذا الخروج شرعية دينية تَحُثُّ عليه،ورغم كل هذه المبررات لخروجهم معه،فإنهم لم يوالوه ليدخلوا في طاعته أو في مذهبه،لأن خداعه لم يَخْفَ عنهم وكانوا يعلمون أنَّمَا هو إلاَّ مُدَّعٍ ما أظهر،ورغم ذلك

---

[1]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص:32.

[2]- عندما اختلف الفقهاء وتناظروا في أمر الخروج على بني عبيد،قال الفقيه أبو العرب تميم:"اسكتوا"، فسكت الناس،وقال"حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجاني بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يكون في آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة،فإذا أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفَّار"،فلمَّا أتمَّ الحديث كبَّر الناس وعَلَتْ أصواتهم في الجامع حتى ارتجَّ،ثم خرجوا لقتال بني عبيد.ينظر:أبو زيد الدبَّاغ، **المصدر نفسه**،ج:03،ص:35؛إبراهيم علي التهامي، **المرجع السابق**،ج: 02،ص:487.

[3]- فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :290.

[4]- ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج :01،ص:217.

[5]-كان ممن أفتى بوجوب الشرعية الخروج مع أبي يزيد لقتال الفاطميين الشيعة،الفقيه أبو إسحاق السبائي،والفقيه أبو الفضل الممسي.ينظر فتواهم عند:القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج:02،ص: 318؛أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص،ص:29، 30.

ساندوه لاتفاقهما في المصلحة وهي القضاء على الوجود الفاطمي بالمنطقة،وكانوا يدعون على أبي يزيد بإمام عادل يخرجه عنهم [1]،في حال غَلَبَتِهِ وفناء ملك بني عبيد،وهو نفس ما كان يبطنه تجاههم،لكنه تقدَّمهم بخطوة،إذ سعى إلى إفنائهم قبل أن تضع الحرب أوزارها،ويكون قتلهم بيد عدوّهم وعدوُّه المشترك.

كان الفقهاء في الموعد،وخرجوا مع أبي يزيد وشاركوه قتال الفاطميين،وحققوا انتصاراً باهراً،حتى أنهم كادوا يستحوذون على المهدية،لو لا أنَّ أبا يزيد كشَفَ عن وجهه الأَوْحَلْ،وأبان عن نيّة غدره بأهل السنَّة [2]،وأمر جنده أن ينكشفوا عن أهل القيروان(أي أهل السنَّة)إذا ما التقى الجمعان،فيكون قتلهم على أيدي أعدائهم الفاطميين [3]،ولا تَثْبُتُ خيانته وأتباعه لهم،لأن الحرب إذا ما قامت كان قاتلها ومقتولها في الغالب مجهولان،وكان الأمر فعلا كما قال أبو يزيد،وقُتِلَ عدد كبير من فقهاء المالكية بالقرب من المهدية سنة(333هـ)،وخسر أبو يزيد المعركة [4]،وبعد هذه الموقعة غادر أهل السنة جيش أبي يزيد

---

[1] – القاضي عياض،**المصدر السابق**،ج :02،ص،ص:318، 319.

[2] –ذلك أنه بعد استراحة أهل القيروان من مشقة الطريق،طلب أبو يزيد من شيوخهم تجديد البيعة له لمجاهدة الفاطميين،ويبدو أن هؤلاء قد جددوا البيعة–هذه المرة– على خوف وتردد،عكس ما كانوا عليه في المرة الأولى،عندما خرجوا معه لقتال الفاطميين،فأدرك أبو يزيد تحوُّلَ موقفهم عند زحفهم على المهدية سنة(333هـ)،فأراد التخلص منه بطريقة غير مباشرة في المعركة،وهو ما فعله في معركة الوادي المالح بالقرب من المهدية سنة(333هـ)،وفيها قُتل العديد من فقهاء المالكية.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع السابق**،ص:291.

[3] – ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:218.

[4] – لا يرجع بعض الباحثين السبب في مقتل فقهاء المالكية في معركة الوادي المالح بالقرب من المهدية سنة(333هـ)،إلى غدر أبي يزيد وحده،وإنما يرجحون نقص الخبرة العسكرية لهؤلاء كسبب في ذلك،مستدلين بعدد من قتل من الإباضية بفرعيها في تلك المعركة،الذين فاق عددهم من قُتل من المالكية،وعليه لا يبدو أنَّهم انكشفوا عنهم كما تذكر بعض المصادر وإنما شاركوهم القتال،ولكن التساؤل الذي يعود عندنا ليرجّح ما ذهبت إليه المصادر التاريخية من أن أبو يزيد هو السبب،يكون كالآتي: كيف لزعيم سياسي أن يُقَدِّمَ جندا هو أدرى بقلة خبرتهم العسكرية كونهم رجال دين وعلم،ويضعهم في الواجهة وهو لا يزال بحاجتهم لمواصلة تقدمه،خاصة وأنَّ عدُوَّه لم يُهزم نهائيا

حينما تبيَّن لهم خبثه،وعادوا إلى القيروان،التي دخلها المنصور فيما بعد،وعاقب أهلها على خروجهم مع أبي يزيد،ثم عاد وأمَّنهم وهادنهم،مغيِّراً بعضا من سياسة دولته تجاههم.

وفحوى القول أن تلك المشاركة السُّنية في عمل مسلح إلى جانب الخوارج،بعدما تقدم ذلك أشكال من المقاومة السلمية،كان لها أثر بالغ في الحياة السياسية والمذهبية لهذه الدولة خاصة،وعلى الحياة عامة في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة قيد الدراسة،ما دفع بثالث الخلفاء الفاطميين إلى مراجعة سياسة دولته تجاه هؤلاء،والتغير في بعض جوانبها حتى يضمن بعضا من الاستقرار للدولة الفاطمية،ويختلي بمواجهة جبهة واحدة،كانت تأرق سلطته بالمنطقة وهي ثورات البربر الخوارج،فهادن أهل السنَّة ومنحهم فسحة من الحرية المذهبية مع نوع من الرقابة والحذر،مخافة ثورتهم من جديد،خاصة بعد مشاركتهم الأخيرة في عمل مسلح كان برهانا لمدى قدرتهم على التأثير في الحياة السياسية للمنطقة بفاعلية،فحاول دمجهم في الحياة السياسية للدولة الفاطمية من خلال جهازها الإداري،فكيف كان ذلك،أو بصيغة أخرى كيف أثرت هذه الحركة السياسية النوعية التي شارك فيها فقهاء أهل السنة،في تغير وضع الفقيه من رجل دين وعلم فقط،إلى شخصية لها مكانتها ووزنها في الحياة السياسية للدولة الفاطمية وتشارك ذلك بفاعلية،من خلال أحد أجهزة هذه الدولة،ألا وهو الجهاز الإداري،فانتقل بذلك من المشاركة في الحياة السياسية للدولة الفاطمية عن طريق الثورة والعمل المسلح،إلى المشاركة السياسية المدنية-إن صح التعبير-،وما مدى فاعلية هذه المشاركة-للفقهاء من الشيعة وأهل السُّنة- في التأثير على الأوضاع العامة للمنطقة خاصة الجانبين السياسي والمذهبي؟

3/مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية بتقلُّد بعض المناصب الهامة في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(297هـ-361هـ/910م-972م):

بعد أشكال المقاومة التي عرفها المغرب الإسلامي خلال الحكم الفاطمي له،من طرف ساكنيه تتزعمهم في ذلك نخبة من الفقهاء،قرَّر الخلفية إسماعيل المنصور بالله،دمج بعض فقهاء أهل السنَّة في الحياة السياسية،من خلال منحهم الحق في المشاركة في الحياة السياسية

=بعد؟.ينظر في ذلك:ابن عذارى، **المصدر نفسه** ،ج:01،ص:218؛فاطمة بلهواري، **المرجع نفسه**،ص: 293.

بطريقة سلمية،وذلك بتنصيب بعضهم على رأس خطط مهمة للدولة،وكان أسلافه قد منحوا تلك المكانة للفقهاء الشيعة الإسماعيلية منذ عهد الدعوة،واستمر ذلك طيلة فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي،ويمكننا تصنيف هذه المشاركة السياسية للفقهاء عبر جهازها الإداري إلى صنفين،مشاركة سياسية من خلال المناصب الحكومية،ومشاركة سياسية من خلال المناصب الإدارية،وسنحاول أن نستعرض في ذلك أهم المناصب التي تقلَّدها الفقهاء-الشيعة والسنَّة-في الدولة الفاطمية،وأثر تلك المشاركة على الحياة السياسية والمذهبية لهذه الدولة بالمغرب الإسلامي.

أ_مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي من خلال تقلُّد بعض المناصب الحكومية:

هذا النوع من المناصب كان وظل منذ الدعوة إلى انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر،حكرا على رجال معيين مذهبهم شيعي إسماعيلي،نالوا الحظوة والرِفعة عند خلفائهم ورعيتهم،من خلال ما اكتسبوا من علم وفقه في مذهبهم،لذا فإن مُتَوَلِّ هذه المناصب كانوا في أغلبهم فقهاء ودُعاة لهذا المذهب بالمغرب الإسلامي،وسنحاول فيما سيأتي استعراض بعض الشخصيات،التي تقلَّدت أهم المناصب الحكومية الهامة في الدولة الفاطمية،بصيغتها المباشرة وغير المباشرة في تولي مهامها،خلال الفترة المغربية-إن صح التعبير-من عمر الدولة الفاطمية

1/الـــــــــوزارة:

استعان الفاطميون عند وضعهم للجهاز الحكومي لدولتهم بأشخاص لامعين وماهرين في مباشرة الأعمال،وإن لم يتخذوا في مرحلتهم المغربية وزراء[1] لهم،حيث بقي منصب الوزارة

---

[1]-مفردها وزير،وقد وردت هذه الكلمة حسب معناها اللغوي والاصطلاحي،بمعنى مساعد الأمير أو الحاكم ومن يعينه في حمل أثقال مسؤولية الدولة،في موضعين من القرآن الكريم،قال تعالى: **" قَلَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ويَسِّرْ لِي أَمْرِي،وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي،يَفْقَهُوا قَوْلِي،واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي،هَارُونَ أَخِي،اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي..."سورة** طه،الآية:25، 31وقال تعالى أيضا:**"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً"**سورة الفرقان:الآية:35.وفي لسان العرب،الوزير: هو حَبَأُ الملك الذي يحمل ثقله ويُعينه برأيه،وقد استوزره،وحالته الوِزَارَة،والكسر أعلى،ووازره على الأمر،أعانه وقوّاه،والأصل آزره،قال ابن سيِّده:ومن ههنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في وزير بَدَلٌ من الهمزة،ووزير

من الناحية الرسمية شاغراً طيلة عهد الفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي،أما من الناحية الميدانية،فهناك شخصيات قامت بأعمال الوزراء [1]،فكثيراً ما تمركزت عدة صلاحيات في شخص واحد،وكمثال على ذلك ما حظيَّ به الداعي الشيعي إبراهيم بن محمد البغدادي من مكانة عند خلفاء المرحلة الأولى من عمر الدولة الفاطمية ببلاد المغرب،فهي بمثابة الوزارة،ولم يَتَسَمَّ رسميا بذلك،إذ فُوِّضَتْ إليه أمور كثيرة في الدولة،ومن المهام التي مارسها هذا الفقيه والداعي الشيعي،ودلَّت على حظوته عند عبيد الله المهدي،هي وساطته بين الرعية والخليفة،عند تسوية أحوال العامة،من ذلك ما ترويه بعض المصادر السُّنية،عن سجن قاضي القضاة إسحاق بن أبي المنهال للفقيه المالكي ابن اللَّباد،ولم يطلق سراحه إلا بوساطة البغدادي وتشفعه له عند الخليفة،الذي أمر قاضي قضاته بإطلاق سراحه[2].

وكثيرا ما كانت تُرفع إليه شكاوى الرعية حتى يُبَلِّغَهَا إلى عبيد الله المهدي،منها ما يحمله العامة أو حتى ما كان يحمله الموظفين من أخبار وجب تبليغها للخليفة،إذ يُذكر أن صاحب الخبر[3] رفع إليه يوما أن الفقيه أحمد بن موسى التمَّار [4]،وهو احد فقهاء المالكية، يطعن في

=الخليفة معناه،الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجأ إليه،وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أُسند إليه من تدبير المملكة،أي يحمل ذلك،وفي حديث السقيفة:" نحن الأمراء وأنتم الوزراء"جمع وزير وهو الذي يوازره فيحمل عنه ما حمله من الأثقال،والذي يلتجيء الأمير إلى رأيه وتدبيره،فهو ملجأ له ومفزع.ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**،**مادة وزر**،ص:4824.

[1]–قال الجوذري:"...إذ لم يكن لهم وزراء يدبِّرون لهم أو معهم شؤون الدولة،بل كان الإمام يتولى بنفسه السلطات كلّها مباشرة،ويعاونه في ذلك بعض الموثوق بهم مثل جوذر هذا،فكان هؤلاء بمثابة وزراء قبل أن يعظم شأن الوزارة في الدولة الفاطمية".ينظر:أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر**،ص:08.

[2]– ينظر تفاصيل ذلك عند:أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج:03،ص،ص:25، 26.

[3]– لعلّها إحدى الوظائف التابعة لجهاز الشرطة أو لديوان الكشف.

[4]–**أحمد بن موسى التَّمار** :سمع من يحي بن عمر علماً كثيراً،وواظب على سعيد بن الحداد،فغلبت عليه معانيه،يتكلم في الفقه والمسائل،وفي النظر واختلاف الناس،ويُعنى بالمناظرة والجدل،ويتكلم في اللغة وهو في الجملة كثير التصرف،جميل الأدب،كريم المروءة،كامل الأخلاق كثير الأخبار والحكايات.ينظر: الخشني، **المصدر السابق**،ص،ص:40، 41.

الدولة،فأمر عبيد الله بقتله،والأبعد من هذا أن البغدادي كان يتدخل أحيانا في عزل وتولية من يشاء من الموظفين[1]،وللإشارة فإن هذا المنصب لم يتولاه البغدادي إلا وقد نال من العلم والحظوة عند الخلفاء ما نال،وقد حوَّله فقهه وعلمه لأن يكون شخصية دبلوماسية–إن صح التعبير– بامتياز،فكان وزير تشريع إن جاز لنا أن نسميه كذلك.

في حين تولى الأستاذ جوذر منصب الوزارة بشكل مختلف،جمع بين وزارتي التفويض والتنفيذ[2]،حيث تولى في عهد القائم بأمر الله الكتابة[3]،وقد كان خلفاء هذه الدولة لا يولون مثل هذه المناصب إلا لمن يتوسمون فيه الإخلاص للخليفة الفاطمي والدعوة الإسماعيلية،

[1]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :82.

[2]–"الوزارة عند الماوردي والبصري مقسمة إلى قسمين وزارة تفويض ووزارة تنفيذ،فأما **وزير التفويض** فهو أن يستوزر الخليفة من يُفوض إليه تدبير وتصريف شؤون الدولة برأيه وإمضائه على اجتهاده دون الرجوع إليه،فهو ينظر في جل ما ينظر فيه الخليفة،وهو يملك حق مزاولة جميع سلطات الخليفة،حيث أن كل ما يصح عن الخليفة يصح على الوزير باستثناء أمور قليلة،مثل التفويض على ولاية العهد،ولا يكون متصلا بالأمة إلا عن طريق الخليفة الذي يعيّنه،أما **وزير التنفيذ** فيُعَيِّنه الخليفة لينوب عنه في تنفيذ الأمور دون أن يكون له سلطة استقلالية،فهو مجرد وسيط بين الخليفة والعاملين بالدولة وغيرهم،والرأي والاجتهاد يكونان للخليفة أو لوزير التفويض،وتكون مهمة وزير التنفيذ أن ينفِّذ عنه ما ذُكر،وإن كان يجوز له أن يشارك الخليفة أو وزير التفويض الرأي،دون أن يستقل برأيه لأنه معين لتنفيذ الأوامر وليس بوالٍ عليها أو مقلِّد لها،ومما سبق يتضح لنا أن وزير التفويض وتأسياً على اتساع نطاق اختصاصاته،هو أقرب ما يكون برئيس الوزراء بمفهومنا اليوم،في حين يعتبر وزير التنفيذ بمثابة الوزير العادي"،والأستاذ جوذر هنا كان له جمع بين سُلطتي التفويض والتنفيذ،حيث عيَّنه الخليفة عبيد الله المهدي من بين الفتيان الصقالبة،واستخلفه القائم بالله على قصره وجميع من فيه من حرمه وأهله عندما خرج على رأس الجيش إلى المغرب،وذلك في حياة عبيد الله المهدي،ولما توفي هذا الأخير وتولى القائم بأمر الله صرف إليه النظر في بيت المال وخزائن البز والكساء،وجعله سفيرا بينه وبين أوليائه،وسائر عبيده،وجعله أمين سره.ينظر:أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر السابق**،ص،ص:35،39؛أحمد وهبان،**الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي** ،دار الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية–مصر، 2001م،ص،ص: 71، 73.

[3]–وهي من أهم وأعلى المناصب في بلاط الخلافة الفاطمية.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع نفسه** ، ص:83.

ومثل ذلك الأستاذ جوذر وجوهر الصقلي [1]،وكان جوذر أمين سر الخلفية القائم بأمر الله كما ورد على لسانه[2]،ونال نفس الحظوة عند الخليفة المنصور بالله،حيث كلَّفه بالحل والعقد في جميع الأمور [3]،واستخلفه على ملكه عندما خرج لقتال ثم مطاردة أبي يزيد مخلد بن كيداد[4]،ليصل جوذر بذلك إلى أعلى المراتب بتوليه نيابة الإمامة،فسيَّر أحوال الرعية وكان البديل المؤقت للخليفة المنصور في غيابه–إن صح التعبير– فكان بذلك الوزير الأول ونائب السلطان–بمثابة مدير ديوان الرئاسة حاليا–ويُذكر أن جوذر قد اشتكى في كتاب له للمنصور يوما أن أهل القصرين لا يريدون أن يتدخل في شؤونهم،وأمر البلاد قد انفلت بعد عودة المنصور وإفلات جوذر لقبضته عليهم في حضور مولاهم،فردَّ عليه الخليفة مكاتباً:" لا شيء يكون في المهدية كلِّها وفي كافة ما حولها من أعمال مثقال ذرة إلا وأنت تعرفه وتعنى به وتتحكم فيه"[5]،فعاد وباشر مهامهم في تسيير أمورهم في شدة وحزم واستقامت الأحوال.

في عهد المعز لدين الله ظل جوذر على هيئته وفي منصبه،ونال من الحظوة والاحترام عنده ما خوَّله لمنحه سلطة مراقبة أفراد القصر رعايتهم،فضيَّق عليهم حتى اشتكوه إلى المعز لدين الله فلم يقبل شكواهم،وكان المعز يأمر أولاده وإخوته وجميع رجال دولته بالخروج

---

[1]– جوهر الصقلي يمكن اعتباره وزير تنفيذ لا تفويض حسب ما نرى،وذلك كونه كان أكثر تنفيذا لأوامر الخليفة في تواصله مع الرعية،من خلال قيادته للجيش،وإيصال أوامر الخليفة للرعية من العُصات بالتنبيه والنهي قبل أن يقع فيهم عقابه،وإلى العمال بالنصر مثلا قول الجوذري:"أمر المنصور عبده جوهر الصقلي بإنفاذ السجلات على البريد إلى جميع الآفاق بالفتح"،ويمكن القول انه كان بمثابة وزير للحربية أو الدفاع بمصطلح حديث.ينظر:أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص:51.

[2]– عند وفاة عبيد الله المهدي وتولي القائم،أسرَّ إلى جوذر بأن ولي عهده وحجته هو الخلفية إسماعيل المنصور،وذلك لأنه" لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم لنفسه حجة"فكان مستودع ومستقر سِره مدة سبع سنوات.ينظر:أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص:40.

[3]–الداعي عماد الدين إدريس، **عيون الأخبار** ،ج:05،ص:161؛فاطمة بلهواري، **المرجع السابق** ، ص:83.

[4]–أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **المصدر السابق**،ص:44؛ابن الاثير، **المصدر السابق**،ج:06 ص: 308.

[5]– أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص،ص:61، 70.

لملاقاة جوذر عند قدومه وتقديم الاحترام له،وحين مرض جوذر كتب إليه الخليفة قائلا:"...لو كانت العافية يوصل إليها بثمن من أغراض الدنيا وإن جلَّ، ما بخلنا بابتياعه لك من النفيس الخطير من نعمة الله عندنا" [1]،وتشايع بين الناس أن المعز يريد استخلاف جوذر على بلاد المغرب الإسلامي بعد انتقاله إلى مصر،فكاتبه في ذلك،لكن المعز أنكر ذلك كونه لا يريد فراق جوذر لمكانته عنده،وأنه سيرافقه إلى مصر حتى وإن كانت حاجته إليه في المغرب أكبر [2]،وبالفعل رافق جوذر المعز في انتقاله إلى مصر،لكنه توفي في الطريق ببرقة سنة(361/972م) [3]،وللإشارة فقط فإن هؤلاء الوزراء-إن أمكننا أن نسميهم كذلك-البغدادي وجوذر الصقلي وغيرهم، لم ينالوا تلك المكانة والحظوة عند خلفاء الدولة الفاطمية،إلا لما تميَّزوا به من علم وفقه بالمذهب الشيعي الإسماعيلي،إضافة إلى ولاءهم وعصبيتهم لهذا المذهب وخلفائه،وقد تمَّ لنا ذكرهم كأُنموذج لفقهاء كانوا على المذهب الشيعي،فوصلوا إلى أعلى المراتب في الدولة الفاطمية،وجمعوا بين كونهم رجال علم ودين بالسياسة،فبرعوا وتميَّزوا في ذلك بما أسهموا به من أعمال في تسيير الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي.

جوهر الصقلي هو الآخر بلغ مرتبة كاتب،في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ولاشك أنه لم يصل إلى هذا المنصب إلا بعد أن أظهر قدراته وكفاءاته،في تسيير بعض شؤون الدولة التي أوكلت إليه،مثل قيادة الجيش الفاطمي التي برز فيها كثيرا،وحقق مطامح خلفائه في التوسع الداخلي والخارجي [4]،وقال ابن أبي دينار:"...وفي سنة (345هـ) ارتفعت

---

[1]- أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص:108.

[2]- أبو علي منصور العزيزي الجوذري،**المصدر نفسه**،ص:108، 109.

[3]-تذكر الباحثة فاطمة بلهواري أن ذلك كان سنة(358هـ/973م)،لكننا نعتقد عدم صحة هذا التاريخ الذي أوردته،ونرجح التاريخ المكتوب في المتن،ذلك أن التاريخ الميلادي لا يوافق الهجري،كما أن التاريخ الميلادي الذي ذكرته يوافق تقريبا سنة(361هـ)وهي السنة التي اتفق معظم المؤرخين على أنها سنة انتقال المعز لدين الله الفاطمي بدولته من المغرب الإسلامي إلى مشرقه.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع السابق**،ص:85.

[4]-"...بعث المعز لدين الله القائد أبو الحسن جوهر إلى مصر،وكان جوهر غلام والده إسماعيل،وأصله رومي،جلبه خادم اسمه صابر،ثم انتقل إلى خفيف الخادم،فحمله إلى إسماعيل المنصور،فظهر

رتبة جوهر الكاتب وصار في رتبة الوزارة" [1]،وهو نفس ما أورده ابن الأثير أيضا:"...وصار في رتبة الوزارة" [2]،والملاحظ هنا أن كلاهما لم يقل أنه صار وزيرا،وإنما اكتفيا بالإشارة إلى ما بلغه من رتبة دون تنصيب،ما يثبت بشكل قاطع أن هذا المنصب ظل مضمراً في عهد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،إضافة إلى أن جوهر الصقلي على الرغم من اعتباره المؤسس الثاني للدولة الفاطمية بعد أبو عبد الله الشيعي،كونه من وضع قواعد تأسيسها بمصر والسبب في تهيئ انتقالها من المغرب إلى المشرق الإسلامي،نظرا لما قدمه من خدمات جليلة في المجال السياسي والعسكري بالنسبة للدولة الفاطمية،إلا أننا يجب أن نشير إلى كونه رجل عسكري بامتياز،لا تذكر المصادر التاريخية ولا المراجع علمه وفقهه بالمذهب الشيعي،وهو ما كان يشترطه الخلفاء الفاطميون في تقريب رجالهم وتوليتهم،وهو ما يقودنا إلى القول أنه لربما كان ولاؤه للخليفة المعز،مع ما أظهره من تميز وكفاءة في المجال العسكري،هو سبب تقريبه وتقديمه على رأس الجيش الفاطمي،ما خوَّله لأن يكون وزير تنفيذ عسكري [3] لا تفويض–بمثابة وزير الدفاع حاليا- فلم يكن شأنه في ذلك شأن البغدادي أو جوذر،رغم أنه بلغ أيضا رتبة كاتب وهي من أهم المناصب في الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي.

وقصارى القول أن الفاطميين استغنوا اسمياً عن منصب الوزارة وعوضوه بمنصب الكتابة- أو الكاتب إن صح التعبير–وهي أرقى المناصب الحكومية التي كان يمكن لعامل الوصول

=عنده،فأرسله المعز بالعساكر إلى مصر فافتتحها سنة(358هـ).ينظر:ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج: 01،ص:221.

[1]- ابن أبي دينار،**المصدر السابق**،ص :61.

[2]- ابن الأثير،**المصدر السابق**،ج :07،ص:261.

[3]- تم عزله عن دواوين مصر وجباية أموالها من طرف المعز لدين الله بمصر سنة(364هـ)ومن كان قبل من الوزراء مثل جوذر مثلا لم يعزل بل مات وهو في خدمة الخليفة،ما يظهر أن مكانة جوهر الصقلي لم تكن هي ذاتها مكانة من سبقه من الوزراء،كما أنه حسب رأينا الخاص فإننا نرجح سبب عزله في تخوف الخليفة من تمادي نفوذ هذا الوزير خاصة وأنه هو واضع أسس الدولة الفاطمية بمصر،ويحدث معه ما حدث مع الخليفة الأول لدولته عبيد الله المهدي مع داعيته أبو عبد الله الشيعي.ينظر:ابن أبي دينار،**المصدر نفسه**،ص:63.

إليها،في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ورغم المهام الوزارية التي كان يناط بها هؤلاء الرجال،إلا أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على عدم تركيز كل السلطات والصلاحيات في يد أحد من عمالهم مهما بلغ ولاؤه،ومهما بلغ علمه وفقهه في المذهب،ولربما يعود ذلك لعدم ثقتهم حتى في أقرب الناس إليهم،ورغم مكانة الوزراء وما تقلدوه من مهام في عهد دولتهم بمرحلتها المغربية،إلا أن قرارات الحكم في أي شأن يهم السلطة وحتى الرعية كان من شأن الخليفة وحده،ولا يمكن للوزير مهما علت درجته وارتفعت مكانته أن ينال التفويض التام في تسيير أمور الدولة نيابة عن الخليفة في غيابه،وإنما كان وزير التفويض كما اصطلحنا على تسميته انطلاقا من مهامه،يراجع الخليفة في كل قرار يتخذه يهتم بشؤون الدولة،وذلك ما لمسناه جليًّا في سيرة الأستاذ جوذر.

2/داعي الدعـــــاة[1]:

لقد قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب على جهاز إداري حكومي دقيق،إذ انحصرت – تقريبا–جل الوظائف الهامة في أتباعهم ومعتنقي مذهبهم [2]،وقد أقصوا منها كل مخالف لمذهبهم،وقد قام هذا الجهاز على أنقاض النظام الأغلبي،إلا أنهم أدخلوا عليه بعض التعديلات،التي تتماشى وخصائص المذهب الإسماعيلي بالمنطقة،إذ استحدثوا وظائف جديدة لم تُعرف عند غيرهم،ممن حكموا بلاد المغرب الإسلامي،ومن ذلك وظيفة داعي

[1]– من المناصب الهامة في الجهاز الحكومي للدول الإسلامية في العصر الوسيط،منصب الحجابة أو الحاجب،ونظرا لعدم توصلنا لمعلومات كافية عن هذا المنصب بالدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،إلا بعض الإشارات التي تدل على وجوده انطلاقا من أسماء بعض رجال هذه الدولة وهم: جعفر بن علي الحاجب،الذي يذكر النويري أنه كان حاجبا زمن القائم بأمر الله وظل كذلك حتى في زمن المنصور بالله،ويذكر ابن عذارى أن عبيد الله عند دخوله رقادة:"استحجب أبو الفضل جعفر بن علي وأبو أحمد جعفر بن عبيد،وأبو الحسن طيب بن إسماعيل المعروف بالحاضن،وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماسي"،و قد تركنا ذكر هذا المنصب لعدم توفرنا على القدر الكافي من المعلومات حوله، لذا قدّمنا ذكر منصب داعي الدعاة.ينظر:شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ج:28،تح:نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز ،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان،ط:01، 2004م،ص:72؛ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:159.

[2]– ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج :01،ص:151.

الدعاة،وهي من أعلى المراتب في السُّلم الإداري لهذه الدولة،وكثيرا جدا ما كانت تُضَمُّ إلى وظيفة قاضي القضاة،ويسندان لشخص واحد،وكانت هذه الوظيفة من أرباب الوظائف الدينية والإدارية الهامة في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،فلَهُ النظر في أهم الأمور الإدارية من جهة،ونشر مبادئ المذهب الإسماعيلي من جهة أخرى،وكذا أخذ العهد على من يعتنق هذا المذهب أيضا [1]،ومن أهم الشخصيات التي تذكر المصادر التاريخية توليها لهذا المنصب القاضي النعمان.

3/قاضي القضـــاة:

أَوْلَتْ الخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي اهتماما كبيراً بخطة قضاء القضاة،لأنها المترجم والمطبّق لتعاليم المذهب الذي استندت عليه في قيامها،والمتولي لهذه الخطة يرعى مصالح الناس وينظر في خصوماتهم،ولم تكن الخلافة تسند هذه الوظيفة إلا لداعية أو فقيه،فأَسندوا منصب قاضي القضاة لأشخاص توفرت فيهم خصائص تتفق ومصالح سياستهم،وأعطوا الجهاز أهمية كبيرة،حيث يختار الخلفاء هؤلاء من بين الرجال الكفوئين في دولتهم [2]،وكان أول شخص تولاَّها في بلاد المغرب الإسلامي أبو عبد الله محمد بن عمر بن يحي بن عبد الأعلى المروذي [3]،أيام أبي عبد الله الداعي الشيعي [4]،وبعد وصول عبيد الله المهدي إلى رقادة قادما من سجلماسة ومباشرته لسلطاته،أقرَّه في منصبه،فكان المروذي يكتب في كتبه وسجلاته: "من محمد بن عمر قاضي القضاة إلى..." [5]،هذا بعد أن عيَّنه الداعي أبو عبد الله وأوكل إليه تولية القُضاة والولاة بسائر البلدان- وفي ذلك إشارة إلى ما تولاه قاضي القضاة من

[1] - فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص: 66.

[2] - فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص:78.

[3] - سبقت ترجمته.

[4] -للإطلاع على القضاء وأصوله وتنظيماته زمن الدعوة وقيام الخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي.
ينظر:بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران** ،ص،ص:52، 60.

[5] - القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص:247.

مهام-وهذا دون كتابة عهد،حسبما ترجّح الباحثة بوبة مجاني[1]،وإنما كان ذلك كإجراءات استعجالية قام بها الداعي أبو عبد الله لتنظيم الدولة بعد سقوط الدولة الأغلبية،في انتظار الإعلان عن قيام الدولة الفاطمية بتنصيب الخليفة.

قام قاضي القضاة المروذي بإجراءات عديدة للضغط على فقهاء أهل السُّنة والعامة منهم،سبق أن ذكرنا أهم ما قام به من أعمال ضدهم،حيث امتحنهم بكل الطرق،لكنهم أبوا أن يتشيعوا،والجدير بالذكر أن المروذي بذلك كان يطيع أوامر خليفته عبيد الله المهدي،ولم تكن أعماله نابعة من قرارات شخصية من منصبه كقاضي قضاة،وإنما استخدم سلطته لتنفيذ الأوامر بطرقه الخاصة،عُزل بعد ذلك القاضي المروذي وعُذب حتى مات-كما سلف لنا الذكر-لكن اختلفت المصادر التاريخية بين مصادر سُنِّية ترجح تولية منصب قاضي القضاة بعده لأحد المتشيعين القدامى وهو محمد بن محفوظ القمودي[2]،ومصادر شيعية تجعل هذا المنصب بعده من نصيب إسحاق بن أبي المنهال،وهو من بيت علم حنفي المذهب،ثم تحوَّل عنه إلى المذهب الشيعي،غير أن المصادر التاريخية لا تشير إلى تاريخ هذا التحول،هل كان أيام الدعوة أو بعد قيام الدولة؟،تدرج ابن أبي المنهال في مراتب القضاء إلى أن وصل إلى قضاء القضاة،فبعد أن تشرَّقَ وُليّ قضاء صقلية،ثم قضاء القيروان،وعُزل سنة (311هـ/924م)[3]،ثم أُعيد إلى منصبه،فَعُيِّنَ قاضيا للقضاة سنة(312هـ/925م)،وظل بهذا المنصب إلى أن توفي.

---

[1]- بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص:62.

[2]-وهو ما ذهب إليه الخشني وابن عذارى.ينظر:الخشني، **طبقات علماء إفريقية**،ص:92؛**قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**،تصح:عزت العطار الحسيني،مكتبة الخانجي،القاهرة- مصر،ط: 01: 1953،ط:02: 1994مً،:293؛ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:182

[3]-يقول ابن عذارى في أسباب عزل ابن أبي المنهال من منصبه كقاضي قضاة في المرة الأولى،أن عبيد الله المهدي كتب إليه ما يلي:"وإنما كنَّا عزلناك للينك ومهانتك،ورددناك لدينك وأمانتك".ينظر:ابن عذارى،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:189.

وتذكر المصادر الشيعية–حسب بوبة مجاني في مؤلفها الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي–قاضيا للقضاة أهملته بعض المصادر التاريخية،وألا وهو "أفلح بن هارون الملوسي"[1] الذي ترقى في مراتب الدعوة والقضاء إلى أن تولى رئاسة الدعوة،وقضاء القضاء في خلافة عبيد الله المهدي،وهو من الذي تشيعوا مبكرا على يد الداعي الحلواني[2]،وتدرج في مراتب الدعوة كما ذكرنا،إذ عمل قاضيا على طرابلس بعد أن عيَّنه الخليفة عبيد الله المهدي بها،ثم غادرها بعد أن ثار أهلها على واليها سنة(300هـ/912م)[3]،وعاد إلى رقادة التي عيَّنه عبيد الله المهدي قاضيا عليها كما يذكر الخشني،وكان شيخا كتامياً أعتى[4].

وبالعودة للحديث عن ابن أبي المنهال،نجد أنه عزل من منصبه في قضاء القيروان للمرة الأولى–كما ذكرنا سالفا– عندما كان أفلح بن هارون الملوسي قاضيا للقضاة،وكان سبب عزله هو لينه ومهانته،وعدم قدرته على مواجهة فقهاء المالكية مواجهة علمية،أما توليته للمرة الثانية فكانت كقاضٍ للقضاة[5]،ودليل ذلك تعيينه لقاضي طرابلس أحمد بن بحر[6]،الذي خلفه في خطة قضاء القضاة بعد وفاته،مع العلم أن أحمد بن بحر كان حنفي المذهب ثم تحوَّل إلى المذهب الشيعي–كما سلف لنا الذكر–تولى في البداية مظالم القيروان سنة(313هـ/926م)،ثمَّ عُيِّن قاضيا على طرابلس،وأخيراً قاضيا للقضاة،إلى أن قُتل

[1]– ذكرنا سابقا أنه لُقب بشيخ المشايخ.

[2]– بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:69.

[3]–كان واليها يدعى"ماكنون بن ضبارة الأجاني"للمزيد حول ثورة سكان طرابلس عليه.ينظر:الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص–ص:192، 211.

[4]–لا نجد ذكرا لتولية أفلح بن هارون قضاء رقادة بعد طرابلس في المصادر الشيعية وإنما هو ما ذكره الخشني فقط.ينظر:الخشني،**طبقات علماء إفريقية**،ص:92.

[5]–ولعله التفسير المنطقي لاختلاف الروايتين الشيعية والسنيَّة حول من تولى قضاء القضاة بعد المروذي،في حين أن كلا الروايتين صحيحة،والاختلاف يكمن في فاصل التولية بن القاضيين الملوسي وابن أبي المنهال فقط.ينظر:بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:76.

[6]–ينظر ترجمته :الخشني،**المصدر نفسه**،ص:92؛القاضي عياض،**ترتيب المدارك**،ج:04 ص:492 ابن عذارى،**المصدر السابق**،ج:01،ص:205.

سنة(333هـ/943م)بالقيروان،وكانت القيروان هي مقر القضاء في البداية قبل أن تتحول المنصورية (صبرة) لمقر القضاء الجديد[1]،وهذا أثناء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

ولعل من أشهر قُضاة القُضاة في المرحلة المغربية من حياة الدولة الفاطمية،القاضي النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي،الذي ولاَّه الخليفة المنصور بالله القضاء،وكان القاضي النعمان قد تولى عدة مناصب إدارية للخلفاء وتدرج في المناصب الإدارية،إلى أن بلغ مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة،إذ كان قاضيا على طرابلس في بداية خلافة المنصور بالله،وهو أول من يستقضيه[2]،إذ لم يكن بإمكانه تعيينه مباشرة كقاضي قضاة،قبل تمرسه بهذا المنصب،وكذلك بسبب الاضطرابات التي كانت تعاني منها الخلافة الفاطمية على عهده وعهد القائم قبله،لذا ولاَّه قضاء طرابلس،ثم رقادة إلى قاعدة حكمه بمرتبة قاضي قضاة،وقد وصلنا عهد توليته الذي يعود لزمن حكم الخليفة المعز لدين الله،والمؤرخ في 28 ربيع الأول 349هـ/954م)،وفيه حدد الخلفية سُلطة ومهام قاضي القضاة[3]،والتي كانت كالآتي:

1/هو الذي يتولى القضاء في قاعدة الحكم.

2/يُعَيِّنُ القضاة على الأقاليم[4]،إلى حيث تمتد حدود الدولة ويوجد أتباع الأتباع،أو كما يسميها في عهد التولية:"الكُوَّرْ الدينية"،مما يعني أن سلطة الخليفة تعدت الحدود السياسية لتبلغ كل المناطق التي يوجد بها أتباع للمذهب،حيث من شأنه أن يعين عليها قاضيا يقضي

---

[1]-بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص :73.

[2]- القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص :348.

[3]- القاضي النعمان،**المصدر نفسه**،ص ،ص:80، 81.

[4]-كان قاضي القضاة هو المخوَّل بتعيين قُضاة الأقاليم،على امتداد سلطة الخلافة،وكانوا يُختارون من أتباع المذهب والمناصرين له،وممن بلغوا درجة عالية في العلم،فالقاضي يكون فقيهاً وعالماً حتى يستطيع أن يقضي بين الناس،وإن كان النفوذ والتشيع غالبا هما اللذان يرشحان الشخص لوظيفة القضاء.ينظر:أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ،ص-ص:36-47؛بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:91؛عارف تامر،**المعز لدين الله الفاطمي**،ص:158.

بين أهلها،وفق المذهب الشيعي الإسماعيلي،حسب ما يُفهم من عبارة الكور الدينية في رأي "بوبة مجاني"،الذي توره في مؤلفها "الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي"[1].

3/النظر في المظالم.

4/النظر في الخصومات بين الأولياء والعبيد والجند.

5/النظر في المواريث وأموال اليتامى،وحثه على الحفاظ عليها ووضعها في مواضعها الواجبة[2]

6/كما تولي قاضي القضاة النعمان الخطب في الأعياد ويوم عاشوراء[3].

7/كانت له صلاحية النظر في أهم الوظائف العامة مثل الحسبة ودار الضرب وبيت المال[4].

وقد قُرنت خطة قضاء القضاة برئاسة الدعوة كما ذكرنا آنفا،فالنعمان تولاهما معا،فأصبح يعقد مجالس الدعوة حسب مراتب الأتباع،ويرد على علماء السنَّة [5]،وذلك ما كلَّفه به المنصور بالله،في إطار وظيفته الدعوية،مما يبيِّن التحول الواضح في سياسة الدولة المذهبية،بتعويلها على الصراع الفكري والجدل والمناظرة [6]،وتخليها نوعا ما عن التعذيب

1– بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص: 77.

2– بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:77.

3– بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:80.

4–القلقشندي،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج :03،ص:482؛فاطمة بلهواري، **المرجع السابق**،ص:78.

5–لقي تعيين النعمان قاضيا للقضاة معارضة من طرف أتباع المذهب والمخالفين له على حد سواء،ويبرر النعمان أسباب هذه المعارضة بشدته في أحكامه،أما معارضيه من أتباع المذهب فهم كتامة لطمعهم في تولي هذا المنصب،إذ لم يوليه منهم أحد إلا أفلح بن هارون الملوسي،أما المالكية من مخالفيه فعارضوا تعيينه لما عُرف عنه من تشدد مذهبي،ما لم يكن في صالحهم.ينظر:بوبة مجاني، **المرجع نفسه**،ص،ص:78، 79.

6– كان قاضي القضاة النعمان يباشر مهامه تلك في سقيفة قصر الخليفة المنصور في بادئ الأمر،لعدم الأمر،لعدم وجود مسجد جامع بالمنصورية،والجلوس في جامع القيروان كان أمرا مستبعدا من سياسة الدولة الفاطمية بسبب المعارضة المالكية الشديدة لذلك،وعندما ضاقت سقيفة القصر بالمتخاصمين،وصعبت من تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود،لجأ النعمان إلى وليِّ العهد المعز لدين الله يطلب منه حلا،وكان الحل بناء دار للقضاء يجلس فيها القاضي،ويستطيع مباشرة مهامه،وعن أدوات

والسجن،وهذا التغيير جاء نتيجة شدة المعارضة التي عرفها المذهب الشيعي الإسماعيلي من أهل السنة والخوارج النكار،وبعد عزم المعز لدين الله على الرحيل للقاهرة،تولى قضاء القضاة بعد النعمان أحمد بن محمد بن أبي المنهال بن أخ إسحاق بن أبي المنهال،وكان قاضيا على تونس[1].

كانت هذه بعض أهم المناصب الحكومية التي ميَّزت الجهاز الإداري الحاكم للدولة الفاطمية،دون أن تتعدى صلاحيات أيّ من هذه الوظائف سلطة الخليفة،لأنها في نظر الشيعة الإسماعيلية مستمدة من السلطة الإلهية،لذا لا يمكن تجاوزها أو التطاول عليها بأي شكل من الأشكال،وما ذكرنا من مناصب يمكن أن نصطلح عليها اسم المناصب الحكومية[2] في بلاط خلافة،أما ما عُنيَّ بشؤون الرعية المباشرة وتسييرها فقد تكفَّل به جهاز إداري آخر،من شأن أصحابه الاحتكاك بالرعية مباشرة،وتنفيذ أحكام السلطة فيهم،وكذا حل ما أشكل عليهم من معضلات قد تعيق مصالح الدولة العليا،أو قد تمسُّ بأمنها وقاعدة وجودها في المنطقة،وهذا الجهاز تولاه رجال مرموقين في الدولة الفاطمية،من الشيعة الإسماعيلية خاصة،وحتى من أهل السنَّة الذين عرفوا تولية بعض مناصب هذا الجهاز الإداري خاصة في المرحلة الثانية من عمر الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،بداية من عهد المنصور بالله وكان جُلُّهم فقهاء،استعملهم الخلفاء في مناصب القضاء والمظالم-خاصة-

---

التقاضي فقد كان لقاضي =القضاة ديوانا وسجلا يُدَوِّن فيه كل ما يجري في جلساته،وعندما يُعيَّن قاضيا جديدا يسلِّم إليه هذا السجل،ليواصل ما بدأه القاضي السابق،من النظر في القضايا وتنفيذ الأحكام.ينظر:القاضي النعمان، **اختلاف أصول المذاهب** ،تح: مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت -لبنان،ص:48؛بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص،ص:81، 82.

[1]- الداعي عماد الدين إدريس،**المصدر السابق**،ص:311.

[2]-كانت هناك مناصب أخرى تسند إلى شخصيات مختلفة،لكن ليس للفقهاء دور فيها،وإنما كان أصحابها يختارون على الغالب من الخاصة والفرسان والجند الموثوق فيهم،مثل حامل الشمسة(وهي مظلة استعملها الخلفاء لتقيهم حر الشمس،وهي على هيئة جميلة من الصنع والطرز والترصيع بالجواهر الثمينة،وصاحب الستر(وهو من يرفع الستار عن الخليفة إذا جلس على عرشه في مقابلة الأعيان والأنصار والعامة)،وحامل سيف الخليفة،وصاحب التاج...إلخ.ينظر:فاطمة بلهواري، **المرجع السابق** ، ص:68.

لسيرتهم الحسنة أولا،أو لما لهم من مكانة عند الرعية السنِّية وبإمكانهم التأثير على مواقفهم السياسية والمذهبية،وفي ذلك إدماج للفقهاء في الحياة السياسية والمذهبية،وإشراكهم فيها من خلال تنظيم مواقف رعيتهم من مواقعه ومناصبه التي تخوِّلهم لذلك،فما هي أهم هذه المناصب الإدارية،ومَنْ أبرز من تَولّاهَا من الفقهاء في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدولة الفاطمية به،ثم كيف تَمَّتْ للفقهاء المشاركة في الحياة السياسية والمذهبية لهذه الدولة من خلال تلك المناصب؟

ب_مشاركة الفقهاء في الحياة السياسية للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي من خلال تقلُّد بعض المناصب الإدارية :

1/صاحب المـــــظالم[1]:

يمكن القول أن متولي المظالم أو صاحب المظالم كما يسمى،كان صاحب أعلى منصب وسلطة في الجهاز الإداري للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،وقبل الشروع في الحديث عن هذا المنصب ومتوليه من الفقهاء،يجب الإشارة إلى أن وظائف الجهاز الإداري على عكس الجهاز الحكومي،بحيث سمح لكثير من الفقهاء غير الشيعيين بتقلُّدها،وكل ذلك في إطار ما سَطَّره الخلفاء الفاطميين من خطوط عريضة وأخرى دقيقة لسياساتهم المذهبية والاقتصادية،وطموحاتهم السياسية بالمنطقة.

"كان الإمام سحنون أول من اتخذ صاحب مظالم[2]،وهي محكمة مستقلة أحدثها،تشبه المحاكم المستعجلة،تنتصب في الأسواق،وتحكم في دائرة محدودة،وهي غير الحسبة على المصالح العامة،ومن مدرجات القضاء"[3]،هذا ما قاله أبو زيد الدباغ عن صاحب

---

[1]–المراد بالمظالم عند أبي زيد الدباغ:"أحكام السوق،أي أنه المحتسب في الأسواق"،وهي عند النويري:"نيابة دار العدل"ويعدد لها شروطا كان الماوردي قد قيَّدها بها قبلا.ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج03،ص:09؛شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، **المصدر السابق**،ج: 06،تح علي بو ملحم،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان،ط:01،2004م،ص:225.

[2]–يرى الشيعة الإسماعيلية أن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– هو أول من جلس لسماع مظالم الناس.ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:79.

[3]– أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:198.

المظالم،وعن كيفية إدراج هذا المنصب ضمن المنظومة القضائية لبلاد المغرب الإسلامي،قبل قيام الدولة الفاطمية،فكان بذلك من بين المناصب الإدارية التي وُجدت قائمة على العهد الأغلبي،فحافظوا عليها وأدرجت ضمن جهازهم الإداري.

يمتاز صاحب المظالم بسلطة أقل من سلطة قاضي القضاة،وأكبر من سلطة قضاة الأقاليم،أو الولاة وباقي المناصب الإدارية الأخرى،فهو الذي يتولى النظر في القضايا التي يعجز القضاة عن النظر فيها [1]،والمتولي لها يكون صاحب سطوة،بحيث يستطيع أن ينظر في القضايا التي يقيمها الأفراد ضد أصحاب السلطة ذاتهم،مثل الوُلاة والعمال،وكُتّاب الدواوين،لهذا كانت ترد-خطة المظالم-لذوي الأمانة والعدل ومن يستطيع استعمال القوة،للتغلب على كل من يلجأ للعنف [2]،فلسلطته خاصية النظر والتنفيذ معاً [3].

وكان من مهام صاحب المظالم،النظر في الأمور المالية(كالأرزاق والغصوب) [4] والتجاوزات الإدارية التي يمكن أن يرتكبها العمال،فيمارس سلطته بمراقبة كُتاب الدواوين والعاملين على استيفاء الجبايات،وكان لصاحب المظالم مجلس يُعقد لمدة يوم واحد،ينظر فيه تظلمات الناس-أو مظالم الناس- وكان يحضر هذا المجلس القُضاة والحُكام،ليطلعوا على ما يجري في هذه المجالس،ولحفظ الأمن وضبطه داخل المجلس،ويحضر أيضا الحُماة والأعوان والشُرَطة،كما كان لابد من حضور جماعة من الفقهاء،ليلجأ إليهم صاحب المظالم في أحكامه الشرعية،وكل أحداث تلك الجلسات كانت تُدَوَّن من طرف كُتّاب،ويحضر مجلسه هذا شهود يشهدون على الأحكام التي يمضيها،بالإضافة إلى الشهادة على ما يعرضه

---

[1]-يُعرف محمد بن أبي زهرة ولاية المظالم قائلا:"...إنها كولاية القضاء،وكولاية الحرب،وكولاية الحسبة"،مما يثبت أن صاحب هذه الوظيفة تجمع له كل السلطات السابقة تشريعا وتنفيذا.ينظر:فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص:79.

[2]- بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص :106.

[3]-للمزيد حول سلطة صاحب المظالم،مهامه،والفرق بينه وبين سلطة ومهام القاضي ينظر:شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري،**المصدر السابق**،ج:06،ص،ص:224، 231.

[4]-أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح:أحمد مبارك البغدادي،دار ابن قتيبة،الكويت،ط:01، 1989م،ص:83.

الخصوم[1]،فمهامه جزء مما يتولاه وليُّ الأمر الأعظم،ويُقيم فيه نائبا عنه،ممن تكون له الكفاءة لأداء هذه المهمة،ويسمى المتولي لأمر المظالم ناظرا ولا يسمى قاضيا،وإن كان له مثل سلطة القضاء،ومثل إجراءاته في كثير من الأحوال،ولكن عمله ليس قضائيا خالصا،وإنما هو قضائي تنفيذي[2].

بعد تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،تولى الخليفة عبيد الله المهدي ينظر في مظالم الناس بنفسه في رقادة،وكان أول من تولاها بدولته[3]،لكن على غير حقيقتها ولا بشروطها اللازم توفرها في شخص متوليها،إذ قام إلى الناس فعذبهم لمجرد أنهم اشتكوا إليه ظلم الوُلاة وتعسفهم في نهب الأموال[4]،في عهد القائم بأمر الله مع الأسف لا تذكر لنا المصادر التاريخية–التي أمكننا الإطلاع عليها–أسماء متولي المظالم،أما في عهد المنصور بالله فقد كانت ترد عليه مظالم الناس ،فيردُّها إلى قاضي قضاته–النعمان– لينظر فيها[5]،لأنه عندما ولاَّه قضاء القضاة ردَّ إليه النظر في المظالم[6]،المعز لدين الله ولَّى النظر في المظالم على عهده لجوهر الصقلي،قبل أن يُثَبِّتَ القاضي النعمان كقاضٍ للقضاة ويردَّها إليه سنة(343هـ/954م)[7].

---

[1]–أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **المصدر نفسه** ،ص :79؛بوبة مجاني، **المرجع نفسه** ،ص: 106 .

[2]– فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :79.

[3]– يقول القاضي النعمان في ذلك:"وأنصف من المظالم وكان يباشر سماعها بنفسه،ويأخذ رقاع أهلها إذا ركب وإذا جلس،ويسمع منهم شكواهم،وينصفهم من ظلاماتهم بوجه الحق وسبيل العدل" ينظر:القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص،ص: 305، 306.

[4]– فاطمة بلهواري،**المرجع نفسه**،ص :80.

[5]– القاضي النعمان،**المجالس والمسايرات**،ص :396.

[6]– بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص :107.

[7]–بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:108.

هذا عن أهم الشخصيات التي تولت النظر في المظالم من الشيعة الإسماعيلية[1] أما من أهل السنَّة،فقد قامت العامة من أهل القيروان بتولية أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن أبي الوليد(ت 345هـ)[2]،خلفاً لأحمد بن بحر[3]،على مظالمهم فكان الحاكم بها،وذلك على أيام أيام أبي يزيد مخلد بن كيداد،الذي خيَّرهم من ينصِّبون لأحكامهم الشرعية؟ فاتفقوا على ابن أبي الوليد لدينه وفضله،وكان أيضا يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان[4]،ولم يكن يكن بوسع الخليفة القائم بأمر الله أمام الأخطار التي كانت تهدد وجود دولته،إلا الموافقة على هذا التعيين،لأن الرعية هي من ولَّته فأقرَّه[5]،وبعد وفاة القائم بأمر الله لم يشأ الخليفة المنصور أن يعزل ابن أبي الوليد،على الرغم من اتخاذه السواد–شعار العباسيين– لباساً له[6]،وهذا تجنباً لإثارة المزيد من المصاعب في وجه الخلافة،ولكي يسكِّن العامة من المالكية ويتألفهم،إلى جانب ذلك فالمنصور قد عيَّن مالكيا على قضاء القيروان ومظالمها،بعدما خرج منها أبو يزيد وكان هذا الأخير قد عيَّن على قضائهم ومظالمهم من اختاروه من فقهاءهم

---

[1]– يذكر الدباغ اسما لصاحب مظالم كان زمن المنصور بالله ويرجح أنه كان حنفيا ثم تشيَّع،كانت له حادثة مع الفقيه المالكي أبو إسحاق السبائي،"حيث نهج(أي نهر) متولي المظالم أبو العباس بن أبي ثوبان،الفقيه أبو إسحاق السبائي فدعا عليه هذا الأخير فأصبح ميتا".ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر السابق**،ج:03،ص:69.

[2]– ينظر ترجمته في :أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:60.

[3]–وكان أحمد بن بحر صاحب مظالم القيروان وصِلاتها.ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01، ص:205؛ بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص :74.

[4]–في ذلك إشارة إلى مهام صاحب المظالم عند المالكية.ينظر :أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج:03 ص:61.

[5]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري،**المصدر السابق**،ج:28،ص:72.

[6]–وهي إشارة واضحة على شكل من أشكال التحرر الذي جعل الفقهاء يعبرون عن مواقفهم السياسية والمذهبية علنا،في محاولة جادة لجعل السلطة الزمنية للمنطقة تعترف باستقلاليتهم المذهبية، وبحقهم في المشاركة في الحياة السياسية لها،كعنصر فعال وهام من العناصر المذهبية المختلفة بالمنطقة،وتعبر أيضا عن عدم اعتراف هؤلاء بالخلافة الفاطمية كخلافة شرعية لحكمهم،ورسالة ولاء دائم للخلافة العباسية في صيغة غير مباشرة للتعبير عن ذلك.

المالكيين،ونظرا لاستحسان الرعية لذلك،ورغبة المنصور في كسبهم إلى صفِّه،بعدما خَبِر ما لفقهاء المالكية من دور في التأثير على العامة وتوجهاتهم السياسية–في ثورة أبي يزيد– وبالتالي التأثير في الحياة السياسية والمذهبية للدولة الفاطمية سلبا أو إيجابا،وحتى يضمن عدم ثورتهم عليه مجددا،قام بتعيين صاحب مظالم مالكي عليهم –مؤقتا– لينظر في أمورهم،بينما يهتم هو بالخطر الأكبر الذي كان يواجه خلافته وهو المعارضة بكل أشكالها،ولعل ذلك أكبر دليل على سياسة المهادنة التي اتبعها المنصور مع خصومه من المالكية،في محاولة منه لامتصاص غضب الشعب[1].

2/القضاء[2]:

أولى الفاطميون عناية خاصة بهذا المنصب،وحرصوا في البداية على اختيار متولي خطته من أتباع مذهبهم وأنصاره،خاصة في مرحلة الدعوة وبعد قيام الدولة بقليل،قبل أن تجبر الظروف السياسية والمذهبية خلفاء هذه الدولة،على تولية هذا المنصب لمن يخالفهم المذهب من أهل السنة خاصة المالكية.

لقد سبق القول أن الخلافة الفاطمية لم تكن تسند خطة القضاء،من أدنى مراتبها إلى أعلاها إلا للدعاة،أو ممن بلغوا المراتب العليا في التنظيم الدعوي،مثل المروذي وأفلح بن هارون الملوسي والقاضي النعمان وغيرهم،مما دفع بالكثير من علماء السُّنة الأحناف إلى التشرُّق لكي يتولوا هذا المنصب،إما بدافع الفقر والإقلال أو طمعا في الجاه،وكان الدعاة وقتها يدعون العلماء إلى التشريق،لكي يوَلُّوهم القضاء،فتشرق بذلك الكثير من الأحناف،غير أن هناك من وُعِدَ القضاء فتشرق،لكنه لم يحصل على خطته،مثل الحنفي قاسم بن خلاد الواسطي،الذي وُعِدَ بقضاء باجة،فلما ترك مذهبه قيل له:"لقد استغنينا عن قاضي لباجة"،ومن الراجح أن السلطة عندما كانت تشعر أن الدافع إلى التشيع هو

---

[1]– بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص :75.

[2]–**القضاء لغة** :هو القطع والحكم،أما **اصطلاحا**:فهو عند الشيعة البيان(أي علم الباطن الذي خص به الأئمة الشيعة)،أما عند أهل السُّنة فهو حسب ما ذهب إليه ابن منظور فهو القطع والحكم.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب المحيط** ،مج:03،إعداد:يوسف خياط،دار لسان العرب، بيروت– لبنان،د ط،ص:111؛بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:57.

الوظيفة،وليست القناعة بالمذهب الشيعي الإسماعيلي،لا تسندها لطالبها،بينما الذين أثبتوا قناعتهم ورغبتهم فيه أُعطيت لهم هذه الوظيفة،كأحمد بن سيرين [1]،أو ابن شهرين [2] العراقي المذهب،وكان قد ولاّه عبيد الله المهدي قضاء مدينة برقة،وزرارة بن أحمد [3] الذي ولاه عبيد الله المهدي قضاء مدينته المهدية.

ومن رُشح للقضاء في عهد الخليفة عبيد الله المهدي الفقيه أبو جعفر ابن خيرون،لكن سعي المروذي به،جعل الخليفة يأمر بقتله [4]،أما علي بن منصور الصفار [5]،وهو من أصحاب سعيد بن الحداد المالكي،فكان من علماء الفقه والجدل،وتشيَّعَ فوُلِيَّ القضاء بمدينة ميلة،وظل قاضيا عليها حتى عهد الخليفة المعز لدين الله [6]،كانت هذه بعض أسماء الفقهاء الذين تخلوا عن مذاهبهم للحصول على منصب القضاء في الدولة الفاطمية،فلم يكن لهم دور فاعل في الحراك السياسي أو المذهبي بالمنطقة،وإنما كانوا ممن يمكن تسميتهم بخَدَمْ الدولة التابعين–إن صح التعبير–وعلى النقيض منهم نجد أسماءً سبق ذكر أغلبها،صمدت وثبتت على مواقفها السياسية المعادية للسلطة الفاطمية بالمنطقة،ومواقف مذهبية تحسب لهم في سبيل الحفاظ على المذهب السني المالكي،والاستماتة في سبيل الدفاع عن ثوابته رغم كل أشكال الضغط والتضييق المسلط عليهم،وانطلاقا من تلك المواقف أُجبر الخلفاء الفاطميون على إعادة النظر في سياستهم تجاه هؤلاء ومن اتَّبَعَهُمْ.

فعندما اشتدت المعارضة وأصبحت ثورة أبي يزيد تهدد بأخطارها الدولة الفاطمية ووجودها ببلاد المغرب الإسلامي،غيَّرت هذه الأخيرة بعضا من سياستها تجاههم،من خلال

---

[1]–ابن عذارى،**المصدر السابق**،**ج:01**،ص:153؛ بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:89.

[2]–يذكره الخشني بابن شهرين العراقي لا ابن سيرين.ينظر:الخشني، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**،ص: 290، 293.

[3]– الخشني،**المصدر السابق**،ص :295.

[4]–أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :02،ص:289.

[5]– الخشني،**المصدر نفسه**،ص– ص:280–291.

[6]–ذكرنا سابق أسماء أهم الفقهاء الذين تشيعوا بعد أن كانوا على مذهب أهل السُّنة والجماعة،فوُلُوا مناصب إدارية هامة في الدولة الفاطمية على رأسها القضاء،يرجى مراجعة الفصل الأول من هذا البحث.

منحهم حق المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية وحتى المذهبية الفاعلة في الدولة،فولت منصب القضاء والإدارة لعدة فقهاء مالكيين،وأصبحت بذلك القيروان قاعدة وحصن المالكية هي مسند القضاء فيهم،وقد سبق أن ذكرنا أن الخليفة القائم بأمر الله قد ولىَّ ابن أبي الوليد منصب القضاء والمظالم،بعدما سبقه في توليته عليه أبي يزيد مخلد بن كيداد،ولكي يَأْمَنَ جانب أحد أطراف المعارضة وهم المالكية،ويوسع من قاعدته الشعبية،ويضمن الحد الأدنى من القلاقل والنعرات في دولته،عرض الخليفة المنصور خطة القضاء على عدد كبير من فقهاء المالكية،بعد انتهاء ثورة أبي يزيد صاحب الحمار،إلا أنَّ أغلبهم رفضها[1].

لعلنا نذكر من هؤلاء:أبي بكر بن اللباد،الذي أراد عبيد الله المهدي أن يجعله قاضٍ على صقلية فاعتذر لكبر سنِّه[2]،وأبو ميسرة أحمد بن نزار سنة(337هـ/948م)[3]،وعبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق الأبياني،وأبي بكر عتيق بن أبي صبيح الجزري[4]،وأبو علي الحسن بن نصر السوسي[5]،لكنَّه تمكَّن في الأخير من أن يسندها إلى بعض الفقهاء المالكيين،منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري،المعروف بابن المنظور سنة(334هـ/943م)[6]،الذي تولى هذا المنصب بعد أن اشترط على الخليفة المنصور عدة شروط وافقه عليها،وكلُّها تَصُبُّ في قالب الحفاظ على استقلالية الشخصية المالكية وعدم

1- بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص :91.

2- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص،ص:25، 26.

3-"أراد إسماعيل بن أبي القاسم أن يلي أبو ميسرة أحمد بن نزار القضاء فأبى،وقال له:"كيف يلي القضاء رجل أعمى يبول تحته؟ وما علم أحد أنه أعمى إلا ذلك اليوم".ينظر: أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه**،ج :03،ص:43.

4- أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص:414.

5- أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:02،ص:392.

6-"من أصل أندلسي،أغلق على نفسه باب السماع،واعتذر أنه لزمته يمين غليظة أن لا يسمع أحدا من أهل القيروان،أجبره إسماعيل المنصور على القضاء فاشترط عليه:أن لا يأخذ لهم صلة،ولا يركب لهم دابة،ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم،ولا يركب لهم مهنيا ولا معزِّياً،فأجابه إلى هذا إسماعيل وقَبِلَ شروطه"ينظر:أبو زيد الدباغ، **المصدر نفسه** ،ج:03،ص،ص:44،45؛أبو بكر المالكي، **المصدر نفسه**،ج:02،ص:357.

موالاتها لخلفاء الشيعة،حتى وإن كان في خدمتهم اسميًّا كقاضي،واشترط على نفسه شرط عدم ذمِّهم أو انتقادهم[1]،أبو عبد الله محمد بن إسحاق الجبلي،هو الآخر وُلِّيَّ قضاء برقة لإسماعيل المنصور،لكن بسبب موقفه المتعصب لدينه ومذهبه،وعدم قبوله إعلان الفطر من رمضان دون رؤية هلال شوال،رفع الوالي ابن كافي الشيعي أمره إلى إسماعيل المنصور بالقيروان،فصلبه وعذبه حتى مات سنة(341هـ/952م)[2]،ومن قُضاة المالكية الذين تذكرهم كتب التاريخ،القاضي عبد الله بن هاشم(ت 363هـ)[3]،الذي ولاَّه الخليفة المعز لدين الله قضاء القيروان قبل رحيله إلى مصر،وأمر قاضي قضاته أبو طالب أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي المنهال أن لا يعزله،وأنه لا سلطة له عليه،وذلك حتى يضمن هدوء قاعدة القيروان وعدم ثورة أهلها على سلطة دولته من جديد[4].

بلغت سُلطة قضاة[5] المالكية بالقيروان،بداية من استقضاء ابن منظور حداً تجاوز قدرة الخليفة على عزلهم،نظرا لما كان يمكن أن يثيره ذلك العزل من ردود فعل عنيفة من طرف العامة،إضافة إلى عدم وجود الحجة إلى ذلك،إذ أن ابن منظور على سبيل المثال لم يكن خاضعا لنفوذ السلطة الفاطمية،كونه اشترط على الخليفة منذ توليه شروطا تحفظ لكلٍّ منهما مكانته وقدره،فلا يتطاول أيٌّ منهما على الآخر،و بالتالي عبَّر موقفه عن دهاء جعل من خلاله السلطة الفاطمية تعترف باستقلالية المذهب المالكي،وتعترف بحرية أتباعه في بلادهم،والأهم من ذلك مشاركة الفقهاء المالكيين بطريقة غير مباشرة وفعالة في التعبير عن مواقف الرعية المالكية مذهبيا وسياسيا،والتأثير بكل أساليب المقاومة على الوجود الفاطمي

---

[1] -القاضي عياض، **المصدر السابق** ،ج :03،ص:339؛أبو بكر المالكي، **المصدر نفسه** ،ج:02 ص:358؛أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:44.

[2] - أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**،ج:03،ص:49.

[3] -ينظر ترجمته في:أبو بكر المالكي،**المصدر نفسه**،ج:01،ص:464؛أبو زيد الدباغ،**المصدر نفسه**، ج:03،ص،ص:80، 81.

[4] -بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:93.

[5] -للمزيد حول شروط القاضي ومهامه،والتقسيم القضائي الإداري للأقاليم ينظر:بوبة مجاني، **المرجع نفسه**،ص - ص :94-101.

بالمغرب الإسلامي ودفعه لتغيير سياسة التشييع القصري في المنطقة،هذا من الجانب المذهبي ،ومن الجانب السياسي المشاركة في صنع القرارات الهامة في ما يخص السلطة الزمنية بالمنطقة،وذلك بالتأثير على الحياة السياسية داخلها ،من خلال وسائل المقاومة السلمية والمسلحة التي اعتمدوها،والتي سمحت لهم في الأخير بتقلد مناصب هامة في هذه الدولة تُخَوِّلهم للتعبير من منابرها عن الاستقلالية المذهبية لأهل السنة عن الدولة الفاطمية الشيعية،التي كانت حالة الحذر الدائم من ثورة أهل السنة والخوارج،أحد أسباب انتقالها إلى مصر بسبب حالة اللاستقرار التي عرفتها منذ قيامها ببلاد المغرب الإسلامي

3/الحـــــسبة:

كان المصطلح المتداول في المجتمع المغربي في القرنين الثالث والرابع هو صاحب السوق،أو أحكام السوق،وصاحب المظالم،والحاكم والأمناء،بينما لفظ المحتسب لم يكن متداولا[1]،وهذا انطلاقا مما تورده المصادر التاريخية من تسميات لمتولي مهام هذا المنصب[2]،الذي ورثته الدولة الفاطمية عن الدولة الأغلبية [3]،وقد أولى الفاطميون أهمية كبيرة لهذه الخطة،إقتداءً بعلي بن أبي طالب– رضي الله عنه– كونه كان يقوم بمهمة المحتسب في مراقبة الأسواق،لذا ردوها إلى القاضي،الذي أوكل بدوره هذه الخطة لمن يثق به،ولم يدخل في مهام المحتسب شؤون العبادات،مثل الطهارة وتأخير وقت الصلاة،كما هو حال متوليها في المشرق[4].

---

[1]– الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**،ج:02،ص،ص:159، 160.

[2]–فصاحب المظالم في عهد الدولة الأغلبية هو المحتسب حسب ما يورده المالكي،وصاحب المظالم هو نفسه صاحب أحكام السوق عند أبي زيد الدباغ،وبالتالي هو المحتسب،وأما المحتسب عند ابن عذارى فهو صاحب السوق والحاكم،وعليه فإن أصحاب هذه المصادر التاريخية المذكورة أوكلوا كل من مهمة المظالم،وأحكام السوق للمحتسب.ينظر:أبو بكر المالكي، **المصدر السابق**،ج:02،ص:55؛أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق** ،ج:03،ص:09،ابن عذارى، **المصدر السابق** ،ج:01،ص–ص:167–195.

[3]–بوبة مجاني،**المرجع السابق**،ص :110.

[4]– بوبة مجاني، **المرجع نفسه**،ص :111.

أما عن تعيين صاحب السوق(المحتسب) فكان يعيَّن من طرف قاضي القضاة [1]،وكانت خطة المحتسب أو صاحب السوق تعود في سلطتها المذهبية إلى مذهب السلطة الحاكمة،فعندما تولى الفاطميون حكم بلاد المغرب، لم يسندوا هذه الخطة إلا لشيعي،لكن أثناء ثورة أبي يزيد وبعد استيلائه على القيروان،طُلب من أهلها أن يختاروا من يتولى فيهم الأحكام الشرعية،فنصَّبوا أحمد بن محمد بن أبي الوليد قاضيا،وتولى في نفس الوقت المظالم [2] والصلاة والخطبة بجامعها الأعظم [3]،أما في عهد المعز لدين الله فتولى المظالم بالقيروان أحد أفراد أسرة بني ثوبان الشيعية،وهو أبو سعيد بن أبي ثوبان [4].

والمحتسب كآمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر كما هو متعارف على معناه اصطلاحاً [5]،كان يتجسد عهد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب،فيما كان يقوم به الداعي أبو عبد الله الشيعي،في مرحلة الدعوة،حيث أمر واليه على القيروان ابن أبي خنزير بمعاقبة كل من خرج ليلا،أو حمل مسكرا أو حُمل إليه،كما تذكر المصادر التاريخية،وهي نفس المهام التي اضطلع بها القاضي النعمان،كقاضي قضاة للخليفة المعز لدين الله،الذي أمره بتغيير منكر النوح على الموتى،من قِبل النائحات،كونه عمل نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم،ومعاقبة فاعليه من النساء خاصة،وهذا ما عُرف في عهده- ظهور النائحات على الموتى- [6] وهو ما حارب وجوده بين

---

[1]-فاطمة بلهواري،**المرجع السابق**،ص :81.

[2]- قال النويري :"واعلم أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم"ينظر:النويري، **المصدر السابق**،ج:06،ص:243.

[3]- أبو زيد الدباغ،**المصدر السابق**،ج :03،ص:61.

[4]-أبو بكر المالكي، **المصدر السابق** ،ج :02،ص-ص:499-500؛بوبة مجاني، **المرجع السابق**، ص: 112.

[5]-"قال أبو الحسن الماوردي :والحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه،ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله،قال الله عز وجل: **"وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرْ" سورة آل عمران:الآية:104**.ينظر:النويري،**المصدر نفسه**،ج:06،ص:242.

[6]-القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات** ،ص-ص:534-537؛بوبة مجاني، **المرجع نفسه** ،ص: 114.

بين رعيته بسجن وجلد فاعلاته، كان هذا منصب المحتسب وأهم من تولاه من فقهاء في عهد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي.

4/الـــــوِلَاية:

إن مبدأ الإسماعيلية في الحكم ببلاد المغرب،كان يقوم في أساسه على النظام المركزي،وفيه يظهر الحكم المطلق للخليفة في إدارة سلطاته العامة،غير أن ضرورة الإشراف على أحوال دولته الشاسعة،استوجب قيام نظام الولايات أو العِمَالَاتْ،حيث يتم اختيار الوُلاَّة حسب شروط معينة ودقيقة،وذلك من طرف الخليفة،فأسند للوالي دور المشرف في إدارة النواحي البعيدة عن حاضرة الدولة وفقا لأوامر الخليفة [1]،فقد كانت الولايات في نظامها الإداري تشبه عاصمة الخلافة،فعلى سبيل المثال قام عبيد الله المهدي بتعيين عماله على الأقاليم بعد أن استقر له قرار الملك،واتبع الفاطميون سياسة صارمة من ولاتهم،فكانوا يتدخلون في تعيينهم وعزلهم،كل ما مس ذلك بسلطانهم،فمثلا قام عبيد الله المهدي سنة (298هـ/912م) بعملية تطهيرية للجيل الأول من إدارته،إثر مقتل أبو عبد الله الشيعي،والمشتركين معه في محاولة الانقلاب ضد حكمه،وقام بتعيين وُلاّة جدد حسب معايير خاصة،وفي الولايات الهامة،خصوصا تلك التي تقع على الخطوط التجارية،وعلى المسالك الرئيسية [2].

وخلاصة القول أن الفاطميين اهتموا بتولية كل من هو شيعي إسماعيلي لمناصب دولتهم من أدناها إلى أعلاها،وأساس التمايز والتفاضل بين رجالهم في ترتيب سلَّمهم الإداري،هو العلم والفقه بكُنْه المذهب ومدى العصبية والولاء له،ما جعل الوصول إلى أحد المناصب الإدارية الحكومية بالنسبة لفقهاء السنة أو الخوارج ضربا من المستحيل،لأنهم ألغوا من توظيفهم كل من كان على غير مذهبهم رغم كفاءته،خاصة في المرحلة الأولى من عمر دولتهم،أما في المرحلة الثانية فقد أجبرتهم الظروف السياسية والمذهبية للمنطقة على إدخال

---

[1]-القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص،ص :302، 303.

[2]-من أهم وُلاتهم أو عُمالهم في عهد عبيد الله المهدي: ماقنون بن دبارة واليا على طرابلس،وابن أبي خنزير واليا على القيروان،وأبو الحسن وعلي ابْنَيْ أحمد بن أبي خنزير على صقلية.ينظر:ابن عذارى، **المصدر السابق**،ج:01،ص:168.

العنصر السني سلك إدارتهم،لكن بقيت بعض الوظائف حكرا على رجال الشيعة فقط،ولعل منها منصب الشرطة كما سيأتي ذكره.

5/الشُـــــرطة:

ظهرت وظائف أخرى من شأنها تسهيل تنفيذ أحكام أصحاب المهن السابقة الذكر،ومنها وظيفة الشرطة التي كان صاحبها ينظر في الجرائم وإقامة الحدود،وبالتالي فإن هذه الخطة ظهرت بعد ازدياد مهام القضاة،فكان المتولي لها يقوم بالتعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة [1]،كما يقوم كذلك بفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجريمة،وفي عهد الخلافة الفاطمية كان يُكلَّفُ باقتياد المخالفين من أتباع المذهب السني للتحقيق معهم أو تنفيذ عقوبة السجن عليهم [2]،كما كان يقوم بتنفيذ أوامر القاضي وصاحب المحرس(من يقوم بتقصي أخبار علماء المالكية ومراقبة نشاطاتهم)،إذا فمهمة صاحب الشرطة الأولى هي مساعدة أهل الأحكام في تنفيذ أحكامهم [3].

إن المصادر المتيسرة لم تحفظ لنا أسماء الذين تولوا الشرطة للفاطميين ببلاد المغرب،ما عدا رواية صاحب الاستبصار التي تذكر أن صاحب شرطة عبيد الله المهدي هو غزوية بن يوسف الملوسي [4]،وينقل عنه هذا الخبر صاحب الروض المعطار [5]،أما في خلافة المنصور فكان الأستاذ جوذر هو الذي يتولى معاقبة المجرمين بضربهم وتقييدهم بأمر من الخليفة،الذي كلَّفه بحفظ الأمن في المهدية وما يلحقها من أعمال،كما تولى هذه المهمة كذلك والي المدينة،الذي كان يعمل تحت سلطة الأستاذ جوذر،غير أن هذه النصوص لا تذكر صراحة انج وذر كان هو صاحب شرطة المنصور،هذا إلى جانب أن المصادر حفظت لنا أخبارا تتعلق بما كانت تقوم به الشرطة،دون ذكر لمتولي هذه الخطة [6]،التي طبعا مع استقرائنا لمهام

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون،**المقدمة**،ص :393.

[2]- أبو بكر المالكي،**المصدر السابق**،ج :02،ص،ص:137، 138.

[3]- بوبة مجاني،**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**،ص:121.

[4]-مجهول،**الاستبصار في عجائب الأمصار**،ص،ص: 204، 205.

[5]-محمد بن عبد المنعم الحميري،**الروض المعطار في خبر الأقطار**،ص:307.

[6]-بوبة مجاني،**المرجع نفسه**،ص:123.

أصحابها،خاصة تلك الموجهة منها ضد أهل السنة يتضح لنا أن أصحاب هذه المهام لم يكونوا من أهل السُّنة،وإنما نرجح أن هذا المنصب كان حكراً على رجال المذهب الشيعي فقط.

وفي الأخير يمكننا القول أن السياسة الداخلية– والسياسة المذهبية على وجه الخصوص– التي سلكها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي،جعلت من التوسع المذهبي والجغرافي داخليا وخارجيا،مع توفير سُبل الزعامة والخلافة أسمى أهداف رجالها،مما جعل هذه السياسة تتميز بطابعها الاستبدادي،لما اعتمده هؤلاء من عنف وغطرسة في محاولة جادة وفعّالة لطمس كل المذاهب التي سبقت مذهبهم تواجدا ببلاد المغرب الإسلامي،مستغلين في ذلك كل الوسائل المباحة وغير المباحة على جميع الأصعدة،لإزاحتها وإحلال المذهب الشيعي الإسماعيلي محلَّها،ما نتج عنه وضع داخلي مُتردٍّ أدى بعد تصاعده،إلى قيام ثورات متتالية جمعت بعضها طوائف المذاهب الإسلامية المغربية المختلفة،تحت راية زعامة واحدة،هدفها المشترك القضاء على الوجود الفاطمي،والمذهب الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة،ولو لا عدم تكافؤ الظروف عند الطرفين،لتمَّ لهم ذلك.

كما أن سياسيتهم الإدارية لم تكن في منءً عن سياستهم المذهبية والاقتصادية(المالية) وحتى العسكرية،حيث استأثر العنصر الشيعي الفاطمي بالحكم والسلطة،وحُصرت بعض المناصب الإدارية خاصة الحكومية منها،في أتباعهم وخاصتهم ومعتنقي مذهبهم،ممن كان شغلهم في الحياة الجري خلف المناصب،حتى وإن غيَّروا مذاهبهم كما فعل بعض رجال المذهب الحنفي،الذين تحوَّلوا عنه للمذهب الشيعي سعياً خلف مناصب إدارية توفر لهم السلطة والمكانة،وتمنع عنهم بطش الفاطميين،مما نال غالبية فقهاء المالكية،الذين تمسكوا بمذهبهم وقاوموا في سبيل الحفاظ عليه بكل السبل.

وإن استثنينا مما لاقاه فقهاء المالكية،بعض الفُسح التي سمحت لهم بالمشاركة في الحياة السياسية لهذه الدولة من خلال التوظيف في بعض المناصب الإدارية،وهي الفترات التي عرفت نوعا من الانفراج في سياسة خلفاء الدولة الفاطمية،بعض فقهاء الإباضية والصفرية حذوا أيضا حذو رجال المالكية،في خط سير المقاومة دفاعاً عن المذهب،وإن أُبعدوا عن المناصب الإدارية،أو حتى عن الحياة عامة لم يبالوا،فهدفهم كان أسمى،وقد رأى النور بعد رحيل الفاطميين وانتقالهم إلى مصر،إذ تجرد الزيريون من عباءة المذهب الشيعي

الإسماعيلي،وأَجْلَوْهُ عن بلاد المغرب الإسلامي،ليُحِلُّوا محلَّه المذهب المالكي، كمذهب رسمي للدولة،والذي ظل كذلك بالنسبة لغالبية دول المغرب العربي إلى يوم الناس هذا،فهل أثمرت سياسة الفاطميين تلك في شيء،أم أنها حملت بذور فناء ذلك المذهب في طياتها،فعاد منبوذا كما بدأ ببلاد المغرب الإسلامي؟


ملاحق

الملحق رقم:01:

يمثل عيِّنة عن سلسلة المناظرات التي جرت بين أبي عثمان ابن الحداد وأبو عبد الله الشيعي في أول مجلس مناظرة بين الطرفين.

موضوع المناظرة:التفاضل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما.

"بعد الإجتماع بين ابن الحداد وأبي عبد الله الشيعي،سأل أبو عبد الله الشيعي ابن الحداد قائلا:"أنتم تُفَضِّلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم؟"

ويعني بأصحاب الكساء:محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وعلياً وفاطمة بنت رسول الله والحسن والحسين-رضي الله عنهم- ويعني بغيرهم:أبو بكر -رضي الله عنه-.

فقال أبو عثمان ابن الحداد:"أيُّهما أفضل:خمسة سادسهم جبريل-عليه السلام- أم اثنين الله ثالثهما[1]؟" فبُهِت الشيعي[2].

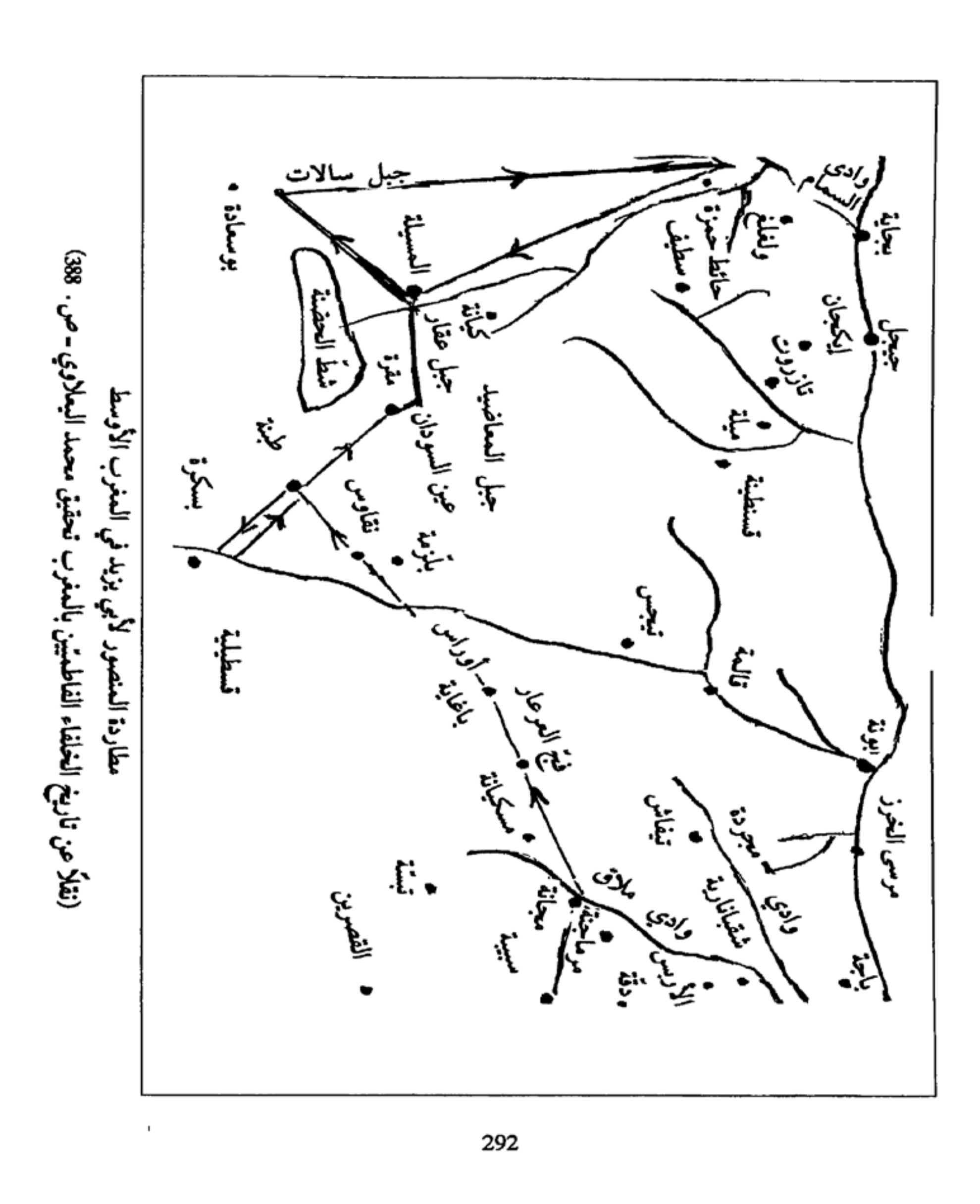
---

[1] -فيه إشارة إلى قوله تعالى في هجرة أبي بكر-رضي الله عنه- مع صاحبه صلى الله عليه وسلم،إذ هما في الغار ونزل فيهما قوله تعالى:**" إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَّ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" سورة التوبة:الآية:40.**

[2] - ينظر :أبو زيد الدباغ:**معالم الإيمان،ج:02**،ص،ص:298، 299؛أبو بكر المالكي،**رياض النفوس،ج:02**،ص،ص:59، 60.

الملحق رقم:02:

خريطة تمثل السُبل الجغرافية التي سلكها المنصور الفاطمي في مطاردته لأبي يزيد صاحب الحمار[1].



[1]–ينظر:فرحات الدشراوي،**الخلافة الفاطمية بالمغرب**،ص:292.


خـــــاتمة

تبيَّن لنا مما سبق جملة من النتائج التي خَلُصْنَا إليها عبر رحلة بحثنا في موضوع"الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(296هـ-361م/909-972م)،سنحاول فيما يلي إيرادها في شكل نقاط،تستوقفنا كل منها عند مرحلة معينة من مراحل هذا البحث من بدايته إلى لحظة خط هذه الكلمات.

_إن الظروف السياسية والمذهبية المتذبذبة ببلاد المغرب الإسلامي،بداية من الربع الأخير من القرن الثالث الهجري،كانت أهم ما ميَّز تاريخ هذه المنطقة في العصر الوسيط،ذلك أن حالة الفوضى المذهبية والإهمال السياسي،كانت تنخر جسد دولها شبه المتداعية داخليا،والمعرَّضة لكل أشكال الأطماع الخارجية.

_كان لعامل الدعوة المؤسسة والهادفة مع الكفاءة والخبرة،التي تميَّز بها دُعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي،دور كبير في تهيئة الأرضية المذهبية والأُسس السياسية،لقيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي،ذلك أن تأسيسها لم يكن مباشر وفُجائي سنة(297هـ/910م)،وإنما كان وليد مرحلة مبكرة من الوعي السياسي والمذهبي،لجملة دُعاة وفدوا إلى بلاد المغرب الإسلامي من المشرق،تذكر المصادر التاريخية منهم الحلواني وأبو سفيان،ثم أبو عبد الله الشيعي،الذي تزعم آخر مراحل الدعوة،قُبيل الإعلان عن قيام الدولة الفاطمية.

_الدهاء السياسي لشخصية الفقيه أبو عبد الله الشيعي،مكَّنه من بناء قاعدة مذهبية متينة للمذهب الإسماعيلي،في رحم إحدى القبائل البربرية العريقة بالمغرب الإسلامي،ألا وهي كتامة،مُستغلا ثغرة النزاعات القبلية البربرية،وغياب عامل السلطة السياسية القوية التي تمارس رقابتها على ذلك،لتشكيل النواة الأولى في بناء صرح سياسي يستند إلى قاعدة مذهبية شيعية،كان قد هيئها بالاعتماد على تفاعل الحميَّة الدينية مع الطبيعة البربرية المتعصبة،وسذاجة الفطرة الشغوفة لكل ما هو ديني وافد من بلاد المشرق الإسلامي،وهو ما ميَّز الشخصية الكتامية،المحتضنة للمذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي.

_ تكالبت عوامل الضعف والوهن على الدويلات المستقلة سياسيا ببلاد المغرب الإسلامي،فما كان من أبو عبد الله الشيعي وجيشه الكتامي،إلا أن يكتب فصل نهايتها

سنة(296هـ/909م)،بتفريق ما تداعى من سلطة حكامها،والإعلان عن قيام الدولة الفاطمية محلَّها،مُسلما مقاليد سلطتها لإمامه المهدي المزعوم عبيد الله الشيعي.

_إن سِمات الحكم وعلامات السيادة التي اتخذها عبيد الله المهدي بعد مباشرته تنفيذ لسُلطاته كخليفة فاطمي،كانت بمثابة محاولة جادة لإرساء دعائم دولته،من خلال إقرار بعض الإجراءات السياسية والإدارية وحتى الاجتماعية والاقتصادية،وتركيز كل سُلطاتها بيده،ليتجه من خلالها إلى فرض سياسته المذهبية الرامية إلى إلغاء وطمس كل مَعْلَم ديني مذهبي،يرمز إلى ما كان سائدا بالمغرب الإسلامي من مذاهب أهل السُّنة أو الخوارج.

_تركيز عبيد الله المهدي في توجيه سياسته المذهبية على أتباع المذهب السُّني المالكي،كونهم يمثلون أكبر قاعدة شعبية بالقيروان،قلب المغرب الإسلامي النابض إن صح التعبير،دون ان يكون لهذا المذهب داعم سياسي،ما يُسقط نظرية بعض الباحثين في أن السلطة السياسية هي التي تؤسس لبقاء مذهب ما،حيث أن المذهب الحنفي كان مدعوم بسلطة الأغالبة ومع ذلك لم يستطع المقاومة بعد زوال دولته،وكذلك المذهب الشيعي لم يستطع البقاء أكثر خلف سلطته السياسية،فما إن رحلت إلى مصر حتى بدأ يتداعى،في حين أن المذهب المالكي حافظ على وجوده دون دعم سياسي،قبل أن يتدعم بالسلطة الزيرية لاحقا.

_اعتمد الفكر الشيعي الإسماعيلي بصيغته الباطنية في بلاد المغرب الإسلامي،على نظرية تركيز السلطات في يد الحكم الإلهي المجسد في شخص الخليفة،فجعلوه مصدراً لكل سلطة تشريعية(سواء سياسية أو مذهبية)،ما ألغى عامل المشاركة السياسية في الحكم على غيره،إلاَّ ما خُصَّ منهم بمهام معينة من شأنها مساعدة الخليفة في تسيير أمود دولته،مع عودة القرار الفصل في كل الأمور إلى شخصه،وتحت رعايته وبعد مشورته،وهو ما استغلَّه عبيد الله المهدي وخلفاؤه في بسط مذهبهم على الرعية،بكل الطرق المذهبية الليِّنة أو العنيفة.

_تعدد فقهاء المغرب الإسلامي تعدد مذاهبهم وتنوعها،ما أدى إلى بروز نخبة من الفقهاء كانت رائدة في المجال العلمي المذهبي،بما حملته من كفاءة في الدفاع عن عقائدها والذود عنها أمام التشييع القصري،الذي كانت تعرفه بلاد المغرب الإسلامي على عهد الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي.

_زيادة على الدور العلمي والمذهبي الذي تبنَّاه فقهاء المالكية،ومن خلال الاحتكاك بدعاة وخلفاء السلطة الفاطمية،في تلك المواجهات العلمية السلمية،تَنَمَى لدى هؤلاء الفقهاء وَعي وحِسٌّ،جعلهم يضطلعون بدورهم السياسي،في مجابهة الفاطميين منفردين أو إلى جانب غيرهم من الخوارج.

_إن ذلك الاختلاف بين الشيعة الإسماعيلية وبعض فقهاء الخوارج،تجاوز عمق العقائد المذهبية بينهما،ليطال الحياة السياسية وراء الواجهة المذهبية لكل من هذين المذهبين.

_قد يكون ذلك التوافق في بعض العقائد بين المذهب الشيعي الإسماعيلي،والمذهب الحنفي وفرقة المعتزلة،سبباً في عدم تواجه هؤلاء،في مواجهات مذهبية مباشرة بأرض المغرب الإسلامي،خاصة بعد زوال الدولة الأغلبية وقيام الدولة الفاطمية–حسب ما تذكر المصادر التاريخية–خاصة وأن توافق المصالح بين رجال الطرفين الحنفي والشيعي الإسماعيلي،أدى إلى تشيُّع عدد من فقهاء الأحناف،ابتغاء الوصول إلى مناصب إدارية هامة في الدولة الفاطمية،تمنحهم الحصانة السياسية والمذهبية،والمكانة الاجتماعية النابعة من التبعية لنفوذ غير معترف به.

_إن المكانة الاجتماعية الهامة التي حظي بها فقهاء المذهب المالكي في نفوس أتباعهم،حوَّلتهم لريادة المقاومة المذهبية للشيعة الإسماعيلية،بما لهم من كفاءة دينية وعلمية،وجرأة على خوض الحياة السياسية بمعتركها،متخذين في سبيل نيل حريَّتهم المذهبية–إن صح التعبير– كل السبل السلمية وحتى المسلحة.

_أعطى فقهاء المالكية أعظم دليل،على أن المقاومة المسلحة ليست دائما التعبير الأمثل،عن رفض الآخر المختلف مذهبيا،وإنما للمقاومة السلمية بقنواتها المتعددة،والتي في مقدمتها سلاح التعليم بمختلف منابره ووسائله،بالغ الأثر وعميقه في تبليغ الآخر–المدعوم بسلطة سياسية– برفضه ونُكرانه.

_المقاومة السُّنية السلمية الإيجابية بقنواتها المختلفة(مساجد،جوامع،مناظرة،تأليف...) للمذهب الشيعي الإسماعيلي، لم تكن وُجهة واختيار كل فقهاء أهل السنَّة من المالكية،وإنما رأى بعضهم في الابتعاد إلى القفار،أو الهجرة إلى الأندلس وصقلية أو إلى أبعد من ذلك،وسيلة للمقاومة،لكنها تمتاز عن سابقتها بسلبيتها المعلنة،إلا أنها تبقى إحدى ألوان المقاومة السلمية.

ــإن العنف المذهبي والاقتصادي المدعوم سياسيا من طرف السلطة–إن صح التعبير– لم يُوَلِّد بلاد المغرب الإسلامي إلا عنفا،خاصة في عهد الدولة الفاطمية،ما يبرر اجتماع فقهاء المنطقة رغم اختلاف مذاهبهم،على ضرورة إعلان المقاومة المسلحة ضد الدولة الفاطمية،والدخول معها في مواجهات عسكرية بهدف إفنائها وإجلاء مذهبها من أرضهم.

ــالمقاومة المسلحة التي تعرضت لها الدولة الفاطمية،من طرف الحلف السُّني المالكي الإباضي الخارجي،كادت أن تودي بأركانها،لولا لجوء خليفتها لتحالفاته البربرية المسبقة،مستغلا من جديد عامل النزاعات القبلية القديمة،لترجيح موازين القوى في تلك المواجهات لصالح دولته.

ــانكسار عامل الثقة والود المصطنع داخل الحلف المالكي الخارجي،حيث انكشف للطرف السُّني المالكي،الذي مثله فقهاؤه في المواجهات المسلحة مع الفاطميين إلى جانب الخوارج،الطموحات السياسية للزعامة الخارجية،المثلة في شخص أبي يزيد مخلد بن كيداد،وكذا الخبث المبيَّت في سريرة هذا الرجل ضدهم،رغم ما اصطنع من ود لكسب تأييدهم في البداية،ما جعلهم يولون عنه بعد أول مواجهة مع الجيوش الفاطمية،بمعركة الوادي المالح سنة(333هـ)،والتي قُتل فيها عدد كبير من فقهاء المالكية،نتيجة ذلك التخاذل الذي أحدث شرخ الفصام بينهم وبين قائد جيشهم النكاري الخارجي.

ــ إدراك خلفاء الدولة الفاطمية لمكانة ووزن نخبة الفقهاء المالكية وحتى بعض الإباضية عند رعيتهم،وقدرة هؤلاء على توجيه الحراك السياسي والمذهبي في منطقة المغرب الإسلامي،خاصة بعد مشاركتهم في أعمال مسلحة ضد الدولة الفاطمية،كادت أن تودي بها.

ــتَغَيُّرْ نوعي في سياسة خلفاء الدولة الفاطمية،بعدما لاقوه من أشكال مقاومة سلمية ثم مسلحة،من طرف المالكية السنِّية والإباضية الخارجية،وبعد كسر الثقة في هذا الحلف الأخير،وانسحاب المالكية منه،استغل الخليفة المنصور ذلك لدخول القيروان وتأمين أهلها،حتى يأمن جانبهم من جهة،ويتفرغ لمواجهة أبي يزيد وأعوانه ثم القضاء عليهم من جهة أخرى،ما حمله على تغيير بعض الجوانب من سياسته،خاصة المذهبية منها،بمنحهم نوعا من الحرية المذهبية في المعتقد،وبعض المناصب الإدارية التي تضمن مشاركتهم في الحياة السياسية لدولته ولو بحدِّها الأدنى.

ـ المناصب الإدارية التي بلغها فقهاء المالكية، لم تتعد خطط القضاء والمظالم وما لازمها من مهام،إذ لم يصل أبدا أي فقيه سُنِّي مالكي،ما حظي به بعض فقهاء ودعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي،من مناصب حكومية وأخرى إدارية ظلت حكرا عليهم(أي الشيعة)،يتمايزون فيها بعضهم على بعض بما حوى كل منهم من علم بأصول المذهب الشيعي الإسماعيلي بتأويلاته الفلسفية،أو بعامل التعصُّب والولاء لهذا المذهب وخلفائه.

ـالوعي السياسي الذي بلغه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي،واتعاضه مما حدث مع أسلافه،ممن اعتمد سياسة التضييق المذهبي والاقتصادي على رعية المذاهب المخالفة بالمغرب الإسلامي،وردة فعل هؤلاء على يد رموزهم من الفقهاء،جعله يدرك مكانة هذه النخبة،ويتجه في سياسته أولا إلى محاولة تهدئة الأوضاع الداخلية،بالقضاء على التمردات المختلفة،مع مواصلة ما بدأه والده المنصور من سياسة مهادنة مذهبية لأتباع المذاهب السُّنية،وفي طليعتها المذهب المالكي ممثلا في فقهائه،فزادهم سعة مذهبية ومكانة في المشاركة في الحياة السياسية لدولته،من خلال مناصب بعضهم الإدارية،وبذلك حصر وضع دولته الداخلي وتوجه بمطامحه التوسعية الخارجية إلى مصر،التي كانت دائما هدف أسلافه المنشود،والذي حققه سنة(361هـ/972م).

في الأخير يمكننا القول أن الظروف السياسية والمذهبية التي كانت أهم عامل ساعد على دخول الشيعة الإسماعيلية إلى بلاد المغرب الإسلامي،وإقامة دولة تكون راعية رسمية لهذا المذهب به،تسمَّت بالدولة الفاطمية،هي نفس العامل الذي ساهم في تسريع انتقال هذه الدولة إلى مصر،ولأن الفقيه في ظل الدولة الفاطمية اضطلع بدوره السياسي مبكرا،فإنها كما قامت على أكتاف دعاة تفقهوا في أصول المذهب الشيعي الإسماعيلي،وأرسوا ركائز دولته وبعثوها من العدم،انتقلت وارتحلت إلى مصر بعدما سببه فقهاء بعض المذاهب السنِّية والخارجية من ظروف سياسية،أجبرت خلفاءها على التعاطي مع هذه النخبة والتفكير في حلول من شأنها تهدئتهم واحتوائهم بكل الطرق،ما حملهم في الأخير على إعادة النظر في سياستهم المذهبية،الاقتصادية وحتى السياسية الموجهة ضد أتباع المذاهب المختلفة،وكسب أكبر وقت ممكن من الهدوء والاستقرار الداخلي للتهيئة للرحيل إلى مصر.

انتقل سنة (361هـ/972م) الخلفية المعز لدين الله بأركان دولته إلى القاعدة المصرية ببلاد المشرق،مخلفاً وراءه أحد حلفائه من البربر،وهو قائد جيوشه بلكين بن زيري،مؤسس الدولة الزيرية ببلاد المغرب الإسلامي،والذي وإن ظل تابعا مذهبيا وسياسيا للدولة الفاطمية بمصر،إلا أنَّه ألغى فيما بعد تلك التبعية بكل أشكالها حتى الاسمية منها،وخلع عن دولته لباس المذهب الشيعي الإسماعيلي،معلنا عن اعتماد المذهب السُّني المالكي مذهبا رسميا لدولته،وهو المذهب الذي ظل سائدا في أغلب ربوع المغرب الإسلامي إلى يوم الناس هذا،لكن السؤال الذي يبقى يساورنا حيال هذا الانتقال هو: هل كانت مصر فعلا بذلك القدر من الأهمية لتشغل خلفاء الدولة الفاطمية منذ قيامها ببلاد المغرب الإسلامي عن هذا المجال الجغرافي الشاسع،وتغنيهم في النهاية عنه ليرحلوا إليها،مخلفين وراءهم مُلْكًا قاوموا لأجله فقهاء وأتباع الفرق والمذاهب المغربية المختلفة،أم أن هذا ما حملهم على الرحيل إليها،بعدما لمسوا من أهلها ضعف مقاومة،توهموها في أهل المغرب الإسلامي لكنهم اصدموا بعكس ذلك،فارتحلوا تاركين خلفهم أتباعاً يتأملون فيهم الحفاظ على المذهب الشيعي،والبقاء على تبعية ولو اسمية لدولتهم بمصر؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم،نال شرف كتابته الخطاط عثمان طه،دار المعرفة ،دمشق،ط:04، 1420هـ.

_سورة آل عمران:الآية: 104: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرْ".

_سورة الأنفال:الآية:60:"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونْ".

_سورة التوبة:الآية:40: " إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِّينَ كَفَرُوا ثَانِيَّ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"

_سورة الفرقان:الآية:35: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً".

_سورة النساء:الآية:95: "لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المؤْمِنِيْنَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ المجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ المجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيمًا".

_سورة طه:الآية:25، 31: " قَلَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ويَسِّرْ لِي أَمْرِي،وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي،يَفْقَهُوا قَوْلِي،واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي،هَارُونَ أَخِي،اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي...".

_سورة يونس:الآية:71: "فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءِكُمْ".

المصــــــادر:

1/ابن أبي دينار (أبو القاسم الرعيني القيرواني)،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،دار المسيرة،بيروت-لبنان،ط:06، 1993م.

2/ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت 741هـ/1399)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،صور للطباعة والوراقة،الرباط-المغرب الأقصى،ط:1972م.

3/ابن الأبّار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت658هـ/1260م)،الحلة السيراء،ج: 01،تحقيق:حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة-مصر،ط:02، 1985م.

4/ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ت630هـ/1232م)،الكامل في التاريخ،ج: 06،07،08،مراجعة وتصحيح:يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:01، 1987م.

5/ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ت 776هـ/1374م)،تاريخ المغرب العربي القسم الثالث من أعمال الأعلام،تحقيق وتعريب:أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني،دار الكتاب،الدار البيضاء-المغرب،ط:1964م.

6/ابن الصغير(عاش في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري/العاشر الميلادي)،أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق وتعريب:محمد ناصر وإبراهيم بحاز،د د ن،الجزائر،ط:1985م.

7/ابن العماد(شهاب الدين أبو أفلح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ت1089هـ)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج: 02،تحقيق وإشراف:عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،دار ابن كثير،دمشق-سوريا، بيروت-لبنان،د ط.

8/ابن العمراني(محمد بن علي بن محمد ت 580هـ/1184م)،الإنباء في تاريخ الخلفاء،تحقيق وتقديم:قاسم السمرائي،دار الآفاق العربية،القاهرة-مصر،ط:01، 1999م.

9/ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي ت403هـ/1012م)،تاريخ علماء الأندلس،ج: 01، 02، تحقيق:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،القاهرة–مصر،دار الكتاب اللبناني،بيروت–لبنان،ط:02، 1989م.

10/ابن المرتضي(أحمد بن يحي)،طبقات المعتزلة،تحقيق:سوسن ديفلد–فلزر،د د ن،بيروت–لبنان،ط:1987م.

11/ابن النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد ت 438هـ/1047م)،كتاب الفهرست(في أخبار المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم)،ج: 01، تحقيق:رضا تجدد،د د ن،د ب ن،د ط.

12/ابن ثغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الظاهري الأتابكي ت874هـ/1470م)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج: 03، تقديم وتعليق:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط:01، 1992م.

13/ابن حماد(أبو عبد الله محمد بن علي ت 826هـ/1231م)،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق ودراسة:التهامي نقرة وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة–مصر،د ط.

14/ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبي ت بعد 367هـ/بعد977م)،كتاب صورة الأرض،منشورات مكتبة الحياة،بيروت–لبنان،ط:1992م.

15/ابن خرداذبة(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)،المسالك والممالك،مطبعة بريل،مدينة ليدن،ط:1889م.

16/ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن محمد الحضرمي ت808هـ/1406م)،ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط ومراجعة:خليل شحادة وسهيل زكار،ج: 04، 06، 07،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت–لبنان،2000م.

_ المقدمة من كتاب العبر،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت–لبنان،1979م؛ج:05،تحقيق وتعريب وتقديم:عبد السلام الشدادي،خزانة ابن خلدون

بيت العلوم والفنون والآداب،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،ط: 01،طبعة خاصة في خمس مجلدات،2005م.

17/ابن خلكان(أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت681هـ/1282م)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج:03، 04، 05،تحقيق:إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت-لبنان،ط:1971م.

18/ابن عذارى(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ت نحو 695هـ/1296م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج: 01 تحقيق:ج.س.كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت-لبنان،ط:03، 1983م.

19/ابن فرحون المالكي (القاضي إبراهيم بن نور الدين ت 799هـ/1397م)،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،دراسة وتحقيق:مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:01، 1996م.

20/ابن منظور(أبو الفضل محمد بن كرم بن علي الإفريقي ت 711هـ/1311م)،لسان العرب المحيط،ج: 04،تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف،الإسكندرية-مصر،ط:01؛مج:03،إعداد:يوسف خياط،دار لسان العرب،بيروت -لبنان،د ط .

21/ابن وردان،تاريخ مملكة الأغالبة،دراسة وتحقيق وتعريب:محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي،القاهرة-مصر،ط:01، 1988م.

22/أبو العرب(محمد بن أحمد بن تميم التميمي ت 333هـ/944م)،كتاب طبقات علماء إفريقية،ج:01، تدقيق وتحقيق:محمد بن شنب،دار الكتاب اللبناني،بيروت-لبنان،د ط.

_كتاب المحن،تحقيق:يحي وهيب الجبوري،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط: 01، 2006م.

_طبقات علماء تونس،تحقيق:أحمد بن محمد الطلمنكي وعمر بن علي بن أحمد بن عطية بن يوسف أبي بكر الأنصاري،دار الكتاب اللبناني،بيروت-لبنان،د ط.

23/أبو حنيفة(القاضي النعمان محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي ت363هـ/974م)،افتتاح الدعوة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت-لبنان،ط:2005م.

_الأرجوزة المختارة،تقديم:عارف تامر،شرح وتحقيق:يوسف البقاعي،دار الأضواء،بيروت-لبنان،ط: 1999م.

_دعائم الإسلام،ج: 01،تقديم:آصف بن علي أصغر فيضي،دار المعارف،القاهرة-مصر،ط:1969م.

_كتاب أسباب التأويل،تحقيق:عارف تامر،منشورات دار الثقافة،بيروت-لبنان،د ط.

_المجالس والمسايرات،تحقيق:الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي،دار المنتظر،بيروت-لبنان،ط:01، 1996م.

_الهمة في آداب إتباع الأئمة،نشر وتحقيق:محمد كامل حسين،دار الفكر العربي،القاهرة-مصر،د ط.

24/أبو زكريا(يحي بن أبي بكر الورجلاني ت 471هـ)،سير الأئمة وأخبارهم،تحقيق:إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط:1984م.

25/أبو عمار عبد الكافي،الموجز في آراء الخوارج الكلامية،ج: 01،تحقيق وتقديم:عمار طالبي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط:1978م.

26/إدريس عماد الدين القرشي(المعروف بالداعي إدريس ت 872هـ/1467م)،عيون الأخبار وفنون الآثار(السبع السادس أخبار الدولة الفاطمية)،تحقيق وتقديم:مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت-لبنان،ط:02، 1984م.

27/الأشعري(أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق اليماني ت330هـ/942م)،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،ج:01،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة-مصر،ط:01، 1950م.

28/الإصطخري(أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي الكرخي)،مسالك الممالك،مطبعة بريل،ليدن،ط:1927م.

29/البغدادي(أبو منصور عبد القاهر بن الطاهر بن محمد بن عبد الله التميمي ت429هـ/1037م)،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم،تحقيق:محمد عثمان الخشن،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،القاهرة-مصر،ط:1948م.

30/البغطوري(مقرين بن محمد،عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)،سيرة مشايخ نفوسة،تحقيق:توفيق عياد الشقروني،مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن،ط:2009م.

31/البكري(أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت487هـ/1094م)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة-مصر،د ط.

32/الجرجاني(علي بن محمد بن علي)،كتاب التعريفات،تحقيق:إبراهيم الأبياري،دار البيان للتراث وشركة الفتح للطباعة،القاهرة-مصر،د ط.

33/الجوذري أبو علي منصور العزيزي(عاش في منتصف القرن الرابع الهجري)،سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين،تقديم وتحقيق:محمد كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة،دار الفكر العربي،مصر،د ط.

34/الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي ت 626هـ/1229م)،معجم البلدان،ج:02، 03، 04، 05،دار صادر،بيروت-لبنان،ط:1977م.

_ معجم الأدباء،ج:18،مطبعة دار المأمون،القاهرة-مصر،ط:1983م

35/الحميري(أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي ت727هـ/1323م)،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت-لبنان،ط:02، 1984م.

36/الخشني(أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ت 361هـ/971م)،طبقات علماء إفريقية،تقديم وتحقيق وتعليق:محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي،القاهرة-مصر،ط: 01، 1993م.

_قضاة قرطبة وعلماء إفريقية،تصحيح:عزت العطار الحسيني،مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر،ط:01، 1953م،ط:02، 1994م.

37/الدباغ(أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري الأسيدي ت699هـ/1300م)،معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ج: 01،أكمله وعلّق عليه:أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي،ج: 02،تحقيق:محمد الأحمدي أبو النور وآخرون،مطبعة السنة المحمدية-مكتبة الخانجي،مصر،ط:02، 1968م.

38/الدرجيني(أبو العباس ت670هـ)،طبقات المشايخ بالمغرب، ج:01، 02،تحقيق:إبراهيم طلاي،مطبعة البعث،قسنطينة-الجزائر،ط:1974م.

39/الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز ت748هـ/1347م)،سير أعلام النبلاء، ج: 05، 06، 07، 10، 15، 16،إشراف وتحقيق:شعيب أرناؤوط وحسين الأسد،مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،ط:11، 1996م.

_ ميزان الاعتدال في نقد الرجال،دراسة وتحقيق وتعليق:علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، ج: 01، 03،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط: 01، 1995م.

40/الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي،عاش في القرن الرابع الهجري)،طبقات النحويين واللغويين،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة-مصر،ط: 02،د س ط.

41/الشماخي(أبو العباس أحمد بن سعيد)،السير، ج: 01،تحقيق:أحمد بن سعود السيابي،وزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان،ط:01، 1992م.

42/الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ت 548هـ/1153م)،الملل والنحل، ج:01، تحقيق:أمير مهنا وعلي حسن فاغور،دار المعرفة،بيروت-لبنان،ط: 01، 1993م.

43/القزويني(زكريا بن محمد بن محمود ت 682هـ/1283م)،آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر،بيروت-لبنان،د ط.

44/القلقشندي(أبو العباس احمد)،صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج: 05،دار الكتب الخديوية-مطبعة الاميرية،القاهرة-مصر،1915م.

45/المالكي(أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله ت بعد 484هـ/1091م)،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونُساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج:01، 02،تحقيق: بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 1983م، ط:02، 1994م.

46/الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت 450هـ/1058م)،الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تحقيق:أحمد مبارك البغدادي،دار ابن قتيبة،الكويت،ط: 01، 1989م.

47/المعز لدين الله(أبو تميم المعد الفاطمي ت 365هـ/976م)،أدعية الأيام السبعة،تحقيق:إسماعيل قربان حسين بوناوالا،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان،ط: 01، 2006م.

48/المغربي ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ج: 01، تحقيق:شوقي ضيف،دار المعارف،القاهرة–مصر،ط:1955م.

49/المقدسي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين البناء البشاري ت نحو380هـ/990م)،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،تحقيق:محمد مخزوم،دار إحياء التراث العربي،لبنان،ط:1987م.

50/المقري(أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي التلمساني ت1041هـ/1631م)،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،ج: 03، تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت–لبنان،ط:1988م.

51/المقريزي(أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ت845هـ/1441م)،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،ج: 01، 02،تحقيق:جمال الدين الشيال،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية–لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة–مصر،ط:02، 1996م.

_كتاب المقفى الكبير(تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)،تحقيق:محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان،ط:01، 1987م.

_الخطط الخطط المقريزية،ج: 01،تحقيق:محمد زينهم ومديحة الشرقاوي،مكتبة مدبولي، القاهرة–مصر،ط:1998م.

52/النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733هـ/1332م)،نهاية الأرب في فنون الأدب،ج:02، 03، 06، 28،تحقيق:مفيد قميحة وحسن نور الدين،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط:01، 2004م.

53/الوسياني(أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان،عاش في القرن 6هـ/12م)،سير الوسياني، ج:03،دراسة وتحقيق:عمر لقمان حمو سليمان بن عصبانة،نشر وزارة التراث والثقافة،مسقط–سلطنة عمان،ط:01، 2009م.

54/اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب،كتاب البلدان،مطبعة بريل،ليدن،1890م.

55/عياض(أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي ت 544هـ/1149م)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،ضبط وتصحيح:محمد سالم هاشم،ج:01،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط: 01، 1998م؛تعليق وتقديم:محمد تاويت الطنجي،ج: 01،د د ن،الرباط–المغرب الأقصى،د ط.

56/مؤلف مجهول(لكاتب مراكشي من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)،الاستبصار في عجائب الأمصار ووصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،تعريب:سعد زغلول عبد الحميد،مطبعة الجامعة،الإسكندرية–مصر،ط:1958م.

المراجـــــــــع:

أ/المراجع العربية:

1/أبو زهرة محمد أحمد،أبو حنيفة حياته وعصره–آراؤه وفقهه،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،د ط.

_المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية،دار الفكر العربي،القاهرة–مصر،د ط.

2/أحمد أمين،ضحى الإسلام،ج: 03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة–مصر،ط: 07،د س ط.

_ فجر الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت–لبنان،ط:10، 1969م.

3/أحمد تيمور باشا،المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين،دار القادري،بيروت–لبنان،ط:01، 1990م.

4/أحمد جلي أحمد محمد،دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض–المملكة السعودية،ط:02، 1988م.

5/أحمد عبد الرزاق أحمد،الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى(العلوم العقلية)،دار الفكر العربي،القاهرة-مصر،ط:01، 1991م.

6/الأعظمي محمد حسن،الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية الإثنى عشرية،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة-مصر،ط:1970م.

7/الباروني سليمان بن عبد الله،كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية،ج: 02، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،تونس،د ط.

8/التليسي بشير رمضان،الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،دار المدار الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:2003م.

9/الجندي عبد الحليم،مالك بن أنس إمام دار الهجرة،دار المعارف،مصر،ط:1969م.

10/الجيدي عمر،مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط-المغرب الأقصى،ط:01، 1993م.

11/الحريري محمد عيسى،الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160هـ-296هـ)،دار القلم،الكويت،ط:03، 1987م.

12/الخربوطلي علي حسن،أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية،المطبعة الفنية الحديثة،د ب ن،ط:1972م.

13/الدشراوي فرحات،الخلافة الفاطمية بالمغرب(296هـ-365هـ/909م-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 1994م.

14/الزركلي خير الدين،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج:03،دار العلم للملايين،بيروت-لبنان،ط:15، 2002م.

15/الزهراني علي بن محمد،الحياة العلمية في صقلية الإسلامية،إصدارات مركز البحوث بجامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،ط:1996م.

16/العبادي أحمد مختار،في التاريخ العباسي والفاطمي،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان،د ط.

ـ في تاريخ المغرب والأندلس،دار النهضة العربية،بيروت-لبنان،د ط.

17/العقل ناصر بن عبد الكريم،الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام،دار إشبيليا للنشر والتوزيع،الرياض-المملكة العربية السعودية،ط:01، 1998م.

18/الفرغالي إبراهيم،تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة-مصر،ط:1984م.

19/القصير سيف الدين،ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن،دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق-سوريا،ط:1993م.

20/المامي محمد مختار،المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته-خصائصه وسماته،إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ،العين-الإمارات العربية المتحدة،ط:01، 2002م.

21/المكي الموفق بن أحمد،مناقب أبي حنيفة،ج: 01،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،ط:1981م.

22/الميلي مبارك بن محمد،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج: 02، تقديم وتصحيح:محمد الميلي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د ط.

23/الناصري أحمد بن خالد السلاوي،الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى،ج:01،تحقيق:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،ط:1954م.

24/الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م،ج:01،تر:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 1992م.

25/الهنتاتي نجم الدين،المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن(5هـ/11م)،منشورات تبر الزمان،تونس، ط:2004م.

26/إلهي ظهير إحسان،الإسماعيلية تاريخ وعقائد،إدرة ترجمان السنة،لاهور-باكستان،د ط.

27/أيمن فؤاد سيد،الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد،مكتبة الأسرة،القاهرة-مصر،ط:2007م.

28/باقر أمين الورد،معجم علماء العرب من أواخر القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري،ج: 01،مراجعة:كوركيس عواد،نشر عا لم الكتب،مكتبة النهضة العربية،بيروت-لبنان،ط:01، 1986م.

29/بحاز بكير إبراهيم،الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية،نشر جمعية القرارة،غرداية-الجزائر،ط:02، 1993م.

30/بدوي عبد الرحمان،مذاهب الإسلاميين(المعتزلة،الأشاعرة،الإسماعيلية،القرامطة، النصيرية) دار العلم للملايين،بيروت-لبنان،ط:1997م.

31/بلهواري فاطمة،الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي،دار المسك للطباعة والنشر،الجزائر،د ط.

32/بن عميرة محمد،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط:1984م.

33/بن يوسف سليمان داود،مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان،ج:02، مطبعة أبو داود،الجزائر،ط:1992م.

34/بوزياني الدراجي،دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،ط:2007م.

35/بونار رابح،المغرب العربي تاريخه وثقافته،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط: 02، 1981م.

36/حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ج: 03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة-مصر،ط:14، 1996م.

37/حسن إبراهيم وطه احمد شرف،عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ط:1974م.

38/حسن حسني عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية،القسم الأول،منشورات مكتبة المنار،تونس،ط:01، 1964،ط:02، 1973م.

39/حسين مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة-مصر،ط: 01، 1987م.

_ تاريخ المغرب وحضارته من الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر(من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلادي)،مج: 01، العصر الحديث للنشر والتوزيع،بيروت-لبنان،ط:1992م.

40/حمود خالد عبد الكريم،الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية،مكتبة الملك فهد،الرياض-المملكة السعودية،ط:01، 2002م.

41/خضيري أحمد حسن،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب،(362هـ-567هـ/973م-1171م)،مكتبة مدبولي،القاهرة-مصر،ط:01، د س ط.

42/دبوز محمد علي،تاريخ المغرب الكبير،ج: 01،02،03،مؤسسة تاولت الثقافية،د ب ن،د ط.

43/دغفوس راضي،دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 2005م.

44/سامعي إسماعيل،دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي(من القرن 2هـ-5هـ/8-11م)،دار الهدى،الجزائر،ط:2006م.

_قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون-الجزائر،ط:2012م.

45/سرور محمد جمال الدين،تاريخ الدولة الفاطمية،دار الفكر العربي،القاهرة-مصر،د ط.

46/سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي،ج: 01، 02 ، 03،دار المعارف،الإسكندرية-مصر،ط:01، 1993م،ط:02، 1965م.

47/صلاح الدين محمد نوار،نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني،منشأة المعارف،الإسكندرية-مصر،ط:01، 1996م.

48/طالبي محمد،الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184هـ-296هـ/800م-909م)،تعريب:المنجي الصيادي،مراجعة وتدقيق:حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:02، 1995م.

49/طقوش محمد سهيل،تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام،دار النفائس،بيروت-لبنان،ط:2005م.

50/عارف تامر،المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت-لبنان،ط:01، 1982م.

_تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق،ج: 02،رياض الريس للكتاب،بيروت-لبنان،د ط.

_تميم الفاطمي،مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،بيروت-لبنان،ط:1982م.

51/عبد الله محمد جمال الدين،الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة_مصر،د ط.

52/عبد المنعم ماجد،ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر،دار الفكر العربي،القاهرة-مصر،ط:04، 1994م.

53/علي إبراهيم حسن،تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي،مطبعة السعادة،القاهرة-مصر،ط:02.

54/عمر يحي محمد،السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا،قسم التاريخ،جامعة الملك عبد العزيز،السعودية،د ط.

55/عنان محمد عبد الله،الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية،مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر،دار الرفاعي،الرياض-المملكة العربية السعودية،ط:03، 1983م.

_دولة الإسلام بالأندلس،ج:02، مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر،ط:04، 1997م.

56/غالب مصطفى،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،دار الأندلس،بيروت-لبنان،ط:01،د س ط.

57/غاوجي وهبي سليمان،أبو حنيفة إمام الأئمة الفقهاء،دار القلم،دمشق-سوريا،ط: 06، 1999م.

58/غلاب عبد الكريم،قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج: 01،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان،ط:01، 2005م.

59/قنبر محمد،دراسات تراثية في التربية الإسلامية،مج: 03، دار الثقافة،الدوحة-قطر،ط:01، 1992م.

60/كُحيلة عُبادة،العقد الثمين في تاريخ المسلمين،دار الكتاب الحديث،الكويت،ط: 01، 1996م.

61/لجنة البحث العلمي،معجم أعلام الإباضية(مدخل إلى التاريخ والفكر الإباضي من خلال تراجم لأكثر من ألف عَلَمْ من أعلام المغرب الإسلامي منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر)ج:01،جمعية التراث،غرداية-الجزائر،ط:1990م.

62/لقبال موسى،المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط: 02، 1981م.

_دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط:1979م.

_ملحمة أبو عبد الله الإكجاني مذهبية وتوحيد،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط:1990م.

63/مجاني بوبة،الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة-مصر،ط:01، 2014م.

_المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب،دار منشورات الزمن،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،د ط.

64/مجدوب عبد العزيز،الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،الدار التونسية،تونس،ط:1975م.

65/محمد أحمد عبد المولى،القوى السنية في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية،ج:01، دار المعارف الجامعية،الإسكندرية-مصر،ط:01، 1985م.

_مغربيات في مشرقيات،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية-مصر،ط:01، 1990م.

66/محمد أمين محمد ومحمد علي الرحماني،المفيد في تاريخ المغرب،دار الكتاب،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،د ط.

67/محمد علي الصلابي،الدولة الفاطمية،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع،القاهرة-مصر،ط: 01، 2006م.

_الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية،مكتبة الصحابة،الإمارات –الشارقة،ط:01، 2007م.

68/محمد فريد وجدي،دائرة المعارف القرن العشرين،ج: 04،08،دار الفكر،بيروت-لبنان،د ط.

69/محمود إسماعيل عبد الرازق،الأغالبة وسياستهم الخارجية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية،القاهرة-مصر،ط:2000م.

_الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء-المغرب الأقصى،ط:02، 1985م.

_دولة الأدارسة حقائق جديدة،مكتبة مدبولي،القاهرة-مصر،ط:01، 1991م.

70/مخلوف محمد بن محمد،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية،القاهرة-مصر،ط:1349هـ.

71/مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات،الجزائر،ط:1989م.

72/معصر عبد الله،تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط:01، 2007م.

73/معمر علي يحي،الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب الإسلام،ج: 03، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة-مصر،ط:05، 1956م.

74/معيوف صالح مفتاح،جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني للهجرة إلى أواخر القرن الثالث للهجرة،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن،ط:2006م.

75/وهبان أحمد،الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي،دار الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية-مصر،ط: 2001م.

ب/المراجع الأجنبية:

1/Abdallah Laroui ,l'histoire du maghreb(un essai de synthése) ,imp .corbiére ,petitte collection N° 134 ,paris ,1975.

2/Georges Marcais ,la barberie musulmane et l'orient au moyen age,paris ,1946 .

3/آنخل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الاندلسي،ترجمة: حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة-مصر،ط:1955م.

4/برنارد لويس،أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية،مراجعة وتقديم:خليل أحمد خليل،دار الحداثة،لبنان،ط:01، 1980م.

5/تادايوش ليفيتسكي،المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية،ترجمة:ماهر جرار وريما جرار،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،د ب ن،ط:2007م.

6/جورج مارسيه،بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،ترجمة:محمود عبد الصمد هيكل،مراجعة:مصطفى أبو ضيف أحمد،توزيع منشأة المعارف،الإسكندرية-مصر،ط:1999م.

7/دفتري فرهارد،الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم،ترجمة:سيف الدين القصير،دار لمدى،القاهرة- مصر،ط:01، 1999م.

8/شارل أندري جوليان،تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى 1830م،ج:02، تعريب:محمد تمزالي والبشير بن سلامة،الدار التونسية،تونس،ط:1983م.

9/ل.أ.سيمينوفا،تاريخ مصر الفاطمية،ترجمة وتحقيق:حسين بيومي،المجلس الأعلى للثقافة،مصر،ط:2001م.

الرسائل والمذكرات الجامعية:

1/ابن النية رضا،صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80هـ-362هـ/699-973م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة منتوري،قسنطينة-الجزائر، 2005-2006م.

2/التهامي إبراهيم علي،أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية(من الفتح إلى نهاية القرن الخامس)،رسالة دكتوراه،ج:01، 02،كلية الدعوة وأصول الدين،قسم العقيدة،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1991م.

3/السبع قادة،المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران،الجزائر،2003-2004م.

4/المشهداني علياء هاشم ذنون محمد،فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،رسالة دكتوراه في الفلسفة،تخصص تاريخ إسلامي،كلية التربية،جامعة الموصل-العراق،مارس 2003م.

5/بدوي محمد خالد،الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون(170هـ-218هـ)،مذكرة ماجستير في الآداب-قسم التاريخ الإسلامي،كلية البنات،جامعة عين الشمس،مصر،2001م.

6/بلغيث محمد الأمين،الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،معهد التاريخ،جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله،1987م.

7/حوالة يوسف بن أحمد،الحياة العلمية في إفريقية(المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري،ج: 01، 02،رسالة دكتوراه،جامعة أم القرى،مكة المكرمة.ط:01، 2000م.

8/رحماني موسى،الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر(27هـ-362هـ/637م-972م) دراسة اجتماعية،مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري،قسنطينة-الجزائر،2006م-2007م.

9/عليلي محمد،الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)،مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان-الجزائر،2007م-2008م.

10/كعوان حفيظ،أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية(من القرن 2هـ -5هـ/8-11م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة الحاج لخضر،باتنة-الجزائر،2008-2009م.

11/مجاني بوبة،النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي،رسالة دكتوراه،معهد العلوم الاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة-الجزائر،1995م.

12/مقري سامية،التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة(296هـ-409هـ/909م-1018م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة منتوري،قسنطينة-الجزائر،2005م-2006م.

13/ندات أحمد،دور الحكام الفاطميين في الحياة الفكرية في المغرب(297هـ-362هـ/909-972هـ)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله،2011-2012م.

14/نوار نسيم،النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية(296هـ-443هـ/909م-1051م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله،بوزريعة-الجزائر،2010-2011م.

15/هيصام موسى،المذهب السني في المغربين الأدنى والأوسط(من 296هـ إلى 547هـ/909م-1153م)،رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله،بوزريعة-الجزائر،2010-2011م.

المقالات والدراسات الأكاديمية:

1/البحراني عماد، **دولة الأدارسة في المغرب الأقصى(172هـ-311م)**،مجلة المؤرخ الإلكترونية،العدد:02، جانفي –مارس 2009م،الدار البيضاء-المغرب الأقصى.

2/الجعبيري فرحات علي، **دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية** ،مؤتمر الفقه الإسلامي،جامعة السلطان قابوس،9-13 أفريل 1988م.

3/الجنحاني الحبيب، **السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب**، مجلة الأصالة، العدد:50/49، السنة السادسة، سبتمبر-أكتوبر 1977م، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر.

4/النامي عمر خليفة، **ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى اواخر القرن السادس الهجري(محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي)**، مجلة الأصالة، العدد:45، فيفري 1977م، مج:01.

5/بشاري لطيفة، **أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله بن عباس**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد:13، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، 2011م.

6/بن زاوي طارق، **موقف علماء المالكية من الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية**، مجلة كان، العدد:29، سبتمبر 2015م.

7/حساني مختار، **عوامل تطور مدينة تيهرت**، الملتقى الوطني الأول حول تاريخ تيهرت الحضاري من الفتح إلى نهاية القرن الثالث الهجري، عدد خاص، 1-2 أفريل 1987م.

8/صديقي محمد الناصر، **القاضي النعمان المؤرخ الداعي**، مجلة عصور، العدد:20، منشورات مخبر البحث التاريخي(مصادر وتراجم)، جامعة وهران-الجزائر، جانفي-جوان 2013م.

9/عيفة الحاج ونوار نسيم، **الحسبة المذهبية بالمغرب الإسلامي من خلال كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ليحي بن عمر الكناني**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد:18، جامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله، ماي 2015م.

10/لقبال موسى، **من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت أم نُقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني ورجلان؟**، مجلة الأصالة، العدد: 45، 1977م.

فهـــارس

1/فهرس الأماكن والأعلام.

2/فهرس الدول والقبائل.

1/فهرس الأماكن والأعلام:

أ_الأمـــــاكن:

ب_ الأعـــــــلام:

2/فهرس الدول والقبائل:

أ_ الـــــــــــدول:

ب_ القبـــــــــائل:

فهرس

الموضوعات